العلاقات



مصر والحجاز ونجد في القرن (١٩)

دكتور
سعد بدير الحلواني
المدرس بجامعة الأزهر

الطبعة الثانية ١٩٩٥م/١٤١٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح أمى غفر الله لها وطيب ثراها وأسكنها الفردوس الأعلى ، فكم تمنت أن ترى هذا العمل قد خرج الى النور .

إلى والدى أطال الله فى عمره ومتعه بالصحة والعافية .

إلى زوجتى التى صبرت على مشاق إعداد المادة العلمية وهيأت ظروفاً طيبة لإتمامها .

إلى بناتى أسماء ، ونادية ، وابنى أحمد ، والأمورة جنة .

إلى اخوتى جمال ، وأيمن ، وماجد ، وأخواتى شادية، ونادية ، وفاطمة .

وغيرها بين الشعبين ظلت آثارها باقية بعد خروج جيش محمد على من شبه الجزيرة تنفيذا لمعاهدة لندن الشهيرة سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م .

كما استمرت العلاقات المصرية الحجازية فى أشكالها المختلفة قائمة على قدم وساق ، وظهر ذلك واضحا فى المجال السياسى والعسكرى كحماية الحجازين باستثناء العربان - لجنود الحملة المصرية المنسحبين إلى مصر - واستعدادات الشريف لدرء الخطر الانجليزى الذى بات يهدد السواحل المصرية ، وكالتدخل المصرى بالحجاز لعزل والى جدة عثمان باشا تاتار سنة ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥ .. وتدخلها فى تثبيت الشريف محمد بن عون على إمارة مكة ، وارسالها الحملات المتتالية لدرء الأخطار العسيرية عن الحجاز ، وكانت هناك أوجه عديدة أخرى للعلاقات السياسية بين مصر والحجاز تمثلت فى الصراع بينهما على ضم محافظتى سواكن ومصوع ، وكذلك القلاع المصرية فى شمال الحجاز .

وتعد قضية إرسال المنفيين من كل قطر إلى الآخر إحدى صور العلاقات السياسية التى توحى بامتداد كل قطر ليكمل الآخر جغرافياً وانسانياً .

وفى مجال التجارة كان البحر الأحمر والشركات الملاحية المصرية التى أرسلت أساطيلها فيه من أعظم العوامل على زيادة الأنماط التجارية بين القطرين وقد تمثلت فى البن ، والملح والغلال والقطن والحيوانات والذهب والكتب وغيرها . كما كانت قناة السويس عاملاً قوياً على زيادة الحركة التجارية بين الموانى المصرية ومثيلاتها الحجازية .

كما شاركت الاتصالات الفكرية والاجتماعية فى إذكاء وتنمية العلاقات المصرية الحجازية فتأثر بعض المصريين بدعوة ابن عبدالوهاب عن طريق معابر عدة ، وتأثر بعض الحجازين وأبناء شبه الجزيرة العربية بالنهضة العلمية المصرية الحديثة التى كان يتزعمها بعض رجال الأزهر والمدارس الحديثة كما تأثروا بما أدخله محمد على وحفيده اسماعيل باشا فى مصر من تقدم علمى غربى واكبته نهضة ثقافية وأدبية حملها بين القطرين علماء وطلبة علم ومهاجرون وتجار من كلا القطرين ومن سائر أقطار العالم الاسلامى .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وصلاة وسلاما دائمين على المبعوث رحمة للثقلين القائل :خيركم من تعلم العلم وعلمه " صلوات الله عليه وعلى آله ومن أهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعد

فقد وحد الله بين المسلمين فى مناسكهم ، وسن لهم سنة التعارف على اختلاف أجناسهم فكانت وحدة لا تنفصم عراها ، وحبا الله شعبى مصر والحجاز بمقومات وأسباب خاصة جمعت بينهما فى بوتقة واحدة .

فبالاضافة إلى وحدة الدين واللغة كان للامتداد الجغرافى والنسب والصهر والتزواج المستمر بين الشعبين أثر عظيم فى قيام علاقات إنسانية وطيدة فى شتى المجالات طوال القرون الخالية ، وقد امتدت هذه العلاقات ونمت حتى ظهرت لنا بجلاء ووضوح فى القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى .

ولقد أدى اشتراك الشعبين فى مدافعة الأخطار والخطوب البرتغالية والفرنسية والانجليزية وغيرها إلى تأصيل وحدة المصير وتوثيق عرى الأخوة الاسلامية والعربية بين الشعبين المصرى والحجازى ، ومما لا شك فيه أن هذه العلاقات ازدادت على مر القرون حتى بلغت ذروتها فى القرن الذى نحن بصدد دراسته ، وعندما ظهرت دعوة ابن عبدالوهاب الاصلاحية فى نجد داعية إلى المبادئ السلفية الاسلامية تلقفها آل سعود فكان من الطبعى أن يناوئهم أشراف الحجاز فاحتدم الصراع بين الفريقين مما دفع الدولة العثمانية إلى الزج بمصر فى براثن هذا الصراع الذى امتزجت فيه الروح المذهبية والتنازع على الحدود بين نجد والحجاز ، وقد صاحبت حملات محمد على إلى شبه الجزيرة صور وأشكال للعلاقات السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية

وقد أدى هذا الاختلاط الفكرى إلى انصهار الشعبين فتشابهت كثير من العادات والتقاليد التى انتقلت بين القطرين متأثرة بمؤثرات عديدة وروافد شتى .

وكان لموكب الحج المصرى النصيب الأكبر فى تنمية تلك العلاقات بين القطرين على الرغم من تعدى عربان الطريق واعتداءاتهم المتكررة فى قوافل الحج المصرية واضطرار الحكومات المصرية المتعاقبة إلى تجهيز وتسليح القلاع على طول طريق الحج وتسليح القوافل المصرية لمدافعة أخطار العربان .

وقد حمل ركب الحج المصرى كل عام ما اعتادت مصر أن ترسله من كسوة للحرمين ومخصصات عديدة للفقراء والموظفين والعلماء والأشراف .وللاصلاحات العديدة التى كان الحجاز يحتاجها بين الحين والآخر . وشملت تلك الاصلاحات الحرمين الشريفين ، والقلاع المصرية الحجازية ، وتنمية موارد المياه، والرعاية الصحية والتنقيب عن المعادن ، وتنظيم البريد ، وغير ذلك مما كان لها أعظم الأثر فى رفع المعاناة عن الحجاج من شتى بقاع الأرض بالاضافة إلى انتفاع أهالى الحجاز بها . كل ذلك زاد من وشيجة الارتباط الأخوى الإسلامى بين الشعبين فى مصر والحجاز .

وإنى ليشوفنى

أن أتقدم بوافر الشكر والعرفان إلى أستاذى أ . د / عبدالجواد صابر المصري ، و أ.د / السيد محمد حسن الدقن على توجيهاتهم ونصحهم فجزاهم الله عنى خير الجزاء .

كما أشكر كل من أسدى لى المعونة العلمية فى دار الوثائق بالقاهرة والرياض وأخص بالشكر أيضا عميد كلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض وجميع أعضاء هيئة تدريس قسم التاريخ بالكلية على ماقدموه لى من عناية واهتمام عظيمين .

والله ولى التوفيق ،،

المؤلف

د . سعد بدير الحلوانى

سخا - مصر فى ١٩٩٢/٣/١ م

الفصل الأول

ملامح العلاقات المصرية الحجازية
سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م

العلاقات منذ ظهور الشرافة حتى سنة ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م :

مما لا شك فيه أن الارتباط البشرى والاقتصادى والحضاري بين مصر ومنطقة شبه الجزيرة العربية قد امتد فى بطن التاريخ إلى أقدم العصور ، وازداد هذا الارتباط بالفتح الاسلامى العربى لمصر سنة ٢١ هـ / ٦٤٢ م ، وبهجرة بعض القبائل العربية إليها بنية الإستقرار ،ونشر الدين الاسلامى واللغة العربية فيها [(١)] .

واذا كانت مدن مصر وقراها قد باتت منذ العصر الاسلامى الأول ميدانا مفتوحا لأبناء شبه الجزيرة العربية يؤمونها ويمارسون فيها نشاطهم الاقتصادى ، فإن كثيرا من المصريين قد قصدوا بلدان شبه الجزيرة لأداء مناسك الحج ، واستقر بعضهم فى المدن المقدسة ، ومارس البعض الآخر أنشطة اقتصادية مختلفة [(٢)] .

واضافة إلى ذلك فقد عدت مصر ميدانا مفتوحا لكل المسلمين من شتى البلدان الاسلامية شأنها فى هذا شأن الأقطار الاسلامية كلها فى مختلف العصور السابقة التى ارتفع فيها لواء الخلافة . هذا من الناحية الاجتماعية ، أما الناحية السياسية فقد أصبحت مصر تابعه للمدينة المنورة عاصمة الحجاز.

---

(١) يذكر البعض أن هناك موجات حامية توافدت من شبه الجزيرة العربية منذ فجر التاريخ على مصر ، وكونت اللبنة الأولى للشعب المصرى فى العصر الفرعونى غير أن هذا الرأى يحتاج إلى تمحيص لا يتسع المجال له ، أما عن النسب والقربى فالأول يعود إلى أبناء اسماعيل عليه السلام لأن أمه (هاجر) مصرية والصهر يتصل بمارية القبطية زوج الرسول ﷺ ، فالمصريون بذلك أخوال العرب .
أنظر : عزيز محمد حبيب - المملكة العربية السعودية - الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٥ - صص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٢) د/ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم - الحجازيون فى مصر فى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى - مجلة الدارة - العدد الأول - السنة الحادية عشر - شوال ١٤٠٥ هـ صص ١٤١ ، ١٤٢ . وجدير بالذكر أن البحث المذكور تناول جانبا كبيرا من أنشطة الحجازيين الاقتصادية والاجتماعية فى مصر ، لمزيد من التفصيل أنظر : ١٤٥ ومابعدها .

الفصل الأول

ملامح العلاقات المصرية الحجازية
سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م

العلاقات منذ ظهور الشراقة حتى سنة ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م :

مما لا شك فيه أن الارتباط البشرى والاقتصادى والحضاري بين مصر ومنطقة شبه الجزيرة العربية قد امتد فى بطن التاريخ إلى أقدم العصور ، وازداد هذا الارتباط بالفتح الاسلامى العربى لمصر سنة ٢١ هـ / ٦٤٢ م ، وبهجرة بعض القبائل العربية إليها بنية الاستقرار ،ونشر الدين الاسلامى واللغة العربية فيها (١) .

واذا كانت مدن مصر وقراها قد باتت منذ العصر الاسلامى الأول ميدانا مفتوحا لأبناء شبه الجزيرة العربية يؤمونها ويمارسون فيها نشاطهم الاقتصادى ، فإن كثيرا من المصريين قد قصدوا بلدان شبه الجزيرة لأداء مناسك الحج ، واستقر بعضهم فى المدن المقدسة ، ومارس البعض الآخر أنشطة اقتصادية مختلفة (٢) .

واضافة إلى ذلك فقد عدت مصر ميدانا مفتوحا لكل المسلمين من شتى البلدان الاسلامية شأنها فى هذا شأن الأقطار الاسلامية كلها فى مختلف العصور السابقة التى ارتفع فيها لواء الخلافة . هذا من الناحية الاجتماعية ، أما الناحية السياسية فقد أصبحت مصر تابعه للمدينة المنورة عاصمة الحجاز.

---

(١) يذكر البعض أن هناك موجات حامية توافدت من شبه الجزيرة العربية منذ فجر التاريخ على مصر ، وكونت اللبنة الأولى للشعب المصرى فى العصر الفرعونى غير أن هذا الرأى يحتاج إلى تمحيص لا يتسع المجال له ، أما عن النسب والقربى فالأول يعود إلى أبناء اسماعيل عليه السلام لأن أمه (هاجر) مصرية والصهر يتصل بمارية القبطية زوج الرسول ﷺ ، فالمصريون بذلك أخوال العرب .
أنظر : عزيز محمد حبيب - المملكة العربية السعودية - الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٥ - صص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٢) د/ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم - الحجازيون فى مصر فى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى - مجلة الدارة - العدد الأول - السنة الحادية عشر - شوال ١٤٠٥ هـ صص ١٤١ ، ١٤٢ . وجدير بالذكر أن البحث المذكور تناول جانبا كبيرا من أنشطة الحجازين الاقتصادية والاجتماعية فى مصر ، لمزيد من التفصيل أنظر : ١٤٥ ومابعدها .

منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى عهد علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) حيث انتقلت الخلافة إلى الكوفة . فأصبحت مصر والحجاز تابعين لها ثم انتقلت في العصر الأموي إلى دمشق فأصبحت مصر والحجاز تابعتين لها .

أما في العصر العباسي فقد اتخذت بغداد حاضرة للعالم الاسلامي وأصبحت مصر والحجاز تابعتين لها [(١)] .

ولما استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م ، واتخذوها حاضرة لخلافتهم ضموا إليها بعض الولايات الأخرى ، ومنها الحجاز الذي بدأ يأخذ أشكالاً مختلفة من التبعية لمصر في القرون التالية تمثلت في الدعوة للفاطميين على منابر مكة والمدينة ، والاعتماد على ما كانت ترسله مصر من غلات ومؤن للحجاز ، وصار النفوذ الفاطمي مسيطرا على بقاع الحجاز في أغلب عصرهم ، ما عدا الفترات التي كانت تشب فيها بعض الثورات التي كان يتزعمها أشراف مكة [(٢)] ، إلا أنها لم تكن تلبث إلا قليلا فيعاود الفاطميون نشر نفوذهم بالترغيب مرة وبالترهيب مرة ثانية [(٣)] .

وفي العصر الأيوبي اهتم صلاح الدين وخلفاؤه بالسيطرة على الحجاز لمكانته في نفوس المسلمين ولرغبة الأيوبيين في أن يكونوا حماة للحرمين الشريفين ، هذا بالاضافة إلى أن صلاح الدين قد أراد السيطرة على طريق التجارة في البحر الأحمر لأهميته إبان حروبه ضد الصليبيين [(٤)] .

---

(١) أحمد بن زيني دحلان - خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ١٣٩٧ هـ - ص ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) مثال ذلك ما حدث في عهد محمد بن جعفر بن محمد (أبو هاشم) أمير مكة في سنة ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م عندما قطع المذكور الخطبة للمستنصر العبيدي صاحب مصر ، وأعاد الخطبة على منابر مكة للعباسين أنظر : الفاسي (محمد بن أحمد الحسيني) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين - مؤسسة الرسالة - ط ٢ - جـ ١ - بيروت - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م - ص ص ٤٤٠ ، ٤٤١ .

(٣) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - جـ ١ - القاهرة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ - ص ٣٥٣ .

وأنظر : ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد) العبر وديوان المبتدأ والخبر - جـ ٤ - ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م - ص ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٤) عائشة بنت عبدالله باقاسي - بلاد الحجاز في العصر الأيوبي - دار مكة للطباعة والنشر - ط ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م - ص ٣٧ .

حتى لقد بلغ اهتمام الأيوبيين بالحجاز أن ولى الملك الكامل الأيوبى ابنه الملك المسعود على بلاد الحجاز واليمن ، وكان الخطيب يعلن فى دعائه للملك الكامل على منبر مكة : الشعارات الآتية :

" صاحب مكة وعبيدها ، واليمن وزبيدها ، ومصر وصعيدها ، والشام وصناديدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين وخادم الحرمين الشريفين " [١] إعلاءا لقدر الملك الكامل وإعلانا لملكه .

وفى العصر المملوكى لم تقل عناية المماليك بالحجاز عن عناية الأيوبيين به وقد ظهر ذلك جليا من تمسكهم بلقب : " صاحب الديار المصرية والشامية والحجازية كما ظهرت عنايتهم بالحجاز من تلك العمارات والاصلاحات التى أقاموها هناك [٢] .

ولا أدل على ذلك من جهود السلطان قايتباى ، ومساهماته العظيمة فى الحجاز فقد أمر ببناء مدرسة ملاصقة للحرم المكى ، وصرف عليها أموالا كثيرة ، وعمر الحرم المدنى بعد أن شبت فيه النار كما أوقف عدة قرى بمصر لتحمل غلالها إلى المجاورين كل عام [٣] .

واستمرت تبعية الحجاز لمصر حيث ساعد على ذلك استعانةالأشراف الحاكمين باسم مصر بأمراء الحج المصريين [٤] على الحجازيين الآخرين المتطلعين الى الحكم .

وظل النفوذ والهيمنة المصرية فى تذبذب مستمر بين الظهور والاختفاء ، وبين الضعف والقوة ، كما كان هذا النفوذ فى أحيان كثيرة مباشرا ، وفى أحيان أخرى كان غير مباشر الى أن دخل العثمانيون

---

(١) الفاسى - العقد الثمين - جـ ٢ - ص ٢٨٣ .

(٢) المصدر السابق - جـ ٤ - ص ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٣) الاسحاقى (محمد بن عبدالمعطى أبى الفتح بن أحمد) - أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول - المطبعة الشرقية - ١٣٠٣ هـ - القاهرة ص ١٥٠ .

(٤) كان أبو بكر الصديق أول من لقب بأمير الحج سنة ٩هـ - ٦٣٠ م ، وقد شملت مسئولية أمير الحج قيادة الحجيج والاشراف على شئونهم ، وصيانة الأمن بينهم ولهم ، كما كان أمير الحج يتصدر القيام بشعائر الحج ، ويبدو أن بداية أمارة الحج فى مصر كانت منذ أنتقال الخلافه العباسية اليها بعد سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م ثم أصبح تعيين أمير الحج يتم من قبل سلاطين المماليك ، ثم فعل العثمانيون الشئ نفسه بعد سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م .

أنظر دائرة المعارف الاسلامية - طبعة الشعب مجلد ٤ - ص ٤٣٦ ومابعدها ،ود / محمد بديع شريف - فى مهبط الوحى دار الفكر - ط ٢ - القاهرة ص ١٦٠ .

مصر سنة ٩٩٢ هـ / ١٥١٧ م [١] .

وبتوضيح أكثر أستطيع أن أقول : أن الأشراف الذين خضعت لهم مكة من منتصف القرن العاشر الميلادى الى الربع الأول من القرن العشرين قد اعتبروا أنفسهم حكاما محليين يدينون بالولاء للدولة العظمى التى تسيطر على القاهرة - فى أغلب الأحوال .

وقد ترتب على دخول العثمانيين مصر أن دخل الحجاز سلميا تحت السيادة العثمانية عندما بادر الشريف بركات [٢] بإرسال ابنه أبى نمى [٣] إلى القاهرة يحمل مفاتيح الحرمين الشريفين معلنا الولاء للعثمانيين فأكرمه السلطان سليم الأول وأعطاه تفويضا بحكم والده [٤] للحجاز . وفى هذا العصر أخذ هذا الارتباط بين مصر والحجاز شكلا آخر فقد ظلت فيه سلطة الأشراف وظل تعاقبهم على حكم إمارة مكة على جرى عاداتهم مع تبعية بقية المدن الحجازية لها والتى كان يباشر شئونها أمراء من المنتمين إلى الشريف فى مكة ، غير أن العثمانيين غيروا هذا النظام فنصبوا على مدن الحجاز العظيمة كالمدينة وينبع وجدة ولاة عثمانيين مثلوا السلطة العثمانية فيها .

---

(١) حافظ وهبه - جزيرة العرب فى القرن العشرين - ط ٢ - القاهرة ١٣٦ هـ / ١٩٤٦م - ص ١٤٤ وانظر : عبدالله العثيمين - تاريخ المملكة العربية السعودية - حـ ١ ط ٢ - ١٤٠٩ هـ / ص ١٧ .

(٢) هو الشريف بركات بن محمد بن بركات المولود بمكة سنة ٨٦١ هـ / ١٤٥٧ م ، وممن تلقوا العلم فى الأزهر الشريف على نحو أربعين شيخا وأجازوه ، وقد ولى شرافه مكة فى سنة ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م وتوفى بها فى سنة ٩٣١ هـ / ١٥٢٥ م .

أنظر : ابن زينى دحلان- خلاصة الكلام - ص ٥٣ ومابعدها .

(٣) هو أبو نمى بن بركات المولود سنة ١٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ، وتولى إمارة مكة بعد أبيهحيث كان أبو نمى فى العشرين من عمره ، وله مواقف محموده فى صد البرتغاليين عن جدة سنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م وتوفى أبو نمى سنة ٩٩٣ هـ / ١٩٨٥م بعد أن ترك للأشراف قانونا سمى باسمه .

أنظر : ابن زينى دحلان - خلاصة الكلام - ص ٥٣ ومابعدها .

وحسين محمد نصيف - ماضى الحجاز وحاضره حـ ١ - ط ١ - ط ١ -= ١٣٤٩ هـ ص ص ١٧ ومابعدها .

(٤) ابن إياس (محمد بن أحمد) - بدائع الزهور فى وقائع الدهور - تحقيق محمد مصطفى - حـ ٥ - الهيئة العامة للكتاب - ط ٣ - القاهرة - ١٤٠٤ هـ ١٩٨٥ - ص ١٩٣ وأنظر : د/ محمود صالح منسى - حركة اليقظة العربية - ط ٢ القاهرة - ١٣٩١ هـ / ، ود / السيد محمد الدقن - دراسات فى تاريخ الدولة العثمانية - ١٤٠٦ هـ - ص ٤٧ ، والباحث نفسهالسلطان الأشرف طومان باي والمقاومة المصرية للغزو العثمانى - القاهرة ١٩٧٩ - ص ٩٥ .

كما دعم العثمانيون وجودهم فى الحجاز بحاكم عثمانى على رأس فرقة عسكرية كاملة متمركزة فى جدة ، وقد أضيفت إلى هذا الحاكم وظيفة مشيخة الحرمين ليشرف على التعمير فى مكه [١] .

وكان حاكم جدة يتلقي أوامره من العاصمة التركية أحيانا ، وأحيانا أخري من مصر وكان والى مصر له شأن فى عزل شريف مكة وتعيينه .

ومن النظم التى اعتمدتها الدولة العثمانية أن والى مصر كان من واجباته تقديم المقترحات الخاصة بولاة مكة نظرا لثقة العثمانيين بولاة مصر من ناحية ولقربهم من الحجاز ، وبُعد عاصمة العثمانيين عنه من ناحية أخرى [٢] . ولأن الدولة أقرت نظام تبعية الحجاز واليمن وباشوية الحبشة لمصر اداريا فقد جاء فى النظام والقانون العثمانيين أن قرارات الدولة وفرماناتها تنفذ فى الحجاز واليمن وولاية الحبش عن طريق ديوان مصر حتى الحملات العسكرية كان لابد من مرورها بمصر أولا طبقا لهذا النظام.

إلا أن ولاء الأشراف وانتماءهم للعثمانيين كانا يتذبذبان بين الحين والآخر فكان الأشراف كلما أنسوا ضعفا من العثمانيين والمصريين وسّعوا نفوذهم ، وأعلواكلمتهم لكنهم كانوا يتظاهرون دائما بأنهم خدام السلطان [٣] .

ومما يدل على أن تبعية الحجاز لمصر ظلت قائمة فى العصر العثمانى أن الباشا كان يلقب بألقاب رسمية عديدة منها : الوزير المعظم ، كافل المملكة الشريفة الاسلامية بالديار المصرية ، والثغور المحمية .والأقطار الحجازية .

كما كان يطلق عليه أيضا : حافظ الديار المصرية والأقطار الحجازية ، وما حمل باشا مصر هذا اللقب إلا بسبب تبعية منطقة الحجاز لمصر ، ولمسئوليته كذلك عن رعاية قافلة الحج ومخصصات الحرمين

---

(١) كان أول من تولى أمرجدة من قبل العثمانيين هو قاسم الشروانىالذي كان تاجرا يقيم بمكة ، ثم سافرإلى مصر، واتفق وصوله إليها مع دخول السلطان سليم فاتحا فتقرب الشروانى منه فعينه أمينا فى بندر جدة وأميرا عليها.
أنظر: عبدالقدوس الأنصارى - موسوعة تاريخ مدينة جدة - مجلد ١ دار مصر للطباعة - ط ٣ - القاهرة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م - ص ٣٠٠ .

(٢) أحمد السباعى - تاريخ مكة - مطبوعات نادي مكة الثقافى - ط ٦ - ١٤٠٤ هـ ص ص ٤٥١ ، ٤٥٢.

(٣) حافظ وهبه - جزيرة العرب فى القرن العشرين - ص ١٤٤ .

الشريفين ، ومحمل وكسوة وغير ذلك [(١)] .

وقد أخذ الارتباط الدينى والاقتصادى بين مصر والحجاز يزداد بعد أن أمر السلطان سليمان المشرع بشراء بعض قرى مصر ووقفها وإدارتها على الغلة التى ترسل سنويا من مصر لتوزع فى مكة بموجب الدفاتر السلطانية [(٢)] .

وفى عهد السلطان سليم بن سليمان زيدت مخصصات الحرمين الشريفين من الغلال سبعة آلاف أردب أخرى وكانت هذه المخصصات تحمل من الأوقاف السلطانية فى مصر على ظهور الجمال إلى السويس ، ومن هناك كانت تشحن فى السفن الى جدة أو ينبع [(٣)] .

أما فى العصر السعودى الأول فقد كان لظهور دعوة ابن عبدالوهاب الاصلاحية فى نجد على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب (٤) انعكاسات مختلفة على سير العلاقات المصرية الحجازية انتهت بالتدخل العسكرى المصرى لصالح العثمانيين والأشراف فى الحجاز .

---

(١) عن بداية الكسوة وتسيير المحمل أنظر : البتنوني - الرحلة الحجازية - ط ٢ . القاهرة- ١٣٢٩هـ - ص ص ١١٤ ، ١١٥ وحسين محمد نصيف - ماضى الحجاز وحاضره - ص ٩٤ .
ود/ مصطفى محمد رمضان - وثائق مخصصات الحرمين الشريفيين في مصر إبان العصر العثمانى وأهميتها فى تاريخ الجزيرة العربية - ندوة تاريخ الجزيرة - الرياض ١٣٩٧ هـ - ص ١٥ .

(٢) يذكر أستاذنا الدكتور / السيد محمد الدقن : أن هذه القرى كانت مخصصة للكسوة الشريفة التى ترسل سنويا الى الحجاز ، بعد أن ذكرأن سليمان المشرع أمر باستكمال تكاليف الكسوة من الخزائن السلطانية انظر : كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ - ط ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م - ص ٩٥ .

(٣) أنظر تفاصيل ذلك عند : القطبى (قطب الدين النهر والى الحنفى) - الإعلام بأعلام بيت الله الحرام - مكتبة الكليات الأزهرية - مصر ٣٠٥ هـ ص ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٢٥ . وانظر : أحمد السباعى - تاريخ مكة ص ٤٦٢ .

(٤) نشأ محمد بن عبدالوهاب فى بلدة العيينة بنجد ، وتعلم الفقه الحنبلي فيها ثم سافر إلى المدينة ليتم تعليمه ، وطاف بعدة بلدان مثل البصرة وبغداد وكردستان وهمدان وإصفهان ، ثم رحل إلى قم ، ومنها عاد إلى بلده العيينة فاعتكف ثمانيةأشهر ثم خرج بدعوته الاصلاحية على الناس التى تضمنت نبذ الفساد والاشراك بالله ، وشغله أمر العباد كثيرا ، كما شغلته قضية التوحيد ، وما انتشر بين المسلمين من بدع وخزعبلات ، وقد أطلق أعداء بن عبدالوهاب على دعوته بالحركة الوهابية نسبة إلى والده بينما يطلق الوهابيون على أنفسهم الموحدين والمسلمين السلفيين.

=

فعندما ظهرت دعوة بن عبدالوهاب الاصلاحيةاعتبر الأشراف تلك الدعوة وأصحابها خصوما لهم واتخذ الشريف - مساعد بن سعيد - تدابير مضادة فى مكة بمنعه أهل نجد من تأدية فريضة الحج فى عهد محمد بن عبدالوهاب وفى عهد محمد بن سعود (١) .

إلا أن الشريف مساعدا طلب من الدرعية بعض علماء الدعوة لمناظرة علماء مكة فأجيب إلى ذلك ، غير أن المناظرة لم تسفر عن نتيجة تذكر .

وقد تجددت المناظرة فى عهد الشريف أحمد بن سعيد الذى أرسل سنة ١١٨٥هـ / ١٧٧١ م إلى الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود والامام محمد بن عبدالوهاب بهذا الخصوص ، فاجتمع علماء الطرفين بمكة ودارت المناظرات بينهما فى جدال طويل حول مبادئ دعوة السلفيين احتكم الجميع خلالها إلى كتب الحنابلة إلا أن ذلك لم يسفر عن نتيجة تذكر أيضا (٢) .

وفى تلك الآونة كان هناك صراع يدور فى الحجاز بين زعماء الأشراف لعبت فيه مصر دورا خطيرا .

== وقد كان ميلاد ابن عبدالوهاب فى سنة ١١١٥ هـ/ ١٧٠٣ م وكان له خمسة من الأبناء هم : حسين وحسن وعلى وعبدالله وابراهيم . أنظر : أحمد أمين - زعماء الاصلاح فى العصر الحديث - ط ٤ - ١٩٧٩ م - القاهرة ص ١٠ ومابعدها . ود / عبدالعزيز محمد الشناوى - الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها - ج ١ - القاهرة - ١٩٨٠ ص ص ٧٩ ، ٥٤٢ .

وأنظر : ابراهيم بن عبيد ال عبدالمحسن - تذكرة أولى النهى والفرقان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان - جـ ١ - ط ١ - ص ١٣ .

(١) د/ ابراهيم الفوزان - إقليم الحجاز وعوامل نهضة الحديثة - الرياض ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - ص ٦٩ ويذكر د/ الفوزان ، ود / عبدالرحيم عبدالرحمن أن شريف مكة هو مسعود وليس مساعدا وهذا لبس لأن السابق عليه مسعود والاثنان منعا الحجاج النجديين من دخول الحرم ، وقد أيد هذا أحمد السباعى مؤرخ مكة ، وأهل مكة أدرى بشعابها - أنظر : د / ابراهيم الفوزان - ص ٦٩ ، د / عبدالرحيم عبدالرحمن - الدولة السعودية الأولى - ص ١٢٦ وأحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ٤٨٨ .

(٢) د/ عبدالرحيم عبدالرحمن - الدولة السعودية الأولى - ط ٢ - جـ ١ ص ٤٢- وانظر : د/ ابراهيم جمعة - الأطلس التاريخى للدولة السعودية - ١٣٩٨ هـ ص ٥٦ . وانظر : صلاح الدين المختار - تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها - جـ ١ - ص ٤٢ .

فقد نشب الخلاف فى سنة ١١٨٢/ ١٧٦٨ م بين الشريف مساعد بن سعيد الذى هو من ذوى زيد - وبين عبدالله بن حسين بن يحيى زعيم آل بركات على إمارة مكة وكان آل بركات قد استقر رأيهم على محاربة مساعد وقومه فحاولوا احتلال مدينة جدة . إلا أنها استعصت عليهم فعادوا منها إلى وادى فاطمة [١] وهناك تفتق ذهنهم على طلب مساعدة والى مصر فتوجه عبدالله بن حسين البركاتى إليها حيث التقى بعلى بك الكبير [٢] الذى كان يعد العدة للثورة على العثمانيين فى مصر وتوسيع مناطق نفوذه فوجدها على بك فرصة سانحة اهتبلها ليصل نفوذه الى مكة وليكون ذلك أدعى لقبوله بعض الشئ عند الرأى العام الذى لايقبل الانشقاق على الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافةالاسلامية فى هذا العصر .

وقد كلف على بك الكبير أمير الحج - محمدا بك أبا الذهب - باصطحاب البركاتى الى مكة ومساعدته على تولى الأمارة وكان ذلك فى سنة ١١٨٤ هـ / ١٧٦٩ م

---

(١) يرتبط تاريخ وادى فاطمة بتاريخ مكة حيث سكنه بعض أمرائها إبان الحكم العثمانى، كما سكنه أيضا بعض الأشراف فى ذلك الوقت . ويطلق على هذا المكان أيضا : وادى مر الظهران ، ووادى الشريف ، وينسب الوادى الى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم أو لفتاة كانت تدعى فاطمة الخزاعية- يوجد فى هذا المكان قبرها ، ويبعد هذا الوادي ٢٥ كم عن مكة . أنظر : أحمد عبد الإله عبدالجبار - عادات وتقاليد الزواج بالمنطقه الغربية ط ١ - ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م - جدة - ص ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٢) ولد على بك فى بلاد الأبازة من أعمال القوقاز سنة ١٧٢٨ م / ١١٤١ هـ وكان أبوه واحدا من قساوسة الكنيسة اليونانية ، وفى إحدى الرحلات اختطف قطاع الطرق عليا وباعوه لأحد تجار الرقيق الذى أهداه إلى مديرا جمرك الأسكندرية اليهوديين فقدماه هدية إلى ابراهيم (كتخدا جاويش) (البنكجرجى) ، واعتنق على الاسلام فى ظل كتخدا جاويش وتعلم ، وأخذ يترقى حتى بلغ مرتبة الصنجقية ، ثم لم يلبث أن تولى منصب شيخ البلد سنة ١٧٦٠/١١٧٤ هـ ، وتمكن بعد ذلك من إزاحة منافسيه على مشيخة البلد ، وعلى رأسهم عبدالرحمن كتخدا الذى كان له الحل والعقد ، ثم تمكن من عزل الباشا العثمانى ، وخلع طاعة الدولة العثمانية بعد أن دانت له الحجاز ومصر أنظر : على باشا مبارك - الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة جـ ١ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط ٢ - ١٩٨٠ ص ١٥٣ . ود/ ليلى عبداللطيف أحمد - الصعيد فى عهد شيخ العرب همام - ١٩٨٧ م ص ١٣٤ ومابعدها . وانظر فى ترجمته محمد كمال السيد - الأزهر جامعا وجامعة - سلسلة البحوث الاسلامية ١٤٠٦ هـ - ص ص ٩٥ ، ٩٦ .

وعيندما انتهى أمير الحج المصرى إلى مكة لم يُظهر نيته فى عزل الشريف مساعد وتولية البركاتى فى الوقت الذى شعر فيه الشريف مساعد بما يجرى فأرسل إلى أمير الحج المصرى عقب الفراغ من منى بيومين ليغادر مكه بعسكره منعاً لما يحدث من التشويش فارتحل الأمير دون إظهار شيء من الخلاف (١) .

وأرى أن السبب الذى منع أبا الذهب من عزل مساعد هو عدم تجهيز حملة حربية تكفى لهذا الأمر في الوقت الذى كان فيه الشريف مساعد فى منعه بين أهله ورجاله وعلى أرضه كذلك ، فاستصعب أبو الذهب تولية البركاتى وأرجأ توليته إلى العام المُقبل ليتمكن من إتمام العدة فى مصر ثم العودة الى مكة في حملة قوية لمبايعة الشريف عبد الله البركاتى (٢) واسقاط الشريف مساعدين سعيد وبعد أن استفحل الشقاق بين الشريف عبد الله والشريف مساعد ترك الشريف عبد الله الحجاز مولياً وجهه

---

(١) أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٢) والغريب أن الجبرتى قد سكت عن أخبار هذه الحملة الاستطلاعية ، ولم يروى لنا أخبارها على الرغم من ذكره تفصيلات الحملة التى قبلها مباشرة ، ويبدوا أن . أمرها كان فى طى الكتمان لم يعلم به إلا أمير الحج والبركاتى وعلى بك فلم يصل إلى علم الجبرتى إلا أخبار الحملة الثانية - التى سنتحدث عنها - بعدا ظهر الاستعداد لها . كما لم يُشر الي هذا الموضوع د/ عبد الرحيم عبد الرحمن على الرغم من ذكره تفصيلات الحملة الثانية بعد ذلك ، ولهذا فقد اضطررت إلى الاعتماد على السباعى - مؤرخ مكة - وحده فى تلك المرحلة الأولى حيث أنه استقى معلوماته من مخطوطين : الأول افادة الأنام لعبد الله غازى ، والثانى : تاج تواريخ البشر لمحمد سعيد الحضراوى ولم تصل اليهما يَدَىّ وألاحظ هنا بعض الخلط التاريخى فبينما يذكر الجبرتى أن عبد الله البركاتى ورد على (على بك) سنة ١١٨٤ هـ / ١٧٧٠ م نجد أن السباعى يذكر أن عبد الله البركاتى خرج ع أمير الحج سنة ١١٨٣ هـ / ١٧٦٩ م فمعنى ذلك أن ورود البركاتى كان قبل ذلك . والتوفيق بين الروايتين يمكن أن نتلمسه مما ذكره محمد أديب غالب : من أن عبد الله هرب بعد عودة المحمل المصرى سنة ١١٨٣ هـ / ١٧٦٩ م مرة ثانية الى مصر ليستنجد بعلى بك .
فمعنى ذلك أن المرة الأولى كانت سنة ١١٨٣ هـ / ١٧٦٩ م ، والثانية سنة١١٨٤ هـ : ١٧٧٠ ، والأخيرة هى التى تحدث عنها الجبرتى كانت فى احداث سنة ١١٨٤ هـ / ١٧٧٠ م .

صوب اسلامبول ، وهناك التقى بالسلطان العثمانى الذى كتب له مكاتبات يوصى فيها عليا بُك به ، وكان على بك مشغولا حينئذ بتوطيد دعائم استقرار ملكه فى مصر لتخلص له فى النهاية .

وقد صادف طلب الشريف عبدالله هوى فى نفس على بك ، فأمر باعداد حملة كبيرة لهذا الغرض ، ووصف الجبرتى هذا الاعداد بقوله :

" وأمر بتجهيز الذخائر والأقامات ، وعمل البقسماط الكثير ، حتى ملأوا منه المخازن ببولاق ومصر القديمة والقصور وبيوت الأمراء المنافى الخالية ثم عبوا ذلك ، وأرسل مع باقى الاحتياجات واللوازم من الدقيق والسمن والزيت والعسل والسكر والأجبان فى البر والبحر ، واستكتب أصناف العساكر أتراكا ومغاربه وشواما ومتاولة ودروزا وحضارمة ويمانية وسودانا وحبوشا ودلاة وغير ذلك ، وأرسل منهم طوائف فى المقدمات والمشاة وأنزلوهم من القلزم [١] فى المراكب وصحبتهم الجباخانات [٢] والمدافع وآلات الحرب " .

وقد كان على رأس هذه الحملة محمد بك أبو الذهب ، وكان خروجها من مصر فى صفر سنة ١١٨٤ هـ : يونيه ١٧٠ م (٣) .

وعندما وصلت الحملة المصرية إلى ينبع ، وقعت معركة حامية بين طليعة الحملة المصرية التى كان يقودها محمد بك أبو الذهب وعربان ينبع الموالين للشريف أحمد بن سعيد (٤) أمير مكة ، وكان

---

(١) القلزم اسم مدينة كانت تقع بالقرب من مدينة السويس الحالية وقد طغت عليها الرمال شأنها فى ذلك شأن السواحل التى تقع فى الأرض الجبلية العالية وقد أطلق على البحر الأحمر بحر القلزم نسبة الى هذه المدينة التى كانت تقع فى أقصى الشمال من هذا البحر . أنظر : دائرة المعارف الاسلامية - م ٦ ص ٢٩٩ .

(٢) الجبه خانه فى التركيبة المكان الذى يودع به الأسلحة والمعدات الحربية والذخائر . إلا أن الجبرتي أستعملها هنا بمعنى الذخيرة لا بمعنى المخزون أو المستودع . أنظر : د / أحمد السعيد سليمان - تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل - القاهرة ١٩٧٢م ص ٦٥ .

(٣) الجبرتى عجائب الآثار جـ ١ - ص ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

(٤) تولى الشريف أحمد بن سعيد إمارة مكة بعد وفاة أخيه فى أواخر سنة ١١٨٤ هـ / ١٧٧٠ م وكان الشريف عبدالله آنذاك فى مصر ، فلما عاد فى صحبة الحملة وجد أن أحمد بن سعيد قد تولى إمارة مكة عوضا عن أخيه (مساعد بن سعيد) .

يقودهم وزيره درويش أغا ، وقد أنتهت هذه المعركة بانتصار طليعة الحملة المصرية ، وهزيمة العربان، ومصرع أعداد كبيرة منهم ، ومصرع قائدهم [(١)] درويش أغا [(٢)] .

وبعد أن احتلت الحملة مدينة ينبع تقدمت إلى وادى فاطمة في جموع حاشدة من العربان بينما كان الشريف أحمد بن سعيد المتقهقر يستنفر القبائل ويقوم بتحصين مركزه ، وفى الوقت نفسه أرسل مفتى مكة إلى قائد الحمله برسالة يطلب فيها مقابلته والتفاوض معه ، فلما التقى المفتى بقائد الحملة محمد بك لم يجد منه إلا جوابا واحدا وهو أنه مأمور بانتزاع إمارة مكة من الشريف أحمد وتسليمها إلى الشريف عبدالله .

وفى ١٦ من ربيع الأول سنة ١١٨٤ هـ / ١٧٧٠ م تحرك أبو الذهب بحملته من وادى فاطمة متجها صوب مكة إلا أن الشريف أحمد بن سعيد وجد أنه لاطاقة له بهذا الجيش بعد أن تفرقت عنه البادية فغادر مكة إلى الطائف ، ودخل الشريف عبدالله مكه مع الجيش المهاجم ونودى له بالامارة .

وقد تتبع جيش الحملة مع بعض جنود الشريف عبدالله فلول جيش الشريف أحمد المعزول الذي تحصن بالطائف ، ثم لم يلبث أن هرب منها ، فلاحقه جنود الحمله ثم أحاطت به غير أنه تمكن من الفرار متوجها إلى الليث . وقد اكتفى أبو الذهب بفرار الشريف أحمد بن سعيد فنصب الشريف عبدالله أميرا على مكة ، ثم أرتحل فى جنده إلى مصر فى ٢٠ من جمادى الأولى سنة ١١٨٤ هـ ١٧٧٠ م بعد أن ترك حامية قوية للخطة التى اتفق عليها مع على بك فى مصر [(٣)] .

ويتوقف الباحث بعد هذا العرض عند العلاقة بين الاتصالات الأولية التى حدثت بين الشريف أحمد بن سعيد والسعوديين ، وبين تلك الحملة المصرية التى استنجد بها عبدالله البركاتى .

---

(١) ذكر أحمد السباعى فى كتابه تاريخ مكة ص ٤٣٦ أن وزير الشريف درويش أغا قد فر هاربا عندما عجز عن صد الحملة المصرية إلا أن الجبرتى ذكر قوله : " وانتصر عليهم المصريون وقتل وزير الينبع المتولى من طرف شريف مكة وقتل معه خلائق كثيرة . أنظر : الجبرتى - جـ ١ - ص ٤٥٦ .

(٢) الجبرتى - عجائب الآثار جـ ١ - ص ٤٥٦ .

(٣) أحمد السباعى - ٤٣٥ وما بعدها - وأنظر : محمد جمعان محمد دادا - جدة فى عهد الملك عبدالعزيز (١٩٢٥- ١٩٥٣) ٩ - رسالة ماجستير من جامعة الأزهر ١٤١١ هـ - ص ص ٣٦ ، ٣٧ .

فيذكر الدكتور / عبدالرحيم عبدالرحمن (١) : أن الشريف أحمد بن سعيد أتصل بالسعوديين في سنة ١١٨٥ هـ / ١٧١ م محاولا التفاهم معهم على الرغم من عدم تمكنهم من تهديد الحجاز فى ذلك الوقت المبكر ، وأن هذا الاتصال كان بسبب خشيته من استنجاد الشريف عبدالله بن بركات بمصر ، وطمعه فى التأييد العسكرى من السعوديين لصد الحملة المصرية المرتقبة .

ولا يمكننا التسليم بهذا الرأى لأن الواقع التاريخى يخالفه من وجهين :

الوجه الأول : أن اتصالات كثيرة حدثت بين أشراف مكة والسعوديين دون أن يكون هناك تهديدات تشكلها حملة مصرية ، مثل الاتصال الذى حدث بين مسعود بن سعيد شريف مكة وبين محمد بن سعود والأمام بن عبدالوهاب سنة ١١٦٥ هـ / ١٧٥٢ م ، وكذلك الاتصالات التى دارت بين الشريف غالب والسعوديين بزعامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود والأمام بن عبدالوهاب سنة ١٢٠٤هـ / ١٧٩٠ م (٢) على الرغم من عدم وجود تهديد بحملة مصرية أو غيرها .

والوجه الثانى : هو أن استنجاد الشريف عبدالله بمصر كان فى عامى ١١٨٣هـ / ١١٦٩م ، ١١٨٤هـ / ١٧٧٠ م بينما كان اتصال الشريف أحمد بن سعيد بالسعوديين فى سنة ١١٨٥هـ / ١٧٧١م أى بعد عودة الحملة إلى مصر .

والذى يمكن أن نستنتجه هو أن اتصال الأشراف بالسعوديين فى ذلك الوقت لم يخرج عن كونه استطلاعا لمعرفة حقيقية ما تردد وشاع عن السعوديين من وصفهم بالغلو والشدة وتحريف الدين (٣)

فلم يخرج الأمر عن دعوة علماء لجد لجلاء الغموض الذى آكتنف دعوتهم الجديدة وثمة تساؤل

---

(١) د/ عبدالرحيم عبدالرحمن - الدول السعودية الأولى - ص ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢) د/ ابراهيم الفوزان - أقليم الحجاز - ص ٦٩ .

(٣) أتهم أعداء الدعوة أبن عبدالوهاب بأنه مبتدع ، وأن مذهبه خامس المذاهب وأنه لا يحب الرسول ﷺ ولا أولياء ، وأنه يدعو الى زيارة قبر الرسول ﷺ ، والصلاة عليه كما أتهموا ابن عبدالوهاب كذلك بأهمال أمر المذاهب الأربعة وإتلاف كتبها ، وأن السعوديين يفسدون القلوب ويغيرون عقائد الناس .أنظر : أحمد بن حجر ال أبو طامى - الشيخ محمد بن عبدالوهاب - ص ٤٨ .

يفرض وجوده حول قول الجبرتى [١] عن عبدالله بن بركات وخرج الشريف عبدالله هاربا وذهب إلى ملك الروم [٢] واستنجد به فكتب له مكاتبات لعلى بك بالمعونة والوصية والقيام معه ، وحضر إلى مصر بتلك المكاتبات . وذلك فى سنة ١١٨٤ هـ / ١٩٧٠ م .

والتساؤل هو : لماذا أوعز السلطان العثمانى إلى على بك بالقيام على رأس حملة الى الحجاز لمناصرة الشريف عبدالله ؟ والاجابة تكمن فى طريقة العثمانيين عندما يريدون التخلص ممن يشتمون منه رائحة العصيان فانهم يحاولون توريطة فى عمل يودى به أو بخصمه وفى كلا الحالتين تصبح الدولة هى الكاسبة بصورة أو بأخرى .

وكانت بوادر عصيان على بك فى تلك الفترة قد ظهرت وحسنات الشريف أحمد لدى الدولة قد خفت وهذا الأسلوب قد استخدمه العثمانيون فيما بعد مع محمد على باشا عندما دفعوه دفعا إلى شبه الجزيرة العربية فى سنة ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م [٣] لقتال الوهابين .

ولم يقتصر دور المصريين على الحملة التى دخلت الحجاز بزعامة أبى الذهب لأن سطور التاريخ تنطق باشتراكهم فى مواقع حدثت بعد ذلك نذكر بعضها فيما يلى على سبيل المثال :

فبعد رحيل الحملة واستقرار الأمر للشريف عبدالله لم تفت الأحداث فى عضد الشريف المعزول أحمد بن سعيد فجهز فى نفس العام جيشا من ثقيف وما والاها ثم زحف على مكة واحتدم القتال ويذكر :" أنه أسفر عن هزيمة عبدالله ومؤيديه من عسكر مصر الذين أضطروا إلى الفرار الى وادى فاطمة "ثم انتقلوا منه الى جدة فحاصرتهم القبائل فاضطروا إلى اللجوء إلى ينبع ، ومنها فروا إلى مصر مع الشريف عبدالله الذى سافر بعد ذلك من مصر إلى الأستانة وظل بها الى أن مات [٤] .

ومعنى ذلك أن عبدالله كان قد استبقى معه بعض الجنود المصريين تحسبا لما قد يحدث .

وهناك خبر آخر فحواه أن الشريف سرور بن مساعد استنجد بأمير الحج المصرى اسماعيل بك الدفتر دار فى سنة ١١٨٧ هـ /١٧٧٣م فأمده بفريق من الخيالة المصريين غير أن هذا الفريق عجز عن

---

(١) الجبرتى - عجائب الآثار - جـ ١ - ص ٤٥٥ .
(٢) يقصد الجبرتى بملك الروم سلطان العثمانيين .
(٣) هذا التاريخ الذى أوردته هو تاريخ تحرك الحملة المصرية بقيادة طوسون باشا فى طريقها إلى الحجاز .
(٤) أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ٤٣٩ .

صد الثوار الذين كان يقودهم الشريف أحمد بن سعيد [١] كما حاول الشريف أحمد بن سعيد بعد هذا العام غير مرة [٢] الاستعانة بأمراء الحج المصرى والشامى ليساعدوه فى عزل الشريف سرور - وتلك محاولة غريبة لأن المصريين هم الذين أخرجوا الشريف أحمد بن سعيد ، فكان من الطبعى أن يعتذروا عن عدم مساعدته محتجين بأنهم لا يخوضون قتالا إلا بمرسوم خاص .

وفى عهد الشريف سرور هذا حدثت بعض الاعتداءات على قافلة الحج المصرى ففى سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٦ م اعترضت بعض قبائل حرب طريقها غير أن أمير الحج المصرى (مراد بك) تمكن من أسر نفر منهم وأمر بكيهم بحديد محمى فى خدودهم ليكون ذلك وشما يعرفون به إلا أن بعض مشايخهم تشفع فيهم فأبى الأمير وأتم ما أمر به فصاح صائحهم " بالقبائل حرب " فاجتمعوا على القافلة من كل حدب وصوب ، وأعملوا فيها السيف حتى لم ينج منهم إلا القليل وفر أمير الحج[٣].

ويصف لنا الجبرتى الحادثة بشكل منظم ودقة أكثر مبينا السبب الحقيقى فيقول [٤] : " وسبب ذلك كله رعونة أمير الحج - مراد بك - فإنه لما أراد أن يتوجه بالحجاج إلى المدينة أرسل إلى العرب فحضر إليه جماعة من أكابرهم ، فدفع لهم عوائد سنتين ، وقسط البواقى على السنين المقبلة بموجب الفرمان وحجز عنده أربعة أشخاص رهائن فبدا له أن كواهم بالنار فى وجوههم ، فبلغ ذلك أصحابهم ، فقعدوا للحجاج فى الطريق ، فبلغ أمير الحج ذلك فذهب من طريق أخرى ، فوجدهم مرابطين فيها أيضا ، فقاتلوه قتالا هينا ، ففر هاربا وترك الحجاج والعرب ، فنهبوا حملته وقتلوا مماليكه ، ولم يبق معه إلا القليل ، فهرب بمن بقى معه واختفى عن الحجاج ثلاثة أيام ، ولم يره أحد ، وفعلت العرب فى الحجاج ما فعلوه .... وأخذوا المحمل أيضا ولم يردوه " .

ومما يثير الدهشة أن الجبرتى ألقى باللوم على أمير الحج مع أن ما فعله قد يعد من سلوكيات الحزم والشدة مع قطاع الطرق هؤلاء الذين يفرضون الاتاوات على ضيوف الرحمن الحاجين إلى بيت الله الحرام ، وواضح أيضا من حديث الجبرتى تجنيه بشدة على أمير الحج واتهامه بالفرار والتقصير مع أن السباعى مؤرخ مكة قد صور الحادثة على أنها كانت أكبر من الأمير ومن إمكاناته الحربية .

---

(١) أحمد الرشيدى - حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج ورقة ٨٥ مخطوطة بمكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج رقم ٨٢ تاريخ .

(٢) لم يذكر لنا السباعى تواريخ محاولات الشريف أحمد ، واكتفى بقوله : " فى أكثر من سنة " .

(٣) أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ٤٤٣ .

(٤) الجبرتى - عجائب الآثار - جـ ٢ - ص ١٩٧ .

ويغلب على الأعتقاد أن الجبرتى كان متأثرا فى كتاباته عن المماليك - فى هذه الفترة - بكراهيته لهم - كما سنرى أيضا فى حديثة عنهم فى أحداث الحملة الفرنسية على مصر .

والطريف فى الأمر أن أمير الحج - مرادا بك - أتى بمحمل قديم زوره على أنه المحمل العائد، ولكن الأمر قد تكشف بعد ذلك فى العام التالى ١٢٠١ هـ / ١٧٨٧ م فقد كان للشريف سرور موقف طيب حيث حارب العربان ، وفتك بهم واستطاع استخلاص المحمل من أيديهم ثم أرسله برفقه أحد الأشراف الى مصر .

وقيل أن الشريف الذى أتى به هو الذى افتداه بأربعمائة ريال فرانسة [١] فدخل به مصر ، واستقبله وجوه الناس [٢] - والراجح عندى الرواية الأولى فقد أراد الشريف سرور من استخلاصه للمحمل من قبضة قطاع الطرق التودد إلى مصر لكسبها فى صفه أو على الأقل ليكسب القوة التى ترافق قافلة الحج ليستعين بها ضد الأخطار المحدقة به من كل جانب ويؤيد هذا الرأى - فى أعتقادى - ما حدث قبيل موسم الحج التالى اذ أرسل الشريف سرور فى شوال سنة ١٢٠١ هـ / يوليو ١٧٨٧م رسله إلى مصر ليخبر أولى الأمر بها عن عصيان عرب قبيلة حرب وغيرهم طالبا إرسال قوة كبيرة بكامل معداتها [٣] .

وفى سنة ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م خرج الشريف غالب - شريف الحجاز فى ذلك الوقت - بجيش كبير شمل عساكر من البادية والحواضر والمغاربة كما اشترك جماعة من المصريين فى هذه الحملة التى ذهبت لتأديب العصاة من العربان [٤] .

فمما تقدم يتضح أنه كان للمصريين دور خطير فى أحداث الحجاز السياسية والعسكرية خاصة فيما يتعلق بالحرمين الشريفين وقافلة الحج والشرافة .

---

(١) الريال الفرانسة كان يساوى عشرين قرشا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر على وجه التقريب . أنظر: دار الوثائق القومية بالقاهرة - الوثيقة رقم ٧٢ الدفتر رقم ١٥٦ - مجلس ملكى - المحفظة ٦ الحجاز - قرار صادر من مجلس جدة بتاريخ ١٢ من صفر سنة ١٢٥٣ هـ . ويبدو أن ذلك لم يكن مستقرا إنما كان السعر الرسمى الذى يصدره مجلس جده هو عشرين قرشا ، ويختلف باختلاف البنادر المختلفة . أنظر : الوثيقة رقم ١٢ حمراء - المحفظة ٢٦٦ عابدين صورة القرار الوارد من مجلس جدة بتاريخ ٥من ربيع الآخر سنة ١٢٥٥ هـ .

(٢) الجبرتى - عجائب الآثار - جـ ٢ - ص ١٩٧.

(٣) الجبرتى - عجائب الاثار - جـ ٢ - ص ١٩٧ .

(٤) د/ ابراهيم جمعة - الأطلس التاريخى - ص ٦٢ .

اثر الحملة الفرنسية على العلاقات المصرية الحجازية

لم تكن الحملة الفرنسية على مصر إلا حلقة من حلقات الالتفاف الأوربى الحديث على بلدان العالم الاسلامي ، وكانت فى الوقت نفسه مظهرا من مظاهر التنازع بين فرنسا وانجلترا فى سبيل بناء الامبراطوريات والاستحواذ على الأراضى والحصول على الامتيازات التجارية والصناعية.

ولم تكن تلك الحملة وليدة يومها بل كانت هناك محاولات سابقة فى عهدى لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر إلا أن الفرصة لم توات الفرنسيين إلا أثناء الحرب بين فرنسا ومعظم دول أوربا وعلى رأسها إنجلترا ، والتى أدت إلى تفكير القادة الفرنسيين فى غزو انجلترا نفسها ، ولما كان ذلك محفوفا بالأخطار أصبح الاتجاه الفرنسى هو مهاجمة المناطق الضعيفة من ممالك انجلترا فيما وراء البحار والتوصل إلى ذلك باختلال بعض الدول العثمانية فكان الغزو الفرنسي لمصر لتكون قاعدة لتنفيذ هذا الاتجاه وتحقيق المكاسب التالية :

١ - تأسيس مستعمرة مزدهرة فى مصر واستغلال مواردها العظيمة .
٢ - توجيه ضربة مباشرة إلى بريطانيا بالسيطرة على أحسن الطرق إلى الهند (البحر الأحمر) .
٣ - ارتياد مصر القديمة والحديثة على أساس علمى [١] .

ومما لا شك فيه أن هذا الاستعمار الفرنسى فى مصر كان محاولة لإيجاد محور جديد ترتكز عليه الحكومة الفرنسية لبناء امبراطورية استعمارية جديدة تناظر الامبراطورية البريطانية [٢] .

وليس أدل على ذلك مما حملته الرسائل الفرنسيه التى أرسلها نابليون بونابرت إلى بعض زعماء الهند المحليين عن طريق شريف مكة الشريف غالب عشية استقرار الفرنسيين فى مصر [٣] .

---

(١) هيلين آن ريفلين - الاقتصاد والإدارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ترجمة د / أحمد عبدالرحيم مصطفى وآخر دار المعارف - القاهرة ١٩٦٨م ص ص ٢٤ ، ٢٥ . وجدير بالذكر أن هيلين آن ريفلين كانت أستاذه بإحدى الجامعات الأمريكية واعتمدت فى مصادرها عليوثائق المحفوظات البريطانية والفرنسيه بالإضافة إلى المكتبات العربية والأجنبية أنظر : مقدمة الكتاب بقلم المترجمان .

(٢) د / عبدالعزيز نوار - تاريخ العراق الحديث فى نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا - دار الكاتب العربى - القاهرة - ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م - ص ١٩ .

(٣) الجبرتى عجائب الآثار - ج ٣ - ص ٨٤ .

وقد أعدت هذه الحملة إعدادا حربيا عظيما حتى أصبح قوامها ٣٦٫٠٠٠ مقاتل (١) مزودين بأحدث المعدات الحربية حملتهم أكثر من ثلاثمائة سفينة يحرسها أسطول مكون من خمس وخمسين سفينة حربية .

وقد كان الفرنسيون يعتقدون بأن مهمتهم سهلة ولن يلقوا مقاومة من المصريين لكراهيتهم للمماليك ، ولأنهم عزل من السلاح ، إلا أن الحوادث خيبت ظنونهم . فالمتتبع لحوادث استيلاء الفرنسيين على مدن مصر وقراها لابد أن يعترف بأن دور الأهالي فى المقاومة كان أكثر بكثير من دور المماليك ، فلقد أندلعت ثورة عارمة فى وجه الغزاه ، وسرت روحها ضد الحملة فى البلاد كلها من الأسكندرية إلى أسوان (٢) وليس من الضرورى فى بحثنا هذا أن نسترسل فى الحديث عن الحملة وأحداثها والمقاومة الشعبية وأشكالها إلا ما كان منها مجالا شارك فيه المصريون والحجازيون بجهودهم وجهادهم مستبسلين ضد الغزاة الفرنسين .

فلقد تجلت أشكال العلاقات المصرية الحجازية فى أروع صورها ، وكانت تحمل روح الأخوة الاسلامية ، والانتفاضة المستبسلة للدفاع عن حمى الدين والعروبة . فعندما وصلت أخبار الغزو الفرنسى لمصر إلى الحجاز فى أوائل سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م متضمنة أن الفرنسيين قد باغتوا مصر واستولوا على الكثير من مدنها وقرها شمر الحجازيون - وعلى رأسهم الأشراف - عن ساعد الجد وأخذوا يعدون عدتهم ويحصنون المدن الحجازية بكل ما أتوا من قوة - كما أصدر الشريف غالب أمره الى الأهالى المجاورين بأن يتعلموا استعمال السلاح ، وأعد لذلك ساحة صار يخرج إليها فى أعداد كبيرة من المجاهدين للتدريب والتعليم ، كما أمر بإصلاح سور جدة وتقويته تحسبا واستعدادا لداعى الجهاد (٣) .

---

(١) تذكر هيلين آن ريفلين فى كتابها الاقتصاد والادارة فى مصر : أن الجيش الفرنسى كان قوامه أربعين ألفا من الجنود أنظر ص ٣١ .

(٢) يذكر الرافعى ص ٢٢ : " أن العدوان الاستعمارى استثار روح القومية فى نفوس المصريين " وهذا الكلام تنقصه الدقة التاريخية فالأصوب أن يقال : (روح الجهاد الاسلامية) لأن هذه المقاومة كانتجهادا فى سبيل الله . أنظر : عبدالرحمن الرافعى بك - تاريخ الحركة القوميه وتطور نظام الحكم فى مصر جـ ١ - دار المعارف - ط ٥ - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ٨٢ ومابعدها .

(٣) أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ٤٩٠ - وأنظر : عبدالكريم الغرايبة - قيام الدولة السعودية - مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٤ م ص ٨٢ .

وقد ازدادت روح الجهاد الاسلامى قوة وحماسا عند وصول فرمان الدولة العثمانية الداعى أهل الحجاز إلى الاستعداد للدفاع عن بلادهم ضد الغزاة الفرنسيين يقول ابن زينى دحلان : ورد فرمان من الدولة بتحصين الحرمين تحفظا من الفرنسيين بعد أخذهم مصر فقرئ الفرمان بمكة والمدينة ، فأمروا الناس بالاستعداد للكفاح بتعلم الرمي وحمل السلاح ، وأصلحوا سور جدة وعمروه واستعد الناس لذلك غاية الاستعداد " (١) .

ومن دواعى هذا الجهاد الدفاع عن النفس والوطن وقد مهد له وساعد عليه أمر الحاكم به وحثه المسلمين عليه بيد أن روح النخوة الاسلامية تجلت بصدق فيما قام به الأهالى بعد أن خطب فيهم أبلغ الخطباء أمثال الشيخ الكيلانى ، وأشعلوا فى نفوسهم الحماس الدينى ، فأخذوا يبذلون الأموال والأنفس ، وتجمع عدد كبير من الحجاز وتكون منهم جيش من المجاهدين سار صوب الينبع وهناك انضم اليهم الكثيرون من أهل الينبع وركبوا البحر الى القصير ، ثم اتجهوا صوب قنا وهناك أنضموا إلى المجاهدين من أهالي الصعيد ، ومن الأتراك والمغاربه الذين فروا أمام الفرنسيين بعد معركة أمبابه (٢) .

هذا على الرغم من أن شريف مكة كان الزعيم العربى الوحيد الذى رد على رسالة بونابرت ردا حسنا نظرا لرغبته فى استمرار الدخل الحجازي من جراء استمرار التجارة بين الحجاز ومصر بالاضافة إلى انعاش قوافل الحجاج القادمة منها (لاقتصاد الحجاز)كما كان لصادرات البن من الحجاز إلى مصر دوراقتصادى عظيم (٣) .

ويبدو أن شريف مكة فى موقفه هذا قد فصل بين المصالح الاقتصادية وجعلها فى طريق مستقل بعيدا عن روح الأخوة والنخوة الاسلامية التى تركها هى الأخرى تأخذ سبيلها ، ولم يتوقف عن دعمها وتعط ينا بعض الأوصاف صورة قريبة لما كان عليه حماس هؤلاء الرجال الذين فزعوا لنصرة أخوانهم فى الدين حيث يذكر أنهم عبروا البحر الأحمر بالألوف مفاخرين جميعا بأنهم من سلالة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يلبسون العمائم الخضر ويحملون البنادق والسيوف والخناجر والرماح ، وفى خلقهم صلابة تنطق بها وجوههم ، وقد وصفهم بونابرت بقوله : " أن ضراوتهم لا يعد لها الا انحطاط

---

(١) خلاصة الكلام فى بيان أمراء البيت الحرام - ص ٢٦٧ .

(٢) الجبرتى - عجائب الآثار - ج ٣ - ٦١ .

(٣) كريستوفر هيرولد - بونابرت فى مصر -ترجمة فؤاد اندراوس - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٦م - ص ١٥٧ .

مستوى معيشتهم " (١) .

ولا يعيبهم فى نظرى الشطر الأخير من وصف بونابرت لهم بل يزيد من قدرهم لأنهم على الرغم من انحطاط مستوى معيشتهم فانهم كانوا ليوثا فى الحق والجهاد فى سبيل الله بيد أن بونابرت أراد أن يعبرعن شجاعتهم وبطولتهم بالضراوة وأن يعبر عن حياتهم البسيطة التى لم تعرف الرفاهية بانحطاط مستوى العيش وهو تعبير نابع من خصومة لكنه كشف لنا حقائق عظيمة شرفت هؤلاء القوم .

ويضطر الباحث الى سوق رواية الجبرتى لما فيها من العبارات التى تحتاج الى مقارنة وشرح وتمحيص ودراسة : قال الجبرتى فى مجمل حديثه عن أخبار شهر شعبان سنة ١٢١٣ هـ ومنها "تواتر الأخبار من ابتداء شهر رجب بأن رجلا مغربيا يقال له الشيخ الكيلانى كان مجاورا بمكة والمدينة والطائف ولما وردت أخبار الفرنسيس إلى الحجاز وأنهم ملكوا الديار المصرية ، انزعج أهل الحجاز لذلك ، وضجوا بالحرم وجردوا الكعبة وأن هذا الشيخ صار يعظ الناس ، ويدعوهم إلى الجهاد ، ويحرضهم على نصرة الحق والدين وقرا بالحرم كتابا مؤلفا فى معنى ذلك فاتعظ جملة من الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم ، واجتمع نحو الستمائة من المجاهدين ، وركبوا البحر إلى القصير مع من انضم إليهم من أهل ينبع وخلافه .

فوردا لخبر أواخره أنه انضم إليه جملة من أهل الصعيد وبعض أتراك ومغاربة ممن كان خرج معهم من غز مصر عند وقعة امبابة ، وركب الغز معهم أيضا وحاربوا الفرنسيس فلم تثبت الغز كعادتهم وانهزموا وتبعهم هوارة الصعيد والمجتمعة من القرى .

وثبت الحجازيون ثم انكفوا لقلتهم وذلك بناحية جرجا وهرب الغز والمماليك إلى ناحية إسنا وصحبتهم حسن بك الجداوى ، وعثمان بك حسن تابعه .

ووقع بين الحجاز والفرنسيس بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع ، وينفصل الفريقان بدون طائل (٢) .

وأول شئ يحتاج الى بيان هو ماذكره الجبرتى : " واجتمع الستمائة " فان ذلك يوحى بأن

---

(١) المرجع السابق - ص ٢٥٦

(٢) الجبرتى - ج ٣ - ٦١ .

مجموع المجاهدين الذين أتوا مع من لحق بهم لا يتعدي الثمانمائة أو الألف وهذا غير سليم لأن عربان الينبع والقصير بل وعربان الصحراء الشرقية وسيناء يعدون أنفسهم من الحجاز ويفتخرون بذلك .

فقول الجبرتى أنهم ستمائة وركبوا البحر مع من أنضم اليهم من أهل ينبع أى أن أهل ينبع عدد آخر يضاف الى الستمائة وخلافه أي عربان أهل القصير والصحراء الشرقية وهذا يوحى بأنهم زادوا على الألفين كثيرا أي أن الجبرتى ذكر العدد الذى تأكد منه وهو الستمائة حجازى الذين بدأوا المسيرة وذكر من لم يتأكد من عدده بصيغه عمومية وبدون تحديد .

ويؤكد على ذلك أيضا ما ذكره بونابرت : [١] من أن عدد المقاتلين الذى أتوا من عرب ينبع وجدة بلغ ألفين من المقاتلين بقيادة الشريف حسن هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان من يتتبع تفاصيل معارك الصعيد الواحدة تلو الأخري والتى اشترك فيها عرب الحجاز ليخرج بنتيجة واحدة هى أن عدد الحجازيين كان كبيرا - ربما فاق الألفين .

فلقد اشترك الحجازيون - فى أول معركة لهم - وهى معركة سمهود فى ٢٢ من يناير ١٧٩٩ م / ١٢١٤ هـ بعد أن أنضموا إلى جيش المجاهدين المصريين الذى بلغ تعداده حوالى ١٢,٠٠٠ مقاتل كان يقودهم مراد بك ، إلا أن تنظيم الفرنسيين وأسلحتهم الحديثة أدت إلى إنزال الهزيمة بهذا الجيش [٢] والهزيمة فى الحرب لا تعنى إلا خسائر سواء فى الأرواح أو العتاد مع التشتيت الذى يحدث للمهزوم كما نجد بعد ذلك تعاون المماليك مع طوائف عرب الحجاز وأهالى البلاد فى مهاجمة الحاميات الفرنسية والمدن التى سيطر عليها الفرنسيون وقطع مواصلات الجيش الفرنسى فى النيل وذلك بمهاجمة سفن الجنود والذخائر والأقوات [٣] - كما أشتركت القوات الحجازية فى سحق الأسطول الفرنسى الذى تحرك من قوص ليلحق بالجيش فى أسيوط وكان الأسطول يتكون من اثنتى عشر سفينة حربية تحمل المؤن والذخائر تتقدمها السفينة الحربية (ايتاليا) ، وقد هجم المجاهدون المصريون والحجازيون على السفن فى ٣ مارس سنة ١٧٩٩ م / ١٢١٤ هـ قريبا من قرية البارود ، وعلى الرغم من إطلاق السفينة إيتاليا مدافعها وقتل عدد كبير من المهاجمين إلا أن المجاهدين استطاعوا

---

(١) عبدالرحمن الرافعى - تاريخ الحركة القومية - ج ١ - ٣٦٢ .

(٢) المرجع السابق - ص ٣٦٣ .

(٣) عبدالرحمن الرافعى - تاريخ الحركة القومية - جـ ١ - ص ٣٧٢ .

أن ينظموا صفوفهم فتجمعوا مرة أخرى وألقى عدد عظيم منهم بأنفسهم فى النيل وسبحوا هاجمين على السفن فاستولوا عليها وأفرغوا شحنات الذخائر منها على شاطئ النيل ، ثم ركبوها قاصدين السفينة (ايتاليا) للاستيلاء عليها ، وعلى الرغم من شدة نيران مدفعيتها الا أن المهاجمين تمكنوا من الهجوم عليها ومحاصرتها ، ومع ذلك فقد أبى قائدها مورنداى Morindai التسليم ، وأشعل النيران فى مستودع البارود فانفجر بعد أن ألقي مورنداي وجنوده بأنفسهم فى اليم ، وقد نسف البارود السفينة غير أن المجاهدين استطاعوا أن يحاصروا مورنداى ورفاقه وأن يبيدوهم عن آخرهم فبلغ قتلاهم حسب الإحصاء الفرنسى خمسمائة قتيل [١].

وقد يتخيل البعض أن كل هذه المعارك وغيرها قد فت فى عضد المجاهدين الحجازيين ولم يتبق منهم سوى شرزمة قليلة تبحث عن طريق للفرار إلا أننا نفاجأ باشتراكهم مرة ثانية فى مواقع أخرى مما يدلنا دلالة قاطعة على أن عددهم كان كبيرا .

ويمكن الرد على هذا التخيل بأن الحرب التى كان يخوضها المصريون بمختلف فئاتهم (المماليك، العربان ، أهل امدن ، الفلاحون ، المغاربة الهوارة الصعايدة البحاروة) بالاضافة إلى من أنضهم اليهم من أهل الحجاز فى الصعيد وأهل طرابلس الغرب (ليبيا) فى الشمال كانت فى الأغلب والأعم حرب كروفر (عصابات) وأنهم مع ذلك حققوا فى حروب التلاحم انتصارات كثيرة ومنها انتصارهم فى مجمع البارود ولم يحقق الفرنسيون انتصارا يذكر إلا فى موقعة الاسكندرية وشبراخيت وامبابة . وفيما عدا ذلك كان النصر للمجاهدين ولا يعد انسحاب المجاهدين - أوفرارهم أو خساراتهم هزيمة أو أن الكفة كانت متقاربة (شأن حروب العصابات وهو يدل علي حضارة وذكاء الانسان الحجازى والمصري ، والجبرتيأشار إلي ذلك بقوله وينفصل الفريقان بدون طائل وعبارات الجبرتي مقتضبة بليغة فى مفهومها التاريخى ولا يعيها إلا ذوو الحس التاريخى والنتيجة أن خسارات الفرنسيين كانت لا تقل فجاعة عن خسارات المجاهدين .

فلقد اشترك الحجازيون بعد ذلك فى معركة قفط (٨ من مارس سنة ١٧٩٩) ١٢١٣ هـ التى روى " أنهاكانت حامية الوطيس اشتبك فيها المقاتلون وجها لوجه وأنتهت بهزيمة الأهالى والعرب وانسحابهم إلى أبنود .

----

(١) المرجع السابق - ص ٣٧٤ ومابعدها .

كما أشترك الحجازيون أيضا فى معركة أبنود (٨ ، ٩ ، ١٠ من مارس سنة ١٧٩٩م/ ١٢١٤هـ) وفى هذه المرة استخدم العرب والمصريون المدافع التى أستولوا عليها فى معركة البارود ، وفتكوا بالفرنسيين فتكا شديدا ، وتجدد القتال مرة ثانية فى داخل القرية وفى النهاية تمكن الفرنسيون من التغلب على الثوار بعد أن أحرقوا منازلهم [١] .

ثم اشتركوا بعد ذلك فى معارك تالية كمعركة بنى عدى وغيرها [٢] مما يعطى انطباعا بأن هؤلاء كانوا يلبون داعى الجهاد بدافع اسلامى بحت ، وبأنهم أعدادهم كانت كبيرة تفوق الألفين بكثير .

بل إن بعض المصادر ذكرت أن الامدادات الحجازية تراوحت بين ستة آلاف وسبعة آلاف من الحجازين الذين عبروا الى القصير [٣].

وقد يظن البعض بأن هؤلاء جاءوا إلى مصر للدفاع عن الحجاز من خلال الزودعن مصر وهذا مردود بأن هذا الافتراض قد يكون مقبولا اذا كان هذا الزحف بأمر الحكام وإلزامهم أما التطوع فليس له إلا تفسير واحد وهو أن الجذور العميقة الدينية والاجتماعية والعلاقات الطيبية بين الشعبين فى مصر الحجاز هى التى دفعت بهؤلاء الى الجهاد وأنهم ما جاءوا إلا للزودعن إخوان لهم فى الدين والعروبة .

والأمر الثانى الذى نود الاشارة اليه أن الشطر الثانى - تقريبا - من قول الجبرتى يظهر تقاعس المماليك واخلائهم الميدان نهائيا للفرنسيين ، وكذلك أبناء الصعيد وكأن الميدان لم يبق فيه سوى الحجازين ، وهذا يجافى المنطق فضلا عما ذكره الرافعى - مما سبق تفصيله من اشتراك الجميع

---

(١) عبدالرحمن الرافعى - تاريخ الحركة القومية - ج ١ - ص ٣٧٦ . ومصر فى مواجهة الحملة الفرنسيه - ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٢) المرجع السابق - مصر فى مواجهة الحملة الفرنسية - ص ١٣٦ .

(٣) كريستوفرهيرولد - بونابرت فى مصر - ص ٢٦٨ . وفى الوقت الذى لم نسلم فيه للجبرتى بالستمائة الذين ذكرهم فاننا لا نسلم أيضا بوصول عدد ستة آلاف أوسبعة - كما ذكر كريستوفر - من الحجاز وإنما الأمر البتس عليه - فيما يبدو - فان قبيلة الأشراف العرب فى قنا وما حولها يبلغ عددهم مائة ألف فرد وأرجح اشتراك عدة آلاف منهم فى المقاومة مع عرب الحجاز والمماليك فى ذلك الوقت .أنظر : مصطفى كامل شملول الشريف - عروبة مصر من قبائلها - ط ٢ - ١٩٧٠ م ص ١٩١ .

فى المقاومة مع بعض التقاعس من المماليك وحدهم دون الأهالى لأن المماليك كانت لهم أهداف خاصة وكيان متميز .

وأخيرا يبقى قول الجبرتي : " ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيين بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع، وينفصل الفريقان بدون طائل " فان هذا القول يوحى بتساوى الكفتين فى القتال وفى النتائج إلا أن الأفضل أن نسمى الأمور بسمياتها ، هذه هزيمة وذلك انتصار - فقد كان التفوق العسكرى الفرنسى الحديث واضحا دون شك وكانت المقاومة تبذل أقصى ماعندها .

أثر الحملة الفرنسيه على قافلة الحج والكسوة :

ظلت مواكب الحج والكسوة الشريفه ترسل بصورة منتظمتسنويا من مصر طوال العصر العثمانى ، هذا فيما عدا بعض فترات الاضطراب العسكرية والسياسية القاصمة أو تغلب العربان وسيطرتهم على الطرق .

وفى أثناء الاحتلال الفرنسي لمصر توقف إرسال موكب الحج والكسوة فى السنوات ١٢١٣ هـ/ ١٣١٤ هـ - ١٣١٥ هـ [١] على الرغم من تلك الاستعدادات . التى أقيمت لتجهيز الكسوة والاستعراض الذى تم لموكبها فى سنة ١٢١٣ هـ [٢] وسبب ذلك أن بونابرت نصب مصطفى كتخدا الباشا - أميرا للحج - وبالغ فى الحفاوة به وأراد استمالته هو وبعض أعضاء الديوان ليشاركوه فى حملتـه على سوريا وليكسب بهم نفوذا أدبيا ومعنويا بيد أن مصطفى بك تخلف فى بلبيس بحجة قلة جماله وعدم أمن الطريق ، ثم ما لبث أن أعلن الثورة على الفرنسيين ثم قاد جماعة من المجاهدين المصريين الذين تمكنوا فى شوال سنة ١٢١٣ من قطع إمدادات الفرنسيين المتوجهة إلى الشام بطريق دمياط والاستيلاء عليها [٣] .

لهذا بادر الفرنسيون بعزل مصطفى بك وتعين السيد اسماعيل الذهبى المعروف بالخشاب أحد

---

(١) د. السيد محمد الدقن - كسوة الكعبة المعظمة - ص ٩٩ .

(٢) أنظر تفاصيل الموكب عند - الجبرتى - عجائب الاثار - ج ٣ - ص ٦٨ .

(٣) عبدالرحمن الرافعى - مصر فى مواجهة الحملة الفرنسية - ص ١٤٨ ومابعدها .

عدول المحكمة الكبرى أميرا على موكب الحج بدله وذلك فى شهر مارس ١٧٩٩ [١]،ومع ذلك فلم تخرج قافلة الحج ولم ترسل الكسوة ولا الصرة فى هذا العام [٢] .

وقد يتساءل البعض عن أسباب توقف الحج المصرى فى هذا العام وعدم إرسال الكسوة والصرة على الرغم من تجهيز موكب الحج وتعيين أمير آخر له ، والمناداة فى الأسواق والشوارع بأن " من أراد الحج فيحج فى البحر من السويس صحبة الكسوة والصرة " (٣) .

ولا شك فى أن أسباب توقف قافلة الحج المصرى لا تتعدى ما يلى :

أولا : تتابع أحداث المقاومة المصرية من أقصى البلاد إلى أقصاها حتى شهر ذى القعدة من عام ١٢١٣ هـ وانشغال الفرنسيين عنها .

ثانيا : انشغال الأهالى بواجبات المقاومة ونظرهم إليها على أنها واجب شرعى ألزم من الحج فى تلك الفترة .

ثالثا : خوف الناس على أهلهم وذويهم إن هم تركوهم تحت سطوة الفرنسيين وخرجوا إلى الحج .

---

(١) الجبرتى - عجائب الآثار - ج ٣ - ٧٦، وعبدالرحمن الرافعي - تاريخ الحركة القومية - ج ٢ ص ص ٤٨ - ٥٣ طبع القاهرة ١٩٥٨ م .

(٢) المصدر السابق - ج ٣ - ٨٤ .

(٣) المصدر نفسه - ص ٧٤ .

أثر الحملة الفرنسية على الموقف فى الحجاز :

أستقر الأمر فى الحجاز للشريف غالب بن مساعد بتوليه شرافه مكة سنة ١٢٠٢ هـ /١٧٨٧ م فى السنوات الأولى من القرن الثالث عشر الهجرى وظل العداء ناشبا أظفاره بينه وبين السعوديين فى سنوات حكمه الأولى .

فحينما بعث السعوديون إلى الشريف غالب يستأذنونه فى الحج أبى أن يسمح لهم لارتيابه فى نواياهم وخوفه من مساعيهم (١) .

ويرى الريحانى : (٢) أن الشريف غالب بن مساعد كان حائرا فى بداية أمره لا يريد أن يعادى ابن سعود أو يواليه ، ولكنه أظهر فى الموالاة ميلا مريبا عندما كتب إلى ابن سعود - عبدالعزيز فى سنة ١٢٠٥ هـ / ١٧٩١ م يسأله إرسال عالم من علماء نجد ليفهمه دعوة ابن عبدالوهاب ، ويشك الريحانى فى نية غالب بين الصدق فيكون علماء الحجاز هم الذين أوغروا صدره ، وبين غيره فيكون هو المصانع والعلماء خدام قصده .

والأرجح فيما أرى : هو الاحتمال الأخير نظرا لارتياب الشريف ومن سبقه فى آل سعود وخوفهم منهم علي مراكزهم فى الحجاز خاصة بعد تسرب دعوة ابن عبدالوهاب إلى الحجاز ولذا فقد ساق الشريف جنوده بعد ذلك إلى المناطق السعودية قاصدا نجد إلا أنها عادت دون تحقيق أهدافها .

وقد تعددت المواقع بين الشريف غالب والسعوديين كانت نتيجتها اتساع مناطق نفوذ السعوديين ونشر دعوتهم فى بقاع تابعة للحجاز لم تلبث أن أعلنت تبعيتها الى نجد (٣) .

ولما لم تجد محاولات غالب العسكرية مع السعوديين طلب من الأمير عبدالعزيز بن سعود فى سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٩ م الصلح علي أن تعين الحدود الفاصلة بينهما ، وتعين القبائل التابعة لكل فريق ، وقد وافق الأمير عبدالعزيز على هذا الصلح بشرط عدم ممانعة حجيجهم ، ونتيجة لهذا

---

(١) أحمد السباعى - تاريخ - ص ٤٥٠ .

(٢) أمين الريحانى - نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن ال فيصل ال سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها - منشورات الفخرية - ط ٥ الرياض ١٩٨١ - ص ٦٧ .

(٣) لمزيد من التفاصيل أنظر : د/ عبدالرحيم عبدالرحمن - الدوله السعودية الأولى - ص ١٣٥ ومابعدها.

الصلح تمكن أتباع الأمير عبدالعزيز من أداء فريضة الحج فى هذا العام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨م[١].
وهنا يبرز تساؤل هو . لماذا انقلب غالب فجأة من العداء السافر إلى السعي فى طلب الصلح ؟
ولا ريب من أن سبب التغيير فى موقف الأشراف مرجعه تلك الأحداث الجديدة التى فرضت نفسها على المواقف كلها فى الشرق . فغالب لم يمد يده بالصلح إلى السعوديين إلا بعد ورود الأخبار عن غزو الفرنسيين لمصر وأنهم أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من الحجاز ، فكان عليه أن يتفرغ لهذا الخطر الجديد ، وعليه أيضا أن يؤمن ظهره ربما يحتاج الأمر إلي تجميع الجهود فى شبه الجزيرة لمدافعة الغزو الفرنسى المرتقب .

أما سبب انقطاع الحج فى سنتى ١٢١٣ هـ / ١٧٩٩ م ، ١٢١٤ هـ / ١٨٠٠ م فيغلب على الاعتقاد أن ذلك كان بسبب عدم أمن الطريق بسبب اغلاق وتعطيل الثغور من جانب الفرنسيين خوفا من الجيوش التركية والمتطوعين وخوفا من التسلسل الإنجليزى هذا من ناحية ومن ناحية أخري - فان الثورات فى القاهرة وسائر أرجاء مصر حالت دون استكمال استعدادات الحج التى تحتاج إلى وقت وتنظيم ويدل على ذلك إشارة الجبرتى التى جاء فيها [٢] .

" ومن أعظم الحوادث تعطيل الثغور ومنع المسافران برا وبحرا "

كما يدل عليه أيضا أن رحيل الفرنسيين عن مصر كان إيذانا بعودة قوافل الحج إلى نظامها وحركتها مرة ثانية كالسابق .

العلاقات الاقتصادية إبان الاحتلال الفرنسى لمصر :

ما أن استقرت أحوال الفرنسيين فى مصر بعض الشئ حتي كتب بونابرت رسالة إلى شريف مكة الشريف غالب فى سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٩ م يعرض عليه بعض الاتفاقات التجارية . وينذره بالعواقب إن هوحاول قطعها ، كما بعث عن طريقه بثلاث رسائل إحداها إلى إمام مسقط ، والثانية إلى السلطان حيدتيبو فى الهند ، والثالث إلى الوكيل الفرنسى بثغر مخافى اليمن ، فبعث إليه الشريف غالب فى ١٨ من ذى القعدة سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٩ م ردا على رسالته ذكر فيها أنه تم

---

(١) أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ٤٩٠ .

(٢) الجبرتى - عجائب الآثار - جـ ٣ ص ١٥٥ . وأنظر : أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ٤٩٠ ، ٤٩١.

إرسال كتبه مع ثقاة إلى أصحابها ، وأما بخصوص طلبه تسهيل وارسال التجارة إلى مصرفجارى بذل الهمة بخصوصها ، ثم أعلمه أن فى عزمه إرسال خمس سفن إلى مصر مشحون من بضائع التجار خاصة البن ، مع كمية كبيرة من البن الخاص بالشريف نفسه ، ثم ألح الشريف فى طلب المحافظة على هذه البضائع بالحراسة المكثفة ليطمئن الى أن تجارتهم فى يد أمينة (١) .

وبالفعل وصلت إلى ميناء السويس فى ذى الحجة سنة ١٢١٣ هـ / مايو ١٧٩٩ تسع سفن تحمل بها البن والبهارات والبضائع التجارية الأخري التى كان معها بن الشريف غالب صحبة ابنه .

وقد فرض الفرنسيون العشور على التجارة الحجازية بينما أعفوا بضاعة الشريف غالب ، فلم يأخذوا منها العشور وذلك مقابل الهدايا التى كان الشريف قد أرسلها إليهم قبل وصول هذا الأسطول التجارى بعشرين يوما وقد اعتني الفرنسيون بطبع نسخ من خطابات الشريف إليهم وقاموا بالصاقها فى حوائط الأسواق (٢) كدعاية لهم لتوطيد مركزهم في مصر وكسب ثقة المصريين .

وعلى الرغم من أن بعض القادة الفرنسيين بعثوا إلى شريف مكة ببعض رسائل دبلوماسية يصفون فيها الفرنسيين بأنهم حلفاء العثمانيين وحماة المسلمين على وجه البسيطة (٣) فاننا لم نعثر على تعاون تجاري آخر طوال فترة بقاء الفرنسيين فى مصر ولا شك فى أن هذا يرجع إلى إعلان الدولة العثمانية الجهاد ضد الفرنسيين وتذمر الرأي العام فى الحجاز ،
ومناداة الحجازيين بالجهاد ضد الفرنسيين فى مصر ، وخوف الشريف غالب من أن يوصم بالخيانة أمام المجتمعات الاسلامية .

ولقد عادت التجارة بين مصر والحجاز بعد أن طويت صفحة الاحتلال الفرنسى لمصر فى جماد

---

(١) أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ص ٤٩١ ، ٤٩٢ .

(٢) الجبرتي - عجائب الاثار - ج ٣ - ص ٨٣ .

(٣) مثلما حدث من القائد الفرنسى بلبار بعد احتلاله القصير فى مايو سنة ١٧٩٩ م ذى الجة ١٢١٣ هـ فقد أرسل الى شريف مكة رسالة ودية عبر فيها كذبا عن أن الفرنسيين حلفاء العثمانيين وحماة للمسلمين فى كل مكان على وجه البسيطة - أنظر : كريستوفر هيرولد - بونابرت فى مصر - ص ٢٧٣ .

الآخر ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م أكتوبر ورحل عنها آخر جندى فرنسى (١) .

جاء في تاريخ الجبرتي أنه فى ٨ من ربيع الأول سنة ١٢١٦ هـ / ١٩ من يوليو سنة ١٨٠١ م : (٢) أرسلوا (أي قادة مصر) هجانا إلى الحجاز معه فرمان بخبر الفتح والنصر وارتحال الفرنساوية من أرض مصر ودخول العثمانية (وأرسلوا معه أيضا) مكاتبات من التجار (المصريين) لشركائهم (فى الحجاز) لإرسال المتاجر إلى مصر ، وهذا يشير إلى عودة الانتعاش فى الحركة التجارية بين البلدين مصر والحجاز (٣) .

وقد سبق أن ذكرنا أن شريف مكة ما مد يده بالصلح الى السعوديين إلا لخوفه من خطر الحملة الفرنسية ، لهذا كان من الطبيعي أن تسوء العلاقات بين الشريف غالب والسعوديين بعد خروج الحمله من مصر ففى سنة ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م انتقض الصلح بين الشريف غالب وعبدالعزيز بن سعود وفارق الشريف وزيره عثمان المضايفى الذى خرج من مكة متجها إلى عبدالعزيز بن سعود مبايعا له، ثم عاد ليجمع الجنود الموالين له حيث نازل بهم الشريف فى مواقع عدة (٤) .

ويبدو أن آل سعود قد قرروا هذه المرة وضع حد لتلك العلاقات المتذبذبة مع الشريف غالب الذى

---

(١) ذكر عبدالرحمن الرافعى : أن عدد الفرنسيين يوم رحيلهم بلغ ٧٢٠٠ من الجنود ، ١٥٠٠ من البحارة، ١٤٠٠ من المرضى ، ٦٨٠ من الملكيين وأن قائدهم رحل حاملا معه مرض الطاعون فيكون مجموع الفرنسيين العائدين إلى فرنسا ١٠٧٨٠ر١٠ فرنسى بينما كان عددهم عند غزوهم لمصر ٣٦٠٠٠ – وبالمقارنه بين العددين يتضح مدى فداحة الفرنسيين فى خساراتهم البشرية – أنظر : تاريخ الحركة القومية تطور نظام الحكم فى مصر – جـ ٢ – مكتبة النهضة المصرية جـ ٣ – ١٣٧٨ هـ ١٥٨ م – ص ٢٥٢ .

(٢) الجبرتي عجائب الاثار – جـ٣ – ٢٦٩ .

(٣) من المعروف أن مصر كانت مركزا للتجارة بين الشرق وأوربا وظلت كذلك بشكل مستمر وخصوصا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين فكانت لها تجارة عظيمه مع بلاد العرب وكانت السفن تحمل من جدة إلى السويس البن ومتاجرالهند مثل الفلفل والكافور واللآلئ والأقمشة الحريرية .

أنظر : جميل خانكى – تاريخ البحرية المصرية مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة –١٩٤ م ص ٢١٧ .

(٤) د / ابراهيم جمعة – الأطلس التاريخى – ص ص ٦٢ ، ٦٣ .

ما فتئ يرسل بكتبه إلى الدولة العثمانية للاستنجاد بها والدولة في هذا الوقت كانت مثقلة بالأحداث الجسام (١) .

وقد وصف شريف مكة في كتبه هذه السعوديين بالكفر والخروج على الدين (والعياذ بالله) غير أن ابن سعود لم يبال بهذا وقاد جيوشه ومن والاه من نصر إلى نصر حتي دخل مكة بعد انتهاء موسم الحج سنة ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م في الوقت الذى كان فيه الشريف غالب يحاول توريط الحجاج المصريين والشاميين معه في هذا الصراع الاقليمي (٢) . فلما فشل في إقناعهم بصد السعوديين ترك ومن معه مكة واتجه إلى جدة .

أما السعوديون فإنهم دخلوا مكة وأمضوا بها أربعا وعشرين يوما ثم هاجموا بعد ذلك جدة وحاصروها غير أن الشريف غالبا شتت شملهم وأضطرهم إلى فك الحصار والعودة إلى ديارهم فعادوا إلى نجد بعد أن أقاموا على مكة الشريف عبدالمعين بن مساعد واليا عليها .

وفي الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م جمع الشريف غالب رجال جيشه وتقدم بهم إلى مكة حيث دخلها دون منازعة من الشريف عبدالمعين بن مساعد (٣) .

ه استمرت المنازعات والمعارك بين الشريف مساعد وعبدالعزيز بن سعود حتى وجد الشريف غالب نفسه عاجزا عن الاستمرار في المعارك فأرسل الى ابن سعود يطلب الصلح على أن **يبقى في إمارته تابعا للدرعية منفذا لنظمها** ، وقد تم الصلح بين الطرفين على هذه الأسس في صفر سنة ١٢٢١ هـ / (٤) ١٨٠٦ م .

---

(١) كانت استانبول مشغولة هذا الوقت بعصيان الانكشارية في بغداد وثورات بلاد العرب وأحداث الفرنسيين في مصر ، واعتداءات روسيا على البلاد المتاخمة ، ومحاولات الانجليز ضم الدردنيل والاستيلاء على الأسطول العثماني ، بالاضافة الى هجومهم على مصر ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧ م .
أنظر : أحمد السباعي - تاريخ مكة - ص ٥٠١ ود / عبدالرحيم عبدالرحمن الدوله السعودية الأولى - ص ١٤٥ .

(٢) د / عبدالرحيم عبدالرحمن - الدولة السعودية الأولى - ص ١٥١ .

(٣) ابنى زيني دحلان - خلاصة الكلام -ص ٢٧٦ ومابعدها .

(٤) المصدر السابق - ص ٢٨٠ ومابعدها . وانظر د/ عبدالرحيم عبدالرحمن ص ١٤٥ .

دور بعض المجاهدين الحجازيين فى صد الحملة الانجليزية عن مصر (١٢٢٢ هـ) إبريل ١٨٠٧ م .

لم يكن دور المجاهدين الحجازين مقصورا على التصدى للفرنسيين فى مصر ومنازلتهم حتى النصر أو الشهادة رائما ظهرت لمن بقى منهم أدوار أخرى كشفت عن معادن نفيسة من الرجال خلا المقاومة المصرية الشعبية للحملة الانجليزية التى ألقت بمراسيها على شواطئ الأسكندرية فى صف سنة ١٢٢٢ هـ / إبريل ١٨٠٧ م .

وكان من بين هؤلاء الرجال الذين شاركوا فى صد الانجليز عن الأسكندرية اثنان من أبنا مكة وكانا يقيمان بالأسكندرية بغرض تعاطى التجارة ، ويبدو من رواية الجبرتى أنهما كانا ع ثراء واسع وهما السيد أحمد البخارى وأخوه السيد سلامه وقد ظهر لهما دور إيجابى فى المقاوم حيث قاما بجمع أكثر من مائة رجل مغربي تحت قيادتهما وأنفقا عليهم حتى أتموا استعدادهم للقت بالذخيرة والأسلحة وقاداهم إلى محاربة الانجليز حيث استبسلوا فى الدفاع عن الاسكندرية ، وبذا كان للحجاز مشاركة فى هذه المقاومة الشعبية التى تقاعس عنها كثيرون من الأمراء والقادة المماليـ والعثمانين وعندما علم بأمرهما محمد على باشا سر بهما سرورا عظيما وأنعم عليهما بالخا والرتب(١) .

وهذا الدور الذي قام به الحجازيون والمغاربة والذى تحدث عنه الجبرتى ليدلنا على استمرا صدق مشاعر الأخوة والعلاقات الأبدية بين مصر والحجاز اللتين تجمعهما وشيجة دينية عظيـ بالاضافة إلى الوشائج الكريمة الأخرى .

أثر استيلاء السعوديين على مكة فى العلاقات المصرية الحجازية

لم يتحول الشريف غالب بتبعيته إلى نجد إلا بعد أن أصيب بإحباط ويأس شديدين نتيجة لعـ استجابة استانبول لرسله الذين أرسلهم إليها طالباً النجدة .

---

(١) الجبرتى - عجائب الآثار - جـ ٤ - ص ٧٥ .

وفى ١٠ شعبان سنة ١٢١٧ هـ / ٦ من ديسمبر سنة ١٨٠٢ حضر إلى القاهرة جماعة من علماء مكه وأشرافها فارين من السعوديين وكانت وجهة هؤلاء اسلامبول وكان هدفهم الاستنجاد بالدولة العثمانية لتنقذهم من السعوديين ، ولتبادر بنصرتهم وقد أخذ هؤلاء العلماء والأشراف ينتقلون فى مصر بين بيوت وجهاء القوم ، ومنهم الوالى (خسروا باشا) والدفتر دار ويشكون إليهم ما حدث لهم فى الحجاز وأخذ الناس يتناقلون أخبارهم وحكاياتهم .

كما حضر فى رمضان من هذا العام جماعة أخري من أشراف مكة وغيرهم لنفس السبب [١].

وفى سنة ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٦ م تصدى السعوديون لقافلتى الحج المصرى والشامى ، وأعترضوا على نظام المحامل محذرين أمراءها من العودة بها مرة ثانية بعد عامهم هذا والا كسروه كما اشترطوا عليهم عدم أصطحاب الطبل والزمر (٢) .

وقد تم الحج فى هذا العام بسلام وأتم الحجاج نسكهم بسلام غير أن هذا التحذير السعودى يُعد أول أثر مذهبى وعملى فى محيط العلاقات المصرية الحجازية السعودية كما يعد – فى نظرى – بداية الأسباب التى ألهبت الأحداث وأنشبت المعارك الطاحنة فى شبه الجزيرة بين جيش محمد على والسعوديين فيما بعد .

وعلى الرغم من هذا فإن قوافل الحج فى سنة ١٢٢١ هـ / ١٨٠٧ م دخلت الأراضي الحجازية يتقدمها قافلة الحج المصرى وقافلة الحج الشامى وأمام كل منهما محملها على جرى العادة ، وقد تجاهل أمير كل قافلة الانذار الذي وجهه السعوديون إليهم فى العام الماضى بعدم اصطحاب المحامل لأنها مخالفة للشرع .

أما أمير الحج الشامى فإنه أرسل الى السعوديين كتبه معلنا قدومه فى الطريق إلا أن السعوديين أعادوا اليه كتبه وأمروه بعدم دخول مكة فعاد من خلال الطريق إلى الشام ولم يحج الركب الشامى فى هذا العام وأما أمير الحج المصرى فإنه واصل سيره صوب الحرمين متجاهلا أمر السعوديين فما كان من السعوديين إلا أن هجموا على المحمل وأحرقوه ، أما قافلة الحج المصرى

---

(١) الجبرتى – عجائب الآثار – جـ٣ – ص ٢٣٥ .

(٢) ابن زيني دحلان – خلاصة الكلام – ص ٢٩٤ .

فقد تركها السعوديون لتواصل مسيرتها ويؤدى أفرادها مناسك حجهم ، ثم أنذرهم ابن سعود ألا يعودوا على هذه الصورة مرة ثانية وتلا مناديه قوله تعالى :

" **إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** " فانقطع مجئ ركب الحج الشامى والمصرى إلى الحجاز بعد هذا العام [١] وظل هذا الانقطاع إلى سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣م وقد بادر سعود بطرد القاضيين العثمانيين من مكة والمدينة فى سنة ١٢٢١ هـ / ١٨٠٧ م وعين بدلا منهما قاضيين من علماء مكة والمدينة ثم أعلن إنكار أية سلطة روحية للخليفة العثمانى على الحرمين الشريفين ، وأمر كذلك بإبطال الدعاء للسلطان العثمانى فى خطبة الجمعة ، وأخرج الموظفين والعسكريين العثمانين وأقام حاميات عربية بدلهم [٢] .

ونتيجة لذلك توقفت مصر عن إرسال الكسوة والمحمل بعد تلك الأحداث فكساها الأمير سعود كسوة من القز الأحمر ، ثم كساها بعد ذلك بالديباج والقيلان الأسود ، وجعل إزارها وكسوة بابها (البرقع) من الحرير الأحمر المطرز بالذهب والفضه ، فلما استردت الدوله العثمانية سيطرتها على الحجاز فى سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م عادت مصر إلى إرسال كسوة الكعبة الخارجية كسابق عهدها[٣] .

وُيذكر أن العالم الاسلامى قد أهتز بعد ما أشيع من أن سعودا أمر بمنع قوافل الحجاج القادمه من الشام ومصر لأن هذا الصد المزعوم عن بيت الله الحرام يعد الأول من نوعه خاصة بالنسبة للحجاج السنيين منذ زمن طويل ، ويعد تحديا كبيرا للدولة العثمانية جعل تدخلها أمرا محتوما[٤] .

---

(١) ابن زينى دحلان - خلاصة الكلام - ص ٢٩٤ . وانظر : السباعى - تاريخ مكة ص ٥٠٢ ، ٥٠٤ . وجدير بالذكر : أن الجبرتى سكت عن موضوع إحراق المحمل المصرى ولم يشر إليه ، وأكتفى بذكر التشديد السعودى على الحجاج فقط .

(٢) أنظر : دحلان - خلاصة الكلام - ص ٢٩٤ ، ٢٩٥. ود / عبدالرحيم عبدالرحمن - الدولة السعودية الأولى - ص ١٤٨ وأحمد عسه - معجزة فوق الرمال - ط ٣ - ١٩٧١ م : ١٣٩١ هـ ص ٣٢

(٣) د / السيد محمد الدقن - كسوة الكعبة - ص ١٠٥ .

(٤) د / عبدالكريم الغرايبة - قيام الدولة السعودية العربية - ص ٨٣ .

وأرى أن سعودا لم يأمر بمنع قوافل الشام ومصر قط ، إنما تركز المنع على المحامل والطبول والزمور ، وما يصاحب الحجيج من ضوضاء تنافى قداسة الحج كما أرى أنه محق فيما ذهب اليه حيث أن العبادات الاسلامية يجب أن تكون مغلفة بلباس الخشوع والسكينة والخضوع لله رب العالمين وتكون فى تجرد من الزينة واللهو المعروف عن موكب الحج وما كان يصاحبه من آلات موسيقية بلغ عازفوها أربعة عشر موسيقيا فى بعض قوافل الحج المصرية .

وقد أتهم عبدالله بن مسعود الشريف غالب بتأليب العالم الاسلامى والدوله العثمانية ضد السعوديين ، وإثارة الاشاعات والأكاذيب عنهم ، كما أتهمه عبدالله بتزوير الرسائل من سعود إلى الدولة العثمانية ومهرها بختم أصطنعه على أنه لسعود محملا الرسائل ماليس فيها [(١)] .

وفى الأعتقاد أن الشريف فعل ذلك - إن صدق هذا الادعاء - بعد أن مل من طلب نجدة العثمانيين وأراد بهذه الوقيعة أن يوغر صدورهم ليستحثهم على ردع السعوديين ، ومع ذلك فقد وقع الشريف فى البئر الذى حفره للسعوديين كما سيتضح لنا .

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ١٢٢ المحفظة رقم ١٦ بحريا - بدون تاريخ من عبدالله بن سعود إلى الدولة العلية وانظر : وثيقة رقم ٣٣ محفظة ٤ بحريا - من عبدالله بن سعود إلى محمد على - بدون تاريخ .

محمد على والحجاز :

كان الحال فى مصر ينتقل من سئ إلى أسوأ منذ مطلع القرن التاسع عشر خاصة بعد أن رحل الفرنسيون ثم الانجليز عن مصر ، فقد استمر الصراع على السلطة بين المماليك والعثمانيين والألبانيين(١) .

ولما ازداد نجم محمد على (٢) الألبانى علوا فى سماء الساحة الشعبية المصرية وتفاقم نزاعه مع والى مصر خورشيد باشا بادرت الدولة العثمانية بالاستجابة لطلب الوالى فى مصر (خورشيد باشا) وأرسلت فى سنة ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م فرمانا سلطانيا بتعيين محمد على واليا على جدة (٣) وكان الغرض هو أبعادمحمد على عن مصر بأية وسيلة ، فتقبل محمد على الفرمان لكنه لم ينفذ(٤)

---

(١) أنظر تفاصيل تلك الأحداث فى الجبرتى - عجائب الآثار - ح ٣ - ص ص ٤٢٠ وما بعدها ، وأنظر : عبدالرحمن الرافعى - تاريخ الحركة القومية - جـ ٢ ص ٣٠١ ومابعدها .

(٢) ولد محمد على فى قوله من بلاد مقدونية سنة ١١٨٣ هـ / ١٧٦٩ م ، ونشأ أميا دون تعليم يذكر ، والتحق بالجندية ، ثم أهملها لاشتغاله بالتجارة فلما كانت سنة ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م اشترك فى الحملة التى ذهبت لإخراج الفرنسيين من مصر وسرعان ما أرتفع شأنه وصار قائدا على أربعة آلاف من الألبانيين (سرجشمه) واستطاع بتقربه من العلماء الأزهريين والشعب أن يتقلد الولاية على مصر .
أنظر : د/ عبدالمتعال الصعيدى - المجددون فى الاسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر -- مكتبة الآداب - بدون تاريخ - ص ٤٧٦ .

(٣) من متابعة الوثائق والمصادر التى تتعلق بمنطقه الحجاز طوال القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى أمكن ملاحظة - أطلاق لقب والى جدة حتى أوائل الثمانينات الهجرية من القرن الثالث عشر وبعدها ظهر إطلاق والى الحجاز ، وجدير بالذكر أن جدة تحولت فى سنة ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م من ولاية الى متصرفيه وبعد سنة واحده عادت ولاية مرة ثانية .
أنظر : اسماعيل حقى أوزون جارشلى -- أمراء مكة فى العهد العثمانى - ترجمة د/ خليل مراد - ١٤٠٦ هـ ص ٤٣ (بدون ناشر) .

(٤) عبدالرحمن الرافعى - تاريخ الحركة القومية جـ ٢ ص ٢٣٣ .

وظل يتقرب من القادة الشعبيين العلماء) زلفى حتى تمكن من الحصول على مساعداتهم السياسية والعملية ، فحاصر الوالى (خورشيد باشا) فى القلعة وخلعه فلم يجد العلماء بدا من تنصيبه واليا على مصر، ثم رفعوا هذا الأمر إلى الحكومة العثمانية مشفوعا بتأييدهم ويبدو أن محمد على أراد أن يحصل على ولاية مصر برضاء استانبول دون أن يعلن عليها العصيان ، وكان فى الوقت نفسه يستخدم كل السبل لتقوية جانبه ، وأخذ الشعب اليه مما أجبر العثمانيين إلى إرسال مندوبهم إلى الأسكندرية حاملا معه أمرا بإعطاء ولاية مصر لخورشيد أو لمحمد على أيهما أصلح وأعز نفرا . فكانت الغلبة وكان الاختيار لمحمد على [١] .

وبذلك صدر الفرمان العثمانى بتولية محمد على على ولاية مصر نزولا على رغبة العلماء والرعية بعد عزل خورشيد باشا (٢) .

ويبدو من خلال سير الأحداث أن الدوله العثمانية ظلت حتى سنة ١٢٢٢ هـ ، ١٨٠٧ دون أن تفكر فى دفع مصر صوب شبه الجزيرة العربية ففى رجب سنة ١٢٢١ هـ سبتمبر ١٨٠٦ م أرسلت الدولة العثمانية إلى محمد على مرسوما يتضمن استمراره على ولاية مصر ، والاهتمام بأمر الحج ، ولوازم الحرمين ، وهذا غريب اذ أن الحج متوقف فى تلك الفترة إلا أن الواضح أن المرسوم كان يشتمل على التجهيز المعنوى لمحمد على بما يمكن أن يسند إليه من أعمال فى الحجاز لمدافعة السعوديين [٣].

وفى شعبان / أكتوبر من العام نفسه وصل إلى مصر رسول عثمانى بيده تقرير باستمرار محمد على فى ولايته على مصر ، وضرورة عنايته بمقررات الحرمين الشريفين ، ومخصصاته من الغلال وإعداد قافلة الحج وتجهيز غلال قدرها ستة الاف أردب وإرسالها إلى الشام لمعاونة العساكر

---

(١) هنرى دوديل - محمد على مؤسس مصر الحديثة ترجمة أحمد عبدالخالق وآخر مكتبة الأداب ص ٢٢ - القاهرة .

(٢) مكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج - الوثيقة رقم ١٠٠ تاريخ - مجموعة وثائق رفاعه الطهطاوى ورسالة علماء مصر وأعيانها الى سلطان الدولة العثمانية (صفر ١٢١٨ هـ / مايو ١٨٠٣) ، وعبدالرحمن الرافعى - تاريخ الحركة القومية - جـ ٢ ص ٣٣٤ ومابعدها .

(٣) د / السيد محمد الدقن - دراسات فى تاريخ الدوله العثمانية - ص ٨٨ .

الشامية المتوجهة إلى الحجاز لإجلاء السعوديين عنه [(١)] .

وهذا يعني بلا شك أن دور مصر كان لا يزال حتى سنة ١٢٢١ هـ / سنة ١٨٠٦ م دورا معاونا فقط ، وكانت الأوامر السلطانية المتعلقة بالتصدى للسعوديين إلى والى الشام والعراق ، ولعل العثمانيين كانوا لا يزالون فى شك من مقدرة والى مصر الجديد (محمد على) على الاضطلاع بهذه الواجبات العسكرية فى الوقت الذي كانت فيه عدة قوى محلية تناوئه وتريد اقتلاعه من السلطة فحتى هذا التاريخ كانت الدولة العثمانية تضمن على محمد على ثقتها الكاملة ولا تراه أهلا للتصدى للسعوديين ، فلما فشل الشام والعراق لم تجد الدولة العثمانية بدا من اللجوء إلى مصر بعد أن غيرت الأحداث أفكارها لتحل محلها أفكار جديدة ، وأول رسالة بعثت بها الدوله الى محمد على حول استعداده لقتال السعوديين كانت فى شوال سنة ١٢٢٢ هـ / ٢٤ من ديسمبر سنة١٨٠٧ م فيذكر الجبرتى فى هذا التاريخ أن قابجيا [(٣)] وصل ومعه مرسومات يتضمن أحدها التأكيد فى التشهيل والسفر لمحاربة الخارجين عليها بالحجاز ، واستخلاص الحرمين والوصية بالرعية والتجار.

وقد ظل هذا المندوب السلطانى قرابة الشهرين فى مصر يحث (محمد على) على إنفاذ الحملة إلى الحجاز فكان محمد على يماطله ويخادعه ويخبره بأنه سينفذ الأمر السلطانى إلا أن هذا الأمر يحتاج إلى وقت كبير للاستعداد ، وإنشاء مراكب فى ميناء السويس وغير ذلك [(٤)] .

وفى اعتقادى فإن محمد على كان صادقا فى قوله ومحقا فى موقفه لسوء الحالة الاقتصادية فى البلاد نتيجة تذبذب حالة الفيضان ، واستيلاء المماليك على الصعيد ، وخوفه من طمع الإنجليز فى مصر ، وقد أرسل محمد على فى ذى الحجة ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧ م برسالة إلى سلطان

---

(١) الجبرتى - عجائب الآثار - جـ ٤ - ص٢٧ .

(٢) الجبرتى - عجائب الآثار - جـ ٤ - ص ١٠٥ .

(٣) قابجى : تركية أصلها (قابى) ومعناها الباب ، والقابجى هو الحاجب أو البواب الذى يحرس باب الديوان الحكومى ، يفتحه ويغلقه ، وعليه استقبال الحاضرين إلى الديوان .
أنظر : د / أحمد السعيد سليمان - تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى ص ١٦٢ .

(٤) الجبرتى - عجائب الآثار - جـ ٤ - ص ١١١ .

العثمانيين مصطفى الرابع [١] تضمنت شرحا لموقفه هذا . ومما لا شك فيه أن محمد على كان واضحا كل الوضوح فى رسالته هذه التى بعث بها ، وفى بداية سنة ١٨٠٩ م / ١٢٢٣ هـ تغير موقف الدولة بعض الشئ ، فيبدو أن الدولة أدركت أن محمد على يواجه مصاعب لا تمكنه من تجهيز الحملة على السعوديين فى الحجاز على وجه السرعة لهذا أرسل السلطان العثماني الى محمد على رسالة فى هذا العام فحواها : أن يوسف باشا المعدنى - الصدر السابق - عين للسفر إلى الشام على رأس حملة لضبط أمورد بلاد العرب والحجاز وعليه (أى على محمد على) أن يقوم بإرسال لوازم تلك الحملة من سلاح وذخيرة وغير ذلك مما تحتاجه هذه الحملة .

ومما تجدر الإشارة اليه أن الحج المصرى والشامى قد أنقطع فى هذا العام أيضا سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٨ م بحجة منع السعوديين لهم وهى فرية افتراها عليهم المصريون والعثمانيون والأشراف وهم منها براء فلم يمنعوا أحدا من الحج على الطريقة المشروعة ، إنما المنع لما يأتى به هؤلاء الحجيج من بدع لا يجيزها الشرع من محمل وطبل وزمر يلهى العابد عن عبادته [٢] .

ومع ذلك فلم يلبث السلطان العثمانى الجديد محمود الثانى أن أرسل مرسوما جديدا فى المحرم سنة ١٢٢٤ هـ / مارس ١٨٠٩ م إلى محمد على بضرورة الخروج الى الحجاز لمدافعة السعوديين عنه مخبرا محمد على باشا بأن يوسف باشا المعدني سيخرج من الشام بجيشه الحربى لأداء هذا الواجب أيضا ، وفى الوقت نفسه سيخرج سليمان باشا والى بغداد بجيشه لمهاجمة

---

(١) دار الوثائق القومية - وثيقة رقم ٤ دفتر رقم ١ مصية تركى - من محمد على إلى الباب العالى - بتاريخ ذى الحجة سنة ١٢٢٢ هـ / ديسمبر ١٨٠٧ م .

(٢) الجبرتى جـ ٤ ص ص ١٢١ ، ١٢٢ ، وقد أفرد لنا الجبرتى ردا على من أدعوا على السعوديين منع المسلمين من الحج وما قيل فى موضوع استيلاء السعوديين على كنوز الحرم النبوى التى أهداها أثرياء المسلمين على مر القرون للحرم النبوى فتكدست كنوز عظيمة عددها الجبرتى ورد على من زعم بحرمة ذلك بأن تلك الكنوز يجب الصرف منها على مصالح المسلمين دون اتخاذها حرما لا يمس وهم بذلك لم يرتكبوا جرما وهو على حق فى ذلك .

أنظر : المصدر نفسه ص ١٢١ ومابعدها .

السعوديين أيضا وستكون وجهته الدرعية - عاصمة السعوديين (١) .

ويبدو أن السلطان محمود الثاني قد اقتنع بضرورة الاستعانة بمحمد على باشا وقواته كعنصر أساسى فى تلك الجولة الحربية لا كعنصر مساعد .

ومن ثم فقد أخذ محمد على يجند كل طاقته دون أن يألوا جهدا فى إعداد حملته خاصة فى المجال البحرى حيث بادر بتجديد قسم صناعة السفن الأميرية الحربية فى ترسانة بولاق ، وكانت ترسانة بولاق تصنع أجزاء هذه السفن وتنقلها على ظهور الإبل إلى ترسانة السويس وهناك يتم تركيبها ثم تعويمها فى البحر الأحمر ،وقد أصبحت هذه السفن هي النواة الأولى للأسطول المصري فى عصر محمد على (٢) .

ومع أن محمد على شرع فى إعداداته للحملة إلا أنه أصر على اشتراك الدولة فى هذه الإعدادات بالنصيب الأوفى فألح عليها فى طلب لوازم الجيش خلال فترة ستة أشهر ، بالاضافة الى ما يحتاجه الأمر من رشاوى للعربان ، كما طلب أيضا المدافع والمهمات الحربية وغير الحربية اللازمة للسفن التى أنشأها مدعيا بأن هذه المدافع والمهمات لا توجد إلا فى بلاد الدولة العثمانية (٣) .

ولم تكن تلك المطالب التى طلبها محمد على هى كل ما فى جعبته بل إنه سبق أن أبدى فى سنة ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م مخاوفه من والى الشام سليمان باشا متهما إياه بمراسلة المماليك المناوئين لحكم محمد على فى مصر ، وأردف ذلك بطلب عزل سليمان باشا من ولاية الشام وتنصيب يوسف كينج باشا - صديق محمد على - على تلك الولاية ، إلا أن الدولة العثمانية لم تجبه إلى ذلك (٤) .

---

(١) المصدر السابق - جـ ٤ ص ١٢٧ ومع ذلك فإن باشا دمشق لم يبذل أى جهد لمناوئه الوجود السعودى فى الحجاز ويذكر البعض بأن ذلك لانتفاعه بانقطاع الحج نظرا لعودة أوقاف الج التى تشمل مديريتى دمشق وطرابلس الى حوزته الخاصه . أنظر : هنرى دودويل - محمد على - ص ٤٧ . وأرى أن هذا الادعاء الأخير ينقصه الدليل .

(٢) جميل خانكي - تاريخ البحرية المصرية ص ٢٢٥ .

(٣) دار الوثائق القومية - وثيقة رقم ٢٣ دفتر رقم امعية تركى - من محمد على إلى الباب العالى - (١٢٢٤ هـ/١٨٠٩م).

(٣) د / عبدالرحيم عبدالرحمن - الدوله السعودية الأولى - ص ٢٩ .

وعلى الرغم من ذلك فإن محمد علي أرسل (قبيل انفاذ الحملة) مندوبا خاصا له للتجسس على أوضاع الجزيرة العربية ودرس أحوالها عن كثب ، والتعرف على اتجاه الشريف غالب ونواياه بعد أن تصالح مع السعوديين ، وكذلك التعرف على أوضاع القبائل والأهالي بصفة عامة .

وكان دخول هذا المندوب الحجاز بحجة أداء العمرة ، فأتصل هناك بكل الأطراف بطريقة سرية ، وعاد يحمل تجاوبا من الشريف واستعدادا منه لمناصرة الحملة المرتقبة (١) .

ومما عد من قبيل المفاجآت أن محمد علي على الرغم من إلحاحه على الدولة العثمانية بطلبات إمداده بالسلاح والمدفعية من استانبول فانه قد أعد الحملة قبل أن تصله تلك الامدادات (٢)

غير أنه من الثابت تاريخيا أنه آستعان في إعدادها بالسيد محمد المحروقي سر تجار القاهرة الذي أمده بأموال عظيمة ، وبعد أن أتمت ترسانة بولاق صنع السفن مجزأة أتم محمد علي باشا نقلها إلى السويس على ظهور الإبل لتركيبها هناك ثم تعويمها ، وقد استخدم محمد علي ثمانية عشر ألفا من الإبل في نقل تلك الأجزاء المصنعة والمعدات الحربية والذخائر والمؤن (٣) .

وفي ٤ من صفر سنة ١٢٢٦ هـ / ٢٨ من فبراير ١٨١١ م تم تقليد طوسون باشا ابن محمد علي باشا رئاسة الحملة ، وقد أمره والده بألا يفعل شيئا إلا بعد مشورة ومراجعة المحروقي ، وبلغ تعداد الحملة ثمانية آلاف جندي ، منهم خمسة الاف من المشاة وجنود المدفعية ،

---

(١) محمود شاكر – شبه الجزيرة – نجد – المكتب الاسلامي – بيروت ١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٦ م ص ١٩٥ .

(٢) يذكر الجبرتي بأن تلك المعدات والامدادات العثمانية وصلت بالفعل إلى مصر في غرة رجب ١٢٢٥ هـ / أغسطس ١٨١٠ م وهي مهمات حربية والآت ومراكب ولوازم الحرب المختلفة كما بعث السلطان إلى محمد علي هدية رمزية سيفا وخنجرا وهي هدية بمناسبة تكليفه بالحرب .
أنظر : عجائب الآثار – جـ ٤ – ص ١٧٠ .

(٣) أنظر تفاصيل ذلك في : الجبرتي – جـ ٤ ص ١٩٣ ، وعبدالرحمن الرافعي – عصر محمد علي – مكتبة النهضة المصرية ط ٣ – القاهرة – ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م ص ١٣٢ . وأنظر أيضا : جميل خانكي – تاريخ البحرية المصرية ص ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

وهؤلاء سافروا عن طريق البحر الأحمر على دفعتين والباقون وهم ثلاثة آلاف كانوا من فرقة الفرنسان بينهم الكثيرون من البدو والفرسان (١) .

وكان خط سير الحملة هو : أن تقلع السفن بالجنود المشاة من ميناء السويس إلى ميناء ينبع(٢) ، وأما الفرسان ومعهم أمير الحملة - طوسون باشا فتم إرسالهم برا عن طريق برزخ السويس فالعقبه ليلتقوا بالمشاة والمدفعية فى ينبع ، ومن هناك يزحف الجيش حسب الخطة الموضوعة له .

ويبدو أن الحملة البرية كان القصد منها حمل المهمات والمؤنة والذخائر التى يصعب حملها فى السفن حتي تتفرغ تلك السفن لحمل الجنود المشاة ومتاعهم الذين كانوا يتجمعون فى السويس وربما كان التأخير فى تجميعهم هو السبب فى انفاذ المؤن عن طريق البر أولا .

وقد رافق الحملة البرية طائفة من الصناع من كل حرفة ، كما صاحبها بعض علماء المذاهب الأربعة وهم : السيد أحمد الطحاوى الحنفى ، والشيخ محمد المهدي الشافعى، والشيخ الخانكى المالكى ، والشيخ المقدسى الحنبلى (٣) .

وقد استعان محمد على فى هذه الحملة ببعض الضباط الألبانيين خاصة الذين كان يخشى منهم حدوث اضطرابات أو قلاقل فى مصر ، كما ضم الى حملته بعض المرتزقة الأوروبيين الذين خلفتهم الحملة الفرنسية كما ضم الى قواته خيالة عراقيين ، ومقاتلين سودانيين ، ومغاربة ، وشراكسة بالاضافة إلى البدو ، أما المدفعية فقد كانت طرازا فرنسيا حديثا (٤) .

---

(١) دار الوثائق القومية - وثيقة رقم ٧٠ - دفتر ١ معية تركى - من محمد على الى الباب العالى (٩ من شعبان سنة ١٢٢٦ هـ / سنة ١٨١١ م) وأنظر : د / عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحمن - الدولة السعودية الأولى - ص ٣٠٣ .

(٢) ويطلق عليه أيضا ميناء المدينة المنورة .

(٣) الجبرتى - عجائب الآثار - ج ٤ - ص ١٩٢ - وعبدالرحمن الرافعى عصر محمد على - ص ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٤) أحمد عسة - معجزة فوق الرمال - ص ٢٦ .

واستطاع محمد على بدهائه استمالة الشريف غالب - شريف مكة إليه - بمراسلته عن طريق تجار جدة وينبع الموجودين فى مصر [١] .

وقد تمكنت الحملة فى سبتمبر سنة ١٨١١ م / ١٢٢٦ هـ من الاستيلاء على المويلح [٢] وينبع دون عناء يذكر نظرا لتمكن الحملة من إغراء بعض القبائل القاطنة هناك بالهدايا والخلع وقيام هذه القبائل بإرسال الرسائل إلى مشايخ القبائل الأخرى لاستمالتهم [٣] .

كما تمكنت قوات الحملة بمساعدة القبائل التى أنضمت اليها من هزيمة أول فرقة سعودية بقيادة جابر بن جبارة ، ومسعود بن مضيان ، وقد أتبع طوسون تلك الواقعة بالزحف بقواته فى اتجاه المدينة المنورة حيث لم يلق صعوبة فى البداية لاستمالته عربان **الحويطات** ، **والعبابدة** ، **وبلى والطرابين** ، **والخماسية** ، **والكواملة** ، **والعليقات** ، **ومزينة** ، **وتبة** ،

---

(١) دار الوثائق القومية - وثيقة رقم (٢١) محفظة بحريرا - من يوسف كنج الى محمد على - بتاريخ ١٩ ذى الحجة ١٢٢٤ هـ / ٢٥ من يناير سنة ١٨١٠م .

(٢) وصفها النابلسى فى رحلته سنة ١١٠٥ هـ : بأنها المنزل الرابع عشر من منازل الحاج - من جهة مصر - وأنها عبارة عن قلعة فيها آبار من الماء الحلو ، والبحر المالح على مد البصر ، فى جهة الغرب منها وهى عامرة بالناس ، ومنها طبلخانة تضرب كل ليلة بعد العشاء .

أنظر : عبدالغنى اسماعيل النابلسى - الحقيقة والمجاز فى الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٦ - ص ٣٠٨ .

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة وثيقة رقم ٧٥ - دفتر رقم ١ - معية تركية - من محمد على إلى الباب العالى بتاريخ (٢٣ رمضان سنة ١٢٢٦ هـ / ١١ من أكتوبر وتغالى بعض المصادر فى ذكر الرشاوى والهبات التى كانت تعطى لتلك القبائل فيذكر أحدهم : أن كبير مشايخ حرب حصل على مائة ألف ريال ، ورتبوا له رواتب شهرية وقد خصه من المبلغ ثمانية عشر ألف ريال - بيد أن هذا لا يمكن تصديقه لأن مثل هذا المبلغ كبير جدا يكفى لتجهيز جيش بأكمله فى ذلك الوقت ويبدو أن السباعى ناقل من الجبرتى اذ عثرت على نفس التقدير عنده .

أنظر : عجائب الآثار - جـ ٤ ص ٢٤٥ . وأحمد السباعى تاريخ مكة ص ٥٠٩ .

ولحون ، وعمران ، وشلوين ، وعميرات ، والدلقيقات ، وبني عقبة ، وبني واصل ، وجهينة [١] .

ولم يهنأ جنود الحملة بهذا النصر كثيرا فسرعان ما حدث اشتباك عنيف بين السعوديين والحملة فى منطقة مر الصفراء قبل أن يصل إلى المدينة حيثدارت الدائرة هناك على الحمله المصرية، وسبب هذا أن السعوديين فاجأوهم من جبل عال صخرى ، يشرف على مر الصفراء الضيق وأعملوا فيهم القتل حتي أفنوا كثيرا من جنود الحملة واستولوا على عتادها وعدتها (٢) حتى أن الثمانية الاف الذين تكونت منهم الحملة لم يعد منهم الى ينبع سوي ثلاثة الاف فقط ، وقتل منهم فى المعركة والطريق خمسة آلاف (٣) .

وقد حاول محمد على استغلال نتيجة تلك الواقعة لتصوير إمكانات السعوديين العسكرية بشكل مبالغ فيه أمام الدوله ليعزز طلبه فى الشام بعزل واليه سليمان باشا وإسناد ولايته إلى يوسف كنج باشا صديقه أو أن يقوم سليمان باشا هذا بتسيير جيوش من الشام تحت قيادته ليشارك معه فى قتال السعوديين ، وفى كلا الحالتين سيستفيد محمد على من موارد الشام لصالح الحملة (٤) المصرية على شبه جزيرة العرب .

وقد استغل طوسون باشا فرصة انتظاره المدد فى مراسلة القبائل الضاربة بين ينبع والمدينة وإغرائهم بصناديق الأموال والكساوى ، وقد نجح فى تحقيق أهدافه وهى **استمرار موالاة هذه القبائل له** .

---

(١) دار الوثائق القومية - وثيقة رقم ٧٨ - دفتر رقم ١ معية تركية من محمد على الى الباب العالى - بتاريخ (٥ من ذى القعدة سنة ١٢٢٦ هـ / ٢١ من نوفمبر سنة ١٨١١ م) .

(٢) أنظر : تفاصيل تلك الواقعة فى : الجبرتى - عجائب الآثار / جـ ٤ ص ص / ١٩٦ ، ١٩٧ .
وأنظر : أمين الريحاني - نجد وملحقاته - ص ٧٢ .

(٣) عبدالرحمن الرافعى - عصر محمد على - ص ١٣٥ .

(٤) دار الوثائق القومية - وثيقة رقم ٨٠ - دفتر أمبه تركى - من محمد على الى كبير أغاة دار السعادة (٢٧ من ذى الحجة سنة ١٢٢٦ هـ / ١٢ من يناير سنة ١٨١٢ م) .
وأنظر : د / عبدالرحيم - ص ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

ولما وصلت إليه الامدادات الحربية المصرية تحرك بقواته نحو المدينة فى سنة ١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م ، مصاحبا جموعا كبيرة من عرب جهينة وحرب فاستطاع أن يستولى على المدينة بعد حصار دام خمسة وسبعين يوما منع طوسون خلالها الماء والمؤن عن أهل المدينة [١] ثم احتل بعد ذلك الحناكية بشمال المدينة [٢] .

ومن غريب ما روي وهو ما لا يستطيع المرء التسليم به ما ذكره أمين الريحانى (٣) وعسه وسلم به آخر [٤] : من أن أحد المرتزقة وهو اسكتلندي يدعى توماس كيث تولى حكم المدينة المنورة برهة، ولا أدرى ما المقصود بالبرهة ؟ هل هى لحظة ؟ أم ساعة ؟ أم يوم ؟ ولا يمكن للباحث أن يسلم بذلك دون أدلة أو براهين ، خاصة وأن هؤلاء المرتزقة لم يسمح لهم محمد على بمناصب قيادية فى حملته على الحجاز .

وقد ساعدت الرسائل المتبادلة بين طوسون والشريف غالب - الموجود بجدة على تسهيل دخول بعض القيادات البحرية المصرية إلى ثغر جدة ، مماسهل اقتحامهم بلدان الحجاز برا وبحرا دون قتال يذكر ، وباتت مكة قاب قوسين أوأدني [٥] .

وبمساعدة الشريف والبدو تمكنت قوات الحملة المصرية من دخول مكة دون قتال يذكر لأن السعوديين أخلوها قبل أن يقتحمها رجال الحملة المصرية ويبدو أن السعوديين أرادوا بذلك **استدراج قوات الحملة المصرية الغازية ناحية نجد حيث وعورة الطريق ، والولاء الأكثر من مواطنى نجد للسعوديين ومذهبهم،** بالاضافة إلى صعوبة إمداد

---

(١) أحمد عس - معجزة فوق الرمال - ص ٢٧ .

(٢) عبدالرحمن الرافعى - عصر محمد على - ص ١٣٧ ، ١٣٨ والحناكية بلدة تقع شرقى المدينة فى الطريق إلى نجد على بعد مائة كيلو متر من المدينه .

(٣) أمين الريحانى - نجد وملحقاته - ص ٧٧ .

(٤) أحمد عسة معجزة فوق الرمال - ص ٢٧ .

(٥) دار الوثائق القومية - وثيقة رقم ٨١ محفظة ٣ بحريرا - من طوسون الى محمد على (١٢ من محرم سنة ١٢٢٨ هـ / ١٥ من يناير سنة ١٨١٣ م).

الحملة مع مشاق تلك الطريق (١) .

وبعد أن تم لطوسون الاستيلاء على جدة ومكة تقدم بقواته إلى الطائف فاحتلها بدون عناء أو حرب في المحرم سنة ١٢٢٨ هـ / ٢٩ من يناير سنة ١٨١٣ م .

إلا أن هذه المكاسب والانتصارات السلمية أعقبها تحرج موقف الحملة بعد أن أعادت القوات السعودية نظامها واستكملت استعداداتها فتمكنت من **هزيمة قوات الحملة المصرية عند تربة** (٢) في سنة ١٢٢٩ هـ / ١٨١٣ م كما أن الحامية المصرية في الحناكية أضطرت إلى التسليم بعد أن دافعت عن مواقعها دفاعا مستميتا ، وازداد موقف الحملة سوءا بسبب تفشى الأمراض والأوبئة وشدة الحر وقلة المؤونة والماء مما أضطر طوسون الى وقف عملياته الحربية والالتزام بخط دفاعي محدد شمل (٣) جدة وينبع ومكة والمدينة وفي الوقت نفسه بعث إلى أبيه بطلب النجدات على وجه السرعة .

وقد ظهرت على السطح في تلك الآونة فكرة للصلح بين الطرفين خاصة وأن طوسون لم ينجح في تحقيق الهدف الرئيسي من حملته وهو تخليص الحجاز من قبضة السعوديين ، فقد كان محمد على يخشى من التورط في حرب صحراوية ضروس داخل شبه الجزيرة العربية تكلفه الكثير ، إلا أن الزعيمين المصري والسعودي **لم يصلا إلى نتيجة ترأب الصدع بينهما** .

فقد أصر (محمد على) على شروط عدها السعوديون مستحيلة ، ولو أراد محمد على أن يُطاع لطلب المستطاع وهذه الشروط هي :

---

(١) أحمد عسة – معجزة فوق الرمال – ص ٢٨ .

(٢) تربة والخرمة واحتان أو قريتان بين الحجاز ونجد كان يسكن الأولى ثلاثة آلاف من عرب البقوم، وعدد من الأشراف الذين كانوا يملكون معظم أراضيها ، وكثيرا ما وقع الخلاف على القريتين بين السعوديين والأشراف عند تعيين الحدود بين نجد والحجاز وكان كل طرف يدعي تبعيتها له .

أنظر : خير الدين الزركلي – الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز دار العلم للملايين – ط ٤ بيروت ١٩٨٤ ص ٨٠ .

(٣) عبدالرحمن الرافعي – عصر محمد على – ص ١٣٩ ومابعدها .

أن يدفع سعود كل ما صرفه محمد على لحملة الحجاز إلى وقت الصلح ، وأن يرد النفائس والكنوز التى استولى عليها من الحجرة النبوية الشريفة ، وأن يحضر سعود بنفسه لمقابلة محمد على باشا .

وقد اعتبر سعود هذه الشروط إهانة له (١) وهو محق فى ذلك إذ أن الشرط الأخير على وجه الخصوص إذلال لسعود ونهاية لزعامته ، وربما نهاية كيانة أيضا (٢) .

وقد قرر محمد على باشا - عقب فشل محاولات الصلح - الشخوص بنفسه الى الحجاز ليتولى قيادة قواته بعد إرسال المدد من الجنود والعتاد (٣) .

---

(١) د / عبدالرحيم عبدالرحمن - الدولة السعودية - ص ٣١٣ .

(٢) كما حدث بعد ذلك لعبدالله بن سعود - بعد خراب الدرعية سنة ١٢٣٤ هـ / ١٨١٨ م حيث أرسل إلى الآستانة ، وتوفى بها على يد جلاديها ، والشئ نفسه حدث لعثمان المضايفى - قائد الجيش النجدي- وعلى بن مضيان أمير المدينة المنورة - حيث أرسلا بعد فتح الطائف والمدينة سنة ١٢٢٧ هـ / ١٨٢١ م - ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م من قبل جنود محمد على الى الآستانة وقتلا فيها .

ومما يؤسف له أنه على الرغم من وعود محمد على لعبد الله بن سعود بالتوسط لدى السلطان العثمانى ، واستقبال محمد على لابن سعود بحفاوة بالغة وإلباسه خلعه تقديرا واحتراما إلا أن السلطان العثمانى محمود الثانى (ابن عبدالحميد الأول) ١٨٠٨ ١٨٣٩ م أخذه الزهو والخيلا بالباطل ،وأمر بالطواف بعبد الله فى أنحاء استانبول ، ثم أمر بإقامة احتفال مهيب لايقام إلا فى الأعياد والمناسبات ، وركب بنفسه إلى ساحة السراى العتيقة ، وجعل عبدالله ومرافقوه يمرون من أمامه ثم أمر بإعدامهم أمام ساحة الاحتفال أنظر فيما سبق: دار الوثائق القومية - الوثيقة ٢٥ - محفظة ١٦ بحرير - من الحاج محمد رفيع القاضى بدار السلطنة - سابقا إلى ولى النعم - بدون تاريخ .

وأرجح أن تاريخ الوثيقة هو منتصف ١٢٣٤ هـ / ١٨١٩ م نظرا لأن عبدالله سافر إلى الآستانة فى ١٩ من محرم ١٢٣٤ هـ / ١٨ من نوفمبر سنة ١٨١٨ م . ، د/ عبدالرحيم عبدالرحمن - الدولة السعودية - ص ٣٤٤ . ، أحمد السبعى تاريخ مكة - ص ٥١٠ .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٨٢ - دفتر ٣ بحرير - من محمد على إلى رؤساء الجند بتاريخ(١١ من محرم سنة ١٢٢٧ هـ / ١٨١١) .

واضطر لتحقيق ذلك إلى فرض التجنيد على الآلاف من المراكشيين ، والرقيق السودانى واليونانيين الأرمن (١) .

ولقد أراد محمد على من شخوصه إلى الحجاز بنفسه تحقيق عدة أهداف أعظمها مايلى :

١ - أن يعطى ابنه دروسا فى القيادة الميدانية ويبين له كيف يسير دفة الحرب .
٢ - أن ينقذه من الحصار الذى ضربه عليه السعوديون فى الطائف .
٣ - أن يظهر ولاءه للدولة العثمانية التى مازالت تراه غير جدير بثقتها منذ أن فرض نفسه ، وفرضته الظروف والزعامة الشعبية علي الدولة .
٤ - أن يشحذ همة رجاله ويرفع معنوياتهم فى مواجهة رجال يقاتلون عن عقيدة وإيمان لا يتزعزعان
٥ - أن يطمئن على تنظيمات جنوده فى أول حرب خارجية لهم .
٦ - أن يلقى الرعب فى نفوس أعدائه بتلك الشائعات التى ستهول من أمر وصوله فى قوات عظيمة (٢) .

وكان أول شئ قام به محمد على بعد وصوله إلى الحجاز أنه قبض على الشريف غالب غدرا فى أواخر سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ثم نفاه الى مصر ومنها إلى سالونيك حيث ظل بها إلى أ توفى بها سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٦ م حدث هذا على الرغم من أن الشريف غالبا أحسن استقبال ورافقه إلى مكة المكرمة ترحيبا وطواعية .

وقد ولى محمد على الشريف يحيي بن سرور على إمارة مكة بدلا من عمه الشريف غالب(٣).

---

(١) هنرى دوديل - محمد على - ص ٥٠ .

(٢) فقد ذكر أستاذنا الدكتور / عبدالجواد صابر اسماعيل أن شخوص محمد على إلى الحجاز كان بسب انزعاجه من حصار السعوديين لابنه طوسون فى مدينة الطائف بعد أن دخلها بقواته .
أنظر : دور مصر فى الحرب العثمانية اليونانية (١٨٢١ - ١٨٢٣) - ط ١ - القاهرة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤ م - ص ٩ .

(٣) أحمد السباعى - تاريخ مكة - ج ٢ - ص ٥١١ .

ويدعى أحد الباحثين (١) بأن محمد على شخص بنفسه إلى مكة بحجة توطيد دعائم النظام ولكن تبين أنه كان يرمي من وراء هذه الزيارة إلى تعيين شريف جديد لعدم ثقته فى الشريف القديم ولحوزته على أموال طائلة يرغب محمد على فى الاستيلاء عليها .

وهذا الحديث تعوزه الدقة حيث أن الشريف غالبا لم يكن فى منعة قط أمام جيش طوسون الزاحف ، وكان من السهل على طوسون أن يحيط به ورجاله وبأمواله انما الصحيح هو ما تقدم من أسباب .

وقد تداول الجانبات فى المعارك بعد ذلك النصر والهزيمة نضرب الصفح عن ذكر تفصيلاتها . إلا أن ما يعنينا اضافته هنا هو استمرار مصر في التحكم فى شئون الحجاز السياسية والاقتصادية والاشراف على شئون الحج والعمرة ، وتغيير زعامة الأشراف فى مكة طبقا لما كان يتراءى للادارة المصرية بعد موافقة السلطة العثمانية .

ولقد ظلت هذه السيطرة المصرية على الحجاز ناهضة قوية إلى أن تخلت مصر عن دورها فى ظل ظروف دولية ، وأخرى على ساحة الخلافة العثمانية .

ومن أمثلة تلك السيطرة المصرية على الحجاز :

أنه عندما حدثت فتنة الشريف يحى بن سرور بن مساعد فى سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م (٢) الذى أبرز عداوته للادارة المصرية أضطر أحمد باشا محافظ مكة إلى تنصيب الشريف عبدالمطلب بن غالب على شرافه مكة ليساعده على درء فتنة ابن سرور ثم أرسل الى محمد علي باشا ليعتمد شرافة عبدالمطلب بن غالب ، إلا أن ذلك لم يلق القبول عند محمد على ، فلم يعتمد شرافة عبدالمطلب لأنه كان يرى أن الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون المقيم فى مصر أحق بهذا المنصب من عبدالمطلب ، وأولى ، فألبسه خلعة الشرافة ثم أرسل إلى استانبول فى طلب الموافقة على

---

(١) هنرى دوديل – محمد على – ص ٤٩ .

(٢) تولى شرافة مكة سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م بعد أن قبض محمد على باشا على الشريف غالب ، وحدثت فتنة ابن سرور هذه من قتلة للشريف شنبر – أحد المقربين للادارة المصرية سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦ م فاضطرب الناس على أثرها وأخذ ابن سرور يتحرش بالجنود المصريين ويجمع حوله القبائل لارجاعه إلى إمارته إلا أنه لم يتمكن منها . أنظر : ابن زينى دحلان – خلاصة الكلام ص ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

تنصيبه فى شرافة مكة [١] .

ومن عجائب الأمور أنه قد أصبح هناك ثلاثة من الأشراف يتنازعون إمارة مكة ، وكان كل منهم يعتمد على موافقة رسمية بشرافته بشكل أو بآخر .

فالشريف يحيي بن سرور مازال يعتبر نفسه شريف مكة وحوله القبائل تؤازره وتؤيده خارج مكة، والشريف عبدالمطلب بن غالب قد نصبه أحمد باشا محافظ مكة ، وهو ينتظر موافقة محمد على باشا على شرافته بعد استئذان الباب العالى والشريف محمد بن عون نصبه محمد على باشا وبعث إلى الدولة يطلب اعتماد تنصيبه .

وفى الوقت نفسه أرسل محمد على باشا إلى عبدالمطلب بن غالب يشرح له اللبس الذى حدث فى هذا الأمر ، وأنه لا يستطيع إرجاع الشريف محمد بن عون بعد أن نصبه شريفا على مكة نظرا لأنه قد سبق أن بعث اسمه إلى الدولة ، وطلب فيها الموافقة على تنصيبه ، ثم أخذ محمد على يعد الشريف عبدالمطلب فى رسالته بالتكريم والتقدير إن هو وافق وسكن دون ثورة ، كما خيره بين البقاء فى مكة معززا مكرما أو الشخوص بأهله إلى مصر ليلقى فيها التكريم والتعظيم المناسبين له [٢] .

توضيح عن دور المصريين فى حملات محمد على :

وأثناء إقامتي فى المملكة السعودية سنة ١٩٨٨م لمست عن كثب مدى تأثر النفوس فى نجد بأعباء الماضى الثقيل البغيض إلى نفوسهم هذا الماضي الذى ربما ذكرهم به المصريون العاملون فى شبه

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض – الوثيقة رقم ٢/٢ ك – ١٢٢ من المعية السنية الى الشريف عبدالمطلب بتاريخ (٦ من ربيع الثانى سنة ١٢٤٣ هـ) .
وتحمل الوثيقه نفسها رقم ٦ من دفتر ٣١ معية تركى بدار الوثائق المصرية بالقاهرة – وقد حصلت عليها من دارة الملك عبدالعزيز بالرياض .

(٢) المرجع السابق .

الجزيرة العربية ، لكن الواقع يؤكد أن الحرب بين محمد على والسعوديين لم يكن للمصريين فيها ناقة ولا جمل ، ولا أغالى اذا ذكرت أن المصريين قد نقموا على تلك الحرب ونالت منهم مثلما نالت من السعوديين إن لم تكن أكثر حيث فرضت عليهم تكاليف هذه الحرب فى صور إتاوات فرضها عليهم محمد على ليتمكن من تنفيذ ما أملى عليه وقَبِله هو لينشئ لنفسه ولأسرته ملكا واسعا عريضا على هامات المصريين وأهالى الجزيرة العربية .

واذا أردنا الانصاف حقيقة فلا ينبغى أن نسمى تلك الجيوش الجرارة بالجيوش المصرية ، انما يجب أن نطلق عليها الجيوش (العثمانية) لنسمى الأمور بمسمياتها ، وقد أتفق مع كتابات أحد علماء قطر الذى كتب عن ابن عبدالوهاب ودعوته فما أشار الى جيش محمد على إلا بتسميته الجيش التركى ، وإلى مجموع من اشتركوا فيه بقوله : الأتراك وليس المصريين [١] على الرغم من تحفظى على كلمة تركى لما فيها من قصور إلا أن الصحيح هو اطلاق كلمة العثمانى .

ويتحدث أحد الكتاب عن معاناة المصريين فى اعداد التجهيزات فيقول [٢] :

" تحملت مصر بسبب تجهيزها بالعتاد تضحيات جسيمة وذاق شعبها من أجل ذلك ألم التقتير والتعذيب والتنكيل اذ استولى نائب محمد على فى القاهرة على جميع أموال الملتزمين وفرض على الأهالى الاتاوات والغرامات فى سبيل حرب لاناقة لهم فيها ولا جمل .

وليس عجبا أن نجد كتابات الجبرتى فى تاريخه تلعن بين سطورها كل ما هو عثمانى ، وكل ما هو ألبانى ، ولقد كلفه موقفه هذا حياة ابنه فقتلوه [٣] ، وداره فأحرقوها ، وعلمه فصادروه ،

---

(١) أحمد بن حجر بن محمد آل أبو طامي - الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الاصلاحية وثناء العلماء عليه - مطبوعات الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة - ص ٥٠ .

(٢) عبدالعزيز دنيا - سليم الحجازى ص ٣١.

(٣) فقد قتل عدرا فى شارع شبرا عند عودته إلى القاهرة ليلة السابع والعشرين من رمضان سنة ١٢٣٧هـ / ٢٢ من يونيه سنة ١٨٢٢ م ، وألقى بتبعة ذلك على محمد على .

أنظر : دائرة المعارف الاسلامية - م ١١ - ص ٦٤ .

وعمره [١] فعجلوا به ، لكن الحقيقة الصامتة هي أن كل مصري في مصر كان جبرتيا .

وإني لأتساءل ممن تكون جيش محمد على الذى أرسله إلى شبه الجزيرة ؟

والاجابة على هذا السؤال : هو أن هذا الجيش تكّون من ضباط ألبانيين ، كما ضم الى حملته بعض المرتزقة الأوربيين الذين خلفتهم حملة نابليون بونابرت على مصر ليجعل منهم مساعدين لابنه طوسون الذى أمره على هذه الحملة ، كما ضم جندا من معظم الولايات العربية والاسلامية التى كانت خاضعة للامبراطورية العثمانية ، وكان من بينها خيالة عراقيون ، ومقاتلون سودانيون ، ومغاربة ، وشراكسة ، بالاضافة الى البدو (٢) .

ونجد هذا أكثر وضوحا فيما جاء فى كتاب دودويل الذى قال (٣) :

" كان لا مناص من الالتجاء الى التجنيد العنيف لسد هذا الطلب ولهذا أخذ المراكشيون من بلاد البربر والرقيق السودانى واليونانيون بل والأرمن يلتحقون بالجيش ويرسلون أفواجا إلى جبهة القتال" . وهناك مصريون اشتركوا فى هذا الجيش الا أنهم أفراد قليلون ولا تُعلم ظروفهم من الترغيب والترهيب بيد أن معظم هؤلاء عادوا بعد أول معركة حقيقية مع السعوديين فى واقعة ممر الصفراء قرب المدينة وفروا إلى مصر نادمين مثل السيد محمد المحروقى كبير تجار مصر وبعض المشايخ الذين سبق لهم الوشاية بالسيد عمر مكرم - نبض مصر الحقيقى - الذي قاوم الظلم حتي نفى - بعد أن سجل تاريخه وقفات جليلة لرد المظالم عن شعبه ومحاولة منه لردع الحاكم الظالم . وإضافة إلى ذلك فإن هؤلاء المصريين القلائل الذين صاحبوا حملات محمد على إلى الحجاز وسائر شبه الجزيرة العربية لم يكونوا محاربين قط ولم يشترك مصرى واحد فى القتل أو سفك الدماء .

كما تحدث الريحاني عن حملة ابراهيم باشا علي شبه الجزيرة فقال (٤) :

" جاء بجيش لا يتجاوز الأربعة آلاف ، وفيهم الألبانى والمغربى والسودانى ، وقد أضاف

---

(١) فقد ضاع كثير من مؤلفاته ، ويُعتقد أنها إما صودرت أو تم احراقها عندما أحرق أتباع محمد على بيته بسبب نقد الجبرتى لمحمد على نقدا لاذعا .

(٢) أحمد عسة - معجزة فوق الرمال - ص ٢٦ .

(٣) هنرى دودويل - محمد على - ص ٥٠ .

(٤) أمين الريحانى - نجد وملحقاته - ص ٨٥ .

إليهم فى مروره بالصعيد ألفين من الفلاحين للأشغال والخدمة : ويضيف الريحانى قوله : " وكان معه مهندس فرنسى وأربعة أطباء وصيادلة أيطاليين " .

كذلك تحدث الزركلى عن حملة (محمد علي) على شبه الجزيرة فقال :" كانت العساكر التى انتقلت من مصر ، من الترك وأهل المغرب نحو ١٤ ألف مقاتل أو يزيدون " . كما تحدث عن حملة طوسون على شبه الجزيرة العربية فقال : "كان يقود ثمانية آلاف من الجنود إلى ينبع ومعهم ضباط أوربيون وعدد من المجازفين المسترزقين الذين كانوا فى عسكر بونابرت " (١) .

والذى أراه أن الفلاحين المصريين الذين جاء ذكرهم فى كتاب الريحانى قد أُخذوا قسرا خاصة وأن بعض أهل الصعيد قرابتهم موصولة بقبائل شبه الجزيرة العربية ، هذا بالاضافة إلى أن هؤلاء الفلاحين الذين امتص محمد على قوتهم وسلبهم أرزاقهم (٢) كان من السهل السيطرة عليهم، أضف إلى هذا أن هؤلاء لم يحملوا سلاحا قط فى معارك شبه الجزيرة ووزرهم فى تلك الحرب أصغر بكثير من وزر قبائل حرب ، وجهينة ، والحويطات، وبلى ، وغيرها (٣) فلقد عضدت هذه القبائل حملات محمد على تحت ظروف الترغيب فى الغالب ولم يبالوا حينما قاتلوا إخوانهم فى شبهاجزيرة العربية.
وسأترك قلم الجبرتى يسوق لنا أسباب هزيمة حملة محمد على فى ممر الصفراء من وجهة النظر الاسلامية وهو : (٤) " لقد قال لى بعض أكابرهم (٥) من الذين يدعون الصلاح والتورع أين لنا

---

(١) الزركلى – الوجيز فى سيرة الملك عبدالعزيز – ص ١٣٢.

(٢) من ذلك فى حوادث سنة ١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م ما ذكره الجبرتى : " وهو أن الباشا أرسل لجميع كشاف الوجه القبلى بحجز جميع الغلال والحجر عليها لطرفه فلا يدعون أحدا يبيع ولا يشترى شيئا منها ولا يسافر بشيء منها فى مركب مطلقا ، ثم طلبوا ما عند أهل البلاد من الغلال حتى ما هومدخر فى دورهم للقوت فأخذوه أيضا .. ثم زاد فى الأمر حتى صاروا يكبسون الدور ، ويأخذون ما يجدون من الغلال قل أوأكثر ولا يدفعون له ثمنا بل يقولون لهم نحسب لكم ثمنه من مال السنة القابلة ، ويشحنون بذلك جميع مراكب الباشا التى أستجدها وأعدها لنقل الغلال ، ثم يصيرون بها الى بحرى " . أنظر : عجائب الآثار – ٢١٨/٤ .

(٣) أنظر فى ذلك : دار الوثائق القومية – الوثيقة رقم ٧٨ – دفتر رقم ١ معية تركى – من محمد على رلى الباب العالى – بتاريخ ٥ ذى القعدة سنة ١٢٢٦ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨١١ م .

(٤) الجبرتى – عجائب الآثار – ٤ / ٢٠٠ .

(٥) أى كبار العسكر فى حملة محمد على الذين فروا الى مصر بعد هزيمتهم .

بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة ؟ وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبا ، وصحبتنا صناديق المسكرات (١) ولا يسمع فى عرصتنا آذان ولا تقام به فريضة ولا يخطر فى بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين ، والقوم (٢) اذا دخل الوقت أذ ن المؤذونون وينتظمون صفوفا خلف إمام واحد بخشوع وخضوع ، واذا حان وقتالصلاة والحرب قائم أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف ، فتتقدم طائفة للحرب وتتأخر الأخرى للصلاة ، وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته ، وينادون فى معسكرهم هلموا الى حرب المشركين ". ولايحتاج ما بين السطور إلى تعليق فضلا عن السطور نفسها مما يظهر نبض الانسان المصرى فى ذلك مثّله الجبرتى وأعتقد أن كل مصرى كان جبرتيا آخر .

وعلى الرغم مما تقدم فان النسب والصهر لا يُنكر ، وأن الحقيقة كلها قد عقلها ووعاها مؤسس سعودية اليوم (الملك عبدالعزيز) الذى وصي أبنائه وأهله بمصر خيرا فقال : " ضعوا مصر فوق صدوركم " ، و " أوصيكم بمصر خيرا ؟ وهذا فى اعتقادى تقدير لمصر ودورها العظيم طوال القرون الماضية (٣).

---

(١) نعوذ بالله من ذلك هل هؤلاء مصريون ؟ حاشا لله .

(٢) يقصد السعوديين - السلفيين .

(٣) عزيز محمد حبيب - المملكة العربية السعودية - ص ٢٤٩ .

الفصل الثانى

العلاقات السياسية بين مصر والحجاز

تمهيد :

كان لعزم محمد على إعلان الاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية ١٢٥٠ ، ١٢٥٤ هـ/ ١٨٣٤ م ، ١٨٣٨م أن تكتلت ضده الدول الأوربية وحذرته من العواقب الوخيمة التى تنتظره فى حالة اقدامه على هذا العمل (١) .

ومما لا شك فيه أن انتصارات محمد على الحربية خاصة فى موقعة " نصيبين " (٢٤من يونية ١٨٣٩ م ربيع الآخر ١٢٥٥) (٢ ، وانضمام قائد البحرية العثمانية أحمد باشا فوزى بالأسطول العثمانى إلى محمد على وتسليمه هذا الأسطول اليه كهدية ، دفع الأوربيين إلى وضع المسألة المصرية والشرقية والتوازن الأوربى الدولى عامة على بساط البحث .

فى الوقت الذى أصبح لمصر فيه السيطرة على الشام وشبه الجزيرة العربية ، كما أصبحت أقوى دولة بحرية فى البحر المتوسط بعد انضمام الأسطول العثمانى إليها .

---

(١) عبدالرحمن الرافعى - عصر محمد على - ص ٣١١ .

(٢) سبب هذه الموقعة أن الدولة العثمانية نقضت معاهدة كوتاهية حين تقدمت قواتها مخترقة حدود الشام بقيادة حافظ باشا وبعض الألمان حيث تحرك الجميع من بيرة وعبروا نهر الفرات إلى مكان قرب قرية نصيبين - التى تسميها الوثائق تربب - وقابلهم ابراهيم باشا بجلا فى ١٣ من ربيع الآخر سنة ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م حيث تمكن من إيقاع الهزيمة بالعثمانيين ثم غنم جميع بنادقهم وخيامهم بما فيها من عتاد ومؤمن .

* أنظر : دار الوثائق القومية الوثيقة ١٣ أصلية ---------------- محفظة ٦٦ عابدين من محرم أغا محافظ ١١٨ حمراء المدينة المنورة الى باشمعاون جناب الخديوى (١٣ من جمادى الأولى سنة ١٢٥٥ هـ) .

* وأنظر الوثيقة ٢١ أصلية / ١٣٦ محفظة ٢٦٦ عابدين - من الميرامران سليم بالجديدة إلى صاحب الدولة بتاريخ (١٥ من جمادى الأولى سنة ١٢٥٥ هـ) .

إلا أن عداء انجلترا الشديد لمصر (١) جعلها تتزعم مفاوضات الأوربيين لكبح جماح محمد على والحد من أطماعه ، وقد أدت هذه المفاوضات فى النهاية إلى توقيع معاهدة لندن الشهيرة فى ١٥ من جمادى الأولى سن ١٢٥٦ هـ / ١٥ من يوليو سنة ١٨٤٠ م وقد جاء فيها :

" أن يخول محمد على وخلفاؤه حكم مصر الوراثي ، وأن يقبل إخلاء جنوده من شبه الجزيرة العربية ، وجزيرة كريت ، وإقليم أدنه ، وسائر البلاد العثمانية التى أستولى عليها " (٢) عدا ولاية عكا وأن يعيد إلى الدولة أسطولها .

وبذلك تبدلت الأحوال فبعد أن كانت استانبول ترجو محمد على أن يغزو شبه الجزيرة العربية أصبحت تضغط عليه للانسحاب منها .

أما موقف الحجاز من هذا الصراع الناشب أظفاره بين محمد على من جهة والعثمانيين وحلفائهم من جهة أخرى ، فقد ظهر واضحا فى موقف أمير مكة الشريف محمد بن عون الذى أعلن إخلاصه لمحمد على وتأييده لسياسته . بينما كانت الدول الأوربية بزعامة انجلترا تقف بالمرصاد فى وجه محمد على مهددة ومنذرة ، وكانت هناك اتصالات بين القاهرة ومكة المكرمة أطلع محمد على الشريف محمد بن عون من خلالها على تطورات الموقف ، وتعنت انجلترا وتهديداتها . فأبرق الشريف محمد بن عون على الفور إلى محمد على فى ١٩ من رمضان سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م بأنه اذا حدثت أية اعتداءات من قبل الانجليز فإنه يكون من أقصي أمانيه - على حد تعبيره - أن يجمع جندا من العرب يبلغ عدده مائتى ألف مقاتل مجهزين بأنواع الأسلحة الحربية ويقودهم الشريف ويحارب بهم المعتدين ويهلكهم فى الفيافى والصحارى (٣) .

---

(١) هذا العداء مبعثه هزيمتها الساحقة فى رشيد وكوم حماده سنة ١٨٢٢ هـ / ١٨٠٧ م .

(٢) عبدالرحمن الرافعى بك - عصر محمد على - ص ٣٢٧ .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٧٦ أصلية - ٣١٢ حمراء المحفظة رقم ٢٦٩ عابدين - من محمد بن عون إلى باشمعاون جناب الخديوى - بتاريخ (١٩ من رمضان سنة ١٢٥٦ هـ) .

وموقف الشريف عون وإن كان فيه إفراط فى الحماس ومبالغة فيه إلا أنه يظهر لنا الموقف الرسمى لحكومة الحجاز التى يتزعمها شريف مكة محمد بن عون وهو بلا شك تعضيد لمحمد على ليس على الانجليز فحسب ، وانما على الأتراك العثمانيين كذلك ، وهذا يرجع فى الحقيقة إلى ما كان من ود بين الزعيمين المصرى والحجازى . كما أن الشريف محمد بن عون كان يعد صنيعة محمد على الذى مكن له من إمارة مكة رغم أنف العثمانيين .

جلاء جيش محمد على عن شبه الجزيرة العربية :

ولقد ترجم الشريف بعض أقواله إلى أفعال عندما أصدر أوامره حالما وصل الى جدة فى ١٠ من شوال سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م بتحصين الثغر (جده) كما قام بمساعدة القادة المصريين بها فى توزيع المشاة فى مواضع استراتيجية بالاضافة إلى توزيع الفرسان فى عدة مناطق على الطريق الواقع بين مكة المكرمة وجدة تحسبا لأى اعتداء انجليزى على القوات المصرية المطلوب جلاؤها عن شبه الجزيرة العربية .

أما السفن الأميرية الراسية فى الميناء فقد تم تنظيمها بحيث تكون على أهبة الاستعداد لصد أى اعتداء يحدث لها من الخارج ، وبحسب تعبير الشريف محمد بن عونفإن كل سفينة منها كانت بمثابة القلعة . بيد أن قائد الأسطول المصري فى البحر الأحمر طلب من الشريف بن عون ثلاثمائة جندي جدد ، فأحضر له الشريف على الفور بلوكى [(١)] الجنود المستحفظين المرابطين بجدة ويبلغ عددهم مائة وخمسين جنديا فوزعهم القائد المصرى على السفن للحراسة على الرغم من أن هؤلاء الجنود كانوا متأهبين للعودة إلى مصر ، وقد أتبع الشريف ابن عون ذلك بتقوية قلعة جدة وترصيفها برا وبحرا ، وعهد إلى معاونيه بعقد مجلس للتشاور فى تنظيم الأمور اللازمة على أن ترسل تقارير يومية بذلك إلى مصر [(٢)] .

---

(١) البلك فى التركية بلوك ومصدره بولمك ، ومعناه التقسيم ، فالبلك هو القسم أو الفوج . أنظر : د/ أحمد السعيد سليمان - تأصيل ما ورد فى الجبرتى ص ٤٤ .

(٢) دار الوثائق القومية الوثيقة ٨٢ / ١٠١ المحفظة ٢٦٩ عابدين من الشريف محمد بن عون إلى باشمعاون الخديوى بتاريخ (٢٦ من شوال سنة ١٢٥٦ هـ) .

وقد أدى تحرج موقف مصر الحربى والسياسى على الصعيد الدولى إلى إذعان محمد على بعد لأى لما قررته معاهدة لندن ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م ، فأصدر أوامره باخلاء شبه الجزيرة العربية من جنوده وترحيلهم إلى مصر (١) .

وقد شرع محمد على فى تنفيذ خطة إجلاء شبه الجزيرة العربية بإرسال الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون من مصر إلى مكة (٢) عام ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠م ليتولى أمر شرافتها من جهة وليسهل عمليات ترحيل الجيش المصرى من جهة أخرى .

وقد غادر الشريف محمد مصر إلى ينبع ومنها إتجه صوب قبيلة - حرب فشد عليها وأعمل فيها السيف بسبب أعمال النهب والقلاقل التى أتت بها ، ثم انطلق إلى المدينة المنورة حيث أقام بها شهرا .

ثم شرع أثناء إقامته فى أماكن قبائل حرب حول المدينة المنورة فى ترحيل الجيش المصرى ، وترتيب الأعمال الادارية على أساس الخضوع للحكم العثمانى الخالص من جديد .

ثم انتقل بعد ذلك إلى مكة بعد أن سبقه إليها ابنه عبدالله وقام بشئون إمارتها نيابة عنه ، فلما دخلها أتم عمليات ترحيل الجيش المصرى منها (٣).

أما قوات الجيش المصرى المرابطة فى بقاع اليمن ، فقد تم تعيين القنفذة لتجميع جنود هذا الجيش فيها مع مهماتهم وأسلحتهم وذلك تمهيدا لنقلهم من القنفذة إلى جدة ليتم ترحيلهم بعد ذلك إلى مصر . وقد تراءى فى ذى الحجة سنة ١٢٥٥ هـ / فبراير ١٨٤٠م أن ينقل المدافع الثقيلة والذخائر

---

(١) عبدالرحمن الرافعى - عصر محمد على - ص ٣٦١ .

(٢) أن السبب فى بقاء الشريف محمد بن عبدالمعين فى مصر هو أن محمد على كان قد كلفه فى سنة(١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٥م) بإعادة منطقة عسير إلى السيادة العثمانية وبينما هو قائم بواجباته العسكرية قصر محافظ مكة أحمد باشا فى إمداده بالمؤن والذخيرة فأدى هذا إلى هزيمة قوات الشريف فى عسير ، فطلبهما محمد على لأن كلا منهما أدعى تقصير الآخر ، بيد أن محمد على رأى إبقاء الشريف بمصر فظل فيها إلى أن أرسله فى سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠ م للإشراف على عمليات انسحاب الجيش المصرى من شبه الجزيرة العربية - أنظر : ابن زينى دحلان - خلاصة الكلام ص ٣١٠ .

(٣) أحمد السباعى - تاريخ مكة - جـ ٢ ص ص ٥٢٣ ، ٥٢٨ .
وأنظر :ابن زينى دحلان - خلاصة الكلام ص ٣١١ .

والمهمات إلى القنفذة أولا إلا ما يلزم الجيش فى تنقلاته ليتحرك الجنود بعد ذلك بحمل خفيف فتسهل الحركة والانتقال إلى مصر (١) .

والذى يبدو لى أن محمد على قد تحقق منذ البداية من خطر العداء الأوربى له فبدأ فى سحب وتجهيز آلاياته الموجودة فى البقاع الثائرة التى كان منها اليمن لتكون على أهبة الأستعداد لانتقالها إلى مصر وقت الخطر ذلك لأن تاريخ الأوامر التى بعث بها محمد على باشا إلى قادته بالانسحاب كان سابقا على معاهدة لندن المنعقدة فى ١٢٥٦ هـ (١٥ يوليو ١٨٤٠ م التى الزمته بسحب قواته من شبه الجزيرة وسائر الأراضى العثمانية عدا عكا ، كما أن محمد على قد طلب كذلك عددا من رؤساء الفرسان فى وقت مبكر - قبل عقد المعاهدة المذكورة ليعودوا إلى مصر وذلك فى بداية سنة ١٢٥٦ هـ مارس ١٨٤٠ م (٢) . وقد لا يبدو هذا وما قبله غريبا أما الذى تبدو فيه الغرابه ويدعو إلى الدهشة لأول وهلة فهو حديث بعض الوثائق المبكر عن عملية ترحيل الجيش المصرى من شبه الجزيرة كلها أى قبل فرض معاهدة لندن السالف ذكرها .

جاء فى الرسالة الموجهة من أحمد شكرى سر عسكر الحجاز إلى محمد على فى الحادى عشر من المحرم سنة ١٢٥٦ هـ / ١٥ من مارس سنة ١٢٥٦ هـ (٣) .

" .... وبما أنه سيصير جلب العسكر الموجودين فى نجد والحجاز واليمن عند اللزوم إلى مصر فبقطع النظر عن كون الأوامر السنية جاءتنا محتوية على العلم والإخبار بأن يكونوا على أتم التأهب ...." .

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقه ٣٥ حمراء بلا نمرة أصلية - المحفظة ٢٦٩ عابدين من أحمد شكرى سر عسكر الحجاز إلى الجناب العالى بتاريخ ٧ محرم سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م .

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقة التركية رقم ٢٧ حمراء - المحفظ ٢٦٩ عابدين من أحمد شكرى سر عسكر الحجاز إلى الجناب العالى بتاريخ (٥ من محرم ١٢٥٦ هـ) .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٣ أصلية ٥٠ حمراء - المحفظة ٢٦٩ عابدين -من أحمد شكري إلى صاحب الدوله من مكة بتاريخ ١١ محرم سنة ١٢٥٦ هـ .

كما جاء فى الرسالة الموجهة من ابراهيم توفيق الى محمد على فى ٢٤ من المحرم سنة ١٢٥٦هـ/ ٢٩ مارس ١٨٤٠م (١) : "أنه لكون الارادة الخديوية تطلب إرسال جميع العساكر الموجودة فى أقطار اليمن إلى المحروسة والقيام بهذه الخدمة هو ألزم من كل شئ فاننا مشغولون بتجميع العساكر فى الجبال " ..

وإزاء تلك الوثائق التى تؤكد أن محمد على قد بدأ فى طلب الاياته وجنوده من شبه الجزيرةالعربية قبل ظهور معاهدة لندن بأكثر من أربعة أشهر ، فأنه من المرجح أنه كان يهدف الى سحب بعض القوات من شبه الجزيرة لتكثيف القوات المصرية فى مصر والشام لمواجهة العدوان الأوربى المرتقب بزعامة انجلترا ، ومن ورائه العدوان العثمانى .

ولقد كان جلاء القوات المصرية عن شبه الجزيرة ضرورة عسكرية وسياسية يجب اللجوء اليها حتى تستقر الأحوال خاصة وأن ثورات العسيريين واليمنيين والنجديين لم تنقطع قط ، بالاضافة إلى هلاك الكثير من جنود الجيش المصري فى الأماكن المقفرة والأحوال الصعبة بشبه الجزيرة .

وإبان ذلك ظلت الأمور مضطربة فى شبه الجزيرة كنتيجة لاضطراب الأمور السياسية على لساحة الدولية بين محمد على وكل من الدوله العثمانية ، والدول الأوربية بزعامة انجلترا ،وبمعنى أدق فإن سوء العلاقات بين محمد على وهذه الدول قد نتج عنه التفكير المصرى فى مجموعة من البدائل سواء فى شبه الجزيرة أم فى سوريا أم فى غيرها من الجهات المتنازع عليها .

ولذلك نجد أن القادة العسكريين المصريين فى شبه الجزيرة العربية كانوا فى حيرة من أمرهم ، هل يستمرون فى ترسيخ وجود قواتهم وتأكيد سيطرتهم ؟ أم يعدون العدة للرحيل إلى مصر ؟ خاصة وأن بعض الاستعدادات للرحيل فى وقت مبكر قد تمت ، بيد أن شائعات قوية راجت حول عودة الجنود المصريين الذين تم تحركهم من الحجاز فى وقت مبكر إلى مصر نجد هذا واضحا فى الرسالة التى بعث بهاأحمد شكرى باشا قائد الجيش المصرى فى الحجاز إلى محمد على باشا فى جماد الأولى سنة ١٢٥٦ هـ / يوليو ١٨٤٠ م والتى جاء فيها (١) " أنه تلقى الارادة العلية المبشرة بخلع خسروا

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة ٧ أصلية ١٧٧ حمراء - الحفظة ٢٦٩ عابدين من ابراهيم توفيق الى صاحب الدوله (٢٤ من محرم سنة ١٢٢٢٢٥٦ هـ) ..

باشا الصدر الأعظم - عدو مصر (١) ، وتولية رؤوف باشا ، وأنه قد سر لذلك بعد الاشاعات التى راجت عن عودة الجنود إلى مصر ، وأنه أطلق واحدا وعشرين طلقه ابتهاجا بتصالح الدولة العلية والحكومة المصرية ، ولن يعود الى مصر " .

ويبدو بوضوح من هذه الرسالة أن شكري باشا اعتمد على الشائعات وبنى عليها رسالته ، أما الحقيقة فهى أن مصر والدولة العثمانية لم يتصالحا حينئذ ، ولكن خيل لهذا القائد بأن عزل خسروا باشا - عدو مصر - من الصدارة معناه التصالح .... ومعناه البقاء فى الحجاز ..... الخ .

وهناك رسالة بعث بها أحمد شكري الى محمد على باشا توضح الصورة أكثر .. إلا أنها نحتاج الى تفسير .. جاء فيها : (٢) " بأن الارادة المؤرخة فى ١٣ من ذى الحجة سنة ١٢٥٥ هـ فبراير ١٨٤٠ م تضمنت أنه سيصير جلب العساكر الموجودين فى نجد واليمن الى مصر، وكذلك عسكر الحجاز إذا أوجب (الحال أخيرا).. وتضيف الوثيقة نفسها : " أنه فى هذه المرة جاءتنا الارادة المؤرخة فى ٣ من صفر سنة ١٢٥٦ هـ / أبريل ١٨٤٠ وفيها أن حضرة ابراهيم باشا سيبقى هنا هو ومن بعيته من العساكر ".

فالارادة الأولى أفادت ترحيل الجنود المصريين ، والثانية أفادت بقاء ابراهيم باشا وجنده ... ولعل بقاء هؤلاء يتعلق بالحجاز لأن ولاية ابراهيم باشا عليها ولاية شرعية.

وعلى الصعيد العملى أخذت الآلايات المصريةتتجمع من بلدان اليمن فى القنفذة تمهيدا لرحيلها .

ونظرا لعدم مواءمة طقس تلك المدينة لصحة الجنود ومرضهم بها فقد جاءت الأوامر بنقلهم إلى جدة بعد أن فتكت الأمراض بالكثيرين منهم (٣) ولم تكنالأمراض هى المشكلة وحدها ، فقد كان هجوم عربان حرب من الجديدة على بعض فوق الجيش المصرى والحجاج يعد من أكبر المشاكل التى

---

(١) كان خسروا باشا شواليا على مصر سنة ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م واشتهر بعدائه لمحمد على - أنظر : عبدالرحمن الرافعى - عصر محمد على- ص ٣٢٥ .

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقة ١٢ أصلية/ ٢١ حمراء المحفظة ٢٦٩ عابدين من أحمد شكرى إلى صاحب الدوله (٥ من ربيع الأول سنة ١٢٥٦ هـ) .

(٣) الوثيقة السابقه رقم ١٢ أصلية / ٢١ حمراء .

واجهت الجنود المصريين فى الحجاز ، ولذا فقد أمر محمد على بانسحاب خورشيد باشا على رأس قواته من نجد ليلتحم بجنود الشريف محمد بن عبدالمعين ويهاجما سويا الجديدة ويعملان على تسكينها (١) .

هذا على الرغم من أن الشريف أبن عون قد رفض اعطاء قبائل حرب الأمان وأخذ يشتت شملهم وأحرق ديارهم . واقتلع نخيلهم حتى أجبرهمالى اللجوء اليه بعد أن ذاقوا الذل والهوان (٢) .

ويبدو أن الشريف لم يحقق ارادة محمد على تحقيقا كاملا فأرسل اليه محمد على رسالة فى الثانى من جمادى الثانية سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م يوبخه فيها على التقصير ولكنه ما لبث أن عاد محمد على الى كسب وده وارضاء خاطره برسالة بعث بها اليه فى ٢ من جمادى الأولى سنة ١٢٥٦ هـ تضمنت احالة أمر تدبير وإدارة كافة البلدان الحجازية الى عهدته واستدعاء أحمد باشا وخورشيد باشا الى مصر ، كما عهد الى الشريف أيضا بواجبات إخضاع القبائل الثائرة مع استبقاء كل العساكر المرتزقة (الباشيبوزق) وترحيل كل عساكر الجهادية بإعادتهم ال مصر ، كما طلب محمد على من الشريف تعيين قائد كفء على العساكر المرتزقة ليتولى بهم أمر الحفاظ على جهات المدينة وإدارة شئونها تحت رعايته ، وأضاف محمد على فى تعليماته بأن يقوم الشريف بالتنبيه على المختصين بوضع مقايس عن الذخيرة اللازمة لمدة سنة لهؤلاء المرتزقة الذين سيظلون تحت إدارته وما يلزم من مبالغ لهم لإرسالها من مصر (٣) .

ولم يمض إلا ثلاثة شهور وبضعة أيام حتى تحرك أحمد باشا بالآلاى التاسع عشر إلى مكة لينتقل منهامسرعا الى جدة التى كانت تستقبل أفواج الجنود المصريين القادمين من اليمن والذين كانوا يصلون تباعا من القنفذة ، وكان من المقرر أن يصطحب أحمد باشا فى رحلته الى مصر

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٨٧ محفظة سايره من الجناب العالى الى حضرة الشريف محمد بن عبدالمعين (١٣ من ربيع الأول سنة ١٢٥٦ هـ) .

(٢) أنظر : دحلان - خلاصة الكلام ص ٣١١ .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٩٢ المحفظة سايرة الجناب العالى إلى حضرة صاحب الدول والسيادة والسعادة ولدنا الاكرم (٢ جمادى الثانية سنة ١٢٥٦ هـ) .

الآلاى الثالث عشر من جدة (١)

وقد أرسل الشريف برسالة إلى محمد على يبلغه فيها بإقلاع السفن التى تحمل الآلاى التاسع عشر والثالث عشر بصحبة أحمد باشا من جدة فى طريقهم الى القصير ، كما كتب الشريف إلى محافظ ينبع بسرعة إرسال كل السفن إلى ميناء جدة لنقل الجنود وأنه (أي الشريف) صمم على الشخوص بنفسه إلى جدة للتأكيد على الموظفين بسرعة إتمام عملية سفر الجنود على الرغم من قيام محافظ جدة بواجباته خير قيام (٢) .

وقد أصبح الجنود المصريون يتدفقون فى أمان ويسر إلى مصر ، لكن مشكلة نقل الذخائر الكثيرة والمهمات والجباخانات (٣) . المصرية من الحجاز إلى مصر باتت تحتاج إلى حل لكثرتها ، مما أضطر محمد على إلى تركها كلها فى الحجاز بعد تقويمها وحصرها لتخصم أثمانها من قيمة الخراج المقرر على للدولة العثمانية ، ويبدو أن (المهمات والمؤن) كانت كثيرة جدا لدرجة أن صنف العدس وحده بلغ ثلاثة وعشرين ألف أردب بمكة ، ويقاس على ذلك بقية الأصناف (٤) . وقد تشكلت لجنة مصرية حجازية عثمانية لتصفية الأموال المصرية فى الحجاز ، فأحصت جميع المهمات والذخائر الموجودة به للمصريين وراجعت الأوراق ، وقومت ذلك بأثمانه وأبقته فى الحجاز بعد تعهد العثمانيين بقبوله مما يستحق على مصر من الخراج المقرر عليها (٥) .

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة ٢٣٥ - المحفظة ٢٦٩ عابدين - من أحمد شكري بمكة الى صاحب الدولة - (١١ من رمضان سنة ١٢٥٦ هـ) .

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقة ٧٠ أصليه ٤٥ حمراء - المحفظة ٢٦٩ عابدين - من الشريف محمد بن عون الى باشمعاون الخديوى (١١ من رمضان ١٢٥٦ هـ) .

(٣) الجبخانة تطلق فى اللغة التركية على المكان الذى يودع فيه الأسلحة والذخائر والجبرتى كان يستخدم الجبخانة بمعنى الذخيرة نفسها وليس بمعنى المستودع .

* أنظر : د/ أحمد السعيد - تأصيل ما ورد فى الجبرتى ص ٦٥ .

(٤) ابن زيني دحلان - خلاصة الكلام - ص ٣١٢ .

(٥) أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ٥٢٨ .

وأعتقد أن هذا الحل كان مرضيا لكل الأطراف ، أما الأمر الذى شغل فكر الجميع فهو استكمال ترحيل جميع جنود الجيش المصرى بعد إتمام تجمع جنود كل فرقة من شتات شبه الجزيرة وارسالهم الى مصر فى أمان ، ولم تكن السفن المصرية والحجازية المتاحه تكفى لهم ولمهماتهم ومؤنهم فاضطر محمد على إلى استئجار سفن أخري اسلامية ، ومما لا شك فيه هو أن محمد على تكلف كثيرا من الأموال لنقل جنود الجيش المصرى وضباطه بحرا وبرا الى مصر . أما الرواتب التى عينها محمد على فى الحجاز فقد أصبح لها شأن آخر ، اذ أن محمد على كان قد رتب معاشات ومرتبات لكثيرين من الأشراف وغيرهم ، كما أنه أبطل دفاتر جراية القمح القديمة المرتبة لأهالي مكة على النظام العثمانى عندما وجدها تصب فى أيدي التجار والموثرين مع حرمان الفقراء منها على الرغم من تخصيصها فى الأصل لهم ، ثم رتب القمح للفقراء (١) فى دفاتر حديثة علي النظام المصري . وهذه تعد واحده من محاسن محمد على فى الحجاز .

ولقد استقر الأمر بعد خروج جيوش محمد على من الحجاز علي أن تبقى تلك الرواتب والجرايات فى الحجاز كما هى رلا أنها تحول على حساب الخزينة العثمانية .

تدخل محمد على لعزل والى جدة :

بعد رحيل جند محمد على من الحجاز بقيادة أحمد باشا وأمين باشا إلى مصر وخلو منصب والى ولاية جدة ، وجهت الدولة العثمانية إليها عثمان باشا تاتار (٣) شيخ الحرم النبوى الشريف ليجمع بين ولاية جدة ومشيخة الحرم المكى وذلك فى سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م (٤) .

---

(١) ابن زيني دحلان - خلاصة الكلام - ص ٣١٢ .

(٢) أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ٢٩ .

(٣) أنظر : ابن زينى دحلان - خلاصة الكلام - ص ٣١١ .

(٤) يذكر عبدالقدوس الانصاري : أن تولية عثمان باشا تاتار كان فى سنة ١٢٥٧ هـ /١٨٤١م أنظر موسوعة تاريخ جدة المجلد (١) دار مصر للطباعة ط ٣ القاهرة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ص ٣٢٢ والمرجع مر ما ذكرناه لأن ابن زينى دحلان معاصر للأحداث أما الأنصارى هو حديث وجاء بعده .

وقد ظل عثمان باشا على وفاق وود مع شريف مكة محمد بن عبدالمعين بن عون حتى سنة ١٨٤٤/١٢٦٠ م ثم حدث بينهما شقاق واختلاف بسبب سعى بعض الناس بالوشاية عند عثمان ضد بعض أمراء الأشراف كان منهم الشريف سلطان بن شرف والشريف عبدالله بن يزيد ، وفحوى هذه الوشاية أن هؤلاأ الأمراء يزيدون فى مقدار الزكاة التى يحصلونها من رعاياهم ولا تحصل الخزانة منهم إلا على النذر اليسير ، فثار عثمان فى الأمراء مهددا إياهم ، وكان ذلك سببا فى اشعال العداوة بين عثمان وشريف مكة ابن عون ، وعلى أثر ذلك التجأ عثمان باشا إلى جده ، وتوجه الشريف إلى الطائف وظل كل منهما ينتظر الرد على شكواه التى أرسلها الى استانبول ضد صاحبه ، وقد أخذ قرناء السوء فى ترسيخ الوقيع بين الطرفين مما أدى إلى استعانة كل منهما بوسائله ضد الآخر أما عثمان باشا فأنه أرسل إلى الدوله فى طلب الشريف عل بن غالب الذى كان يقيم فى دار السلطنة ، وقد أذنت له الدوله بالتوجه إلى الحجاز ، فلما وصل الى مصر فى طريقه إلى الحجاز سنة ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥ م أكرمه محمد على باشا غاية الاكرام ، وبقى بمصر ثلاثة أيام ثم توفى بعدها مباشرة ، قيل أنه مرض ، وقيل أنه مات مسموما.(١) .

يقول ابن زينى دحلان : (٢) " وأرسل عثمان باشا إلى الدولة يطلب منهم إرسال الشريف على بن غالب إلى مكة ، وأظهر أن القصد بذلك حضوره عند أهله لحفظ أموالهم " .

وابن دحلان بهذه العبارات يبين لنا الحقيقة وهى أن عثمان كان يظهر خلاف ما يبطن وعلى ما يبدو فان عثمان باشا كان قد أرسل الى حكومته شكواه ضد شريف مكة محمد بن عون طالبا تغييره وتعيين آخر بدلا منه ، وربما رشح خلفا له الشريف على بن غالب فوافقت الدوله العثماني على شخوصه إلى مصر ومنها إلى الحجاز ، خاصة وأن الشريف أبن عون يعد من رجالات محمد على باشا، وقد ساعد محمد على ابن عون فى تولى إمارة مكة ، فكان طبعيا أن يتوجس العثمانيون خيفة من اتحاد الشريف ابن عون مع محمد على وتصديهما للسياسة العثمانية فى الحجاز ، لذا فقد بادر العثمانيون بارسال الشريف على ابن غالب إلى الحجاز تلبية لمطلب عثمان باشا والى جده

---

(١) ابن زينى دحلان - خلاصة الكلام - ص ص ٣١٣ - ٣١٤ .

(٢) ابن زينى دحلان - خلاصة الكلام - ص ٣١٣ .

ويساعد على ترجيح هذا ما ذكر من أن الأخبار عندما حملت نبأ توجه الشريف ابن غالب من دار السلطنة إلى مكة كثرت الأراجيف بها وشاع بين الناس أنه إذا وصل ابن غالب إلى مكة يتم صراد عثمان باشا ويقبض على الشريف بن عون .

ولما حل الشريف ابن غالب بمصر أكرمه محمد علي باشا ، لكنه مات بعد ثلاث ليال كما سبق أن ذكرنا ، والله أعلم بموته إن كان طبعيا أم مات مسموما ، فان كان قد مات مسموما **فان موته هذا يرجع بلا شك ما ذكرنا** ومما يؤيد هذا الترجيح أن الشريف ابن عون بعث إلى محمد على فى سن ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥ م برسالة أعلمه فيها بما حدث من عداء بينه وبين عثمان ليعمل على نصرته . وبادر محمد على باشا بتقديم رغبته إلى الدولة لعزل عثمان باشا من الولاية على جدة وأن تكتفى الدولة ببقائه فى مشيخة الحرم المدنى فقط (١) .

وقد **استجابت الدولة إلى مطلب محمد على وحققت رغبته** . فلما جاء أمر العزل الى عثمان داخله الحزن فمات من ليلته ، وقيل أنه سم نفسه (٢).

وقد أسندت الدولة العثمانية ولاية جدة الى شريف باشا وجعلته واليا على الحجاز ، وكان شريف باشا قبل ذلك من موظفى مشيخة الحرك المدنى لسنوات طويلة بلغت أربعة عشر سنة . (٣)

وجدير بالذكر أن حسيب محمد باشا صاحب الاصـلاحات المعروفة قد تولى بعد شريف باشا على الحجاز فى سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م والذى أراه أن الدولة العثمانية قد أضطرت إلى إجابة وساطة محمد على بعد أن فقدت رجلها على بن غالب . وهى فى هذا الموقف تنطلق من مبدأ " **مجبر أخاك لا بطل** " وتحاول فى الوقت نفسه أن تتفادى إغضاب محمد على لتلتقط أنفاسها تمهيدا لتغيير الموقف كله بما يتفق وسياستها فى الحجاز .

وللذلك : نجد أنه لما توفى محمد على ، انتهزت الدولة أول فرصة فعزلت الشريف محمد بن عون سنة ١٢٦٧ هـ / ١٨٥١ م من شرافة مكة ، وجلبته هو وأولاده إلى استانبول ثم عينت

---

(١) ابن زينى دحلان - خلاص الكلام - ص ٣١٣ ، ٣١٤ .

(٢) ابن زينى دحلان - خلاصة الكلام - ص ٣١٤ وانظر : عبدالقدوس الانصارى موسوعة تاريخ جده م ١. ص ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(٣) د / محمد عبدالله آل زلفة - اصلاحات حسيب باشا فى ولاية الحجاز كما جاء فى الوثائق العثمانية - منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسيكية والتوثيق والمعلومات - زغوان - ١٩٨٨م - ص٦٧ .

الشريف عبدالمطلب بن غالب بدلا منه (١) .

وهذا بالاضافة الى ما سبق الإشارة إليه وهو أن الاشراف افترقوا إلى فريقين أولاهما : **آل عون** الذين ناصروا محمد عل باشا ... وثانيهما : **آل غالب** الذين ناصروا الدولة العثمانية .

الدور المصرى فى الصراع بين الحجاز وعسير
فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر

يستطيع الباحث أن يؤرخ للتدخل المصري فى عسير ببداية حملة محمد على على شبه الجزيرة إذ آتخذ محمد على عسير معبرا انطلقت منه قواته الى نجد ، حيث كانت عسير تتبع الدرعية فى ذلك الوقت ، وكان والى عسير حينئذ : طامى بن شعيب . وقد تمكنت الحملة المصرية بعد تعزيزها بجيش على رأسه محمد عل نفسه من تطويق عسير من الشمال والغرب ، ثم هزمت العسيريين وأسرت قائدهم : **طامى بن شعيب** وبعثت به الى مصر مكبلا ، ومن مصر أرسل الى **اسلامبول** حيث لقى هناك **نهايته المحتومة** (٢) .

إلا أن هذا الصراع فى تلك الحقبة بين الحجاز ومصر من جهة ، وعسير من جهة أخرى يمكن **التأريخ له من بداية تولى عائض** بن مرعى أمير عسير فى سنة ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٨ م إلى سنة ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م عندما استسلم محمد بن عائض للقوات العثمانية ، وتم إعدامه .

ففى سنة ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٨ م توفى على بن مجثل أمير عسير ، فتولى عائض بن

---

(١) اسماعيل حقى أوزون جارشلى - أمراء مكة المكرمة فى العهد العثمانى - ترجمة د/ خليل على مراد - مركز دراسات الخليج - بجامعة البصرة سنة ١٩٨٥م ص ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٢) د/ عبدالكريم غرايبه - قيام الدوله السعودية العربية ص ٨٥ .

وانظر : محمود شاكر - شبه الجزيرة العربية - نجد ص ١٩٧ .

مرعى[1] الامارة حسب وصية ابن مجثل واتفاق زعماء القبائل العسيرية الذين تمسكوا به لدهائه وكفاءته وورعه .

فلما تولى عائض بن مرعى إمارة عسير، رفض بعض الأشراف المتأمرين على البلدان المتنازع عليها بين الحجاز وعسير إمارته ونهضوا للانتقام من العسيريين فى صيبا وأبو عريش [2] . بيد أن عائض بن مرعى زعيم عسير بادر بالزحف عليهم ووقع بين الطرفين معارك جانبية أحس عائض فيها بسطوة الأشراف فأضطر الى مهادنتهم عندما علم بخبر وصول قوات حجازية بقيادة الشريف محمد بن عون الى بلاده (٣) .

وقد تزعم عائض الثورة على الدولة العثمانية ومصر معا .. فهاجم عدة بلدان تابعة لها ، بعضها تسكنها قبائل بنى شهر وبيشة (٤) ، وبعضها الأخر عرف ببلاد غامد وزهران .

وهذا ما دفع محمد على إلى أن يصدر أوامره إلى جيشه بإخماد ثورة العسيريين على أن يقود

---

(١) يعد عائض بن مرعى المؤسس الحقيقى لأسرة ال عائض فى عسير ، وقد كان عائض من أهل ريدة ، من قبيلة عسر ، وكان فى مبدأ أمره من أصحاب الأبل المعروفين فى منطقة عسير ،ثم ورث الامارة عن عمه على بن مجثل فى سنة ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٨ م .

* أنظر : خير الدين الزركلى - الوجيز فى سيرة الملك عبدالعزيز - دار العلم للملايين - بيروت ط ٤ - ١٩٨٤م ص ٦٧ .

(٢) كانت أبو عريش تابعة إداريا للحجاز فى ذلك الوقت ، أما صبيا فكانت تتبع عسير .

* أنظر : هاشم بن سعيد النعمى - تاريخ عسير فى الماضى والحاضر - ج ١ ص ١٨٨ .

(٣) عبدالله بن على بن مسفر - السراج المنير - فى سيرة أمراء عسير .. مؤسسة الرسالة ط ١ - ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م ص ٨٣ .

(٤) تقع قبيلة بنى شهر فى منطقة قائمقامية النماصى الواقعة شمال أبها وشرقى القنفذة ، ويبلغ عدد أفراد قبيلتى بنى شهر خمسون ألف نسمة ،وهى فرع من قحطان .. أما بيشة فانها عبارة عن واد يقع بين متصرفيه عسير ومدينة الطائف ، ويتبع بيشة أربع قبائل هى : المحلف ، وأكلب ، ومعارية ، وبنى سلول) .

* أنظر : شرف البركاتى - الرحلة اليمانية ص ص ١٠٠ ، ١٠١ .

هذا الجيش الشريف : محمد بن عون (١) ويبقى أحمد باشا محافظ مكة فى مكة ليتولى أمرها وأمر إمداد الجيش المتجه الى عسير (٢)

ولقد دارت رحي معارك عنيفة بين الفريقين انتهت فى مرحلتها الأولى بهزيمة العسيريين حيث تمكنوا من شن هجوم شديد على قوات الحملة فى أبها انتهى بضرب حصارهم عليها ، بيد أن هذا الحصار لم يطل أمده ، اذ تم الصلح بينهما ، فقد كان الحصار شديدا على قوات الحملة من جهة ومن جهة أخري خشى العسيريون من وصول نجدات مصرية وحجازية لفك الحصار فيقع الجيش العسيرى بين شقى الرحى . وعاد على أثره الشريف محمد بن عون إلى مكة ملقيا اللوم فى فشله على أحمد باشا محافظ مكة الذى لم يمده باحتياجات جنده من الذخائر والمؤن ، وفى الوقت نفسه رمى محافظ مكة شريفها بالتقصير وحمله تبعات فشله مما حدا بمحمد على أن يطلب حضورهما اليه فى مصر ليتخاصما أمامه (٣) . وكان من أمرهما ما سبق توضيحه وهو بقاء ابن عون فى مصر حتى سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م وعودة أحمد باشا الى الحجاز للاستعداد لقتال العسيريين .

وقد تمكن أحمد باشا من استخلاص بلاد غامد وزهران فى سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧ م إلا أنه تعذر عليه التقدم نحو بنى شهر وبلاد عسير نظرا لهجوم العسيريين المكثف على حملته وتمكنهم فى سنة ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م من استرداد بلاد غامد وزهران . ومع ذلك فقد ظل أحمد باشا يقود حملته على عسير طوال سنتين آخرين دون أن يحقق نتائج حاسمة (٤).

---

(١) يذكر هاشم النعمى فى كتابه - تاريخ عسير فى الماضى والحاضر ص ٨٧ ك أنه كان مع الشريف ابن عون كل من أحمد باشا محافظ الحجاز ، ودوسرى بن عبدالوهاب بن عامر (أبو نقطة) المتحمى وقد ثبت أن أبا نقطة كان ملازما للحملة على عسير أما محافظ مكة أحمد باشا فقد ظل باتفاق باقى المصادر مقيما فى مكة لامداد جنود الحملة باحتياجاتها .

(٢) أحمد السباعى - تاريخ مكة - ج ٢ - ص ٥٢١ .

(٣) ابن زينى دحلان - خلاصة الكلام ص ٣١٠ وانظر : هاشم النعمى - تاريخ عسير جـ ١ ص ١٨٧ ومابعدها .

(٤) أحمد السبعى - تاريخ مكة - جـ ٢ ص ٥٢١ .

ولقد كانت هناك صعوبات جمة تعوق تقدم الحملات المصرية التى تستخدم الأسلحة الثقيلة كالمدافع الكبار وغيرها ، حيث تعوقها وعورة الطرق المشهورة بكثرة ارتفاعاتها وانخفاضاتها ، وقد كان هذا يؤدى إلى تعثر حركة الجيش ، فى حين يظل الجيش المعادى متمتعا بحرية الحركة والمناورة، حيث يعتمد على طريقة حرب العصابات فى الكر والفر السريع وانتهاز الفرص ، حتى أن مسألة إنزال المدافع الثقيلة من مكان يدعى الربدة على جبل مرتفع كان يستدعى اتصالات القادة من بلاد عسير الى مصر ، وتشاور المختصين هناك حول هذه المسألة ، ثم إرسالهم مهندسا خبيراً ليقود عملية الإنزال [١]، وبلا شك كان هذا مما صرف الجيش المصرى عن بعض عمليات المباغتة والفر والكر وغير ذلك مما يلزم لنجاح مثل هذه الحملات الحربية .

كما كانت هناك معضلة أخرى حول استمالة أفراد القبائل فى عسير حيث كان الأمير عائض بن مرعى - زعيم الثورة فى عسير - يفرد لهم مرتبات شهرية تراوحت بين خمسة وثلاثين قرشا وخمسة وستين قرشا لكل فرد حسب مركزه فى قبيلته [٢] . فكان من الصعب على مصر استمالة هؤلاء وكفاية مرتباتهم خاصة وأن زعماء هذه القبائل طلبوا أن تدفع الحكومة المصرية لكل فرد خمسة ريالات للفرد شهريا ، وتدفع لكل شيخ يرأس مائة فرد خمسة وعشرين ريالا [٣] فى الوقت الذى كان فيه مرتب الجندى فى الجيش المصرى لايزيد على خمسة عشر قرشا شهريا (٤)، ومعنى ذلك أن الأمير

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة ٥ أصلية ١٩٢ حمراء ومرفق - المحفظ ٢٢٦ عابدين - تركى العلايا من أحمد باشا سر عسكر الحجاز الى حسين باشا باشمعاون الخديوى (١٤ من ربيع الأول سنة ١٢٥٥ هـ) .

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقة ١٢ أصلية ١٥٥ حمراء - المحفظة ٢٦٦ عابدين تركى - من أحمد باشا إلى الباشمعاون من الطائف (٢٥ من جمادى الأولى سنة ١٢٥٥ هـ) .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة ١٤ أصلية - المحفظ ٢٦٦ عابدين - من أحمد شكرى إلى الباشمعاون الخديوى (١١ من شوال سنة ١٢٥٥ هـ) .

(٤) كانت الرواتب فى مصر - شأنها شأن جميع ولايات الدولة العثمانية - تعتبر منخفضة جدا عن نظيراتها فى الأمم الأخري ، وهذا راجع بالتأكيد الى ما كانت عليه الخزائن العثمانية من فقر ، كان يتسبب كثيرا فى التوقف عن دفع رواتب العمال وتأخيرها كثيرا ، مما كان سببا فى تعدي الموظفين والجند العثمانيين على الأهالى .

==

عائض كان يعطى جنود القبائل ضعف عطاء محمد على أو أكثر (١) .

أضف إلى تلك المصاعب : تعدد القادة واختلاف مشاربهم ، فمنهم الحجازيون ومنهم أشراف مكة ، ومنهم أشراف اليمن ، ومنهم مصريون وغير ذلك ، بينما كان العسيريون بقيادة واحدة وعسكرا أهليا واحدا (٢) .

التدخل المصرى فى عسير فى عهد عباس باشا الأول :

لم يلمح الباحث بين ثنايا المصادر أى نشاط سياسى لمصر فى شبه الجزيرة يستحق الذكر بعد خروج محمد على منها سوى التدخل المصرى فى خلع والى جدة عثمان باشا تاتار - كما سترى بعد - .

غير أن هروب **فيصل بن تركى** من سجنه بمصر سنة ١٢٥٩ هـ /١٨٤٣ م كان منعطفا تاريخيا خطرا فى مسار الأحداث السياسية فى شبه الجزيرة العربية (٣) .

= أنظر : الأمير مصطفى فاضل باشا : من أمير الى سلطان ، ترجمة أحمد فتحى زغلول باشا - نشر توفيق الرافعى - القاهرة ١٩٢٢ ص ص ١٤ ، ١٥ / وهو عبارة عن رسالة بعث بها الأمير مصطفى ابن ابراهيم باشا الى السلطان عبدالعزيز سنة ١٨٦٦ م .

(١) د/ محمد محمود السروجى -الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر - دار المعارف بمصر ١٩٦٧ م - ص ٢٢.

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقة ٣ أصلي ٥٠ حمراء المحفظة ٢٦٩ عابدين من أحمد شكرى الى صاحب الدوله (١١ من المحرم سنة ١٢٥٦ هـ) .

(٣) تولى فيصل بن تركى بن عبدالله بن محمد بن سعود أمر الدولة السعودية الثانية بعد اغتيال أبيه سنة ١٢٥٠ هـ/١٨٣٤ م ، ولم يستمر حكم فيصل سوى أربع سنوات ونصف حيث تمكنت قوات محمد على من استعادة حكم نجد واعتقال فيصل ، وارساله أسيرا إلى مصر مع بعض أهله ، إلا أنه تمكن من الهرب من سجنه بعد أن بقى به خمس سنوات ، وعاد ليتولى زعامة بلاده .

أنظر : نهاد الغادرى - التحدى الكبير - بيروت - ١٩٦٥ م ص ٣٠- وقد اختلف المؤرخون فى أمر هروب فيصل من سجنه ، فادعى الريحاني : أن محمد على أطلقه ليعيده حاكما على نجد ، ولم يعلل =

فقد استطاع الأمير فيصل بن تركى تكوين ملك آبائه السعوديين من جديد فى نجد وما حولها، وأخذت عسير تبعث بولائها إلى نجد كيدا للاشراف فى الحجاز ولمحمد على وخليفته فى مصر، وللدولة العثمانية فى استانبول (١) .

وقد انتهى عهد محمد على بمرضه ، وتوقفه عن إدارة دفة الحكم فى مصر ، لضعف أصابه فى قواه العقلية ، فتولى ابنه ابراهيم باشا مقاليد البلاد فى جمادى الأولى سنة ١٢٦٤هـ /

= الريحانى سبب ذلك بينما يذكر دحلان : أن عباس الأول قد سهل له أمر الهرب ، وأعد له عدته لصداقة حميمة جمعت بينهما ، ويذكر المختار : تفاصيل الهروب عن طريق حبل تدلى به فيصل هو وولديه وابن عمه من شرفة السجن .

أنظر : الريحانى - نجد وملحقاته - ص ٩٥ ، ودحلان - خلاصة الكلام - ص ص ٣١٢ ، ٣١٣ ، وصلاح الدين المختار - تاريخ المملكة - م ١ ص ٣١٨ .

والذى أرجحه : أن فيصل بن تركى تمكن من الهرب بمساعدة الحكومة المصرية سواء من محمد على أو بإيعازه ، ودليلى ما يأتى :

أولا : موافقة فيصل على دفع مبلغ عشرة آلاف ريال فرنسى لشريف الحجاز على الرغم من عدم الوفاء بها فى الغالب .

ثانيا : ما ذكره الخديوى اسماعيل باشا فى رسالته التى بعث بها فى سنة ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣ م إلى فيصل (ومن القديم مؤكد ومثبوت انتسابكم لمحبة الجهة المصرية) مما يدل على سابق الود المصرى .

ثالثا : فشل خالد بن سعود الموالى لمصر فى الاحتفاظ بزعامة نجد ، وتولى ابن ثنيان المعادي لمصر ربما دفع مصر للزج برجل لها فضل عليه فيحفظ ودها ، فكان أن سهلت هروبه لتولى عرش أبائه .

أنظر : دار الوثائق القومية - الوثيقة ٤١ صفحه ٨١ أوامر عربى دفتر ١٩٠٧ م أمر إلى الأمير فيصل أمير ولايات نجد (٢٥ من ذى الحج سنة ١٢٨٠ هـ) .

وأنظر :

R.Boyly winder - Saudia Arabia in the Ninteenth century .

New York - 1965 - P. 179-180 .

(١) محمود شاكر - شبه جزيرة العرب - (نجد) ص ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

ابريل سنة ١٨٤٨ م ، ولكنه لم يستمر طويلا حتي وافته المنية في ١٠ من نوفمبر سنة ١٨٤٨ م /١٢٦٤هـ (١)- في حياة أبيه .

وقد كان عباس حلمي (ولي العهد) في الحجاز ، فلما توفي ابراهيم باشا : أرسلت السفينة الانجليزية التي كانت رابضة في ميناء السويس إلى جدة ، حيث أقلته إلى مصر ليتولى مهام منصبه(٢) ، في آخر سنة ١٢٦٤ هـ / نوفمبر سنة ١٨٤٨ م .

وفي عهده توفي جده محمد علي باشا في ١٣ من رمضان سن ١٢٦٥ هـ / أغسطس سنة١٨٤٩ م (٣) .

وفي عهد عباس الأول : عاد التدخل المصري في شئون الحجاز وعسير - ففي سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥٢ أصدرت الدولة العثمانية فرمانا إلى عباس باشا بتجريد حملة كبيرة لقتال ثوار عسير الذين ما فتئوا يهددون بلاد الحجاز وتوابعها (٤) .

---

(١) لم يستمر إبراهيم اشا في حكم مصر طويلا ، فقد أصيب بالتهاب رئوي مفاجئ أودى بحياته ، ويذكر في ذلك أنه تناول زجاجتين من الشمبانيا كانتا في درجة البرودة الشديدة أثناء وجوده في جو شديد الحرارة مما كان سببا في أصابته بالالتهاب الرئوي .

أنظر : Earl of cromer : Modern Egypt vol 1 London 1908 -P. 19 .

وهذه الرواية فيها ما يدحضها ويقلل من قيمتها وهو أنه في منتصف القرن التاسع عشر لم تكن هناك آلات تتمكن من تبريد السوائل بدرجة برودة شديدة تتسبب في وفاة أنسان .

(٢) أمين سامي - تقويم النيل وعصر عباس حلمي الأول ومحمد سعيد باشا م ١ ، جـ ٣ -مطبعة دار الكتب - القاهرة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م ص ٣ .

(٣) عبدالرحمن الرافعي - مصر المجاهدة في العصر الحديث - القاهرة ١٩٥٨م ص ١٤٣ .

(٤) وجدير بالذكر أن : أحمد السباعي يذكر تاريخ حملة عباس باشا سنة ١٢٨٢ هـ وهو خلط في التواريخ نجده كثيرا في المصادر والمراجع السعودية خاصة مصادر تاريخ عسير .. أنظر : أحمد السباعي - تاريخ مكة - ص ٥٣٧ .

وتنفيذا لفرمان الدوله سير عباس باشا الأول حملة مكونة من عشرة الاف جندى نظامى لاخضاع ثوار عسير ، فاتجهت هذه الحمله إلى ينبع ثم نزلت فى المدينة المنورة (١) .

ويذكر البعض (٢) : بأن محمد بن ناصر (٣) خرج من المدينه المنورة فى جمادى الثانية من السنة نفسها على رأس حملة مصرية مع عرب حرب قبل وصول حملة عباس باشا السالف ذكرها - وقد قامت هذه الحملة بالهجوم على بعض المناطق ثم عادت إلى المدينة .

ثم يذكر الباحث أن عباس باشا أعد حملة عسكرية لاخماد ثورة عسير ، وأنه قد أوعز إلى قواته التى فى المدينه باللحاق بها ، لتعضيدها فى قتال الثوار العسيريين مما يوحى بأنه كانت هناك قوات مصرية بقيت فى المدينةبعد رحيل قوات محمد على من شبه الجزيرة العربية ، لكن **الذى أطمئن إليه** هو أن محمد على قد سحب قواته جميعها وأن القوات العثمانية حلت محلها ، أما تلك القوات المصرية التى خرجت من المدينةمع الحملة المصرية الى عسير ، فقد تكون بعض فرق قوات عباس باشا التى تقدمت القوات كطلائع ونزلت المدينة لتجهيز الساحة للجيش .

ولقد سببت تلك الحملة كثيرا من القلق والترقب ، وأطلقت بسببها الكثير من الاشاعات ولا سيما فى نجد ، فما أن أشيع نبأ وصول قوات عباس باشا فى رمضان سنة ١٢٦٨ هـ / ١٨٥٢ حتى كثرت **الأراجيف** بأن تلك القوات تريد **احتلال نجد** ، ولذلك أمر فيصل بن تركى أميرنجد **بتعبئة قواته**،

---

(١) الأمير سعود بن هذلول - تاريخ ملوك آل سعود - ط ١ - ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م ، ص ص ١٤٣ ، ١٤٤.

(٢) كما ذكر مؤرخ نجدى آخر نفس الرواية ، بيد أنه لم يشر إلى وجود جنود مصريين بين تجريدة محمد بن ناصر حيث أكتفى بقوله " خرج محمد بن ناصر من المدينة فى تجريدة الاتراك ، وانضم اليه كثير من بادية حرب " وربما يقصد بالاتراك هناك : الجيش المصرى . انظر : الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى النجدى - عقد الدرر فيما وقع فى نجد من الحوادث فى آخر القرن الثانى عشر وأول الرابع عشر تحقيق عبدالرحمن بن عبد اللطيف ال الشيهخ ط وزارة المعارف السعودية ص ٩ وانظر صلاح الدين المختار - تاريخ المملكة العربية السعودية - م ١ ص ٣٤٥ .

(٣) لم يذكر لنا صلاح الدين المختار هوية محمد بن ناصر والراجح عندى أنه قائد محلى من أشراف الحجاز على الرغم من تزعمه تجريدة مصرية ، وهذا وارد .

وأرسل إلى أمراء المناطق التابعة له فى طلب النفير (١) .

وهذا فى اعتقادى رعب وقع فيه أهل نجد نظرا لأن وقائع حملات محمد على مازالت ماثلة فى أذهانهم بقسوتها وعنفوانها .

ومما لا شك فيه أن فيصلا لم يكن يقصد من استنفار القبائل الدفاع عن عسير أو مدافعة الهجوم المصرى عن المناطق التابعة للسعوديين ، وانما كان هدفه الوحيد هوحماية نجد من الغزو المصرى الحجازى بعد ما بلغته أنباء الحملة ، والدليل على ذلك أن فيصلا حينما واتته الأخبار بأن عباسا باشا قد أرسل قوات عسكرية ضخمة مع القوات التى بالمدينة الى عسير بقصد منازلة الثوار فيها وأن القوات المصرية والحجازية أخذت طريقها بالفعل الى هناك أمر فيصل بتفرق جنوده ، وعاد مطمئنا الى الرياض (٢) .

وعلى الرغم من ضخامة تلك القوات القادمة من مصر والحجاز للقضاء على الثوار فى إقليم عسير اذ انضمت إلى الجيش المصرى أعداد كبيرة من قبائل حرب ومطير وغيرهم إلا أن **عائض بن مرعى** زعيم الأقليم **تمكن من هزيمة تلك القوات** بعد عدة مواقع وقعت بين الجانبين فى سنة ١٢٦٩ هـ / ١٨٥٣ م (٣) .

وهذا الانتصار الذى حققه بن مرعى **يعد غريبا** إذا علمنا أن منطقه عسير قد قاست طوال سنين عدة من ويلات داء الطاعون الذى انتشر فيها من سنة ١٢٦٦ هـ / ١٨٥٠ م الى سنة

---

(١) ابراهيم بن عبيد آل عبد المحسن – تذكرة أولى النهى والعرفان – ص ٩١ وأنظر : ابراهيم النجدي – عقد الدور – ص ٩ .

وانظر : R.Boyly - Saudia Arabia . P 182 -183 .

(٢) صلاح الدين المختار – تاريخ المملكة العربية السعودية م ٢ ص ٣٤٥ .

(٣) أنظر : الأمير سعود بن هذلول – تاريخ ملوك آل سعود ص ١٤٣ ،وأنظر تفاصيل تلك المواقع عند : عبدالله بن مسفر – السراج المنير – ص ص ٨٤ / ٨٥ وأمين الريحانى– نجد وملحقاتها ص ٩٦ وابراهيم صالح النجدى عقد الدرر – ص ١٠ مع الاحتراز من التواريخ التى يذكرها حيث تشتمل على أخطاء كثيرة إلا أنى استقيت منها لذكرها بعض التفصيلات أكثر من غيرها .

١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦ م وأودى بحياة الكثيرين وعلى رأسهم أميرهم عائض بن مرعى الذى توفى فى سنة ١٢٧٣ هـ (١) .

ومن **الغريب** أن عائض عندما انتصر على الجيش المصرى فى عسير **أرسل إلى فيصل بن تركى مندوبين يحملون بشائر النصر ومعهم هدايا من الأسلحة** والعتاد التى غنمتها قواته بالاضافة الى **خمس الغنيمة الشرعى** (٢) وهذا على الرغم من عودة فيصل بجنوده دون نصرة أهالى عسير والوقوف معهم ضد الجيش المصرى المهاجم . بيد أن هدايا عائض إلى فيصل ما هى إلا إعلان صريح لولائه السياسى والمذهبى لنجد مهما كانت المواقف .

أما الحملة المصرية فانها انسحبت من عسير دون أن تحقق أي هدف من أهدافها .

وإذا كانت جيوش محمد على باشا قد حققت بعض أهدافها فى شبه الجزيرة العربية فإن حملة عباس باشا قد عادت دون أن تحقق أى هدف من أهدافها فى عسير .

التدخل المصرى فى عسير فى عهد اسماعيل باشا :

ظلت مشكلة بلاد عسير تؤرق العثمانيين وتابعيهم من الحجازيين ، وولاة مصر حتى أوائل عهد اسماعيل باشا .

فلقد ثار محمد بن عائض بن مرعى - أمير عسير - فى بداية عهد اسماعيل وأراد بثورته الاستيلاء على تهامة اليمن ، فحاول أمير الحديدة- وهو من الأشراف التابعين للدولة العثمانية - محاربته وصده فى بعض المواقع ، إلا أن أبن عائض استعجل أمره ، واستولى على بعض البلدان التابعة للدولة العثمانية كزهران وغامد (٣) .

---

(١) هاشم النعمى - تاريخ عسير فى الماضي والحاضر ج ١ ص ٢٠١ .
وانظر سعود بن هذلول - ص ١١٤٣.

(٢) عبدالله بن مسفر - السراج المنير ص ٨٥ ، وابراهيم بن عبيد - تذكرة أولى النهى ج ١ ص ٩٣
وأنظر أيضا : R-Boyly - Saudia Arabia . P. 183

(٣) عبدالرحمن الرافعى - عصر اسماعيل - جـ ١ دار المعارف ط ٣ القاهرة - سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص ١٩٧.

وفى الوقت نفسه كان لضم ابن عائض لبلاد غامر وزهران إلى عسير أثر خطير فى العلاقات بين حكام مكة وعسير إذ كانت بلاد غامد وزهران هى **الأرض الخصبة فى الحجاز** التى تعتمد مكة على محاصيلها الزراعية ، كما كان لهذا رد فعل خطير فى اسلامبول (١) أيضا .

لهذا أصدرت الدولة العثمانية أوامرها إلى اسماعيل باشا - والى مصر - بتجهيز جيش كبير من مصر ليشترك مع شريف مكة عبدالله بن محمد بن عون (٢) فى إخماد ثورة العسيريين فامتثل اسماعيل باشا ، وجهز قواته لهذا الشأن (٣) .

ويذكر بعض الباحثين أن الدولة العثمانية حاولت فى سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣ م ، الاستعانة بالأمير فيصل ضد حكومة آل عائض فى عسير (٤) .

إلا أن الحقيقة هى أن اسماعيل باشا هو الذى أرسل رسالة إلى الأمير فيصل بن تركى أمير نجد - بموافقة الدولة - يحثه فيها على قضاء لوازم واحتياجات جنود الحملة المصرية المزمع إرسالها إلى عسير لاخماد ثورتها وبذل الهم فى سبيل نجاح هذه الحملة ،كما حاول اسماعيل استمالته إلى جانب الدولة العثمانية والدولة المصرية معا ، كانت هناك علامات على ثبات فيصل على المودة والصداقة التى تجمعه وخديوى مصر حيث استمرت بينهما المراسلات والاتصالات وتبادل الهدايا(٥). " ومن القديم مؤكد ومثبوت انتسابكم لمحبة الجهة المصرية والقيام بقضاء ما يلزم لها من الأشغال ، فزيادة لاظهار ذلك أردنا أحاطتكم بما حصل به الشروع من هنا (٦) .

---

(١) هاشم النعمي - تاريخ عسير فى الماضى والحاضر - ج ١ ص ٢٠٤ .

(٢) تولى الشرافه بعد موت أبيه فى شعبان سنة ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٨ م وبقى فيها تسعة عشر عاما حتى وفاته فى ١٤ من جمادى الآخرة ١٢٩٤ هـ / يونيو ١٨٧٧ م أنظر اسماعيل حقى - أمرأة مكة فى العهد العثمانى ص ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٣) ابن زينى دحلان - خلاصة الكلام - ص ٣٢٤ .

(٤) محمود شاكر - شبه جزيرة العرب - ص ٢٠٦ .

(٥) أنظر : عبدالفتاح حسن أبو عليه -الدولة السعودية الثانية - (١٢٥٦ - ١٣٠٩ هـ / ١٨٤٠ - ١٨٩١) الرياض ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ص ١٥٣ .

(٦) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٤١ صفح ٨١ أوامر عربى - دفتر ١٩٠٧ أمر إلى الأمير فيصل أمير ولايات نجد (٢٥ منذى الحجة سنة ١٢٨٠ هـ) .

إلا أن فيصلا لم يقدم أية مساعدات - فيما يبدو - لعلاقته الطيبة بحكومة عسير (١). بيد أن اسماعيل باشا واصل أعماله لتنفيذ أوامر الدولة فأرسل على عسير قوة مكونة من ثلاث أورط (٢) من المشاة وزودها بالمدافع وكتائب الفرسان ، وعقد لواء قيادتها للأميرال اسماعيل صادق بك (٣) ، فلما وصلوا إلى ثغر جدة انضمت تلك القوات إلى قوات الدولة العثمانية بقيادة والى جد (٤) وجيهى باشا .

كما أنضمت قوات الحجاز من الأشراف بزعامة شريف مكة عبدالله بن محمد بن عون إلى القوات المصرية العثمانية ، وزحف الجميع : العثمانيون والمصريون والحجازيون متجهين إلى عسير ، فعلم بأمرهم ابن عائض فخرج فى قواته لملاقتهم فتواجه الطرفان فى المكان المسمى بالمخواة فى تهامة غامد ، وشرع الجيشان فى مناورة الحرب للدخول فى معركة حاسمة ، إلا أن ابن عائض رأى أنه لا قبل له بقتال تلك القوات المجتمعه عليه فآثر السلامة وأرسل فى طلب الصلح (٥) .

وفى الوقت نفسه أرسل الخديوى اسماعيل باشا برسالة فى ربيع الثانى سنة ١٢٨٢ هـ/١٨٦٥م

---

(١) محمود شاكر - شبه جزيرة العرب - ص ٢٠٧ .

(٢) أورط : جمع أورطه Orta وهى الميدان ، مكان الواقعة ، ثم أطلقت على الفرق المتأهبة لخوض الحرب. أنظر : د/ الفصائى أحمد المرسى - قاموس تركى عربى - القاهرة ١٩٧٩ - ص ٣٦٩ .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقه رقم ٥٣٧ - دفتر ٢١ عابدين من الجانب العالى إلى الأميرال اسماعيل صادق بك قائد العساكر المصرية (١٣ من صفر سنة ١٢٨١ هـ - ١٨٦٤ م) وأنظر : عبدالفتاح حسن أبو عليه - الدوله السعودية الثانية - (١٢٥٦- ١٣٠٩ هـ / ١٨٤٠ - ١٨٩١) الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ص ١٥٣ .

(٤) عبدالرحمن الرافعى عصر اسماعيل - جـ ١ ص ١٩٧ وجدير بالاضافة أن والى جده وشيخ الحرمين فى ذلك العهد كان يدعى محمد وجيهى باشا الذى توفى سنة ١٢٨٤ هـ أنظر : ابن زينى دحلان - خلاصة الكلام - ص ٣٢٤ .

(٥) هاشم النعمى - تاريخ عسير جـ ١ ص ٢٠٤ .، وانظر : أحمد السباعى - تاريخ مكة - جـ ٢ ص ٥٣٧ ، أحمد عبدالرحيم مصطفى علاقات مصر بتركيا فى عهد الخديوى اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) دار المعارف القاهرة ١٩٦٧م ص ٧٦ .

مع مندوب خاص هو أحمد أفندى اليمنى (١) إلى ابن عائض ذكره فيها بضرورة اتحاد القوى الاسلامية تحت طاعة السلطان وضرورة نصح المسلمين بعضهم لبعض ليكونوا يدا واحدة قوية على من يريد السوء بأهل الاسلام ، وعرض اسماعيل على ابن عائض وساطته عند السلطان فى طلب العفو له على أن يترك ابن عائض مناطق غامد ، وزهران وحلى ، ومفعص **للإيالة الحجازية** ، وأن تضم قبائل (بالقرن ، وشعران ، وبيشة) إلى عسير تحت مسمي المتصرفية العزيرية علي أن تكون تابعة للدولة العلية ، وتؤدى ما يقرر عليها من مرتبات طبقا لما تستلزمه التبعية ، وتعهد اسماعيل باشا أيضا بالتوسط لدى الدولة لمنح ابن عائض رتبة أمير الأمراء (باشا) متصرف عسير .

وبعد هذا الترغيب انتقل اسماعيل باشا فى رسالته إلي ترهيب ابن عائض فى حالة عدم جنوحه إلى الطاعة حيث ينقلب الحال من المودة إلى العداوة الكبرى ، وحذره من أنه إذا ركب رأسه سيسوق اليه الجيوش العظيمة من القاهرة لخراب دياره وسفك الدماء .

ثم وعده فى نهاية رسالته بكف اشراف الحجاز عن مهاجمة أرض عسير (٢) اذا رضخ للطاعة.

كما بعث اسماعيل باشا برسالة أخرى فى التاريخ السالف ذكره الى قائد قواته بالحجاز - اسماعيل بك صادق بأن يترقب عودة المندوب من لدن ابن عائض فان وفق فى واجباته فليظهر ذلك على الجميع ، وأن فشل فى مسعاه فعلى اسماعيل صادق أن يخفى أمر الرسالة ولا يبديها لأحد(٣) ، ويبدو أن الخديوى اسماعيل أراد من ذلك حفظ ماء الوجه وعدم الظهورر بمظهر الضعيف الذى قد يلمح فى السلم مما قد يفسر بتفسيرات مشينة .

---

(١) دار الوثائق القومية - وثيقة رقم ٩١٦ صفحه ٢٦ صادر عابدين- دفتر ٢٢ - عابدين - أمر صادر الى: أحمد أفندى اليمنى (١٤ من ربيع الثانى سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م).

(٢) دار الوثائق القومية - وثيقة رقم ٩٠ صفحة ٢٥ صادر عابدين - دفتر رقم ٢٢ - إلى الأمير بن عائض أمير عسير (١٤ من ربيع الثانى سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م) .

(٣) دار الوثائق القومية - وثيقة بدون رقم - محفظة سائرة- أمرصادر الى اسماعيل صادق بك (١٩ من جمادى الأول سنة ١٢٨٢ هـ).

وازاء ذلك عقدت فى مدينة القنفذة مباحثات للصلح فى أواخر ربيع الثانى سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م حضرها نيابة عن أمير عسير مندوب يدعى الشيخ لاحق ومثل الحجاز فيها أمير مكة الشريف عبدالله ، ومثل مصر مندوبها أحمد أفندى اليمنى (١) .

وقد تأثر محمد بن عائض بالترغيب والترهيب الذى ووجه به سواء فى رسائل اسماعيل أم فى جلسة المباحثات ورضخ للطاعة والانقياد للدولة العثمانية وتخلى عن جهات : غامد وزهران التى دا الصراع حولها والخلاف الأكبر بين الحجاز وعسير (٢) .

أما الباب العالى فانه سر بموقف اسماعيل باشا المخلص والمناصر له فأرسل إليه خطا هما يوني فى شعبان سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م أظهر فيه السلطان العثمانى سعادته وامتنانه لذلك ورضاء التام عنه (٣) .

فأرسل اسماعيل باشا الى الدولة العلية مطالبا إياها أن تبره بوعده الذي وعده لابن عائض حتى يستمر على الطاعة والخضوع دون ثورة جديدة ، وحتى لا يبقى اسماعيل فى حرج ازاء تعهده لأمير عسير (٤) .

وعلى الرغم من ذلك فان اسماعيل باشا لم ينتظر نتائج وساطته لدى الباب العالى فأرسل فى سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م أوامره الى قائد قواته فى عسير بتجهيز الجنود للسفر إلى مصر

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض الوثيقة رقم ٢/٦-٣ مجموعة الوثائق التركية - تقرير بشأن الصلح م مستشار ولاية الحجاز الى الصدارة العظمى (٢٥ ربيع الثانى سنة ١٢٨٢ هـ) .

(٢) هاشم النعمى - تاريخ عسير جـ ١ ص ٢٠٤ .

(٣) د / محمد محمود السروجى - الجيش المصرى فىالقرن التاسع عشر - ص ٤٠

(٤) دار الوثائق القومية - وثيقة ١٢٢ صادر عابدين قيد رقم ٢٢ الى كامل باشا (٥ من جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ هـ) .

الى أن تصل الباخرة الابراهيمية من سواكن (١) متجهة الى جدة ليحمل عليها أورطة من الجنود النظاميين لتقلع بها الى السويس ، وكلما وصلت باخرة يرسل عليها الجنود والمهمات بقدر استيعابها ، وبعد انتهائه من نقل الجنود النظاميين يشرع فى نقل جماعة السر سوارى (٢) بمهماتها ودوابها ، على أن يعود هو مع الفرقة الأخيرة باذلا أقصى جهد فى الحفاظ على المهمات والحيوانات أثناء النقل .

كما بعث اسماعيل باشا بمثل هذه الأوامر إلى والى الحجاز(٣) .. وفى هذا الشهر الذى صدرت فيه الأوامر بترحيل جنود الحملة المصرية وردت البشرى لأمير عسير حاملة نبأ منح الدولة العثمانية رتبة أمير الأمراء - باشا - لمحمد بن عائض طبقا لما وعده به اسماعيل باشا .

وقد ذكر اسماعيل باشا فى رسالته التى حملت هذه البشرى إلى ابن عائض سبب تأخر نوال هذه الرتبة وهو تأثير ما قيل فى الاستانة بشأن محمد بن عائض مما أوغر الصدور ضده ، كما ذكر اسماعيل باشا أن الفرمان السلطانى قد أرسل إلى والى الحجاز ليقوم بدوره بتسليمه إلى ابن عائض، ومما هو جدير بالاضافة أن رسالة اسماعيل التى بعث بها إلى أبن عائض حملها مندوب مصر الذى حمل الرسالة الأولى إليه وهو أحمد أفندى اليمنى (٤) .

---

(١) سواكن عبارة عن جزيرة تقع على خط عرض ١٩ ويتسع ميناؤها دون عمق كبير ، وكانت بها زراعة عامرة لقربها من طوكر الخصيبة وتبلغ المساحة المنزرعة بسواكن أحيانا ٤٥٠٠٠ر٠ فدان وتعتمد فى زراعتها على مياه السهول وخور بركة وسكانها من الأحرار كانوا يبلغون ١٠٠٠٠٠ر١ نسمه أيام الحكم المصرى . أنظر: شوقى الجمل تقرير من أحمد ممتاز باشا الى مهوردار الخديوى فى ١٤ من محرم سنة ١٢٨٨ هـ الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٥٩- ص١١٥ .

(٢) الفرسان .

(٣) دار الوثائق القومية - وثيقة بدون رقم - محفظة سائرة - إلى اسماعيل صادق بك (٧ من شعبان سنة ١٢٨٢هـ) .

(٤) دار الوثائق القومية - وثيقة ضمن المتفرقات ص ٩٣ صادر عابدين - دفتر ٢٢ الى محمد باشا بن عائض أمير عسير (بتاريخ ٢٨ من شعبان سنة ١٢٨٢ هـ) .

وقد ادعي الرافعي أن القوات المصرية والعثمانية تمكنت من إخماد الثورة ، وأن الأمير محمد بن عائض قدم إلى الدولة العثمانية طاعته ، وأن الفرقة المصرية عادت ظافرة مشكورة على ما أبلته في القتال (١) .

وكلام الرافعي يشير الى أن قتالا حدث بين الفريقين ، غير أن الحقيقة - كمنا قدمنا - هي انتهاء المواجهة إلى الوساطة بترغيب ابن عائض وترهيبه دون حدوث قتال يذكر . وكفى الله المؤمنين القتال .

ومما لا شك فيه أن استقراء الوقائع أشار الى حيقة طالما أثرت في مجرى الأحداث وهي أن أهالي عسير وزعامتهم آل عائض جبلوا على الثورة وخلع الطاعة وعدم التعود على الانقياد إلى أية سلطة أخرى سوى سلطتهم المحلية (٢) .

فعلى الرغم من كل ماحدث فإن محمد بن عائض باشا عاد في نهاية سنة ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٧ م إلى مهاجمة البلاد التابعة للحجاز مرة أخرى ودخل في طور العصيان من جديد مما حدا بأمير مكة ووالي الحجاز إلى الاستنجاد مباشرة بالخديوي اسماعيل دون الرجوع إلى الدولة العثمانية ، وقد انحصر طلب حاكمي الحجاز في أن يقوم الخديوي بإرسال رسالة لابن عائض يذكره فيها بالوعود والعهود المتبادلة فلبى الخديوي اسماعيل طلبهما وبعث إلى ابن عائض برسالة تحمل هذا التذكير ، ولما لم تجد هذه الرسالة فتيلا ،طلب هذان الحاكمان من الخديوي ارسال رسالة أُخري أشد لهجة وأن تحتوي على تهديد ووعيد (٣) ، فبعث الخديوي اسماعيل إلى ابن عائض برسالة ثانية احتوت على تهديد ووعيد .

---

(١) عبدالرحمن الرافعي - عصر اسماعيل - جـ ١ - ص ١٩٧ .

(٢) ولذلك فانني أرى أن ما قام به **الملك عبدالعزيز بن سعود** بعد نصف قرن يُعد في حد ذاته **انجاز عظيم** عندما قام بتوحيد تلك البلاد واخضاعها لسلطانه على الرغم من امكاناته الحربية المتواضعة في الوقت الذي فشلت فيه جيوش جرارة من أتراك ومصريين وحجازيين في هذا المضمار وقد تمكن عبدالعزيز لأول مرة من سوس قبائل العسير **صعبة المراس** .

(٣) دار الوثائق القومية - وثيقة رقم ٤٠٢ عابدين سجل ٢٤ - الى القبوكتخدا (٩ من المحرم سنة ١٢٨٤هـ).

وقد ذكرالخديوى اسماعيلي فى رسالته الأولى أنه لا يصدق ماأشيع من عصيان ابن عائض وتجهيزاته العسكرية التى أعدها على الحدود العسيرية الحجازية ، كما تضمنت رسالته هذه أنه أرسل إليه مع حامل رسالته بعض الهدايا الترغيبية وهى بندقية مذهبة من صنع مصر ومسدس ، وخيمة كبيرة بلوازمها وطبنجتان ، ثم أختتم رسالته بأنه يأمل دوام العهد القديم (١) .

أما الرسالة الأخري فانها كانت شديدة اللهجة ، فقد ذكر فيها الخديوى اسماعيل ما علمه من أخبار تخطى ابن عائض لحدود بلاده بقواته ، ونقضه العهود المبرمة بين الطرفين ، ثم نصحه بالعودة إلى الطاعة وإلى حدود بلاده حسما للشر وحقنا للدماء وحفظا للعهود ، وإلا فلا مفر من امتشاق الحسام ، ولا يكون بعده إلا الندم (٢) .

ويبدو من خلال متابعة الوثائق أن الدولة العثمانية قد استاءت من تصرف اسماعيل باشا حين يرسل مباشرة إلى أمير عسير يحذره ويتوعده دون الرجوع إلى استانبول أولا ، فاضطر الخديوى اسماعيل إلى تقديم ما يشبه الاعتذار إلى الدولة وذلك بشرح ما حدث وهو عدم معرفته بحقيقة الأمر حيث أن أمير مكة ووالى الحجاز لم يفسرا له الأمر جليا ، واكتفيا بذكر إحساسهما بأن هناك تحركات عدوانية ونظرا للاستعجال الزائد منهما لم يتمكن اسماعيل من مخاطبة الباب العالى (٣) .

ولعل اسماعيل قد بدأت عليه النزعة الاستقلالية فى اتصالاته مع جيرانه دون الرجوع إلى الدولة العلية (٤) .

---

(١) دار الوثائق القومية - وثيقة رقم ٣٤٣ صادر عابدين - السجل رقم ٢٤- إلى الأمير (محمد باشا بن عائض) قائم مقام العزيزية (٣ من ذى القعدة سنة ١٢٨٣ هـ) .

(٢) دار الوثائق القومية - وثيقة بدون رقم صفحة ١٠٦ عابدين - الدفتر رقم ٢٤ - من خديوى الاقطار المصرية وما والاها من الأقاليم السودانية إلى حضرة محمد باشا بن عائض قامقام صنجق العزيزية اليمانية (٧ من المحرم سنة ١٢٨٤ هـ) .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٤٠٢ عابدين السجل رقم ٢٤ - إلى القبوكتخدا (٩من المحرم سنة ١٢٨٤ هـ) .

(٤) كان أسماعيل قد وضع سياسته للحصول على الاستقلال التام بأساليب مختلفة عن أساليب جده محمد على ، وكان أول نجاح لاسماعيل هو إصدار الدولة لفرمانها الذى تضمن حصرحكومة مصر فى ذريته فى ١٢ من ==

ويبدو أنابن عائض ورجاله رأوا أنه من الحكمة الاستجابة لصوت العقل والحكمة الذى جاء فى رسائل الخديوى اسماعيل ، لهذا نراهم قد عادوا إلى السكينة والهدوء فى الفترة الواقعة بين المحرم سنة ١٢٨٤هـ/وأوائل سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ . لكن يبدو أن سياسة أبن عائض السلمية لم ترق بعض القبائل مثل قبائل رجال ألمع (١) التى ثارت على محمد بن عائض فى سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م غير أن : محمد بنعائض تمكن من أخماد ثورات تلك القبائل ، ولم يلبث محمد بن عائض أن أرسل إلى الشريف زيد بن حسين بن حيدر والأتراك العثمانيين الموجودين فى منطقة صبيا وفدا برئاسة لاحق بن مسفر لمفاوضتهم ، ومعرفة نواياهم وأخبارهم ، غير أن هذا الوفد عاد بدون تحقيق نتيجة تذكر لمفاوضاته (٢) .

ومما يثير الدهشة أن محمد بن عائض حاول فى جمادى الأولى سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م مراسلة الخديوى بعدة رسائل يخطب فيها وده ، ويطلب فى إحداها إرسال فنى لتصليح المدافع الموجودة فى عسير .

وقد جاء فى هذه الرسالة عبارة توحى بأن ابن عائض ربما أراد استمالة اسماعيل باشا ، والاتفاق معه على شئ ضد الدولة العثمانية والحجاز .

يقول ابن عائض فى رسالته هذه أنه حمل مندوبه بثلاث أمور مشافهة ، ثم يقول : " ولم

= صفر من العام نفسه ، ثم حصوله على سواكن ومصوع فى ذى الحجة سنة ١٢٨١ هـ / ومايو ١٨٦٥ م ، أنظر : د/ راشد البراوى – المركز الدولى لمصر والسودان قناة السويس جـ ١ – ط ١ – . – القاهرة – ١٩٥٢م ص ٣٤ .

(١) يطلق أسم " رجال ألمع " على القبائل التالية : قبيلة قيس ، وبنى زيد ، وبنى بكر ، وبنى قطبة ، وبنى عبد شحب ، وبنى شديدة ، وبنى عبدالعوض ، وتمثل هذه القبائل بمجموعها نصف عسير ، كما أنها تحتل فى حدودها الطبيعية مسافة ما بين درب شعبة جنوبا حتى تخوم محائل شمالا ، ومن الغرب ما بين سواحل القحم حتى قسم جبال سراة عسير ، وهذه المسافة تقدر بمائة كيلو تقريبا وعرضها مثل ذلك . أنظر : هاشم النعمى تاريخ عسير – جـ١ ص ٢٠٧ .

(٢) عبدالله بن مسفر – السراج المنير فى سيرة أمراء عسير – ص ٤ ومابعدها .

نشرح شيئا فى الكتاب لأجل الخطر من كثرة الحساد لنا بمحبتكم والتقرب منكم " (١) .

والمثير أيضا أن طلب ابن عائض لفنى يصلح المدافع من مصر كان قبل هجومه على القلاع العثمانية بشهرين اثنين فقط .

ثم أعلن في سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م قام محمد بن عائض ثورة عارمة على العثمانيين وحشد حشودا ضخمة ساقها على قلاعهم ، وأعمل فيها السيف ، ولم يتورع رجاله عن مداهمة الأهالى العزل مرتكبين فظائع كثيرة على غير رضا منه - كما تتحدث ذلك المصادر العسيرية - ثم أستولي على المخلاف السليماني ، وصبيا ، والزيدية وأبى عريض ، وحاول الاستيلاء على الحديدة ، لكنه فشل فى ذلك وعاد من حيث أتي ويبدو أن مرض الطاعون الذى تفشى فى رجاله هو الذى كبح جماحهم (٢) .

وما أن علمت الحكومة العثمانية بثورة ابن عائض ونقضه العهود والمواثيق واستيلائه على بعض المواقع والبلاد العثمانية حتى دفعت فى سنة ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م بحملة عكسرية كبيرة بلغ قوامها عشرين ألف مقاتل . وقد تشعبت هذه الحملة الى ثلاثة جيوش ثم سلك كل جيش من جيوشها الثلاثة طريقا معينا متجها صوب مواقع الثوار العسيريين فسلك الجيش الأول : طريق صنعاء قيادة أحمد بك وسلك الجيش الثانى طريق جدة بقيادة أحمد مختار باشا ، وسلك الجيش الثالث : طريق الطائف بقيادة عاطف بك والشريف عبدالله بن محمد بن عون .

ومما يجدر ذكره أن الشريف عبدالله جمع معه جنودا من قبائل حرب وعتيبة وبادية الحجاز .

ولقد تمكنت القوات العثمانية والحجازية من الاستيلاء على المواقع العسيرية الواحدة تلو الأخرى بعد لأى ومشقة (٣) .

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ١٢٥ - المحفظة ١٩ بحر برا - من محمد بن عائض الى فخامة دولة الخديوى الأعظم (غرة جمادى الأولى سنة ١٢٨٧ هـ) .

(٢) هاشم النعمى - تاريخ عسير - ج ١ ص ٢٠٨ ، ص ٢٠٩

(٣) المصدر السابق - ص ٢١٢ ومابعدها .. وانظر : عبدالله بن مسفر السراج المنير - ص ٩٦ ومابعدها.

واستولت قوات رديف باشا على محمد علي - في أدنى الحدود العسيرية مما يلي ثغر القنفذة، ثم واصلت زحفها في اتجاه منطقة محائل واستولت على الجهات التي في طريقها حتى تمركزت في منطقة بارق ، وتمكنت في العاشر من ذي الحجة سنة ١٢٨٨هـ / ١٨٧٢ م من اقتحام محائل واستولت عليها وقد أتخذ رديف باشا قائد هذه الحملة من محائل مركزا لقيادته ثم تقدم بقواته في حذر فاستولى على مضيق دالك بعد انسحاب رجال ألمع منه ، ثم أستولى على (عقبة صماء) ثم خاض بقواته معركة طاحنة مع قوات محمد بن عائض فتمكن من دحرها واستولى على جبل تهلل ثم خاض معركة مشابهة بحهة حصن الصعيد انتهت بهزيمة العسيريين وبذلك استطاع رديف باشا أن يصل إلى منطقة تريب ... العاصمة العسيرية (السقا) .

وقد لاحق رديف باشا المنهزمين الى منطقة الحفيز وانتصر عليهم في معركة سريعة ، ثم تابع فلولهم التي تجمعت في ريدة - وقد دام القتال عدة أيام في منطقة ريدة دون أن يحقق العثمانيون نصرا عسكريا حاسما فاتفق القائدان : مختار باشا ورديف باشا على الإحاطة بالمنطقة من الخلف بعد أن أذاعا إشاعة فحواها سفر مختار باشا بقواته ، وبذلك تمكن القائدان من تطويق محمد بن عائض ورجاله فاضطروا إلى التسليم في أوائل سنة ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م .

والذي يعنينا في هذا المقال أمران :

الأمر الأول :

عدول استانبول عن الاستنجاد بجيش القاهرة والاعتماد على القوات العثمانية والحجازية وحدها ، وذلك فيما يبدو لسببن اثنين:

أولهما : هو أن الحملة التي أرسلها الخديوي اسماعيل باشا إلى عسير من قبل لم تحسم الموقف ولم يكلف الخديوي اسماعيل نفسه خوض معارك فاصلة مع العسيريين بل أكتفى برسائل الترغيب والترهيب وطلب وألح في طلب الاعتراف بولاية محمد بن عائض على متصرفية عسير مع مكافأته بلقب أمير الأمراء - باشا - الذي أدخل عليه الغرور وجعله يتصرف فيما حوله تصرف الملوك .

ثانيهما : هو أن الدولة لم تنس بعدما حدث من جده (محمد علي) الذي استشرى أمره عندما أحرز

انتصارات فى شبه الجزيرة العربية وبدأ يفكر فى ابتلاع أجزاء كبيرة من ممتلكات الدولة العثمانية وهدد استانبول نفسها كما هو معروف .

الأمر الثانى:

هو أن الدولة العثمانية على الرغم من عدولها عن طلب الاستنجاد بالجيش المصرى فإنها طلبت من مصر أن تتكفل بإرسال المؤن الغذائية وهى خمسمائة ألف أقة من الأرز ، وخمسين ألف أقة من السمن ، وخمسة عشر ألف أقة من السكر لتلك الفرق العسكرية الشاهانية .

وقد أصدر اسماعيل باشا أوامر مؤكدة ومشددة إلى كتخداه بإعداد وتجهيز الكميات المذكورة على أن يرسل نصفها إلى ميناء الحديد والنصف الآخر إلى المواضع التى يحددها رديف باشا أحد القادة العثمانيين .

ومما يجدر ذكره أن تلك المؤن لم تكن تبرعا بلا حساب ، فلقد ذكر اسماعيل فى ختام رسالته أن: " أثمان هذه الأشياء ومصاريفها سيرسل بها كشف فيما بعد ".

كما عرض الخديوى اسماعيل فى رسالته هذه استعداده لتلبية أى طلبات أخرى (١) تحتاجها الدولة ، ويقصد الخديوى اسماعيل بهذا الكشف اقامة مقاصة بين اثمان هذه الأشياء وأموال الخزانة المقررة للدولة على مصر . وجدير بالذكر أن محمد بن عائض وقع فى قبضة الجيش العثمانى بأمان أحد قواده وهو مختار باشا إلا أن قائد القوات رديف باشا لم يعترف بالأمان وأمر بإعدام محمد بن عائض ومعه عدة أشخاص ، بينما أرسل العديد من رجال عسيرا إلى استانبول (٢) وبهذا خلصت عسير للعثمانيين وظلت تحت حكمهم فترة طويلة من الزمن تعاقب ولا تهم حكمها خلال هذه الفترة .

الصراع بين مصر والحجاز على إدارة سواكن ومصوع :

من المعروف أن البحر الأحمر قد لعب دورا خطيرا فى القرن التاسع عشر كطريق ملاحى بين

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ١٢٧٢ عابدين - سجل رقم ٢٤ - من الديوان الخديوى الى الباب العالى (١٨ من ذى القعدة سنة ١٢٨٧ هـ) .

(٢) ابن زينى دحلان - خلاصة الكلام - ص ٣٢٥ .

الشرق والغرب ، وقد تأثرت مصر بحكم موقعها على هذا البحر خاصة بعد اكتشاف البخار واستخدامه فى المواصلات البحرية .

وقد تضاعف دور البحر الأحمر بعد اتصاله بالبحر المتوسط وفتح قناة السويس للملاحة فى نوفمبر سنة ١٨٦٩ م شعبان سنة ١٢٨٦ هـ .

ولقد أدركت فرنسا قدر البحر الأحمر فى وقت مبكر وحاولت احتلال مصر للسيطرة على موقعها واتخاذه رأس حربه موجهة إلى عدوتها اللدود انجلترا فكان هذا دافعا لانجلترا لتتجه بأنظارها هى الأخرى إلى مصر بعد أن وعت قدرها فى الميدان الدولى .

وثمة ظاهرة أخري برزت فى هذه الحقبة وهى ارتباط النشاط البحرى فى البحر الأحمر بالصراع الاستعمارى فى أفريقيا بصفة عامة وارتباطه بالصراع الاستعمارى فى الساحل الشرقى من القارة الأفريقية بوجه خاص . إلا أن مصر نفضت عن كاهلها السبات فى عصر اسماعيل وعمدت الى تثبيت أقدامها فى المناطق الاستراتيجية من هذا الساحل قبل أن تسبقها الدول الاستعمارية إليها وأعظم تلك المناطق سواكن ومصوع وملحقاتها (١) وهاتان المحافظتان كانتا تحت سيطرة الدولة العثمانية إذ استطاعت ضمهما إلى ولاياتها فى النصف الثانى من القرن السادس عشر بعد جهاد طويل ضد البرتغاليين فى البحار ومنذ هذا الوقت قامت الدولة العثمانية ببناء القلاع والتحصينات فى تلك المنطقة، كما قامت بإلحاقها بإيالة جدة فى أواخر القرن السادس عشر وأطلقت عليها اسم ولاية الحبش(٢) .

---

(١) د/ شوقى عطا الله الجمل : سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ص ٥ ، ٦ .

(٢) كان أول من لمس أهمية السواحل الحبشية للسيطرة على سواحل البحر الأحمر هو أزدمر باشا الذي كان واليا على اليمن سنة ٩٥٦ هـ / ١٥٤٩ م وقد زين أزدمر للسلطان سليمان القانونى مشروع السيطرة على الساحل الحبشى فأمر له بعسكر عظيم بلغ ثلاثة الاف تمكن بهم من السيطرة على المنطقة وألحق بها جده وعين أزدمر واليا عليها .

أنظر : نوال سراج ششة –جدة فى مطلع القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) طبع مكة المكرمة سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ص ص ٩٠ ، ٩١ .

نظرا لأنها تعد من مخارج بلاد الحبشة وثغرها على البحر الأحمر (١). وقد كان يلي حكم هذه المناطق والى جدة وكان يطلق عليه والى جدة وشيخ الحرم ووالى سواكن ومصرع (٢) . أو والى جده وشيخ الحرم ووالى إيالة الحبش .

وهكذا ظلت سواكن ومصوع تابعتين لإيالة جدة طوال قرنين ونصف قرن من الزمان حتى أوائل القرن التاسع عشر حيث تقلبت سواكن ومصوع فى تبعيتهما بين مصر والحجاز عدة مرات وهذا ما سنوضحه فيما يلى :

أولا : فى عهد محمد على :

فى أوائل القرن التاسع أدت انتصارات محمد على فى حروبه بشبه الجزيرة العربية إلى إصدار السلطان محمود الثانى فى شوال سنة ١٢٣٥هـ / يوليو سنة ١٨٢٠ م فرمانا بتعيين (ابراهيم باشا بن محمد على) واليا على باشوية جدة . وبسبب تبعية سواكن ومصوع لإيالة جدة صار إبراهيم يعرف بمتصرف جدة والحبشة (٣) . وظل الأمر كذلك إلى أن تآمرت الدول الأوربية على محمد على وأخرجته من شبه الجزيرة العربية والحجاز فى سنة(١٢٥٦ هـ / ١٨٤١ م) ثم صدر الفرمان العثمانى فى ٢٠ من ذى الحجة سنة ١٢٥٦هـ / ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ بفرض قيود ثقيلة الوطأة على (محمد على) ومن الواضح أن العثمانيين استغلوا فى هذا الموقف تألب الدول الأوربية على مصر.

ومما يجدر ذكره أن هذا الفرمان أغفل ذكر منطقة السودان الشرقى - سواكن ومصوع - مما أدى إلى بقاء هذين الثغرين تابعين لإيالة جدة " جاء فى هذا الفرمان :

---

(١) د/ محمد على حلة - سياسة مصر فى مصوع وملحقاتها (إريتريا) ابان الحكم العثماني ١٨٦٥- ١٨٨٥ مجلة كلية اللغة العربية - العدد الرابع ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م جامعة الأزهر القاهرة ص ٢٤٩ .

(٢) عثمان صالح سبى - تاريخ اريتريا دار الكنوز الأدبية - ط . بيروت ١٩٨٤ م ص ٦٤ وعبد القدوس الانصارى - موسوعة تاريخ جده - م ١ ص ٣١٨ .

وشوقى الجمل - تاريخ سودان وادي النيل - ج ٢ مكتبة الانجلو ١٩٦٩ م ص ١٥ .

(٣) سعد الحلوانى - الحكم المصري فى سواكن وملحقاتها (١٨٦٥ - ١٨٨٥) رسالة ماجستير أجيزت فى كلية اللغة العربية سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ص ٢٩ .

" وقد ثبتكم على ولاية مقاطعات النوبة والدارفور وكردفان وسنار وجميع توابعها وملحقاتها الخارجية عن حدود مصر ، ولكن بغير حق التوارث " (١) .

ولكن الدولة العثمانية عهدت إلى محمد على باشا بإدارة الجمركين فيهما منذ التاسع عشر من رمضان سنة ١٢٦٢ هـ ١٢ من سبتمبر سنة ١٨٤٦ م أى فى أواخر حكمه وفى مقابل ذلك تعهدت مصر بأن تدفع مبلغا سنويا إلى خزانة ولاية جده (٢) وكان **المتحكم في الجمرك يجمع بين يدية السلطتين المالية والحربية** وبمقتضى ذلك كان يسيطر على الميناء والمناطق المحيطه به كذلك (٣) ماليا وعسكريا .

وقد كان محمد على يرى أن سواكن ومصوع ضروريتان للسودان ، وأنهما منفذان له على البحر الأحمر خاصة لإقليم التاكا وعاصمته كسلا ، فاجتهد لضمهما إلى السودان ، وقد كللت مساعيه بالنجاح ، ففاز بهما على سبيل الإيجار الذي قدر بـ ٢٥٫٠٠٠ جنيه فى العام (٤) أى أن مصرالتزمت بدفع نسبة من جمارك الثغرين إلى خزانة جدة ودفع أجر الثغرين السنوى المتفق عليه إلى خزانة اسلامبول مباشرة .

ثانيا : فى عهد عباس :

ولم تستمر تبعية الميناءين لمصر كثيرا فعندما تولى عباس حلمى الأول حكم مصر بعد وفاة عمه ابراهيم باشا فى ١٤ من ذي الحجة سنة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨م بادر بتسليم الميناءين إلى إياله جدة فى ١٤ من المحرم سنة ١٢٦٥ هـ / نوفمبر ١٨٤٨م أى بعد شهر واحد من تسلمه السلطة فى مصر (٥)

---

(١) رئاسة مجلس الوزراء - السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١ الى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣م المطبعة الأميرية - ١٩٥٣ - ص ١ .

(٢) د/ محمد عبدالله آل زلفة - اصلاحات حسيب باشا ص ٨٩ .

(٣) أنظر محمد فؤاد شكري - مصر والسيادة على السودان - الوضع التاريخى للمسألة - دار الفكر العربى - القاهرة سنة ١٩٤٦ ص ص ٢٢ - ٢٣ .

وأنظر : سعد الحلوانى - الحكم المصرى فى سواكن وملحقاتها ص ٣٠ .

(٤) عبدالرحمن الرافعى - عصر اسماعيل - ج ١ ص ١١١ .

(٥) السيد رجب حراز - التوسع الايطالى فى شرق أفريقيا وتأسيس مستعمرتى أريتري والصومال - مطبعة جامعة القاهرة - القاهرة ١٣٦٠ هـ / ص ٧١ .

وقد أصدر عباس الأول أمره فى (١٤ من المحرم سنة ١٢٦٥ هـ / نوفمبر سنة ١٨٤٨ م) إلى أمير جمرك سواكن متضمنا ما يلى :

" ابتداء من سنة ١٢٦٣ هـ قد أحيلت إدارة بندر سواكن من ضمن ملحقات إيالة جدة إلى مصر لادارة شئونها بطريق الالتزام نظير البدل المتفق عليه ، وحيث اقتضى الحال الآن كف يد الحكومة المصرية عن ادارتها من المحرم سنة ١٢٦٥هـ وعن إدارة الكمرك واعادته لجهة الايالة المذكورة ، فبوصول هذا اليكم بادروا بتسليم الكمرك المذكور مع متعلقاته إلى مندوب صاحب الدوله والى جده الذى سيحضر من قبل دولته للاستلام وبعد اتمام عملية التسليم والتسلم استصحبوا معكم جميع المستندات الدالة على المبالغ التى سددت لخزينة الإيالة المذكورة ابتداءا من تاريخ إدارتها لغاية شهر ذى الحجة سنة ١٢٦٤ هـ لاجراء المحاسبة بموجبها مع الدفاتر والأوراق والموظفين .. والأمل أن تحضروا فى أقرب وقت وتحرر لكم هذا للاحاطة " (١) .

ومما لا شك فيه **أن عباسا لم يكن مهتما بأمر السودان** ومنافذه على البحر الأحمر مثل اهتمام جده محمد على باشا وعنايته به حتي أنه لم يفكر يوما فى زيارة ذلك الأقليم الكبير ليشاهد بنفسه شئون البلاد وأهلها (٢) .

وقد دفعه عدم اهتمامه بالسودان وعدم اعتنائه بأموره إلى ترك ذينك الميائين مصوع وسواكن - لإيالة جدة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخري فإن عباسا الذى كان يقضى حياته منعزلا قد آثر عدم الاحتكاك بأطماع الدول الأخرى مثل الحبشة والدول الأوربية الى كانت تتحين الفرصة للتدخل فى شئون المنطقة (٣) .

ثالثا : فى عهد الخديوى اسماعيل :

زاد الأهتمام المصرى بشكل غير عادى بسواكن ومصوع فى عهد الخديوى اسماعيل حتي عادت إلى الأذهان أمجاد محمد على باشا ، فلم يقتصر الخديوى اسماعيل على المطالبة بتأجير الميناءين

---

(١) أمين سامى - تقويم النيل - م ١ جـ ٣ ص ١٤ .

(٢) عبدالرحمن الرافعى - عصر اسماعيل - ج ١ ص ١١١ .

(٣) د/ محمد على حلة - سياسة مصر فى مصوع وملحقاتها - ص ٢٥٠ .

فحسب بل أنه عمل على إلحاقهما كاملين بالأملاك المصرية (١) . وعندما استقر عزم مصر على ذلك، أمر الخديوى اسماعيل أمين الدفترخانة (٢) فى جمادى الثانية سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م بنسخ صورتين من الرسالة التى بعث بها الكتخدا باشا إلى القبوكتخد المندوب الوالى المصرى فى الأستانة - فى سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م والخاصة بترك مصر الإشراف على سواكن ومصوع وإرجاعها إلي إيالة جدة ، كما طلب اسماعيل نسخ صورة رد القبو كتخدا حول هذا الموضوع فى عهد عباس باشا (٣) الأول وذلك لوضع هاتين الصورتين تحت الدراسة تمهيدا لضم المدينتين وملحقاتهما إلى مصر ، وقد بدأت مساعى اسماعيل بجدية فى أواخر سنة ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤ م عندمنا أوعز إلى مندوبه بالإستانه (القبو كنخدا) محمد كامل بضرورة تحريك موضوع طلب إلحاق محافظتى سواكن بالإدارة المصرية وانتزاعها من إيالة جدة .

وقد عدد اسماعيل حججه ومبرراته فى طلب إلحاق سواكن ومصوع بمصر فى رسالته التى بعث بها إلى وكيله محمد كامل ليحتج بها أمام المسئولين العثمانيين فى الباب العالى ، ومن أبرز هذه الحجج والمبررات ما يلى :

أولا : فرار العربان الذين يقطنون مقاطعة التاكى السودانية من دفع ما عليهم من أموال أميرية والتجائهم الى سواكن ومصوع نظرا لخروجهما عن دائرة الهيمنة المصرية .

ثانيا : خطورة هؤلاء الفارين وهذه الخطورة تكمن فى امكانية سيطرة بعض الجهات الأجنبية عليهم كالحبش واتخاذهم كأدوات للافساد والتحرش بالمصالح المصرية .

ثالثا : القضاء على النخاسة وعلى عمليات الخطف التى يقوم بها الأجانب الأوربيون بصورة وحشية مع اشاعتهم أن الفاعل هم الأتراك ممايسئ إلى الدولة العلية (٤) .

---

(١) عبدالرحمن الرافعى - عصر اسماعيل ج ١ - ص ٢٢ .

(٢) أمين دفاتر المالية فى مصر .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٢٩ سجل رقم ٥٤٩ معية تركى صفحة ٧٣ من المعية إلى أمين الدفترخانة (٢٧ من جمادى الثانية ١٢٨١ هـ) .

(٤) دار الوثائق القومية - الوثيقة التركية رقم ٥٩ عابدين - دفتر رقم ٢١ صفحة ٢٢٨ -

تلك هي أقوى الحجج والمبررات التى أحتج بها الخديوى اسماعيل لدى الدوله العثمانية .

أما الدول الأوربية فقد لجأ الخديوى اسماعيل إلى تبرير موقفه أمامها بأن أعلن أن عملية القضاء على تجارة الرقيق التى تسعى اليها تلك الدول لا تتم إلا بوضع هذين الميناءين تحت سيطرة إدارة تتميز بالحزم والشدة ، وأن تبعية تلك المناطق لجدة لن يحقق الاشراف الجيد عليها نظرا لبعدها وعدم إحكامها السيطرة عليها . (١)

والذى أطمئن اليه هو أنه كانت هناك أسباب أخرى ودوافع أعظم قوة وأكبر قدرا من تلك الأسباب التى أحتج بها الخديوى اسماعيل ، وهذه الأسباب وتلك الدوافع جعلت مصر تلح فى طلب ضم هاتين المحافظتين إليها :

أولا : افتقار السودان - التابع لمصر - إلى منفذ بحرى يتم بواسطته تصريف المنتجات السودانية وتسهيل الاستيراد ، وتذليل التحركات العسكرية والمدنية من والى السودان بوجه عام ولا سيما أن الطرق البرية يعاب عليها طولها ووعورتها .

ولهذا وجدنا أن الادارة المصرية حولت كل الصادرات والواردات ومعظم الانتقالات إلى طريق سواكن البحرى (٢) .

وإزاء رغبة مصر الملحة فى ضم هذين الثغرين وعد الخديوى اسماعيل الدوله العثمانية بدفع قيمة الخزنة الذى يوازى ما كان يجبى من الميناءين وملحقاته ما إلى خزينة جدة سنويا (٣) . ولم يترك الخديوى اسماعيل - فى سبيل نيل مأربه هذا - **بابا مشروعا متاحا أو غير متاح دون أن يطرقه** - واستخدم كل خبراته ووسائله الخاصه لتحقيق هدفه . وأول ما بدأ به هو استمالة فؤاد باشا الصدر الأعظم إذ أرسل اليه رسالة تضمنت شكره على جهوده فى هذا الشأن بعد أن تقرر عرض الطلب المصرى على مجلس الوزراء العثمانى ، وأوصاه فى رسالته هذه بضرورة بذل

= من أفندينا الى معتمدة بالاستانة (٢٧ من رجب سنة ١٢٨١ هـ) .
وأنظر المكاتبة التركية رقم ٩٩ عابدين دفتر ٢١ صفحة ٢٧ من أفندينا الى معتمدة فى الاستانة (٧ من ذى القعدة سن ١٢٨١ هـ) .

(١) صلاح الدين الشامى - الموانى السودانى - مكتبة مصر - القاهرة ١٩٦١ م ص ١٣٤ .

(٢) دار الوثائق القومية - محافظ ابحاث السودان ، المحفظة ١٧ - دفتر رقم ٤ فى ٢٣ من ذى الحجة سنة ١٢٨٢هـ . ، وأنظر : الدفتر : الدفتر رقم ٥٥٨ معية تركية - الوثيقة رقم ٢٧ - ص ٥٩ - ارادة سنية الى حكمدار السودان فى ٢٨ من صفر سنة ١٢٨٣ هـ .

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة - الوثيقة التركية رقم ٥٩ عابدين - الدفتر رقم ٢١ صفحة ٢٨٨ من أفندينا الى معتمده فى الاستانة - بتاريخ ٢٧ من رجب ١٢٨١ هـ .

الجهود فى سبيل تعديل الشروط المقترحة وتسويتها على أحسن وجه (١) .

وقد عضد اسماعيل باشا مسعاه الخصوصى بواسطة من بيدهم الحل والعقد فى الآستانة ، فاستطاع أن يضمن تأييدهم بعد أن أنفق فيهم مبلغا كبيرا من الذهب (٢) ، ويبدو أن فؤاد باشا الصدر الأعظم قد ناله نصيب كبير من هذا المبلغ لأنه وعد القبوكتدا قبل انعقاد مجلس الوزراء - الذى سيعرض أمامه أمر المحافظتين - ببذل الجهد وانتزاع الموافقة رغم أنف المعارضين (٣) . وكان من بين المعارضين وزير المالية فى الآستانة الذى كان يشكك في علاقة واتصالات مصر بوالى الحجاز (وجيهى باشا) محتجا بأن هذا الوالى كان موقفه الرفض فى البداية ثم تحول عنه (٤) وتفصيل ذلك أن الدوله العثمانية أرسلت إلى والى الحجاز رسالة تستفسر منه عن قيمة دخول مصوع وسواكن حتى يتسنى لها حساب قيمة الخزنة المفروض على مصر بعد أيلولة المحافظتين إليها .. فاهتبل والى الحجاز هذه الفرصة ورد رافضا ضم سواكن ومصوع إلى مصر وأخذ يعدد فى رسالته مدى الخسارة التى ستلحق بدوائر الرسوم الواقعة فى كل من جدة واليمن بالاضافة إلى ما سيصيب الخزانة العثمانية من خسارة ، ثم ذكر والى الحجاز فى رسالته هذه أن جمرك جدة سيخسر أيضا بسبب ذلك ما يوازى مائة ألف قرش سنويا .

ولم يكتف هذا الوالى بمعارضته المستميته لمشروع ضم سواكن ومصوع إلي مصر فأطلق شائعة فحواها أن إنشاء السكك الحديدية فى السودان سيجعل السفن تعرج على سواكن مباشرة وهذا سيتسبب فى تعطيل دوائر الجمارك والملاحات فى جده واليمن (٥) .

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة التركية رقم ٥٩ عابدين الدفتر رقم ٢١ صفحة ٢٢٨ من أفندينا الى معتمدة فى الاستانة بتاريخ ٢٧ من رجب ١٢٨١ هـ .

(٢) د / مكى شبيكة - السودان عبر القرون - لجنة التأليف والترجمه والنشر - ط سنة ١٩٦٦ - ص ١٣٦ .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٦٧عابدين - الدفتر٢١ - ص ٢٣٦ من أفندينا إلى معتمدة بالآستانه بتاريخ ١٩ من شعبان سنة ١٣٨١هـ .

(٤) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٦ عابدين - المحفظة رقم ١٤٢ - إلى عتبات الحضرة الفخيمة الخديوية - بتاريخ ١٧ من ذى القعدة سنة ١٢٨١ هـ .

(٥) دار الوثائق القومية - الوثيقة التركية رقم ٦٥ عابدين تركى - المحفظة رقم ١٤٢ من والى جده الى مقام الصداره (٨ من ذى القعدة سنة ١٢٨١ هـ).

بيد أن مندوب الخديوى فى الآستانة كان متيقظا تمام اليقظة مدركا كل ما يجرى من حوله فأرسل الى الخديوي ينبهه الى خطورة معارضة والى الحجاز وضرورة احتوائه بأى شكل ، فرد عليه الخديوى بقوله : " لقد صرت ممنونا جدا من ملاحظتكم الدقيقة التى بعثتم بها ببطاقة على حده فيما يتعلق بمينائى مصوع وسواكن . وسنعمل ما يلزم حسب اشارتكم للحصول على موافقة والى الحجاز بهذا الخصوص (١) .

وقد أدت معارضة الحجاز فى البداية إلى ظهور عدة شروط تداولها مجلس الوكلاء فى اسلامبول وعلق البت فيها على وصول الرد من والى جدة على بعض الاستفسارات التى أرسلت اليه (٢) .

ولم يقف اسماعيل مكتوف الأيدى ازاء معارضة والى الحجاز فبادر بإرسال أوامره إلى المندوب المصرى بجده - على جودة بك - بضرورة اجتماعه مع شريف مكة - ووالى الحجاز لاقناعهما بالموافقة على ضم الميناءين إلى مصر . وعدم ابداء اعتراضهما على هذا الضم ، وقد انتهز الخديوى اسماعيل فرصة إمداده مكة بخمسة آلاف أردب من الحنطة ، ملوحا بما يمكن أن تجنبه الاعتراضات الحجازية من سوء الأثر فى العلاقات المصرية الحجازية (٣) .

وقد كللت مساعى الخديوى اسماعيل بالنجاح بعد أن أستخدم أسلوب الترهيب والترغيب فوافق والى الحجاز على مشروع ضم سواكن ومصوع الى مصر بعد لأي وبعد أن خفف كثيرا من لهجته المعارضه (٤) .

كما وافق أيضا على هذا المشروع أمير مكة الشريف عبدالله بن محمد (٥) . فبعث الخديوى

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة بدون رقم - الدفتر ٢١ عابدين - صفحة ٢٤١ - من أفندينا الى معتمده فى الاستانة كامل بك (٢٥ من شعبان ١٢٨١هـ) .

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقة ٥١ عابدين - الدفتر ٢١ صفحه ٢٣٨ - من أفندينا إلى الباب العالى (مقام الصداره - ١٧ من رمضان سنة ١٢٨١هـ) .

(٣) د/ شوقى الجمل - سياسة مصر فى البحر الأحمر - ص ٤٧ .

(٤) فادر الوثائق الوقمية - وثيقة بدون رقم عابدين - دفتر ٢١ صفحة ٢٧٤ - من أفندينا الى والى الحجاز (٧ من ذى القعدة سنة ١٢٨١ هـ).

(٥) كان أمير مكة حينئذ هو الشريف عبدالله بن محمد بن عون الذى تولى إمارتها فى ربيع الأول سنة =

اسماعيل إلى كل منها برسالة شكر مشيرا بشهامة والى الحجاز وموافقته الجليلة تجاه مصر وطالبا النصح من شريف مكة فى كل ما يتعلق بموضوع ضم المحافظتين الى مصر (١) .

ونتيجة لتلك الجهود المضنية التى بذلها الخديوى اسماعيل صدر الفرمان العثمانى بالموافقة على ضم المحافظتين إلى مصر بشرط أساسي وهو أن يكون إلحاق المحافظتين بمصر فى مدة حياة الخديوى اسماعيل فقط ولا يتعداه إلى ورثته - أى أن هذا الضم مقصور على ذاته فقط .

كما أشار الفرمان إلى ضرورة تعديل مقدار المقابل المادى - الويركو - المطلوب لايالة جدة مرة كل ثلاث سنوات تحسبا لأى نقص قد يطرأ على إيراد جمارك الحجاز ، مع زيادة فى إيراد جهات سواكن ومصوع .. فحينئذ يجرى جبر النقص بعلاوة لباشوية جدة .

كما نص الفرمان كذلك على أن يكون التسليم والتسلم اعتبارا من سنة ١٢٨١ هـ / ١٨٦٥م ويتم بناء عليه ترتيب الأقساط المرتجى دفعها .

كذلك حدد هذا الفرمان قيمة (الويركو) بـ ٢٥٠٠ كيس تدفعه مصر إلى خزانة جدة كل عام بالاضافة إلى خمسة آلاف كيس هى إيراد الجمرك والملاحات قياسا على ايرادهما فى سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م (٢) .

وقد تحملت الخزانة المصرية وحدها عبء هذه المسئوليات المالية عندما برّ اسماعيل بوعده للصدر الأعظم ورجال استانبول الذين كان لهم دور بارز فى تذليل عقبات انتزاع المحافظتين من الحجاز وضمها إلى مصر ، فأصدر اسماعيل أمرا بالإنعام على كامل بك (القبوكتخدا) بثلاثة آلاف جنيه عثمانى ، وأرسل الصراف - كيورق باشى - لصرف المبلغ الخاص بالصدر الأعظم -

---

= ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨ م وظل فيها إلى وفاته سنة ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧ م وكان أول شريف حصل على مرتبة الوزارة من الآستانة .

أنظر : اسماعيل حقى جارشلى - أمراء مكة فى العهد العثمانى ص ص ٧٧ ، ٧٨ .

(١) دار الوثائق القومية - وثيقة بدون رقم عابدين - دفتر ٢١ صفحة ٢٧٤ - من أفندينا إلى أمير مكة المكرمة (٧ من ذى الحجة سنة ١٢٨١هـ) .

(٢) دار الوثائق القومي - ديوان جلالالملك - مجموعة الفرمانا تالشهبانية الصادرة بالتركية - س ٩/٨/٩/ سجل ٦ - من (١٨٦٣ - ١٨٧٩) . الفرمان رقم ٩١٣ فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٨١ هـ بمدينة القسطنطينية .

فؤاد باشا وقدره ثلاثة الاف جنيه ، كما صرف لدولة على باشا (١) ألفى كيس (٢) .

ولقد تم الاتفاق بين مصر والدولة العثمانية فى سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م على تقديم السبعة آلاف والخمسمائة كيس - قيمة الخزنة - إلى خزانة جدة فى صورة غلال على ثلاثة أقساط ترسل تباعا فى حزيران(يونيو)(وأيلول (سبتمبر) وكانون الثانى (يناير) من كل عام ، وما يتبقى بعد الغلال يدفع نقدا وبصورة فورية (٣)

ويظهر لنا من دراسة الرسائل المتبادلة بين مصر والدولة العثمانية - أن مصر لم تلتزم بمواعيد دفع تلك الأقساط لخزانة جدة ، فقد أرسلت مصر إلى الباب العالى فى ١٨ من رمضان سنة ١٢٨٢هـ/ أوائل ١٨٦٦م تتعلل بأن سبب التأخير فى دفع تلك الأقساط انما نتج عن ثورة نشبت فى منطقه التاكا ، ووفاة موسى باشا حكمدار السودان - وتأخير تسلم مصوع من إيالة جدة ، وأردفت الرسالة تقول أن مصر ستقوم بدفع المستحقات من تاريخ التسليم سواء بالنسبة لسواكن أم بالنسبة لمصوع (٤) .

ومما يبعث على الدهشة هو ما جاء فى إحدى الرسائل المرسلة من المعية السنية إلى نظارة الداخليةفى ٦ من المحرم سنة ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م وهو إعلامها أوامر المعية التى صدرت بضورة الكتابة إلى مقام الصدارة باسلامبول بأنه أوقف دفع الويركو المستحق عن سواكن ومصوع فى الوقت الحاضر إلى خزينة جدة ، وأنه على نظارة الداخلية أن تقوم بإبلاغ المالية بهذا الأمر (٥) .

---

(١) يبدو أن على باشا هذا كان أحد وزراء السلطنة العثمانية اذ أن المرجع الذى أعتمدت عليه ذكره بعد الصدر الأعظم دون أن يذكر لنا منصبه .

(٢) د/ شوقى الجمل - سياسة مصر فى البحر الأحمر - ص ٤٨ .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٣٣٤ - ص ٥٨ الدفتر ٥٥٣ من شريف باشا إلى ناظر المالية - بتاريخ (٢٦ من صفر سنة ١٢٨٢ هـ) .
وأنظر : ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤٨ ص ٣٤ الدفتر رقم ٨٢ عابدين - من الباب العالى إلى ......- بتاريخ (٢٢ من شعبان سنة ١٢٨٢ هـ) .

(٤) دار الوثائق القومية - الوثيقة التركية رقم ٣٦ صفحة ٩٦ دفتر رقم ٢٢ عابدين من المعية إلى الباب العالى بتاريخ (١٨ من رمضان سن ١٢٨٢ هـ) .

(٥) دار الوثائق القوم - الوثيقة التركية رقم ١٤ صفحة ١٠٨ دفتر ٥٦ معية تركى - من المعية السنية إلى نظارة الداخلية بتاريخ (٦ من محرم سنة ١٢٨٣ هـ) .

ولست أدري : هل توقف دفع الويركو إلى جدة معناه تحويله إلى الخزانة السلطانية.؟ أم أنه توقف بسبب تعثر الوضع في السودان ككل ، نظرا لثورة التاكا التي نشبت إبان تسلم محافظة سواكن؟.. إلا أن هناك احتمالا آخر أقوى وأوضح عندي من الاحتمالين السابقين وهو : أن اسماعيل قد سبق له أن سير حملة إلى عسير لإخماد ثورة محمد بن عائض بها ، وقد كلفته تلك الحملة كثيرا من المال **فيغلب على الظن** أنه أراد بوقف الأقساط الخاصة بسواكن ومصوع أن يرسل إلى الآستانة ليسوي حسابها بعد استبعاد تكاليف حملة عسير ، وقد سبق مثال مشابه لذلك يمكن القياس عليه هو أنه عندما أمر محمد علي جنوده باخلاء شبه الجزيرة العربية في سنة ١٢٥٧هـ / ١٨٤١ م وترك هناك كثيرا من الغلال والمؤن اتفق هو والدوله العثمانية على تسوية حسابها ضمن ما تدفعه مصر للدوله سنويا ، **ومما هو جدير بالذكر أن** مصر بعد أن صدر فرمان إحالة مصوع وسواكن إليها بادرت في ربيع الأول سنة ١٢٨٢ هـ بارسال وكيل حكمداية السودان جعفر باشا مظهر – الى جدة لاستلام الميناءين المذكورين (١) بعد أن زودته بأربعمائة ليرة انجليزية لينفق منها أثناء سفره على ظهر الباخرة (السويس) من جدة إلى سواكن ومصوع (٢) .

وفي الوقت نفسه أرسلت الحكومة المصرية رسالة إلى والي جدة لتسليم الميناءين إلى جعفر باشا مظهر ، وسحب الادارة الحجازية منهما لتتولى بدلا منها الادارة المصرية الجديدة (٣) .

الصراع العثماني المصري للسيطرة على قلاع شمال الحجاز :

أدى تكاتف الدول الأوربية ضد محمد علي إلى خروج الجيش المصري من شبه الجزيرة العربية وأجبر محمد علي على سحب قواته من الحجاز في سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م ومع ذلك فقد أبقى محمد علي سيطرته على بعض المناطق شمال الحجاز أعاد تبعيتها إلى مصر ، وتتمثل هذه السيطرة

---

(١) دار الوثائق القومية – وثيقة رقم ٣٥٣ – ص ٦٢ – دفتر ٥٥٣ معية تركي – من شريف باشا الى مديرية قنا (٤ من ربيع الأول سنة ١٢٨٢ هـ) .

(٢) د/ شوقي الجمل – الوثائق التاريخية – ص ٥٠ .

(٣) د/ شوقي الجمل – سياسة مصر في البحر الأحمر – ص ٦١.

في عدة قلاع تبدأ من الوجه (١) جنوبا حتى منطقة العقبة شمالا (٢) وهذا القلاع هي : الوجه والمويلح وضبا .

وقد كانت تلك القلاع تحت القيادة المصرية وتحت السيادة العثمانية طوال العصر العثماني الأول.. لأن الحجاج كانوا يستعملون طريق العقبة سواء من حضر منهم من الشام أو من حضر منهم من مصر التي كان يصاحب حجاجها قافلة الحج المغربي (٣) .

وقد استمر الحال على ذلك حتى بداية العهد العثماني الثاني ، وبعدها سلك الحجاج طريق البحر الأحمر من السويس إلى جدة مباشرة (٤) .

وعلى الرغم من أن محمد على سحب جيوشه وممثليه من المدن الحجازية إلا أنه أبقى على الحاميات المصرية في تلك القلاع والتي لم يكن لها أهمية تجارية واستراتيجية في النصف الأول من القرن التاسع عشر وميزتها الوحيدة هي كونها تقع على طريق الحج المصري (٥) .

ويذكر أحد الباحثين (٦) : أن الأتراك لم يثيروا موضوع هذه القلاع لعدم خطورتها عليهم ، وهذا

---

(١) يقع ميناء الوجه في الساحل الشرقي للبحر الأحمر بالجزيرة العربية في مواجهة القصير .. أنظر : د/ شوقي الجمل - سياسة مصر في البحر الأحمر - ص ٢٩٧ .

(٢) يمتد خليج العقبة من شمال البحر الأحمر ويتجه نحو الجهة الشمالية الشرقية بطول ٩٨ ميلا وبعرض يتراوح بين سبعة أميال وأربعة عشر ميلا ، وتلتف بشواطئه الجبال الصخرية والجرانيتية التي تمتد في الأرض من شمال الخليج حتى البحر الميت ، كما يوجد على مدخله جزيرة تيران .

أنظر: حمدى حافظ وآخر - المشكلات العالمية المعاصرة - ط ١ القاهرة ١٩٥٨ م ص ١٩.

(٣) Saleh Muhammad Al Amer - the Hijz under Ottoman Rulle 1869 - 1914 - Riyad 1978 . P. 214.

(٤) أحمد السباعي تاريخ مكة ص ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٥٢٥ .

(٥) د/ صالح محمد العمرو - النزاع التركي المصري على شمال الحجاز وسيناء وتدخل الحكومة البريطانية (١٨٨٤ - ١٩٠٦) م - مجلة الدارة - العدد الأول - السنة الخامسه (ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ - مارس ١٩٧٩ م) ص ٨ .

(٦) د/ صالح العمرو - النزاع التركي المصري - ص ٩ .

فى عدة قلاع تبدأ من الوجه (١) جنوبا حتى منطقة العقبة شمالا (٢) وهذا القلاع هى : الوجه والمويلح وضبا .

وقد كانت تلك القلاع تحت القيادة المصرية وتحت السيادة العثمانية طوال العصر العثمانى الأول.. لأن الحجاج كانوا يستعملون طريق العقبة سواء من حضر منهم من الشام أو من حضر منهم من مصر التى كان يصاحب حجاجها قافلة الحج المغربى (٣) .

وقد استمر الحال على ذلك حتى بداية العهد العثمانى الثانى ، وبعدها سلك الحجاج طريق البحر الأحمر من السويس إلى جدة مباشرة (٤) .

وعلى الرغم من أن محمد على سحب جيوشه وممثليه من المدن الحجازية إلا أنه أبقى على الحاميات المصرية فى تلك القلاع والتى لم يكن لها أهمية تجارية واستراتيجية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر وميزتها الوحيدة هى كونها تقع على طريق الحج المصرى (٥) .

ويذكر أحد الباحثين (٦) : أن الأتراك لم يثيروا موضوع هذه القلاع لعدم خطورتها عليهم ، وهذا

---

(١) يقع ميناء الوجه فى الساحل الشرقى للبحر الأحمر بالجزيرة العربية فى مواجهة القصير .. أنظر : د/ شوقى الجمل - سياسة مصر فى البحر الأحمر - ص ٢٩٧ .

(٢) يمتد خليج العقبة من شمال البحر الأحمر ويتجه نحو الجهة الشمالية الشرقية بطول ٩٨ ميلا وبعرض يتراوح بين سبعة أميال وأربعة عشر ميلا ، وتلتف بشواطئة الجبال الصخرية والجرانيتية التى تمتد فى الأرض من شمال الخليج حتي البحر الميت ، كما يوجد على مدخله جزيرة تيران .

أنظر: حمدى حافظ وآخر - المشكلات العالمية المعاصرة - ط ١ القاهرة ١٩٥٨ م ص ١٩.

(٣) Saleh Muhammad Al Amer - the Hijz under Ottoman Rulle 1869 - 1914 - Riyad 1978 . P. 214.

(٤) أحمد السباعى تاريخ مكة ص ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٥٢٥ .

(٥) د/ صالح محمد العمرو - النزاع التركى المصرى على شمال الحجاز وسيناء وتدخل الحكومة البريطانية (١٨٨٤ - ١٩٠٦) م - مجلة الدارة - العدد الأول - السنة الخامسه (ربيع الثانى ١٣٩٩ هـ - مارس ١٩٧٩ م) ص ٨ .

(٦) د/ صالح العمرو - النزاع التركى المصري - ص ٩ .

على الرغم من أن بقاء تلك القلاع تحت السيطرة المصرية كان يتعارض مع الفقرة الملحقة بمعاهدة لندن سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠م حول أنسحاب المصريين من جميع الأملاك العثمانية .

بينما يذكر أحد المؤرخين : (١) أن بقاء بعض المناطق فى شمال الحجاز تابعة لحكم مصر كان انتظارا للبت فى أمرها . ومع ذلك فهناك تحليل أقرب إلى الدقة ذكره باحث آخر - عندما تحدث عن ميناء العقبة فقال : أن ميناء العقبة ذاته كان داخلا فى الوطن المصرى ، وتطرق سواحله مياه مصر ، وعندما أرادت تركيا فى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢م الاستيلاء على ميناء العقبه وجانب من شبه جزيرة سيناء لم يتيسر لها ذلك لأنه كان قد تم من قبل تصريح الحكومة العثمانية للحكومة المصرية بوضع عدد كاف من الجنود فى تلك المنطقة ، وفى مناطق أخري من جزيرة سيناء لحماية ركب الحج والمحمل المصرى عبر سيناء والعقبة .

ويرى هذا الباحث أن ذلك كان منذ أمد بعيد ، وأن منطقة العقبة لم تلحق بولاية الحجاز لتصبح تحت سيادة تركيا إلا بسبب سيادة تركيا على كل من مصر والحجاز فلما زالت الولاية العثمانية ونزلت تركيا عن جميع حقوقها فى البلاد العربية فى أعقاب الحرب العالمية الأولي كان من الطبيعى أن يرد هذا الثغر إلي مصر (٢) .

ويغلب على الاعتقاد أن هذا هو الأرجح لسبب واحد بدهى وهو أن الولايات الإسلامية قبل تعيين حدود كل منها كانت تهيمن على مناطق معينة بشكل أو بأخر من اشكال السيادة . وتعدها ضمن نطاقها ، ومن المعروف أن تلك المناطق المتنازع عليها دخلت ضمن دخول مصر والحجاز تحت السيادة العثمانية ابتداء من سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م ، وأدي الوجود التركي والاستعمار الانجليزى إلى تفاقم المشكلة لأنه لولا الوجود الاستعمارى الانجليزى فى مصر لما طالبت الدولة العثمانية بل ولما طالب الحجاز بسلخ تلك الثغور من الادارة المصرية.

ولقد حذر والى الحجاز عثمان نورى باشا(٣) الحكومة العثمانية فى سنة ١٣٠١ هـ /١٨٨٤ م

---

(١) احمد السباعى - تاريخ مكة جـ ٢ ص ٥٢٥ .

(٢) حمدى حافظ - المشكلات العالمية - ص ٢٢.

(٣) تولى عثمان نورى باشا ولاية الحجار من سنة ١٢٩٩ هـ / ١٣٠٣ هـ (١٨٨٢ - ١٨٨٦ م) وضمت اليه مشيخة الحرم النبوى - أنظر : عبدالقدوس الانصارى : موسوعة تاريخ جدة - م ١ ص ٣٢٦.

من محاولات المصريين تمكين مركزهم فى هذه الثغور عن طريق بناء قلاع جديدة فى بلدة الوجه آخر هذه القلاع من ناحية الجنوب ، وأخذ والى الحجاز يؤلب الحكومة العثمانية على مصر ، فأبرق إلى الصدر الأعظم بما يحدث فى الوجه ، كما أرسل بمذكرة إلى الحكومة العثمانية فى استانبول شرح فيها الوضع مؤكدا على أن المصريين ليس لهم الحق فى البقاء فى هذه الأماكن ، وأنهم انما تركوا فقط ليديروا هذه الأماكن لأنها تشكل نقطة وصل فى طريق الحجيج إلى البقاع المقدسة ، وأكد عثمان باشا أن حدود ولاية الحجاز كانت تمتد فى السابق حتى خليج العقبة ، ويجب تعيين حدود للحجاز على هذا الشكل حتى لا تتدخل دولة أجنبية تسيطر على مصر فى شئون الحجاز (٢) .

هذا بالاضافة إلى أن عثمان نورى باشا حذر العثمانيين من وجود الانجليز فى مصر وبيّن لهم أن هناك خطورة من اقتراب قوات عسكرية انجليزية من الأراضي المقدسة مما يخشى معه احتلال تلك القوات لمكة والمدينة .

ولقد أدى تأليب عثمان نوري لحكومة استانبول إلى نتيجة حاسمة عندما اجتمع المجلس الوزاري باستانبول ١٣٠١هـ / ١٨٨٤ م وقرر الباب العالى حينئذ بالاتفاق مع خديوى مصر على إرسال قوة عثمانية صغيرة من الحجاز للتمركز فى الوجه (٢) . ولصدأى عدوان انجليزى مرتقب .

ومما لا شك فيه أن ادعاءات عثمان باشا وتحذيراته كانت أكثر مما ينبغى ، ولم تكن على قدر الحقائق الماثلة فى تلك القلاع .

فعمليات التمكين المصرية هذه لم تتعد عدة إصلاحات تشكر عليها الإدارة المصرية ولو أن الإدارة المصرية أهملت هذه الاصلاحات لتعرضت بلا ريب لأشكال من النقد والتجريح بل إن بعض الاصلاحات كانت من الضرورات الدفاعية ، والتجارية ، والصحية ، ومن المصالح المرسلة .

فمثلا : نجد أنه فى عام ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١م قرر المجلس الخصوصى بمصر إتمام مقايسة الفنار المزمع انشاؤه بجهة الوجه ، كما أتمت مصر تركيب آلة لتقطير مياه البحر فى تلك الجهة ، وجرى النظر فى جلسة المجلس الخصوصى حول المصاريف التى تلزمها (٣) .

---

(١) د / صالح العمرو - النزاع التركى المصرى - ص ٢٩ .

(٢) أنظر : Saleh al Amer . The Higaz under Ottoman Rulle P. 215 .

(٣) دار الوثائق القومية - الدفتر رقم ٤١ المجلس الخصوصى - صفحة ٦٥ - مسلسل ٤ من المجلس الخصوصى بختم المستشار إلى قلم الاشغال بالجهادية .

سنة ١٣٠١ هـ / ١٨٨٤ م أرسلت هذه القوة التى قدرت بمائتى جندي لتحتل الوجه ، كما أرسلت بعد ذلك مجموعة من الموظفين العثمانيين على رأسهم قائمقام ليديروا شئون الوجه ، فدخلت القوةالتركية مدينة الوجه وقلعتها .. دون مقاومة من الحامية المصرية التى ظلت فى مواقعها دون أن تنسحب (١) .

بيد أن المندوب البريطاني في مصر اللورد كرومر (٢) أرسل فى سنة ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م برقية إلى حكومته يخبرها فيها بما حدث ويقترح فيها انسحاب الحامية المصرية لعدم أهمية الوجه بعد تغيير طريق الحجاج الذين يأخذون طريق البحر الأحمر بعد فتح قناة السويس على الرغم من عدم أحقية تركيا فى امتلاك الوجه (٣) . وقد شمل اقتراح كرومر إبقاء بعض أفراد الحامية المصرية فى الوجة ، فوافقت حكومته على ذلك (٤) .

ولاشك أن هذا الرأى الذي عرضه كرومر على حكومته يتسم بالضعف والتردد والتناقض وإهمال الحقيقة ، فبينما هو يقترح انسحاب الحامية المصرية من الوجه ويعلن عدم أحقية تركيا فى امتلاك الوجه نراه يقترح بعد ذلك بقاء بعض أفراد الحامية المصرية فى الوجه.

وفى عام ١٣٠٣ هـ /١٨٨٦ تم الاتفاق بين القاهرة واستانبول على إرسال بلوك من الجنود

---

(١) Saleh al Amer - the Higaz under ottoman Rulle P.217

(٢) هو السيرافيلين بيرنج القنصل العام البريطانى فى مصر .

(٣) يبدو أن اللورد كرومر استند فى رأيه هذا وهو عدم أحقية تركيا فى امتلال الوجه الى ما نصت عليه الفرمانات، ومنها فرمان حصر الوراثة فى الذرية لا سماعيل الذى شمل " مصر وملحقاتها والجهات المعلومة التابعة لادارتها بما فيها قائمقاميتا سواكن ومصوع اللتان ألحقتا أخيرا " ... فعبارة مصر وملحقاتها والجهات المعلومة التابعه لادارتها لا شك فى أنها تعنى بوضوح الثغور والقلاع التى كانت تحت إدارة مصر .
أنظر : دار الوثائق القومية - الإرادة الصادرة إلى ناظر المالية رقم ١٦٧ دفتر رقم ٥٥٧ معية- صفحة ١٠٧ - (١٧ من صفر سنة ١٢٨٣ هـ) .

(٤) د/ صالح العمرو - النزاع التركي المصرى - ص ١٠ ومابعدها .
وأنظر : أحمد السباعى - تاريخ مكة - جـ ٢ ص ٥٢٥ .

العثمانيين الموجودين فى ينبع إلي الوجه ، وتعيين إحدى السفن الصغيرة الموجودة بميناء جدة لتمر على السواحل مرة كل خمسة عشر يوما للقيام بواجبات الاستخبارات العسكرية على أن يتعاون جنود البلوك العثمانى مع موظفى الحكومة المصرية فى المحافظة على جهة الوجه (١) .

ولقد ظل اشتراك القوات العثمانية مع القوات المصرية الخديوية فى الحفاظ على تلك المنطقة حتى مارس سنة ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٨م عندما صدرت الأوامر الخديوية إلى القوات المصرية والموظفين المصرين بالوجه بانسحابهم الفورى ، وقد استثنى الأمر من يريد من المصرين البقاء فيها خارجا عن نطاق وظيفته كما تم إحلال قاض عثمانى من ولاية الحجاز فى الوجه ليحل محل القاضى المصرى المستبعد (٢) .

أما بقية الموانى والقلاع فقد ظلت كما هى خاضعة للعسكرية والادارة المصرية وبعد أربع سنوات من استيلاء العثمانيين على ثغر الوجه وبالتحديد فى سنة ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م أرسل والى الحجاز الى حكومته فى أستانبول تأليبا آخر على الحكومة المصرية أحتوى على محاولات المصرين التمكين لأنفسهم وتقوية حصونهم فى قلاع موانى المويلح وضباء والعقبة (٣) .

ويؤكد أحد الباحثين : (٤) أن السلطان عبدالحميد (٥) قد صمم فى هذه الفترة بالذات على

---

(١) دار الوثائق القومية - محافظ مجلس الوزراء رقم ١ جـ /١١ حربية ترجمة إفادة صادر من المعية السنية الى مجلس النظار (٢٠ من جمادى الأولى سنة ١٣٠٣ هـ ٢٤ من فبراير سنة ١٨٨٦ م .

(٢) دار الوثائق القومية - محافظ مجلس الوزراء رقم ١ جـ / ١١ حربية مستخرج من نوتة محضر جلسة ١٢ مارس سنة ١٨٨٨ م .

وأنظر : Saleh Al Amer - the Higaz - P. 218 .

(٣) د/ صالح العمرو - النزاع التركى المصرى - ص ١٢ ، ١٣ .

(٤) د/ صالح العمرو / ص ١٢ ، ١٣ .

(٥) تولى السلطان عبدالحميد عرش السلطنة العثمانية في الثانى عشر من شعبان سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦ م وخلع فى سنة ١٣٣٧ هـ / ١٩٠٩ م .

أنظر : دار الوثائق القومية - صورة التلغراف العربى رقم ١٤٠ دفتر ٣١ عابدين صادر ص ٢٥ تلغرافات من ارادة سنية الى محافظ القريش . (١٣ من شعبان ١٢٩٣ هـ) وأنظر : دائرة المعارف الاسلامية م ٢ ص ١٧٥ .

استعادة تلك المنطقة وقلاعها لما وصله من معلومات تفيد بأن اليهود يحاولون تأسيس مستعمرة يهودية فى تلك المنطقه ككل ، وأنهم استطاعوا الحصول على بعض الأراضى فى سيناء ، وبدأوا يهيئون لتأسيس القرى والمدن ، ويضيف الباحث : أن السلطان عبدالحميد خشى من استقرار اليهود فى جزء من ممتلكاته فقام بإرسال قوة تركية من المدينة فى ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢ م فطلب قائدها من قائد الحاميات المصرية تسليمه تلك البقاع ، إلا أن القائد المصرى رفض هذا الطلب قائلا : **أنه لا يقبل الأوامر إلا من القاهرة .**

وفى الحقيقة : فإن هذا الكلام يعد من باب تحميل الأحداث فوق حقيقتها لما يأتى :

أولا أن الوقت الذى حدثت فيه إثارة موضوع الثغور الثلاثة كان متقدما عن بداية التنظيم الصهيونى ، ومطالباته بوطن قومى بصفة عامة ، ناهيك عن مطالباته بفلسطين أو سيناء وما جاورها من منطقة العقبة (١) .

فقد أثير موضوع الثغور الثلاثة - المويلح - ضبا - العقبة - فى سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م - كما سبق القول - وكما ذكر الباحث نفسه أما اليهود فلم يرد ذكر حتى فلسطين ضمن مطالباتهم بمؤتمرهم الأول فى بال سنة ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م ، ولم تتم مناقشة الوطن القومى - بصفة عامة - إلا فى المؤتمرات التالية للصهيونية فى سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨ م ، سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م ، سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م ، سنة ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٣ م .

وكان عدم استقرار الرأى فى مؤتمر بال الأول وما تلاه من مؤتمرات على إقليم معين ليكون وطنا قوميا لهم سببا فى ظهور البديل لإقليم فلسطين فى السنوات التالية ، ومن بين البدائل كان على

---

(١) من المسلم به أن اليهود كانت لهم أطماع قديمه فى شبه جزيرة سيناء ، ولذلك أصدر السلطان سليم الأول سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م فرمانا يقضى بعدم هجرة اليهود إلى سيناء التى يعتبرونها أرضا تاريخية ودينية لهم ففيها الوادى المقدس طوى الذى كلم الله فيه موسى - عليه السلام .

أنظر : د / عبدالعزيز الشناوى - الدوله العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها -جـ ٢ ص ٩٦٦ إلا أن حديثي هو عن بداية محاولاتهم المنظمة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ، وعلاقة ذلك بالخلاف بين الحجاز والدوله العثمانية من جهة ومصر وبريطانيا من جهة أخرى على قلاع شمال الحجاز .

بساط البحث عندهم شبه جزيرة سيناء ، وقبرص ، والمحمية البريطانية فى شرق أفريقيا (أوغنده)(١).....الخ .

ثانيا : أنه من المعولم أن أتصال هوتزل بانجلترا - التى بدأت تمكن له من ممتلكات الدوله العثمانية لم يتم إلا فى سنة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م . (٢).

ثالثا : وهو الأهم : أن الحركة الصهيونية لم تمض فى مخططها لدراسة احتمالات نجاح توطين اليهود فى سيناء إلا فى أوائل سنة ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣م (٣) . ولم تكن إلا مجرد محاولات باءت فى النهاية بالفشل (٤). فان اللجنة الصهيونية لم تغادر القاهرة إلا فى هذا التاريخ لدراسة شبه جزيرة سيناء على الطبيعة واختيار الأماكن التى تبدأ بتعميرها واستيطانها ، وعادت اللجنة فى آخر مارس سنة ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م بعد أن أنتهت إلى أن المنطقة صالحة للاستعمار . موصية بأن تكون العريش هى بداية المشروع

---

(١) د/ حسن صبرى الخولي - سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين - م ١ - دار المعارف بمصر - القاهرة سنة ١٩٧٣ ص ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) فقد بدأ هرتزل فى هذا العام الدخول فى مفاوضات مع بعض أعضاء الوزارة البريطانية كان من بينهم جوزيف تشمبرلين - وزير المستعمرات ، ولورد لا تزدون وزير الخارجية للموافقه والمساعدة على إقامة اليهود فى سيناء تمهيدا لانشاء دولة يهودية فيها تتمتع بالحكم الذاتى تابعة للامبراطورية البريطانية .
أنظر : د / عبدالعزيز الشناوى - الدولة العثمانية دولة اسلامية - جـ ٢ ص ٩٧٠ .

(٣) وهذا ينفى ما ذهب اليه د/ صالح عمرو من أن اليهود وصلوا فعلا الى سيناء وأنهم استطاعوا الحصول على بعض الأراضى وبدأوا يهيئون لتأسيس القرى والمدن والحقيقة أن محاولتهم لم تبدأ إلا فى سنة ١٩٠٣ وحتى هذه لم تكن إلا مهمة استطلاعية لم يتمخض عنها استيلاء على أراضى أو تأسيس لمدن .

(٤) من المعروف أن اليهود عندما أتجه تفكيرهم إلى البديل كانوا يشترطون فيه أن يكون قريبا من الهدف الأسمى لهم وهو فلسطين فلذلك كانت قبرص وسيناء هى أقرب البقاع لذلك . وجدير بالذكر أن اللجنة التى أنتقلت الى مصر لدراسة هذا الأمر كان على رأسها الصهيونى البريطانى جوتنبرج . أنظر : د / زينب عصمت راشد وآخرون : الصهيونية دراسة تاريخية وفكرية - القاهرة - ١٩٧٥ ص ٩١ .

الاستيطانى شريطة أن يسمح لليهود بجلب الماء العذب من نهر النيل ، ولما رفض كرومر طلب توصيل المياه إلى سيناء أهمل المشروع ككل (١) لأنه يتطلب تحويل كميات ضخمة من مياه نهر النيل إلى سيناء مما يعوق حركة الزراعة المصرية .

كما كانت هناك محاولة أخرى للمغامر اليهودى الألمانى (بول فريدمان)(الذي كان يبحث عن منطقة قليلة السكان ، ليعدها مسرحا لدولة يهودية ، وكان اختياره قد وقع على أرض مدين (سيناء) إلا أن عوامل كثيرة قادته إلى الفشل الذريع مبكرا (٢) .

وعلى كل : ففى شهر يناير سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢م سيرت الدولة قوة عثمانية على رأسها محافظ الوجه للاستيلاء على قلعتى المويلح وضبا ، وعندما وصلت هذه القوة وطلب قائدها من سعد أفندى رفعت المحافظ المصري لتلك القلاع الثلاث تسليمها له والانسحاب منها .. رفض سعد أفندي طلبه قائلا أنه لا ينفذ إلا التعليمات المصرية فقط ، ثم أرسل إلى حكومته بالقاهرة ليعرض عليها ماحدث (٣) .

فعقدت الحكومة المصرية جلسة لمجلس النظار للنظر فى هذا الأمر ، وقد تم تصديق مجلس النظار على إجراء سردار الجيش المصرى القاضى بإرسال إحدى السفن العسكرية وعلى متنها ضابط برفقته خمسون جنديا للمحافظة على المنطقة . (٤) .

وفى الوقت نفسه أبرق المجلس إلى والى الحجاز بأن طلب الدوله العلية إخلاء القلاع الثلاثة صادر عن سوء فهم ، ويجب العدول عن ذلك لأن تلك المسائل يلزم النظر فيها عن طريق الجهات الحكومية أولا .

كما أسدت الحكومة المصرية لقائد الحامية المصرية شكرها وممنونيتها على تصرفه الحكيم إزاء طلب القوات العثمانية الحجازية (٥) .

والغريب فى الأمر : أن والى الحجاز رد على البرقية المصرية بسحب القوات العثمانية الحجازية من القلاع مؤكدا أن الأمر لم يصدر إليها إلا عن طريق البريد من محافظ المدينة ، ولذلك

---

(١) د/ حسن صبرى الخولى – سياسة الإستعمار والصهيونية – م ١ ص ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) محمو نعناعه – اسرائيل والبحر الأحمر – ص ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٣) دار الوثائق القومية – محافظ مجلس الوزراء – ١ / ج / ١١ حربية قلم سردارية الجيش المصرى – من سردار الجيش المصرى إلى رئيسى مجلس النظار فى (١٣ يناير سن ١٨٩٢ م / ١٢ من جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ هـ) .

(٤) يذكرد / صالح العمرو ص ١٣ أن عدد جنود الكتيبة المصرية خمسة وعشرون جنديا والصحيح هو ما قدمنا لاعتمادنا على وثيقة مجلس النظار الذي صدق على إرسال تلك الكتيبة .

(٥) دار الوثائق القومية – محافظ مجلس الوزراء – ١ / جـ / ١١ حربية – من مجلس النظار إلى سردار الجيش المصرى بتاريخ جمادي الثانية سنة ١٣٠٩ هـ يناير ١٨٩٢ م .

فليس هناك لزوم لبقاء القوة العثمانية الحجازية فى تلك القلاع (١) .

فمعنى ذلك : أن محافظ المدينة وربما والى الحجاز أيضا هما اللذان قاما بهذا العمل دون حساب لعواقبه التى تؤدى إلى توريط استانبول والقاهرة فى عمل غير مرض ، أو لعل سياستهما نبعت من تراجع الدولة وتبصرها عواقب الأمور .

وفى نهاية المطاف دارت المفاوضات بين الدولة العثمانية ، والجانبين المصرى والانجليزي وانتهت باستجابة الخديوى المصرى عباس الثانى فى سنة ١٣٠٩ هـ / العاشر من فبراير سنة ١٨٩٢ م لطلب الدولة العثمانية وأ صدر أمره إلى الحاميات المصرية فى ضبا والمويلح بالانسحاب الفورى من قلعتى هاتين البلدتين .. وفى الوقت نفسه أمر القوات المصرية المتمركزة فى العقبة بالبقاء فيها .. بيد أن المفاوضات بين الجانبين دارت حول مصير العقبة وتمخضت هذه المفاوضات عن تخلى الحكومة العثمانية عن أية مطالب لها فى سيناء مقابل جلاء الحامية المصرية عن العقبة ، وفى شهر شوال سنة ١٣٠٩ هـ / ١٣ أبريل ١٨٩٢ م أنسحبت القوات المصرية من العقبة . وقد قنع الباب العالى بالاستيلاء على شمال الحجاز كاملا كما قنع الخديوى عباس الثانى بتحديد حدود ثابتة لمصر تصل إلى رأس خليج العقبة .

وقد أوصى الباب العالى فى ختام رسالته التى أبرق بها الى الخديوية المصرية فى ١١ من رمضان ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م بضرورة الحفاظ على تعداد سكان شبه جزيرة سيناء وإدارتها كما كانت تدار من قبل فى عهد محمد على واسماعيل وتوفيق (٢) .

ومما لا شك فيه : هو أنالدولة العثمانية قد أستغلت تجاربها السياسية التى لا تحصى والتى خاضتها طوال عصورها مع معظم دول العالم فى معالجة قضية القلاع هذه إذ نراها وقد وسعت من مساحة مطالبها لتفوز فى النهاية بما هو مطلوب ومستهدف ، ففى الوقت الذى طالبت فيه

---

(١) دار الوثائق القومية - محافظ مجلس الوزراء - ١ جـ / ١١ حربية تلغراف وارد من دولتلو والى الحجاز الى رئيس مجلس النظار بتاريخ (١٣ يناير سنة ١٨٩٢ م) . وأنظر تلغراف من رئيس النظار المصرى إلى والى الحجاز فى (١٥ يناير ١٨٩٢ م).

(٢) دار الوثائق القومية - محفظة أبحاث رقم ١٤١ - التلغراف رقم ٥٢ ملحق تلغراف - فى رمضان سنة ١٣٠٩ هـ) .

بالقلاع نجدها قد زجت بشبه جزيرة سيناء فى هذه المطالب حتى يكون المجال متسعا للمساومة بينها وبين مصر والجلترا معا فى الوقت الذى لا يعنيها أن تحصل على شبه الجزيرة لتفوز فى النهاية بتلك القلاع . وقد بين الزعيم المصرى مصطفى كامل مقدار المكسب الاستراتيجى الذى حصلت عليه الدولة باستيلائها على العقبه بقوله : " أما حادثة العقبة فانهم فى الواقع أوجسوا خيفة منها لأن السكة الحديدية التى ستبنيها تركيا من عمان إلى العقبة تسمح للجنود التركية بدخول مصر فى ظرف أربع وعشرين ساعة " (١) .

وقد مر ما يقرب من عشر سنوات دون ظهور ما يعكر الصفو بين مصر والدولة العثمانية فى الحجاز ثم لم يلبث أن ظهر عامل جديد عكر الصفو على الساحة بين الدولتين عندما أثير موضوع الحدود من جديد بشكل مختلف فى سنة ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣م وكان هذا العامل هو بناء خط سكة حديد الحجاز الحميدية ومروره بمنطقة العقبة ، فاستلزم هذا بالضرورة أن يعيد كل طرف من الأطراف فى المنطقه حساباته فبريطانيا تضاربت الآراء عند ممثليها فى مصر بين خطورة هذا الخط على مصر والمصالح الانجليزية فى المنطقة وبين عدم خطورته حيث كان البعض يرى أن الدوافع وراء هذا الخط دوافع استراتيجية بحته ولا دخل للدين فيها . بينما رأي البعض الآخر أن الخط لو نفذ بالفعل فانه سيساعد الاتراك علي حشد جيوشهم فى العقبة والعريش ، إلا أن ذلك ليس له قيمة استراتيجية لوقوع هذا الخط تحت رحمة الأسطول الانجليزى فى البحر الأحمر .

ولم يقف الانجليز فى مصر مكتوفى الأيدي ، فقد بدأوا يثيرون من جديد قضية الحدود المصرية فى سيناء ، ويؤكدون أنها تنتهى عند العقبة ، وأنها تشمل الحصن والقرية (٢) .

وبعد عامين من بداية هذا التراشق السياسي ، أخذت الأمور شكلا جديدا وظهرت التحركات العسكرية عندما تمخضت الدراسات الخاصة بمشروع السكة الحديدية الحميدية عن تمديد خط فرعى من معان إلى العقبة ، وتم فى سنة ١٣٢٣ هـ/ ١٩٠٥ م إقامة مبانى المحطة الخاصة بهذا الخط الفرعى ، وكان لبداية عمليات بناء الخطوط التى صاحبتها تحركات عسكرية عثمانية أثر كبير فى وقوع أزمة طابا (٣).

---

(١) مصطفى كامل - أوراق مصطفى كامل (المراسلات) الهيئة المصرية العامه للكتاب ١٩٨٢ م - ص ٢٣٩ .
(٢) د/ صالح العمرو - النزاع التركى المصرى - ص ص ١٨ ، ١٩ .
(٣) د/ السيد محمد الدقن - سكة حديد الحجاز الحميدية - دراسة وثائقية - ط . سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م ص ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

ويذكر أحد الباحثين [١] أن بريطانيا هى التى بعثت المشكلة من جديد عندما أرسلت موفدا من قبلها إلى قرية النخل [٢] لجمع المعلومات عن الأمن هناك وزودته بقوة صغيرة على أن يبنى دارا للحكومة ومسجدا وقلاعا فى ذلك المكان ، وما لبثت الإدارة الانجليزية فى مصر أن عينته قائدا ومفتشا عاما لسيناء كلها ، مما زاد شكوك الحكومة العثمانية فى الأمر واعتبرته محاولة للتدخل فى مشروع الخط الحديدى الحجازى .

بينما يؤكد باحث آخر: (٣) أن تركيا هى التى أرادت أن تقصى المصريين بعيدا عن منطقة العقبة فأرسلت قوة احتلت مركز طابا فى غرب العقبة وداخل حدود مصر مما حدا بالحكومة الانجليزية إلى أن تتدخل فى الأمر ، إلا أن استاذنا الدكتور / السيد محمد الدقن يأتى لنا بتفصيلات أدق تكشف أبعاد الموضوع بجلاء ، فيذكر أن وصول القوات العثمانية إلى العقبة قد أقلق الحكومة الانجليزية وسلطاتها فى القاهرة .

ففى يناير سنة ١٩٠٦ م / ١٣٢٤ هـ وصل عدد القوات العثمانية التى تجمعت فى العقبة إلى ألف ومائتي جندى ، بالاضافة إلى وصول قوات عثمانية أخرى إلى أم الرشراش (إيلات) كما قفزت قوة عثمانية أخرى إلى منطقة طابا .

وفى بداية هذا العام عمدت القوات العثمانية إلى خلع أعمدة الحدود المقامة فيما بين رفح

---

(١) د/ صالح عمرو - النزاع التركى المصرى ص ٢٠ .

(٢) تعد قرية النخل من أهم المحطات على طريق الحاج المصرى عبر سيناء حيث توجد فى قلب شبه الجزيرة وكانت عاصمة لبلاد التيه بل عاصمة سيناء قبل الحرب العالمية الأولى وتقع النخل على الجانب الأيمن لوادي العريش قرب دائرة عرض ٥٥ - ٢٩ شمالا وغربى خط الطول ٣٤ وبها قلعة على هضبة يبلغ ارتفاعها ١٧٥٠ قدما عن سطح البحر وهذه القلعة بناها السلطان قنصوه الغورى وكانت هذه القرية فى سنة ١٩٠٦/١٣٢٤هـ حوالى ستين منزلا ويقسمها شارع فى وسطها إلى قسمين شرقى وغربى وتبلغ المسافةبين نخل والسويس ثمانين ميلا وبين نخل والعقبة سبعين ميلا - أنظر : السيد عبدالمجيد بكر - الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص ١٠٨ ومابعدها .

(٣) حمدى حافظ - المشكلات العالمية المعاصرة - ص ٢٣ .

والعقبة تمهيدا للمطالبة بسيناء كلها ، مما حدا بأسعد رفعت أفندى عرفات إلى تبليغ السلطات المصرية والانجليزية بما حدث (١) .

وفى أول فبراير من العام نفسه تحركت تعزيزات عثمانية متجهة إلى تلك المنطقة لحماية العقبة ، كانت هذه التعزيزات مؤلفة من لواءين من قوات المشاة ، كما قامت قوات عثمانية أخرى باحتلال بعض المراكز فى الأراضي المصرية على الساحل الغربى لخليج العقبة ، وهي (نقب العقبة) ، (والقطار) (٢) .

ويؤكد استاذنا الدكتور / الدقن : أن التحركات العثمانية كانت بمثابة إحراج لمركز بريطانيا فى مصر ، وانتقاما منها للدور الذى تلعبه ضدها فى اليمن .

وعلى الجانب الآخر ظهر إصرار الحكومة المصرية والانجليزية على التمسك بمنطقة طابا ، وقد تم إرسال قوة مصرية مكونة من خمسين جنديا وضابطا بقيادة الأميرال سعد بك رفعت قائد سيناء على ظهر السفينة (نور البحر) لاحتلال وادى طابا وذلك فى ذى القعدة ١٣٢٤ هـ/ يناير ١٩٠٦ م غير أن القوات التركية منعتها من تحقيق هدفها فاضطر الأميرال سعد بك إلى إنزال الجنود فى جزيرة فرعون على بعد عدة أميال من طابا ، كما قامت السلطات الانجليزية فى هذا التاريخ بتشكيل مظاهرة بحرية تهديدية عندما أرسلت البارجة ديانا إلى مياه الخليج فى مواجهة العقبة تحسبا لما يلزم من قوة ردع (٣) .

كما عمد الانجليز إلى تنظيم مظاهرة بحرية تهديدية أخرى بالقرب من السواحل التركية ، وبذلك تكون انجلترا قد كشرت عن أنيابها بشكل سافر ، ولا سيما بعد أن أصدرت الخارجية البريطانية إنذارها الموجه للعثمانيين فى سنة ١٣٢٥ هـ / ٣ من مايو سنة ١٩٠٦ م .

---

(١) سالم اليمانى - سيناء الأرض والحرب والبشر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٥ م - ص ١٨.

(٢) د/ السيد محمد الدقن - سكة حديد الحجاز الحميدية - ص ١٨٥ وما بعدها .. وأنظر محمد حسين هيكل - مذكرات فى السياسة المصرية - جـ ١ دار المعارف القاهرة ١٩٥١ م - ص ٢٦ .

(٣) أوراق مصطفى كامل - المراسلات - ص ٢٣٩ .

وأنظر : د/ السيد محمد الدقن -سكة حديد الحجاز - ص ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

ود/ يونان لبيب رزق - الأصول التاريخية لمسألة طابا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٣ م - ص ٣٠ .

وقد اشتمل هذا الانذار على التهديد بحدوث نتائج وخيمة للغاية إذا لم تنسحب القوات العثمانية فى مدة عشرة أيام من المواقع التى احتلتها ، مما حدا فى النهاية بالدولة العثمانية إلى الاستجابة للإنذار البريطانى وإعلانها الاستعداد للانسحاب فى ١٣٢٥ هـ/ ١٤ من مايو سنة ١٩٠٦م(١) . ويعنينا هنا أن نشير إلى الموقف الشعبى فى مصر إزاء تلك المشكلة التى بدأت بالقلاع الحجازية وانتهت على رمال شبه جزيرة سيناء .

فعلى الرغم من أن هذا الصراع كان بين العثمانيين والحجازيين من جهة ، والحكومة المصرية والانجليزية من جهة أخري ، إلا أن نبض الشارع المصرى كان فى جانب العثمانيين وضد الحكومة المصرية والانجليزية معا ، حتى فُسر ذلك بالتعصب الدينى من جانب المصريين لبنى دينهم العثمانيين فى حين أنهم لا يثقون فى الحكومتين المصرية والانجليزية معا .

ويبدو أن هذه المشاعر الدينية التى دفعت المصريين لمؤازرة العثمانيين إنما جاءت نتيجة لتلك الحملة الشديدة التى أثارتها بعض الصحف المصرية (٢) ضد الاحتلال إبان الأزمة مؤيدة فى ذلك الموقف العثمانى . وكان مختار باشا المندوب السامى العثمانى فى مصر يشعل أوار هذه الحملة الشعبية على الحكومة المصرية والاحتلال معا (٣) .

ولا يمكننا أن ننكر أن هذه المشاعر كانت مشاعر وطنية أيضا ... لوقوع مصر فى قبضة مستعمر غاشم ، لا يحب المصريون أن يقع تحت وطأته مزيد من الأماكن والبلدان لهذا وجدنا أن مصطفى كامل - الزعيم الوطنى المصرى يقف إلى جانب الدولة العثمانية ، وأخذ يدافع عن

---

١) أنظر تفاصيل ذلك عند :
فاروق جميل جاويش - العلاقات المصرية العثمانية فى عهد الخديوى عباس الثانى (١٨٩٢-١٩١٤م) رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر - ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م ص ٢٤٢ ومابعدها .. وانظر : د/ يونان لبيب - الأصول التاريخية لمسألة طابا - ص ٣٤ ومابعدها .

٢) تزعم حملة الصحف المؤيدة للدولة العثمانية جريدتان هما : المؤيد واللواء اللتان زعمتا بأن مصر لا تمانع فى أن تكون طابا تركية . أنظر : محمد حسين هيكل - مذكرات فى السياسة المصرية - جـ ١ ص ٢٦.
أحمد لطفى السيد (باشا) - صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية فى مصر من مارس ١٩٠٧ الى مارس ١٩٠٩ م - مكتبة النهضة - مصر ١٩٤٦ م - ص ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
وأنظر : د / يونان لبيب - الأصول التاريخية لمسألة طابا - ص ٨٢ .

موقفها ومطالبها بكل جهده ، فقد كان مصطفى كامل يعتمد فى مطالباته الوطنية على مؤازرة دولة الخلافة الاسلامية العثمانية لرفع نير الاحتلال الانجليزى عن مصر ، إلا أن رضوخ الدولة العثمانية لمطالب انجلترا جاء صفعة كبرى لآمال وجهود مصطفى كامل ، وأسقطت من يده ورقة قوية طالما أعتمد عليها فى نضاله الوطنى ، هذه الورقة هى مساندة (١) الأستانة لجهوده المستميتة .

وقد دفع الموقف الشعبى المصرى - المناهض للحكومة المصرية - والانجليزية سلطات الاحتلال إلى استدعاء قوات عسكرية بريطانية إضافية لتدارك الموقف (٢) فى مصر ولمساندة قوات الاحتلال فيها .

---

(١) محمد حسنين هيكل - تراجم مصرية وغربية - مطبعة مصر - ص ١٤٦ .

(٢) أحمد لطفى السيد - صفحات مطوية - ص ٨٢ .

مصر والحجاز منفى للمذنبين والمعارضين فى القطرين :

لايستطيع الباحث فى تاريخ العلاقات العربية أن ينكر حقيقة تاريخية واضحة وهى أن كانت تتخذ الحجاز فى فترات تاريخية مختلفة منفى للمذنبين أو ذوى الاتجاهات السياسية المعارضة ويبدو أن ذلك نظاما مصريا لم يقتصر على الحجاز فقد سبق أن أشرت الى أن مصر أتخذت السو كذلك منفى للمغضوب عليهم طوال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (١) .

كما أن الشام أتخذ كذلك فى فترات سياسية وتاريخية سابقة ، والباحث فى العصور الاسلامية الأول يجد كثيرا من الأمثلة على ذلك .

أولا : أشهر المنفيين من مصر إلى الحجاز :

يرى الجبرتى فى تاريخه أن كثيرا من المصريين تم نفيهم إلى الحجاز وأكتفى بذكرمثال واحد رواه :

ففى سنة ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤ م أمر على بك بنفى مجموعة من الناس كان على رأسهم عبدالرحمن كتخذا وقد كان سعى على بك لنفى عبدالرحمن كتخذا الى الحجاز ضمن مخطط شامل لإز من عساهم أن ينافسوه فى منصب مشيخة البلد الذى عض عليه بالنواجز (٢) فأرسله إلى السو فى حراسة صالح بيك ليوصله إليها ، فلما وصل إلى السويس تم نفيه إلى الحجاز ، ويصف الجبرتى عن نفي عبدالرحمن ما يلى :

" وارتجت مصر فى ذلك اليوم وخصوصا لخروج عبدالرحمن كتخذا ، فانه كان أعظم الجم وكبيرهم وابن سيدهم ، وله الصولة والكلمة والشهرة وبه ارتفع قدر الينكجرية (٣) على العزب وكان له عزوة كبيرة ، ومماليك وأتباع وعساكر مغاربة وغيرهم حتى ظن الناس وقوع فتنة عظيمة ذلك اليوم ، فلم يحصل شئ من ذلك سوى مانزل بالناس من البهتة والتعجب " (٤)

وقد أقام عبدالرحمن كتخدا فى الحجاز اثنتى عشرة سنة حتى سافر يوسف بيك أميرا لقافلة الحج فى ١٩٨٩ هـ / ١٧٧٥ م ، فلما قضى الحجاج مناسكهم صمم يوسف بك على إحضار عبدالرحمن معه إلى مصر فأحضره فى تختروان بعد أن أستولى عليه الكبر والهرم ، ولكنه توفى بعد أحد عشر يوما من وصوله إلى بيته (٥) .

---

(١) سعد الحلوانى - الحكم المصري فى سواكن وملحقاتها ص ٩٤ ومابعدها .

(٢) د/ ليلى عبداللطيف - الصعيد فى عهد شيخ العرب همام ص ١٣٦ .

(٣) الينكجرية أو الانكشارية هم الجند الجديد ، وهى كلمة مركبة من جزئين ينى أى الجديد ، وتشرى الجند.

أنظر : د / أحمد السعيد - تأصيل ما ورد فى الجبرتى - ص ٣١ .

(٤) الجبرتى - عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٢٦ .

(٥) المصدر السابق - جـ ٢ ص ٩ وأنظر طرفا من حياة عبدالرحمن وأعماله ومناصبه ص ٢ ومابعدها .

ومن أشهر الرجال الذين نفوا من مصر بعد الجبرتي إلى الحجاز : **عباس حلمى باشا الأول قبل ولايته على مصر بوقت قليل .**

فقد كان عباس باشا أكبر أفراد الأسرة العلوية سنا وبالتالى كان أحقهم بالولاية بعد إبراهيم بن محمد على ، وقد حاول محمد على تجهيز حفيده هذا لولاية الحكم إلا أن عباسا كان خلوا من المواهب الإدارية ، ولم يكن يرضي عمه إبراهيم باشاما كان ينطوى عليه عباس من سلوك ينم عن قسوة يميل إليها فى معاملة الأهالى حتى أضطره إبراهيم باشا الى الهجرة الى الحجاز (١) منفيا هناك.

وقد سافر عباس باشا إلى الحجاز فى ٢٧ من شعبان سنة ١٢٦٤ هـ / ٣٠ من يوليو سنة ١٨٤٨ م ولكنه لم يطل به المقام هناك سوى أربعة أشهر تقريبا إذ داهم الموت عمه ابراهيم باشا فى ١٤ من ذى الحجة سنة ١٢٦٤ هـ / ١٣ من نوفمبر ١٨٤٨ م أما جده محمد على باشا فإن غيبوبة الموت كانت قد أحاطت به آنذاك ، فلهذا شكل مجلس خاص لتسيير دفة الحكم فى مصر إلى أن يتم استدعاء عباس من الحجاز ليجلس على أريكة الحكم ، فلما أستدعى جاء الى مصر وتولى حكمها فى ٢٧من ذى الحجة سنة ١٢٦٤ هـ / ٢٤ من نوفمبر سنة ١٨٤٨ م . (٢)

ومن المشاهير الذين نفوا من مصر إلى الحجاز المفكر الاسلامى الكبير جمال الدين الأفغانى ، فقد صدر فى شهر رمضان سنة ١٢٩٦ هـ / أغسطس ١٨٧٩م أمر الخديوى توفيق متضمنا نفى الشيخ جمال الدين الأفغانى والأسباب التى دعت الخديوى إلى إصداره .. وفحوى هذا الأمر أنه منذ شعور الحكومة بوجود جماعة سرية مجتمعة على فساد الدين والدنيا ، رئيسها يدعى : جمال الدين الأفغانى .. مطرود من بلاده ، ثم من الاستانة ، وتم ضبط أوراق عنده ، فأبعدته الحكومة م الديار المصرية بأمر ديوان الداخلية ، ووجهته من طريق السويس إلى الأقطار الحجازية لإزالة الفساد من البلاد عبرة للمعتبرين (٣) .

---

(١) عبدالرحمن الرافعى - عصر اسماعيل - جـ ١ - ص ١٥ ، ١٦ .

وأنظر محمد فهمى لهيطة - تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ص ١٩٤ .

(٢) أمين سامى - تقويم النيل - م١ جـ٣ ص ٩٠٣ .

(٣) الوقائع المصرية العدد ٨٢٦٠ (١٣ من رمضان سنة ١٢٩٦ هـ / ٣١ من أغسطس سنة ١٨٧٩ م).

ومما يجدر ذكره : أن كثيرا من الباحثين (١) وبعض المفكرين ذكروا أن نفي جمال الدين كان من مصر إلى الهند ، لكن الوقائع المصرية لم تؤيد روايتهم هذه فلقد جاء فيها أن السيد / جمال الدين نفى إلى الحجاز .

واذا كانت السلطات قد سمحت له بعد ذلك بالسفر إلى الهند ، فهذا شئ آخر لا يغير من فحوى قرار النفى السالف ذكره .

ومن الأمثلة التى يمكن أن نسوقها فى هذا المجال : نفى العالم المعروف محمد بن على التميمي المغربى التونسى الذى كان من كبار العلماء المغربيين الذين عاشوا فى مصر ، بل وتولوا فيها مناصب وأعمال رفيعة ، فقد أسند إلى محمد التميمى نظارة مسجد أبي الذهب ، كما أسند اليه أيضا الاشراف على أوقافه ، وكانت له اتصالات بكبار القوم ، وعلى رأسهم ابراهيم باشا ابن محمد على باشا ، وقد أمنه ابراهيم على تعليم أبنائه ، مما يدل على مبلغ علم الرجل . وكان محمد التميمي يقوم بالتدريس فى الأزهر الشريف ، بجانب أعماله السابقة ، إلا أنه بعد وفاة ابراهيم باشا... أمر عباس باشا بنفيه إلى الحجاز ، فأقام به فترة من الزمن ثم رحل بعدها إلى القسطنطنية حيث وافاه أجله هناك سنة ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ (٢) .

ثانيا : أشهر المنفيين من الحجاز إلى مصر :

كذلك كان النفى من الحجاز إلى مصر سياسة متبعة ، كثيرا ما مارستها السلطات فى الحجاز ومصر ، على مدى العصور السابقة ، فعندما دخل السلطان سليم الأول مصر منتصرا فى سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧ م وجد القاضى الحجازى صلاح الدين ابن أبى السعود بن ظهيرة منفيا بها لعجزه عن أداء عشرة الاف دينار طالبته بها حكومة السلطان الغوري ، كما وجد فى مصر كذلك بعض أعيان مكة المنفيين بها لأمور نقمها عليهم سلطان مصر فأمر السلطان سليم الأول بإكرامهم وعودتهم جميعا إلى وطنهم (مكة) المكرمة (٣) .

---

(١) منهم : أحمد أمين - زعماء الاصلاح ص ٨٢ .

(٢) خير الدين الزركلى - الأعلام - م ٣ - ص ص ٩٥٤ ، ٩٥٥ .

(٣) ابن زينى دحلان - خلاصة الكلام ص ص ٥٠ ، ٥١

وفى عصر محمد على باشا اتخذت مصر منفى لأبناء وأحفاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقد أقام هؤلاء ردحا طويلا من الزمن فى مصر، وتوفى بعضهم فيها (١) . وكان لمعظمهم دور كبير فى إثراء الحركة الفكرية والثقافية بين مصر والحجاز كما سيأتى بيانه فى الفصل الرابع .

وفى شهر صفر سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م بعث الشريف محمد بن عون بالتماس إلى محمد علي باشا يرجوه فيه العفو عن آل سبعة عشر رجلا الذين نفوا من المدينة المنورة إلى مصر ، وقد سمح لهم محمد على بعد أن صفح عنهم بالمشى فى الأسواق ووعد بأنه سوف يطلق سراحهم إلى وطنهم ، ولقد طلب الشريف فى التماسه هذا أن يكون صفح محمد على عنهم كأنه تم بوساطة الشريف لهم حتي تزداد هيبته ويتحسن مركزه بين القبائل (٢) .

فقد تولى هذا الشريف على إمارة مكة بعد وفاة عمه الشريف عون الرفيق سنة ١٢٣هـ/ ١٩٠٥م وكان الشريف على من أصدقاء السلطان العثمانى - عبدالحميد الثانى - فلما قامت حركة الاتحاد والترقى فى الآستانة ونجحت فى السيطرة على مقدرات الأمور أصدر الاتحاديون أوامرهم بإعلان الدستور فى الولايات العثمانية ، إلا أن الشريف عليا تباطأ فى الاعلان مما أغضب عليه الاتحاديين ، فأصدروا أمرا بعزله فى ٢٨ من رمضان سنة ١٣٢٦ هـ / ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٠٨ ، ثم أصدروا أمرا بنفيه وعائلته الى مصر (٣) .

غير أن أحد الباحثين يذكر : (٤) أن الشريف عليا استقال ولجأ الى مصر خشية بطش الاتحاديين .

---

(١) ابراهيم عبدالمحسن - تذكرة أولى النهى - ص ٥ ومابعدها و ١٧٣ و ٢٢٢ ومجلةالدارة - العدد ٣ السنة الخامسة - (ربيع ثان سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠).

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقة التركية رقم ٧ أصليه محفظة ٢٦٩ عابدين - من الشريف محمد بن عون من المدينة المنورة إلى المعاونة السنية (بتاريخ غرة صفر سنة ١٢٥٦) .

(٣) حافظ وهبه - جزيرة العرب فى القرن العشرين - ص ١٤٦ .. وأنظر : أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ٥٦٠ .

(٤) د/ طالب محمد وهيم - مملكة الحجاز - ص ٣٤ .

كما يذكر (١): أن الشريف عليا خشى أن يعمد رجال الاتحاد إلى الانتقام منه، فغادر الحجاز على عجل وذهب إلى مصر لاجئا سياسيا .

والصحيح هو ما رواه السباعى ووهبه لأن الاتحاديين عزلوا والى الحجاز- أحمد راتب - لتباطئه هو الآخر فى إعلان الدستور وعينوا مكانه كاظم باشا ، ولأن هذين الباحثين لم يمعنا النظر فيما نقلاه عن حافظ وهبه والسباعى وهما المؤرخان اللذان أعتمدت على روايتهما فيما ذكرته وتعد كتابتهما مصدرا أصليا للوقائع التاريخية فى تلك الحقب فى الحجاز .

وقد رحل الشريف على إلى مصر حاملا معه أموالا طائلةوكثيرا من الذهب والورق ، فاشترى بها املاكا وعقارات ، كما اقتنى قصرا فى منطقة حدائق القبة عاش فيه عيشة رغدة وكان يغد عليه الكثيرون من أبناء الأسر الهاشمية فى الشدة والرخاء (٢) .

يتضح مما سبق مدى الترابط الوطيد بين مصر والحجا ز والدور الذى لعبته مصر في درء الكثير من الأخطار التى أحدقت بالحجاز ، وقد أظهرت الأحداث مدى تمسك محمد على باشا بالحجاز، وفى المقابل موقف الحجازيين الذى تمثل فى استعدادات شريف مكة لصد أى اعتداءات انجليزية أو أوربية بعد التهديدات الانجليزية لمحمد على ومناطق نفوذه ، كما ظهر الترابط أيضا من حرص الأشراف على الحفاظ على الجيش المصرى أثناء انسحابه إلى مصر سن ١٢٥٦هـ/ ١٢٥٧هـ - ١٨٤٠م/١٨٤١ م .

ولم ينته الأمر بين القطرين بخروج جيش محمد علي ، بل أستمرت العلاقات السياسية حيث ظلت بعض آثار السطوة المصرية السياسية فى الحجاز ، وظهرت فى التدخل لعزل والى جدة عثمان باشا تاتار انتصارا لشريف مكة محمد بن عون الذي كانت تربطه هو وأسرته علاقات وطيدة بمصر، واستمرت العيون المصرية ساهرة على حماية الحجاز عند تعرضه للأخطار ، وخاصة عندما ثار العسيريون ، وسببوا بعض القلاقل للحجاز كانت لهم مصر بالمرصاد ، فتدخلت بالترغيب والترهيب

---

(١) د/ فائق بكر الصواف - العلاقات بين الدولة العثمانية وأقليم الحجاز - ص ٩٩ .

(٢) حسين بن محمد نصيف ماضى الحجاز وحاضره - جـ١ - مكتبة خضير ط ١ مصر - ١٣٤٩هـ ص ٥.

حتى كسرت شوكتهم وكبحت جماحهم ، كما تحملت مصر عبء إدارة ميناءي سواكن ومصوع وسعت إلى ضمهما اليها رغم معارضة ولاية جدة لذلك ، و كانت هذه المساعى مع ما تلاها من صراع سياسى على السيطرة على قلاع الحجاز بعض نقاط الخلاف التى ثارت بين القطرين إلا أن تسويتهما كانا بالطريقة الدبلوماسية التى لم تؤثر مطلقا فى العلاقات الوطيدة بين الشعبين .

كما ظهر الارتباط واضحا فى تبادل نفى الأفراد بين القطرين بشكل غير منتظم .. وهذا فى حد ذاته يعطى للباحث تخيلا وإيحاءا بامتداد كل قطر ليكمل الآخر ليس فقط جغرافيا ، وإنما من وجوه أخري عديدة .

الفصل الثالث

العلاقات التجارية
بين مصر والحجاز

تمهيد :

كان لمصر السيادة على الحجاز في العصرين الفاطمي والأيوبي .

وقد أصبحت هذه السيادة في العصر المملوكي أكثر وضوحا وأشد رسوخا وعلى الرغم من ذلك فقد كان تصريف شئون الحكم في الحجاز في يد الأشراف لكن تحت السيادة المصرية .

أما ميناء جدة - ثغر الحجاز الرئيسي - فقد ظل تحت السيطرة المصرية المباشرة إبان العصر المملوكي .

ولقد اعتمد الحجاز إلى حد كبير على ما أعتادت مصر أن ترسله كل عام من خيرات إلى الحرمين وبعض القبائل العربية في المنطقة الحجازية وهذا عدا المرتبات المنتظمة التي كانت تبعث بها الى الأشراف . وبدخول العثمانين مصر والشام رأي السلطان سليم الأول ابقاء الأمر في الحجاز على ماهو عليه من سيطرة الأشراف على الحكم تحت السيادة العثمانية والإشراف المصري مع ما ترسله مصر من مخصصات الحجاز وكان من مقتضى السيادة العثمانية على الحجاز أن تظل مصر مركزا لادار شئونه والاشراف عليه وأن تكون معبرا للسيادة العثمانية عليه .

أما جدة فقد باتت مع بعض الموانى والمناطق الخاضعة للعثمانيين على ساحل البحر الأحمر كسواكن ومصوع باشوية جديدة عرفت باسم باشوية جدة وولاية الحبش واستمرت علاقات مصر بالحجاز قائمة في ازدياد ونماء طوال العصر العثماني وتنوعت تلك العلاقات بينهما في الجانب الاقتصادي في نواح شتى ونخص بالذكر هنا العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين الولايتين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حتي بداية الحرب العالمية الأولى .

أسباب رواج التجارة بين مصر والحجاز فى هذه الحقبة :

لقد تضافرت عوامل كثيرة ساعدت على ازدياد النشاط التجاري بين البلدين وتتمثل هذه العوامل فيما يلى :

أولا : عناية مصر بالبحر الأحمر وسواحله والتى أصبح معظمها خاضعا للسيادة المصرية فى القرن التاسع عشر .

ثانيا : استيلاء مصر على ميناء سواكن الذي يعد المخرج البحرى الوحيد آنذاك للتجارة السودانية ، وأقرب الثغور الشرقية إلى جدة مما ضاعف من حجم التبادل التجارى بين مصر والحجاز عن طريق سواكن جدة .

ثالثا : قرب الموانئ المصرية واتصالها بالموانى الحجازية المواجهة لها على الضفاف الشرقية للبحر الأحمر .

رابعا : وجود روابط اجتماعية بين القطرين والتي من أجلها دام الاتصال والسفر بين البلدين.

خامسا : ظهور الشركات الملاحية المصرية فى البحر الأحمر والذي أدى إلي ازدياد التبادل التجاري بين القطرين .

ولذلك فقد عمدت الحكومة المصرية منذ سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م إلى تسيير خطوط ملاحية منظمة بين السويس وسواكن وجدة ، ويمكننا أن نعرف نظام الرحلة الدورية لإحدى البواخر المصرية من خلال الأمر الصادر إلى وكيل الكمبانية العزيزية بالسويس (١) فى ١٨ من رمضان ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م بأن يتم شحن الباخرة (مصوع) بآلات التلغراف المرسلة إلى سواكن مع بعض

---

(١) هى شركة لتسيير السفن التجارية والسفرية فى البحر الأحمر والمتوسط اشترك فيها مجموعة النظار والأثرياء المصريين وبعض الأجانب وقد تمت الموافقة على انشائها فى ٥ من ذى الحجة سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٣م على أن يكون أسم الشركة (الشركة المصرية فى سياحة السفن) ومدة الترخيص لها ثلاثون عاما ، وقد منحتها

=

المهمات والتعينات لإنزالها فى سواكن ثم تتجه بعد ذلك الى جدة مشحونه بالبضائع التجارية التى حملتها من سواكن لتفريغها فى جدة ، ثم تحمل بضائع أخرى من جدة وتتم شحن حمولتها لتعود بها الى السويس (١) فمن هذا الأمر نعرف خط سير السفن الحكومية التجارية التى تشرف عليها الكومبانية العزيزية وهو السويس - سواكن - جدة - السويس .

ومما هو جدير بالذكر أن الحكومة المصرية دعمت الأسطول الحربى منذ سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥ م للسيطرة على تلك المنافذ والسواحل فى البحر الأحمر .

بيد أن انجلترا خشيت من ظهور قوة عسكرية مصرية كتلك القوة التى ظهرت فى عصر محمد على فأوعزت إلى الدوله العثمانية بوضع العراقيل وتحجيم هذا الأسطول مما أضطر مصر إلى أن تتجه اتجاها آخر تركز فى تقوية شركات الملاحة التجارية التى تعمل فى هذا البحر ، وقد ساعدها هذا على رواج التجارة بين موانيه (٢) ، خاصة أن ميناء جدة كان يزدحم فى مواسم كثيرة بسفن تجارة الهند وجاوا ، وهؤلاء كانوا على درجة كبيرة من الثراء والخبرة فى الأمور التجارية مما يجعل التعامل معهم مربحا للغاية (٣) .

= الدولة الكثير من الامتيازات ثم تحول اسم الشركة الى (القومبانية العزيزية) تيمنا باسم السلطان عبدالعزيز(١٨٦٣-١٨٧٦)م .

أنظر : دار الوثائق القومية - الوثيق رقم ٦٤٠ص ١٠٠ دفتر ١٩٠٧ أوامر بتاريخ (٣ من شعبان سنة ١٢٨٠هـ) ، والوثيقة رقم ٣٨٠ - دفتر ٢١ - هعابدين ، بتاريخ ١١ من ذى القعدة سنة ١٢٨٠هـ.

(١) دار الوثائق القومية - التلغراف التركى رقم ١٢٧ الدفتر ٢ عابدين صادر تلغرافات- من رياض باشا إلى وكيل الكمبانية العزيزية بالسويس بتاريخ ١٨ من رمضان سنة ١٢٨٢ هـ) .

(٢) د/ شوقى الجمل - الوثائق التاريخية - ص ٣ وتاريخ سودان وادى النيل - جـ ٢ - ص ١٥ .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٩٤ أصلية محفظة ٢٦٩ عابدين - من الشريف محمد بن عون إلى المعية السنية بتاريخ ٧ من محرم سنة ١٢٥٧ هـ .

الانماط التجارية المتبادلة بين مصر والحجاز :

سأفصل الحديث فيما يلى عن أشهر السلع التجارية التى استقبلتها كل من مصر والحجاز أو صدرتها فى مجال التبادل التجارى بينهما .

اولا : تجارة البن :

سبق أن ذكرنا أنه كان هناك تجارة رائجة بين مصر والحجاز فى بداية القرن التاسع عشر وأن نابليون بونابرت حاول استغلال هذا الرواج الاقتصادى التجارى بين البلدين فأرسل إلى شريف مكة فى طلب نقل وتشجيع التجارة الحجازية الى مصر وقد أجابه الشريف بإرسال عدة مراكب تصحبها تجارة خاصة بالشريف وكميات كبيرة من البن (١) .

وفى عهد محمد على وقبل سيطرته على شبه الجزيرة العربية - كان للتجارة المصرية مع بلاد الحجاز قدرها وضرورتها ، وآثارها الواضحة ، فيذكر الجبرتى فى أحداث جمادى الأولى سنة ١٢٢٦هـ (٢) ، أن الوارد انقطع من الديار الحجازية وغلا سعر البن حتى وصل الى مائتين وسبعين نصف فضة لكل رطل ، وقل وجوده من الأسواق والدكاكين ، فلا يوجد الا مع المشقة ، وصنع الناس القهوة من أنواع الحبوب المحمصة كالشعير والقمح والفول وبزر العاقول مخلوطا مع البن وبغير خلط وفى الشهر التالى أى في جمادى الثانية يذكر الجبرتي انفراج الأزمة فيقول "وفيه وردت مراكب وداوات (٣) وفيها البن وذلك باستدعاء الباشا لها من ناحية جدة .. وانحل سعر البن "وفي سنة ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م أعرب الشريف عن ولائه لمحمد على باشا عندما أمر قادة السفن الكائنة بمرساة الينبع بأن ينقلوا ما فيها من مال التجار وغيرهم ويودعوه قلعة المدينة (ينبع) ثم أخذ هذه السفن وأوسقها بما فيها من بضائع وبهاروين وأرسلها إلى السويس لتباع بمصر (٤) .

فاذا كان هذا هو حال التجارة قبل استيلاء (محمد على)على شبه الجزيرة العربية فمن البدهى أن حالها قد دب فيه النشاط بعد أن صارت مصر والحجاز تحت إدارة واحدة هى إدارة محمد على

---

(١) أنظر : الفصل الأول .

(٢) الجبرتى - عجائب الآثار- جـ ٤ - ص ١٩٢ .

(٣) الداوات هى السفن الكبيرة .

(٤) الجبرتى - عجائب الآثار- جـ ٤ - ص ١٩٤ .

فأصبحت هنا ك قوافل من السفن تمخر عباب البحر الآحمر باستمرار مما شجع على نقل التجارة بين البلدين بصورة منتظمة ، ومكثفة .

ومما يجدر ذكره فى هذا المقام أن الحجاز لم يكن فى الغالب ينتج شيئا (١) يشكل سلعة تجارية وكان البن يرد من اليمن إلى جدة أو القنفذة ، ويتم تصديره بعد ذلك بوسائل التجارة المعروفة إلى مصر ، كما كان الحال كذلك بالنسبة للبضائع الأخرى التى كانت ترد من الهند وجاوا وغيرها (٢) .

وقد عانت كل من مصر والحجاز فى سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م من قلة البن الوارد من اليمن بسبب عسف حكام هذا الاقليم بزرّاع البن خاصة حكام صنعاء ، هذا بالاضافة الي أن منطقة عدن التى يكثر بها زراعة البن وكان يسيطر عليها الثوار اليمنيون الذين ظلوا فى ثورة دائمة ضد الحكم المصرى تمكنوا من قطع امدادات البن الذى يمتاز به إقليم عدن ، ولذلك فقد اقترح ابراهيم توفيق باشا قائد الجنود المصرية باليمن شمول الأهالى برعاية الحكومة المصرية ومساعدتهم بتذليل العقبات فى سبيل غرس أشجار البن وترغيبهم في ذلك حتى تكثر زراعته ويعم نفعه (٣) .

وعلى الرغم من أن السودان توجد فيه زراعات للبن في السهول الخصبة التى تقع بين عطبرة والنيل الأبيض (٤) إلا أن إنتاجه كان يباع محليا ، ولم تكن تعتمد عليه مصر ، ربما لاعتمادها على البن اليمنى الذى كان يأتيها عن طريق الحجاز فى ذلك الوقت .

---

(١) كما ذكر الله فى كتابه الكريم " يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا الآية ٥٧ من سورة القصص .

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقة ٢١٤ - الدفتر ١٥٦ مجلس ملكى - المحفظة ٦ أبحاث الحجاز قرار صادر من مجلس جدة بتاريخ (١٥ من ذى القعدة سنة ١٢٥٣) .

وانظر : الوثيقة رقم ٣١٥ حمراء المحفظة ٢٦٢ عابدين - من ابراهيم توفيق باشا بالحديدة إلى الجناب العالى بتاريخ (٥ من ذى الحجة سنة ١٢٥٣ هـ) .

وانظر : الوثيقة رقم ٢٥٥ حمراء - رقم ٩٤ أصلية ٢٦٩ من الشريف محمد بن عون الى المعية بتاريخ ٢٠ ذى الحجة سنة ٥٦ ورد ت في ٧ محرمسنة ١٢٥٧ هـ) .

(٣) دار الوثائق القومية - وثيقة رقم ٣١٥ حمراء - محفظة رقم ٢٦٢ عابدين - من ابراهيم توفيق باشا بالحديدة الى الجناب العالى بتاريخ (٥ من ذى الحجة سنة ١٢٥٣ هـ) .

(٤) محمد صالح ضرار - تاريخ سواكن والبحر الأحمر - ص ٧٦ ،

وقد حدث فى سنة ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م تغير ملموس فى تجارة البن بين مصر والحجاز اذ أن جدة بعد أن كانت تعتمد فى الاستيراد على البن الذى يأتيها من جهة اليمن نجد أنها - فى العام المذكور - تستورد البن من اليمن ومصر معا (١) .

والراجح عندى أن البن الذى استورده الحجاز من مصر هذا إنما وصلها عن طريق السودان بعد زيادة الاهتمام بزراعته فى الأراضي السودانية ويؤيد هذا الترجيح ما جاء فى وثائق حكمدارية هرر التابعة للادارة المصرية (٢) وهو صدور الأوامر المصرية إلى حكمدار هرر بتشجيع الأهالى علي زراعة البن ، وامتثال الحكمدارية لتلك الأوامر حتى بدأ الأهالى بالفعل فى زراعته.

وقد طلب أهالى هرر بعض أصناف من الأقمشة فوافقت الحكومة المصرية علي إرسال ما يحتاجونه منها على شرط مبادلة الأقمشة بالبن بحيث يتم إرسال البن من هرر إلى مصر وتسويقه فيها ، وما ينتج عن بيعه تخصم منه قيمة الأقمشة (٣) .

---

(1) Muhammad S. Al Shaafi - the foreign TRade of Juddah . O. 101.

(٢) تعد مدينة هرر من أكبر مدن الحبشة من حيث العمران وتقع شرق مدينة أديس أبابا جنوب خط عرض ١٠ وشرق خط طول ٤٠ وهى أقرب الحدود الصومالية الاثيوبية وأقرب البلاد الحبشية اليها ديرداة ، وأقرب البلاد الصومالية اليها هر جيسة - أنظر : ادارة المساحة الأطلس العربي ص ١٢ طبع القاهرة ١٩٧٨ م ومعظم أهلها البالغ عددهم ثمانون ألف نسمة مسلمون ، ويشتغلون بالتجارة والزراعة ، وريش النعام ، وتعد مدينة هرر من البلاد التى أكتشفها الجغرافيون المصريون ، ولم يسبقهم إليها أحد قبلهم فى العصر الحديث .

انظر : دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٤ - محفظ ٣ عابدين وارد معينة من أركان حرب مأمورية هور- بتاريخ (٣ من محرم سنة ١٢٩٣ هـ) وأنظر : الوقائع المصرية العدد ٦٥٥ بتاريخ (٢٨ من ربيع أول سنة ١٢٩٣ هـ) (٢٣ من أبريل سن ١٨٧٦ م).

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة العربية رقم ٨ ص ٧٦ الدفتر رقم ١٠ أوامر عربية - أمر الى حكمدار هور - بتاريخ ١٨ من جمادى الثانية سنة ١٢٩٣ هـ) .

ثانيا : تجارة الملح :

كانت تجارة الملح طوال القرن التاسع عشر من التجارات الرائجة بين جدة والبلاد الساحلية التى تسيطر عليها مصر كمصوع ، وسواكن ، والقصير ، من أجل ذلك عمدت الادارة المصرية فى تلك البقاع الساحلية إلى تنمية هذا المورد الجيد وتنظيم تجارته ، وكانت فى سواكن ملاحتان هما ملاحة درج ، وملاحة راوية ، وتبعد الأولى مسافة ستين ميلا عن سواكن ، بينما تبعد الثانية عنها مسافة ١١٢ ميلا ، وكان بكل منهما جنود وكتاب لضبط عملية الايرادات فى الوقت الذى كانت تنتج فيه ملاحة راوية الجزء الأكبر من الملح المصري وتبعد هذه الملاحة عن البحر بمسافة قدرها الف وخمسمائة متر (١) فكان انتاجها من الملح يحمل إلى جدة على السفن حيث يباع هناك لتجار الهنود (٢) .

وكيفية ذلك أنه كان يتم جمع كميات الملح بتكسيره بـ (القزم والمعتلات) ثم ينقل بالمقاطف وهو مشبع بالمياه حيث تحمله الحمير عبر ألف وخمسمائة متر الى الصنادل (*) الصغيرةالتى توصله الى السواعى (٣) فتنطلق تلك السواعى به الى ميناء جدة حيث تباع الأقة هناك منه بخمس فضيات تدفع اثنان منها للنقل والشحن ، بينما يحصل التجار والحكومة المصرية على ثلاثة أخماس ثمنه (٤)

---

(١) أنظر : أمين سامى باشا - تقويم النيل - م ٢ جـ ٣ - ص ٩١٢ .

وأنظر : سعد الحلوانى - الحكم المصرى فى سواكن وملحقاتها - ص ١٥٨ .

(٢) دار الوثائق القومية محافظ أبحاث السودان تقرير أحمد ممتاز باشا محافظ سواحل البحر الأحمر الى مهودار خديوى - بتاريخ(٢٤ من المحرم سنة ١٢٨٨ هـ / ٢٦ من مارس سن ١٨٧١ م).

(*) الصنادل جمع صندال وهى لفظ تركية تعنى الزورق ، والسنبوك " والقارب .

أنظر : محمد على الأنسي - الدراري اللامعات - ص ٣٣٩ .

(٣) جمع ساعية وهى : المراكب التى تحمل من عشرة أطنان الى خمسة عشر طنا ويستعمل السواعي مستخرجوا اللؤلؤ والأصداف والمحار ولهذا النوع سوق رائجة بالسودان حيث يباع بأسعار جيدة .

أنظر : عبدالقدوس الأنصارى - موسوعة تاريخ جده - م ١ - ص ٤٥٨.

(٤) دار الوثائق القومية - قسم الوثائق الأفريقية - المحفظ رقم ١١١ - سواحل البحر الأحمر - أوراق واردة من سواحل البحر الأحمر - الدفتر رقم ١٦ أحمر جورنال مرور - ص ٩ .

منها ١٫٨ فضة من ثمن كل أقة للحكومة ويتبقى لأصحاب الملح ١٫٢ فضة من ثمن كل أقة . وقد كان النظام المعتاد قبل إحالة تلك الموانى السودانية علي الادارة المصرية هو أن تحضر المراكب من جدة الى سواكن لأخذ الملح وتصريفه بجدة حيث يتم الاتفاق على أثمانه هناك بين تجار الحجاز والتجار الهنود الذين يحملونه على المراكب الهندية الى بلادهم لافتقار بلاد الهند الى الملاحات فى هذا الزمن - إلا أنه بعد إحالة ذلك الثغر والملاحات على مصر في سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥م أمرت الادارة المصرية فى الخرطوم محافظ سواكن بعدم تصريف الملح من الموانى المصرية كطوكر والقصير قبل قبض الثمن من أصحاب تلك المراكب مثلهم فى ذلك مثل العربان الذين لا يعطون الملح إلا بعد أن يدفعوا ثمنه . لكن ناظر رسومات جدة أرسل إلى محافظ سواكن فى ٢١ من شعبان ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥ م يستعجل ورود الملح الى جدة نظرا لرسو ثمانية مراكب هندية تنتظر الحصول على الملح من تجار جدة . وقد أوضح محافظ سواكن للادارة المصرية فى السودان عدم امكانية تقدير قيمة الملح وبالتالى اتمام بيعه فى سواكن لأمر فنى مفاده أن الملح وقت تجميعه من الملاحة يكون مثقلا بالماء ولا يمكن وزنه أو كيله على هذه الصورة انما يتم شحنه فى المراكب إلى جدة حيث يتم تصفيته فى الطريق ، وهناك فى جدة يتم بيعه لتجار الهند خاليا من الماء علي أساس تحديد ثمن الأقة بخمس من الفضة (١) . ومما يعجب له الباحث هذا الفرق الشاسع بين ثمن بيعه للتجار الهنود ، وثمن بيعه للأهالى في الحجاز حيث كان يباع للتجار الهنود بخمس فضيات ، وكان يباع للأهالى بخمسين فضة ومعني ذلك أن الأهالى كانوا يدفعون فيه عشرة أضعاف ثمنه وهذا فرق لم نعثر له على سبب مقنع . بيد أنه يمكننى أن أخرج من قراءاتى لعديد من الوثائق بنتيجة فحواها أن تجار جدة لم يستطيعوا احتكار الملح عند بيعه للتجار الهنود نظرا لوجود منافس تجارى قوى فى عدن التى كانت تستخرج الملح وتخضع للاحتلال البريطانى لكنهم استغلوا ضعف الأهالى وحاجتهم فاحتكروا الملح وباعوه لهم بأسعار باهظة زادت على السعر الذى باعوا به للتجار الهنود خمسا وأربعين فضة فى كل أقة .

---

(١) دار الوثائق القومية - المكاتبة العربية رقم ١٦٦ صفحه ١٩٥ - دفتر رقم ٣٥٤٣ ح صادر محافظة سواكن من محافظ سواكن الى وكيل عموم السودان بتايخ (٢١ من شعبان سنة ١٢٨٢ هـ) .

وانظر : مكاتبة رقم ٣٦٧ - صفحة ١ جـ ٢ دفتر ص ٢/٥/٢/٤ صادر محافظة سواكن (بتاريخ ٢٢ من شعبان سن ١٢٨٢ هـ) .

ونظرا للمشكله التى طرأت أمام الادارة المصرية بخصوص طريقة تثمين وبيع الملح فقد أرسلت محافظة سواكن الى الحكومة المصرية فى ٢٢ من شعبان سن ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م بطلب تعيين من يتولى عملية وزن وتقدير وتصريف الملح فى جدة بالاضافة الى قبض ثمن المباع وضرورة الاسراع فى ذلك نظرا لوجود ست سفن هندية ترغب فى شراء الملح (١) .

وقد رأت الحكومة المصرية ضرورة تجهيز مخزن للملح فى جدة وارسال وكيل عسكرى من مصر برتبة (قاووش أغاسى) ليقيم هناك على أن يصاحبه كاتب وبعض الجنود وتكون واجبات هذا الوكيل وأعوانه مراقبة السوق التجاري وتقدير مدي احتياجه للملح ، ثم يقوم بعد ذلك بطلب الكميات اللازمة مباشرة ، وقد تم إرسال هؤلاء الرجال إلى جدة فى شوال سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م بعد أن حصلوا على الأوراق اللازمة لمباشرة عملهم فيها ، ولضبط وربط عملية بيع الملح هناك (٢) .

ويبدو أن هذا النظام قد تغير بعض الشئ فيما بعد وجاء فى وثيقة مؤرخة بشهر شوال سنة ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م : أنه لتنظيم عملية استخراج الملح وشحنة وبيعه بجدة عينت الحكومة المصرية ابراهيم بك عمر بكر لى مأمورا على ملاحات سواكن لينظر فى كيفية تسهيل الأعمال الخاصة بتجارة الملح والتدابير التي تؤدي الى تنميتها (٣) .

فكان عليه أولا أن ينظر فى الاجراءات ثم يتجه الى جدة لاجراء ما يلزم لتسويقه ثم يرسل السفن الى سواكن لشحن الملح عليها وفى الوقت نفسه يعود هو الى سواكن للإعداد للعام التالى ، وهكذا تدور عجلة أعماله فى نظام دورى ، أما ملاحات مصوع فلم نعثر على مايفيد تصدير انتاجها الى بلاد الحجاز ، ويبدو أنه كان يستهلك جميعه محليا وداخل أفريقيا على الرغم من كثرته ويؤكد هذا الافتراض ما جاء فى أحد التقارير أن مصوع كان بها ملاحة تسمي بردوله ، وأخرى تدعى عتيورى وأن جنوب الحبشة كلها كانت تشترى الملح منهما ، كما كان عربان المنطقة

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٣٦٧ - صفحة ١ محافظة سواكن عربية - صادر - جـ ٢ ص ٥/٢/٤/ ٢ بتاريخ (٢٢ من شعبان سنة ١٢٨٢ هـ) .

(٢) دار الوثائق القومي - الوثيقة رقم ١ - صفحة ٢٤ ادفتر ٤ /٢٥/٢/ صادر محافظة سواكن - جـ ٢ حسابات بتاريخ (٢٧ من شوال سنة ١٢٨٢ هـ) .

(٣) د/ شوقى الجمل - سياس مصر فى البحر الأحمر ص ٩٧ .

يأتون الى الملاحات التابعه لمصوع لشراء الملح منها كذلك (١) .

ثالثا : تجارة الغلال :

ظلت تجارة الغلال بين مصر والبلدان الحجازية من التجارات العظيمه (٢) نظرا لفقر تلك البلدان ولعدم وجود زراعات تقيم أود سكانها بالاضافة إلى احتياج الحجاج القادمين من مختلف الأصقاع الى ما يكفى معيشتهم طوال فترة بقائهم بالحجاز التى قد تصل إلى ثلاثة أو أربعة أشهر كل عام ولقد ظل لميناء القصير المنزلة القصوى فى عملية تخزين وشحن الغلال الى سائر البلاد الحجازية (٣) وذلك لوقوعه فى بلاد الصعيد المصرى التى كانت تنتج الغلال بوفرة ولقربه من الموانىء الحجازية .

ويذكر البتنونى (٤) : أن ميناء القصير ظل خلال القرن التاسع عشر - على الرغم من استخدام الطريق البرى هو الميناء الرئيسى لنقل وتصدير الحبوب إلى الحجاز، فلقد كانت الغلال المخصصة لكل من الحجاز واليمن يتم شحنها من ميناء القصير الى ميناء جدة (ثغر الحجاز) وفى هذا الثغر كان يتم توزيع تلك الغلال على الجهات المخصصة لها سواء أكانت فى الحجاز أم كانت فى اليمن ، وكانت الغلال المخصصة للحرمين الشريفين ترسل من مصر إلى الحجاز عبر هذا

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة التركية رقم ٢٢ - المحفظة رقم ٣٨ معية تركى تقرير مرفوع من حسن رفعت محافظ مصوع عن استلام ميناء مصوع بتاريخ (٦ من المحرم سنة ١٢٨٣ هـ) .

(٢) محمد جمعان دادا - جدة فى عهد الملك عبدالعزيز - ص ٥٠ .

(٣) وبتعبير إحدي الوثائق : " اذ أنها هى أصل شئون الحجاز فترد عليها كل الذخائر التى ترسل لأجل سائر البلدان الحجازية .

أنظر : دار الوثائق القومية الوثيقة رقم ٤ أصلية / ٥٦ حمراء المحفظة ٢٦٧ عابدين (ملف القصير) من حسين أغا محافظ القصير الى باشمعاون الخديوى بتاريخ ١٢ من محرم سنة ١٢٥٥ هـ) .

(٤) محمد لبيب البتنوني - الرحله الحجازية - ص ٤٤ .

الطريق (١) . وقد حدد ابراهيم رفعت أسماء الأصناف المتبادلة بين الجهتين في الحنطة ، والأرز، والصابون ، والسكر (٢) .كما ذكر وهو يتحدث عن رحلته الى الحجاز فى سنة ١٣١٩هـ(٣) / ١٩٠١ م أن أهالى الوجه كانوا يتاجرون فى الأرز والشعير والفول والحبوب الأخرى وكانت هذه الحبوب ترد إليهم من مينائى القصير والسويس على سفن شراعية .

وقد كانت أسعار الغلال فى الحجاز متفاوتة وغير محددة جاء فى إحدى الرسائل الرسمية أن الحكومة الخديوية المصرية قامت ببيع خمسمائة أردب من الغلال لقافلة الحج الشامى بالسعر الميرى(٤) فى شهر شوال ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م وهذا معناه أنه كانت هناك أسعار أخري غير أميرية خاضعة للعرض والطلب والاستغلال.

كما كانت الحكومة الخديوية المصرية تقوم فى الأحيان بشراء بعض الغلال الواردة إلى الجاز لحساب التجار وذلك لكفاية حاجات الحجاج وحاجات الجنود والخدم الموجودين فى حراسة قوافل الحج فعلى سبيل المثال عندما ورد ت من رابغ كمية من الغلال لحساب التجار فى ذى القعدة سنة ١٢٥٥هـ/١٨٤٠م اشترى منها محافظ المدينة المنورة ما يكفى لتموين الجنود وسائر الخدم الميرية الموجودين فى حراسة الحجاج على الطريق إلى مكة المكرمة ، كما اشترى أيضا ما يكفى لعليق الجمال الأميرية والخيول (٥) وذلك لعدم ورود الغلال المصرية الأميرية من الينبع .

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٢٣ أصلية / تابع نمر ٨٦ حمراء المحفظة ٢٦٦ عابدين صورة العريضة المرسلة من حضرة سليمان أفندى محافظ جدة إلى ديوان المعاونة بتاريخ (١٧ من جمادى الأولى سنة ١٢٥٥ هـ) .

(٢) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - دار المعرفة - بيروت - ص ٢٤ .

(٣) ابراهيم رفعت (باشا) مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ٤٩٠ .

(٤) دار الوثائق القومية - الوثيقة التركية رقم ٣٧ أصلى / ٢٥ أحمر - المحفظة ٢٦٦ عابدين من محافظ المدينة المنوره إلى كبير معاونى الجناب العالى بتاريخ (١١ من شوال سنة ١٢٥٥ هـ) والوثيقة رقم ١١أصلية / ١٨٦ حمراء المحفظ ٢٦٧ عابدين - من مصطفى توفيق أفندي محافظ ينبع الى باشمعاون الخديوى - بتاريخ غرة ذى الحجة سنة ١٢٥٥ هـ .

(٥) دار الوثائق القومية - الوثيقة التركية رقم ٤٤ أصلية / ١٦٤ حمراء - المحفظة ٢٦٦ عبدين - من محافظ المدينة إلى كبير معاونى الجنب العالى - بتاريخ ٢١ من ذى القعده سنة ١٢٥٥هـ .

هذا بالاضافة إلى أنه كانت هناك بعض الظروف التي تضطر فيها مصر إلى شراء الغلال من الكويت والاحساء ونجد لتسد حاجات الحجا ز من هذا الصنف (١) على الرغم من أن تلك البقاع كما نعلم - لم تكن تنتج الغلال انما كانت تلك الغلال تأتى الى أسواقهما فى الغالب - من العراق وايران واليمن ، الا أن عملية الشراء هذه فيما يبدو - كا نت تتم عند تعذر الشراء من المدينة أو من الينبع أو من جدة .

وهناك بعض الوثائق التى تشير الى أن سفن الغلال المصرية كانت تفرغ حمولاتها فى الينبع ثم تحمل هذه الغلال على ظهور الجمال الى المدينة المنوره (٢) ومما تجدر الاشاره اليه أن الحجاز كان يستقبل كل عام كميات كبيرة من الغلال منها من بلاد قبائل غامد وزهران وبنى شهر وبنى عمرو بالقرن وشمران (٣) حتى أن تلك البلاد كانت تمد الحجاز بحوالى خمس آلاف أو ستة آلاف أردب من القمح حسب الانتاج فيها (٤) .

أما أسعار تلك الغلال التي كانت تباع بها فى الحجاز فقد كانت تتراوح بين ثلاثمائة وأربعمائة

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة التركية رقم ٣ - المحفظة ٢٦٦ عابدين بتاريخ (٩ من شوال سنة ١٢٥٥هـ).

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقه التركية رقم ١٢٨ حمراء / ٤٨ أصلية المحفظة ٢٦٩ عابدين من الشريف محمد بن عون إلى باشمعاون جناب الخديوى - بتاريخ غرة جمادى الآخرة سنة ١٢٥٦ هـ .

(٣) تكون هذه القبائل معظم مجموعة قبائل عسير وتشمل جغرافيتها التقريبية الأراضى الواقعة جنوب الحجاز، وشمال اليمن ، ويبلغ عدد أبناء قبيلة غامد مائة وعشرين ألف نسمه ، بينمنا يبلغ عدد أبناء قبيلة زهران مائة وخمسين ألفا ، أما قبيلة بنى شهر فيبلغ عدد أبنائها مائة وخمسين ألفا ، وعدد أبناء بنى عمر خمسة وثلاثون ألفا ، ويبلغ عدد أبناء قبيلة بالقرن أربعين ألفا ، ويبلغ عدد أبناء قبيلة شمران خمسة وثلاثين ألفا ، وهذا التقدير التقريبى عن الوضع فى أوائل القرن العشرين أنظر : شرف عبدالمحسن البركاتى - الرحلة اليمانية - ص ١٠٠ ومابعدها ، وعبدالفتاح حسن أبو علية - تطور المجتمع السعودى فى عهد الملك عبدالعزيز ال سعود في ١٩٠١ م ١٩٥٣ - دكتوراه من جامعة القاهرة ص ٦٦ .

(٤) دار الوثاق القومية - الوثيقة العربي رقم ٢١٦ حمراء - المحفظ ٢٦٦ عابدين - من أحمد شكرى إلى معاون جناب الخديوى - بتاريخ (٢٢ من ربيع الأول سنة١٢٥٥ هـ) .

قرش للأردب وقت شح الغلال (١) أما وقت ورودها بكثرة فقد كانت أسعارها تصل إلي مائة وسبعين قرشا للأردب الواحد (٢) .

وجدير بالذكر : أيضا أن عمليات شراء الغلال من داخل شبه الجزيرة ذاتها والتى كانت تقوم بها الادارة المصرية لم يقلل من كمية الغلال التى كانت ترسلها مصر إلى بلاد الحجاز كل عام فقد كانت سفن الشركة العزيزية تغادر السويس بانتظام مشحونة بالغلال إلى موانى الحجاز (٣) .

ولايكاد يمر يوم دون أن ترد الى ميناء السويس أحدى سفن هذه الشركة محملة بالبضائع والركاب من مختلف موانئ البحر الأحمر (٤) .

ويستطيع الباحث أن يلمس من متابعته لما كانت تنشره جريدة الوقائع المصرية حول تجارة الغلال مدى رواج هذه التجارة وعلو قدرها بين القطرين الشقيقين (مصر والحجاز) طوال القرن التاسع عشر، ومن الأمثله التاريخية التى يمكن سوقها كشواهد على حركة نقل الغلال من مصر إلى الحجاز .

أن الباخرة المسماة الحديدة سافرت فى ٢٨ من صفر سنة ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م من السويس الى الينبع ، وهى تحمل أربعمائة وثمانين أردبا من الغلال ، هذا بالاضافة الى بضائع تجارية أخرى وبعض الركاب (٥) .

وأن الباخرة (دسوق) قد أقلعت من ميناء السويس فى طريقها الى ينبع وجده ومصوع بتاريخ غرة ربيع الأول سنة ١٨٥ هـ / يونيه ١٨٦٨م وهى تحمل أربعة آلاف وثمانمائة أردب من القمح

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة التركيبه رقم ٤٤ أصلية - ١٢٣ حمراء - المحفظة

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٤ أصلية - ١٦٥ حمراء - المحفظة ٢٦٦ - عابدين - من محمد بن عون الى صاحب الدولة الخديوى بتاريخ (٢٢ من ذى القعدة سن ١٢٥٥هـ) .

(٣) د/شوقى الجمل - سياسة مصر فى البحر الأحمر - ص ٢٩٠ .

(٤) المرجع السابق - ص ٢٩٠ .

(٥) الوقائع المصرية - العدد ٢١١ - بتاريخ ٢ من ربيع الأول سنة ١٢٨٥ هـ / ٢٢ من يونيه سنة ١٨٦٨م.

إلى الطروف التجارية وبعض الركاب (١)

الأمر عند هذا الحد بل كانت هناك تجارة للغلال تأتى من جانب الحجاز فى اتجاه
ض الأحيان ، ويغلب على الاعتقاد أن ذلك كان يحدث عندما تفيض الغلال فوق
نخفض سعرها تبعا لقاعدة العرض والطلب بينما يكون سعرها فى مصر مجزيا وهناك
منها أن تاجرا من أهل ينبع يدعى دخيل الله قد شحن مركبة بمائتين وخمسة وخمسين
الأميرية وخمسة وثمانين أردبا من غلال التجار ، وأبحر بها من ينبع متجها إلى
ومنها أن تاجرا آخر من أهالى ينبع أيضا يدعى عوده حطب قد شحن مركبه بثلاثمائة
د با من شعير الميرى ومائة وخمسة عشر أردبا من شعير التجار (٣) وأبحر بها موليا
سير . كما كانت هناك تجارة للسمسم الذى كان يصدر من مصر إلى الحجاز فيباع فى
مر يتراوح ما بين سبعين الى مائة وأربعين قرشا للأردب ، وبلغ ما صدر منه إلى جدة
ـ/١٨٧٢م أربعة آلاف وخمسمائة وأربعة عشر أردبا (٤) .

تجارة القطن :

ور زراعة القطن المصرى فى عهد محمد على باشا من النوع الهندى الردئ إلى أنواع
أفضل (٥) أعظم الأثر فى ازدياد الطلب العالمى على القطن المصرى ومن أوائل
انت تتلهف على القطن المصرى أسواق الحجاز سواء لتسويقه محليا أو لإعادة

صرية - العدد ٢٢٨ بتاريخ ١٣ من جمادى الأول سنة ١٢٨٥ هـ ٣١ من أغسطس سنة ١٨٦٨م
سوية - العدد ١٢٨- بتاريخ ٢١ من رمضان سنة ١٢٦٤ هـ .
صرية - العدد ١٢٩ - بتاريخ ٢٨ من رمضان سنة ١٢٦٤ هـ .
ار - تاريخ سواكن والبحر الأحمر - ص ٧٦.

التطور بداية من سنة ١٢٣٧ هـ سنة ١٨٢١م حيث استدعى محمد على باشا أحد الخبراء
، وهو المسيو جامل أو جوميل فأشار بزراعة نوع جديد ، ثم أدخل الى مصر زراعة أجود الأنواع
على رأسها قطن : " ستي ايلند " الأمريكي وأقبلت على شرائه مصانع الغزل والنسيج فى فرنسا
، بعد أن نجح زراعة هذا النوع فى مصر .

تصديره مرة أخري عن طريق التجار الهنود الذين كانوا من أنشط التجار فى مدينة جدة والذين تخصصوا فى التجارة الخارجية وقد ازداد الطلب على القطن المصري ، وارتفعت أسعاره بين سنة ١٢٨٠ وسنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٣ - ١٨٦٥ م) بسبب استمرار الحرب الأهلية الأمريكية التى ابتدأت سن ١٨٦١ م / ١٢٧٨ هـ والتى كان من أثرها أن قل محصول القطن الأمريكى ، فشجع ذلك المصريين على الاهتمام بزراعة القطن ، والتوسع فيه ، وساعد على ذلك استعداد التربة المصرية ، وطبيعة الجو المناسبة لانتاج محصول جيد (١) .

وقد كان لعناية الادارة المصرية فى شرق السودان بادخال زراعة القطن إلى تلك المنطقة بعد أيلولتها الى مصر سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م أثر عظيم فى دخول هذه السلعة (القطن) ضمن المعاملات التجارية بين مصر والحجاز .

فعقب استيلاء مصر على منطقتى سواكن ومصوع أدخلت الادارة المصرية زراعة القطن الى مناطق عقيق ، وطوكر (٢) ، وسواكن ، وسنكات وغيرها .

وقد نجحت تلك الزراعة نجاحا باهرا بعد جلب بذور القطن بوفرة من مصر وتشجيع الأهالى

= أنظر : د/ محمد فهمى لهيطة - تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديث مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ١٩٤٤ م - ص ١٢ . وأنظر هيلين آن ريفلين الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر - ص ٢٠٢ ومابعدها .

(1) Muhammad S.Al . Shaafi - the foreign . Trade of Juddah during the ottoman Reriod (1840 - 1916) . All Rights 1985 . P. 93 .

وأنظر : محمد فهمى طبطة - تاريخ مصر الاقتصادى - ص ٢٨٥ .

(٢) امتازت أراضى منطقة طوكر بميزة فريدة حيث كان القطن يتم بذره فيها حتى حلول موسم السيل دون حرث الأرض ، فقط تتم زراعته على السيول المتدفقه فى الصيف .

أما فى الشتاء فتنمو أشجاره بفعل الرطوبه وبعض الأمطار حتي ينضج القطن ويتم جمعه ، وتستمر تلك الأشجار فى العطاء عدة سنوات دون الحاجة الى زرعها مرة ثانية .

أنظر : دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٣ مرور ص ١٤٦ الدفتر ١٨٤٧ معية من محافظ سواحل البحر الأحمر بتاريخ (٥ من جمادى الثانية سن ١٢٨٨ هـ) .

على زراعته مع توفير كافة الاحتياجات الضرورية له (١)

وفى البداية كان يتم شحن القطن من شرق السودان دون حلجه الى مصر ليتم حلجه فيها إلا أن الادارة المصرية أرسلت فيما بعد عدة محالج إلى منطقة شرق السودان ليتم الحلج هناك توفيرا للنقل ومصاريفه حيث أن القطن الصافى يبلغ وزنه حوالى الثلث ويبلغ وزن البذور حوالى الثلثين فحلج القطن فى أماكن زراعته يوفر ثلثى تكاليف النقل هذامن جهة ومن جهة أخري فان حلجه فى سواكن وما حولها سهل عملية تصديره الى ميناء جدة ليكون جاهزا ليبيعه فى الحجاز الى تجار القطن المحليين والدوليين هناك (٢) ، وفى جدة كان يباع قنطار القطن بخمسة عشر ريالا ، وقد أشار أحمد ممتاز محافظ سواكن على الادارة المصرية فى رسالة وجهها اليها فى ١٠ من شعبان سنة ١٢٨٦هـ بسرعة ارسال الأشياء التى اقترح ارسالها لتشجيع زراعة القطن وزيادة رقعته مع زيادة امكانات الحلج فى شرق السودان حتى يمكن الاستفادة من سوق جدة الذى كان دائم الطلب للقطن المصرى مشيرا إلى أن القطن المصرى المعروض فى جدة لا يكفى مطالب التجار فيها اذ أن معظمه يأتى من اليمن وبالسعر الذى سبقت الاشارة اليه أي خمسة عشر ريالا) .

ثم قال فى نهاية رسالته أنه اذا تم الاستكثار من زراعة القطن فى منطقة شرق السودان ، وكثر المعروض منه فى جدة ، فانه سيباع هناك بما لا يقل عن عشرة ريالات ، وهذا يحقق للحكومة المصرية والأهالى السودانية مكاسب عظيمة خاصة اذا علمنا أن الحكومة المصرية تستفيد من عوائد الجمارك المفروضة على القطن الخاص بالأهالى السودانيين عندما يتم تصديره الى جدة بالاضافة إلى ما كان يربط على زراعته من أموال وما كانت تنتفع به الحكومة خاصة حيث أنها كانت تزرع جزءا

---

(١) دار الوثائق القومي - الوثيقة رقم ١٢٢ المحفظة ١٩ بحرير - من أحمد ممتاز محافظ سواكن الى مهردار الخديوى بتاريخ ١٠ من شعبان سنة ١٢٨٦ هـ .

وأنظر : التلغراف العربى رقم ٤٥٢ - ص ٥٨ صادر تلغرافات - دفتر ١٠ - عابدين - من رياض باشا الى السكة الحديد بمصر - بتاريخ ٢٢ من شوال سنة ١٢٨٨ هـ .

(٢) دار الوثائق القومية - صور التلغراف العربى رقم ٣٩٥ صادر تلغرافات الدفتر ١٢ عابدين بتاريخ ٢٨ من شعبان سنة ١٢٨٨ هـ . - وأنظر : صورة التلغراف العربي رقم ٤٨٩ وارد تلغرافات الدفتر ١٤ عابدين من محافظ السويس الى خيرى باشا - بتاريخ ١٣ من رمضان سنة ١٢٨٨ هـ .

كبيرا على ذمتها وباشرافها (١)

وقد ساعدت شركة السودان التجارية التي تأسست سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣ م (٢) فى نمو تجارة القطن وازدهارها ، كما ساعدت فى نمو تجارات أخري ، وأسهمت فى ازدهارها ، حيث عملت تلك الشركة على تذليل عقبات نقل السلع من الدواخل السودانية الى السواحل ، لتصديرها الى كل من السويس وجدة (٣) ومما تجدر الاشارة اليه أن قطن سواكن وما حولها (فى شرق السودان) كان يصدر للبيع عبر ثلاث مدن:جدة وهناك يباع للتجار العرب والهنود والأوربين ليقوموا بتسويقه ، والسويس: ومنها كا يواصل رحلته الى الاسكندرية حيث يتم تصديره إلى أسواق أوربية عديدة (٤) .

خامسا : تجارة الحيوانات :

راجت بين جدة وسواكن والسويس تجارة حيوية هى تجارة الحيوانات منها ما كان للذبح والغنم ، ومنها ما كان للحمل كالجمال ، ففى الوقت الذى كانت فيه مصر تعتمد على الكثير مما يأتيها من السودان من اللحوم عن طريق سواكن كان الحجاز يعتمد أيضا على حيوانات السودان التى كان يستوردها للذبح والحمل ، وتشير المصادر إلى وجود تجارة واسعة من الإبل التى كانت تأتي من

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيق رقم ١٢٢ المحفظ ١٩ بحريرا تركية - من أحمد ممتاز محافظ سواكن الى مهر دار خديوى - بتاريخ (١٠ من شعبان سنة ١٢٨٦ هـ) .

(٢) أسهم فى تأسيس شركة السودان التجارية بعض البيوت التجارية بالأسكندرية وبعض المصارف الأوربية وقد بلغ رأسمال هذه الشركة مليونين من الجنيهات .

أنظر : د/ شوقى الجمل - دور مصر فى أفريقيا فى العصر الحديث - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٤م ص ٤٠ .

(٣) دار الوثائق القومية الدفتر رقم ١٩٢١ أوامر كرام - صورة الأمر نمرة ٣ أمر إلى محافظ سواكن بتاريخ (٩ من ربيع الآخر سنة ١٢٨٣ هـ) .

(٤) دار الوثائق القومية - صورة التلغراف العربى رقم ٤٠١ وارد تلغراف الدفتر ١١ عابدين من محافظ السويس إلى سعادة رياض باشا بتاريخ (٢٠ من ذى القعدةسنة ١٢٨٦ هـ) .

منطقة الحجاز وتباع فى الأسواق المصرية خاصة فى السويس وفى القاهرة ، كما كانت مصر تستورد الأغنام العربية من الحجاز للاستفادة من الشحوم والآليات التى كانت تمتازبها الأغنام الحجازية (١)

وجاء فى وثائق سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥ م أن حكومة مصر أحالت التزام القصابة فى سواكن على عهده (حسن بك موسى) بمبلغ أربعمائة ريال سنويا عن الحيوانات التى تذبح بالبلد أو التى ترسل إلى جدة عن طريق الموانئ (٢) .

كما تتحدث وثيقة أخري عن شحن سبعة عشر جملا بوابور سواكن من ميناء سواكن لارسالهم إلى جدة (٣) .

كذلك كانت الشيران تجمع من أطراف عديدة فى الحجاز وما حولها ثم يتم نقلها من القنفذة إلى جدة ، وفيها يتم الاتفاق على أسعارها ثم ترسل بحرا إلى مصر (٤) .

سادسا : تجارة الجلود :

تشير بعض الرسائل المتبادلة بين مصر والحجاز إلى وجود تجارة عظيمة للجلود بين البلدين في تلك الحقبة من التاريخ وهو ما أدى الى رواج المدابغ المصرية واستيرادها المستمر للجلود الحجازية فى الفترة التى نحن بصدد الحديث عنها .

إلا أن تلك التجارة لم تكن تأخذ طريقها إلى مصر الا بعد اكتفاء مصلحة المدابغ بجدة التابعة للحجاز بما يحتاجه من هذه الجلود وما يتبقى منه يتم إرساله إلى مدابغ مصر .

---

(١) ك - س - توتيشل - المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية - ترجمة شكيب الأموى - دار أحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٥٥ م ص ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) دار الوثائق القومية - المكاتبة رقم ١٥ - ص ١٥ ادفتر رقم ٣٥٤٣ ح صادر من محافظة سواكن بتاريخ (١٥ من ربيع الآخر سنة ١٢٨٢ هـ) .

(٣) دار الوثائق القومية - صورة التلغراف العربي رقم ٢٣٣ - ص ٣٤ الدفتر رقم ٢ عابدين وارد تلغرافات - من القومبانية بالسويس إلى سعاد رياض باشا بتاريخ (٧ من شوال سن ١٢٨٢ هـ) .

(٤) دار الوثائق القومية مكاتبة رقم ٤٧ الدفتر رقم ١٥٦ مجلس ملكى بدون تاريخ .

وتتحدث احدى الوثائق عن طلب مصر لكميات من الجلود الحجازية في ٢٠ من جمادى الأولى سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩ م وقد جاء في هذه الوثيقة أن هذه الجلود بلغ عددها احدي وثلاثين ألف قطعة وستمائة وخمس قطع من الجلود (١) .

كما نلحظ أيضا من خلال تلك الرسائل الاهتمام بتجميع الجلود من سائر أرجاء الحجاز في تنفذة ثم ارسالها الى مدينة جدة ليتم بيعها بعد ذلك لمصر بعد أن تحصل مدابغ جدة على جميع احتياجاتها من الجلود التي تكفي السوق المحلية في الحجاز (٢) .

سابعا : تجارة العاج :

ومن الأنواع الممتازة التي كان يقوم بتصديرها ميناء سواكن إلى أسواق جدة بكميات تجارية العاج (سن الفيل) وقد صدر منه في سنة ١٨٧٢ م / ١٢٨٩ هـ وحدها ٣٠٠٤٢ جراما (٣) ، وكانت الأوقية منه تباع بنحو أربعة وخمسين قرشا (٤) .

ثامنا : تجارة الحُصر :

كما كانت هناك تجارة الحصر الناعمة التي كانت تجلب من مصر إلى الحجاز وتستخدم في فرشي المساجد والجوامع بجدة نظرا لأن هذه الحصر الناعمة تصنع من سعف النخيل لأن سعف النخيل الذي كان في الحجاز محليا كان من النوع الخشن ، ولم يتمكن الحجازيون من ترطيبه في مستوى الحصر المصرية لأن الترطيب له أصول فنية .

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة العربية رقم ١٣٥ حمراء المحفظة ٢٦٧ عابدين الى دولتلو ولى النعم سعادة أفندينا سر عسكر الأقطار الحجازية ومحافظ مكة المشرفة - بتاريخ (١٧ من جمادى أول سنة ١٢٥٥هـ) . وأنظر : الملحق على الوثيقة السابقة من أحمد شكرى باشمعاون جناب خديوى بتاريخ ٢٠ من جمادى أول سنة ١٢٥٥ هـ .

(٢) دار الوثائق القومية المكاتبة رقم ١٢٠ دفتر رقم ١٥٦ المجلس ملكى- تقرير من محافظة جدة الخاص بشهر ربيع الأول - بدون تاريخ .

(٣) سعد الطلوانى - الحكم المصرى فى سواكن وملحقاتها ص ١٦٤ .

(٤) محمد ضرار - تاريخ سواكن والبحر الأحمر - ص ٧٩ .

ويذكر ابراهيم رفعت باشا فى حديثه عن جدة (١) أن بها خمس جوامع ، وثلاثون مسجدا مفروشة بالحصر الناعمة الجميلة النظيفة ، إلا إنها تكون مبللة عند رطوبة الجو ولقد اعتادت مصر إرسال كميات كبيرة من الحصر كل عام لفرش الحرم النبوى الشريف فى المدينة المنورة (٢) .

تاسعا : تجارة الذهب :

وهناك تجارة أخرى رائجة وهى تجارة الذهب وقد كانت فروق أسعاره تشجع التجار على نقله من مكان إلى آخر تبعا لزيادة هذه الأسعار ، فعلى سبيل المثال كانت أوقية الذهب تباع فى أسواق سواكن بعشرين ريالا ، بينما كانت تباع فى أسواق الحجاز باثنين وعشرين ريالا (٣) ، ومن غير المعقول هذا الفارق دون أن يستغله التجار الذين يعملون بين تلك الأسواق سواء فى الحجاز أم فى السودان أم فى مصر كذلك ، ومن الأنواع الذهبية الّتى كان يستوردها الحجازيون من مصر ويحرصون عليها فى مناسباتهم وهداياهم : المشغولات الذهبية والتى كانت تهدى فى مناسبات العرس ، ومن هذه المشغولات الذهبية هدية تسمى (الرفد) وهى الهدية التى كان الأهل يهدونها الى العروس ، وهى أسورة من الذهب على شكل ثعبان مرصع بالماس (٤) .

هذا بالاضافة الى أن مصر كانت تقوم بدور الوسيط فى نقل الذهب الحجازى إلى أسواق عدن ليتم تحويله هناك عن طريق بعض التجار الى روبيات هندية وذلك قبل افتتاح البنوك فى الحجاز فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى حيث كان تجار الحجاز يتعاملون مع الهند بشراء الروبيات الهندية من عدن وذلك بتصدير الجنيهات الذهبية إلى مصر وبيعها هناك ثم تحويل قيمتها بالروبيات الى عدن .

ولا شك فى أن الربح الناتج عن تصدير الجنيهات الذهبية إلى مصر كان كبيرا لأن الربح المحقق من تصدير الجنيه الذهب الواحد إلى مصر يساوى جنيها مصريا واحدا .

---

(١) ابراهيم رفعت باشا - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ٢٢ .

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقة التركية رقم ٨٣ حمراء المحفظة ٢٦٩ عابدين محمد شريف رائف مدير الحرم النبوى إلى محرم بك محافظة المدينة المنورة (١٧ من جمادى الأولى سنة ١٢٥٦ هـ) .

(٣) محمد ضرار تاريخ سواكن والبحر الأحمر - ص ٧٦

(٤) محمد على مغربي ملامح الحياة الاجتماعية فى الحجاز - ص ٣٧ .

ومن قيمة الجنيهات الذهبية التى تتحول إلى روبيات هندية كان التجار الهنود يقومون بإرسال البضائع المطلوبة لحساب التجار فى مدينة جدة (١) .

عاشرا : تجارة الكتب :

هناك مايشير الى اهتمام الحجازيين بشراء الكتب النفيسة من مصر خاصة وأن الحجاز لم يكن قد عرف الطباعة الحديثة والتى كانت قد دخلت مصر فى وقت مبكر ، ويروى أن ورثة صالح بن على باعشن - الثرى الحجازى المشهور عندما بحثوا فى صناديقه وجدوا فيها كتبا نفيسة معظمها قد اشتراه من مصر (٢) .

كما أن من أولى المكتبات التى افتتحت فى جدة كانت مكتبة السيد /. عبدالفتاح الرشيدى فى أواختر القرن التاسع عشر ، وهذه المكتبة كانت تقع فى محلة الشام بجدة ، وكان الرشيدى يشترى لها الكتب من مصر ، ويجلبها الى الحجاز فى صناديق ، كما كان الرشيدى أيضا يقوم بشراء بعض الكتب من الحجاج المصريين الذى يمرون بجدة (٣) .

حادى عشر : تجارة اللوازم الأولية :

كان بسواكن - ابان الحكم المصرى لها - محلات لبعض التجار الحجازيين الذين يتاجرون فى بعض اللوازم الأولية التى يستعملها الأهالى فى بيوتهم ، ونظرا لضعف الامكانات لا يتمكنون من انتاجها محليا كالأقمشة والعطارة وغيرها ، وكانت تباع بسواكن بأثمان عالية لقلتها ولعدم وجود تسعيرة محددة لها (٤) .

---

(١) محمد على مغربى - ملامح الحياة الاجتماعية فى الحجاز ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) عبدالقدوس الأنصارى - موسوعة تاريخ جدة - م ١ - ص ٤٢٥ .

(٣) المرجع السابق - ص ٥٢٨ .

(٤) دار الوثائق القومية - التقرير الثالث لعلى رضا باشا محافظ سواحل البحر الأحمر الى مهردار خديوى عن بندر سواكن وحالة أهله - بدون تاريخ وأغلب الظن أن تاريخه هو ١٢٩٦ هـ لأن التقرير الأول كان فى شعبان ١٢٩٦هـ والثانى فى شعبان ١٢٩٦ هظ والثالث فى رمضان ١٢٩٦ هـ والرابع فى صفر ١٢٩٧ .

ثانى عشر : تجارات أخرى :

كذلك كانت هناك أنواع أخري من السلع التجارية تصدر من مصر إلى مكة عبر السويس وسواكن وجدة كالصابون والسكر المصرى الذى كان يصدر من جدة إلى أوربا ، وكانت هناك كذلك أنواع غير تقليدية من التجارة الرائجة هى نباتات العقاقير (كالشيح والسنامكى والنبلة) ، التى كانت تنتقل من جدة الى ميناء القصير حيث يذكر أنه كان لها سوق كبيرة فى تناقبل حفر قناة السويس(١).

كما كانت مصر تقوم بتصدير الصمغ الى الحجاز ، وقد بلغ ما صدر منه إلى الحجاز في سنة ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م ثلاثة آلاف وأربعمائة وستين قنطارا (٢) . كما كان يصدر السجاد والفلفل من جدة الى ميناء القصير وينقل منها إلى أسواق الصعيد وأسواق القاهرة وبالاضافة الى ذلك فقد كان فى سواكن ابان الحكم - المصرى تجار حجازيون يتعاملون فى مختلف البضائع الواردة إلى السودان من الحجاز ومن غيره . حتى أن تجار الحجاز فى جدة كان لهم تجارة رابحة يبيعونها الى تجار سواكن الذين تعددت جنسياتهم فكان منهم الهنود ومنهم المصريون ومنهم الحجازيون ومنهم الألمان والايطاليون والفرنسيون (٣) .

حمولات سفن القومبانية العزيزية من البضائع والمسافرين :

لقد أمدتنا جريدة الوقائع المصرية ببعض البيانات الخاصة بطرود تجارية كان يتم التعامل فيها تجاريا - دون تحديد لصنف معين كما أمدتنا بمعلومات قيمة عن تلك الحركة التجارية النشطة دل عليها انتقال أعداد كبيرة من التجار وغيرهم فى سفن القومبانية العزيزية بين الموانى المصرية العديدة والموانى الحجازية ويمكن إيراد بعض الأمثلة التاريخية على ذلك لنتبين منها مدى هذا الرواج التجارى بين القطرين :

---

(١) د/ السيد يوسف نصر - الدور الحضارى للجيش المصرى فى القرن التاسع عشر فى آسيا وأفريقيا مكتب مدبولى - الطبعة الأولى - القاهرة - ١٩٨٣ م ص ٥٥ .
وابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ٢٤ .

(٢) محمد ضرار - تاريخ سواكن والبحر الأحمر - ص ٧٦ .

(٣) محمد ضرار - تاريخ سواكن والبحر الأحمر - ص ص ٧٦ ، ٧٧ .

ففى ١٤ من جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م حضرت إلى السويس الباخرة (الحديدة) وعلى متنها ٢٩٨٨ طردا من البضائع التجارية و ٢٥ طردا للدائرة السنية ٥٤ راكبا من جدة ومن سواكن ٨٨١ جنديا و ٧ سبعة خيول (١) .

وفي رحلة أخرى وصلت الباخرة مصوع إلى السويس قادمة من جدة فى ٢٦ من صفر سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م وكانت تحمل ٢٢٧٥ طردا من الضائع التجارية التى بعث بها تجار جدة كما كان علي متن الباخرة ٩٥ شخصا من الركاب (٢) ، وفى ١٣ من ربيع الأول سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م تحركت الباخرة سواكن وعلى متنها ١٢٥٨ طردا من بضائع التجار و ٧٨ شخصا من الركاب متجهة الى جدة فمصوع فسواكن (٣) .

كما أن الباخرة دسوق وصلت إلى السويس فى ٢٧ ربيع الآخر ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م بعد مرورها بمصوع وسواكن وجدة وهي تحمل ٢١٨٢ طردا من البضائع التجارية و ٩٧ شخصا من الركاب أقلتهم الباخرة من مصوع وسواكن وجدة . (٤)

وتحدثنا الوثائق كثيرا عن الطرود التجارية المتبادلة بين الحجاز والموانئ المصرية فمن أمثلة ذلك الباخرة سواكن التى وصلت إلى ميناء السويس فى ٧ من شوال سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥ م قادمة من جدة وعلي متنها ٥٢٢ طردا ، ٥٦ رأسا من الأغنام وبعض الركاب هذا بالاضافة الى سبعة عشر جملا صدرت من سواكن جدة (٥) .

---

(١) الوقائع المصرية - العدد ١٤٢ -بتاريخ ١٧ من جماد الأول سنة ١٢٨٤ هـ / ١٦ من سبتمبر سن ١٨٦٧م

(٢) الوقائع المصرية - العدد ٢١٠ بتاريخ ٢٧ من صفر سنة ١٢٨٥ هـ / ١٨ من يونيه سنة ١٨٦٨ م .

(٣) الوقائع المصرية - العدد ٢١٣ بتاريخ ١٤ من ربيع الأول سنة ١٢٨٥هـ / ٤ من يوليو ١٨٦٨م

(٤) الوقائع المصرية - العدد ٢٢٤ بتاريخ ٢٧ من ربيع الآخر سنة ١٢٨٥ هـ ، ١٦ من أغسطس ١٨٦٨م.

(٥) دار الوثائق القومية - صورة التلغراف العربى رقم ٢٣٣ - ص ٣٤ الدفتر رقم ٢ عابدين - وارد تلغرافات - من القومبانية بالسويس الى سعادة رياض باشا تاريخ (٧ من شوال سنة ١٢٨٢ هـ) .

نمو الحركة التجارية بين الأقطار الثلاثة مصر والحجاز والسودان ؟

من خلال متابعتى لحركة التجارة فى المصادر التاريخية بين الأقطار الثلاثة الحجاز والسودان ومصر - خاصةبعد امتداد الحكم المصري الى سواكن ومصوع استطعت أن المح اطرادا ملحوظا فى زيادة هذه الحركة التجارية حيث تنقل المصادر والمراجع أخبار هذه التجارة بشكل متناثر بين الأحداث السياسية أو عند الحديث عن أخبار الشخصيات المؤثرة فى تلك الأحداث .

فعلى سبيل المثال كان عثمان دقنه (١) من كبار تجار منطقه سواكن بالاضافة إلى أنه تولى زعامة السودان الشرقى بتفويض من الأمام أحمد المهدى (٢) عند نشوب ثورته المعروفة بالثورة المهدية .

وقبل قيام الثورة المهدية كان لعثمان هذا تجارة عظيمة نظرا لثروته المتضاعفة وقد سير ذات

---

(١) هو عثمان بن أبى بكر بن محمد حضر جد له يدعى عبدالله من الأسكندرية الى سواكن بتجارة عظيمة سنة ٩٥٢ هـ واستوطنها متزوجا ابنة قاضيها ويقال فى نسبه أنه ينسب إلى عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب . وقد نشأ عثمان فى بيت علم ودين حيث كانت أمه تشرف على خلوة لتعليم البنات قراءة القرآن الكريم وقد التحق عثمان بالمعهد العلمى فى سواكن حيث درس التوحيد والتجويد والنحو وعلوما أخري .
أنظر : محمد ضرار - أمير الشرق عثمان دقنه الدار السودانية للكتب الطبعة الأولى - ص ١٩ ومابعدها.

(٢) ولد محمد أحمد المهدى فى ٢٧ من رجب ١٢٦٠هـ / ١٢ من أغسطس سنة ١٨٤٤ م بجزيرة لبب قرب دنقلة وينسبونه إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه - وقد درس محمد علوم الدين وأفتتح مدرسة بالخرطوم سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م ثم انقطع للعبادة بجزيرة أبا فى النيل الأبيض ، ومن هنا نشر دعوته التى تتلخص فى تنقية عمل الناس بالشريعة مما لحق به من شوائب وبدأ ينتقل بالناس إلى الجانب السياسى فى الشريعة حتى عمت دعوته معظم أنحاء السودان واستولى عليه .
أنظر : مجموعة المناشير الصادرة من الأمام المهدى ، وأنظر : محمد فؤاد شكرى - مصر والسودان - تاريخ وادى النيل السياسى فى القرن التاسع عشر (١٨٢٠ - ١٨٩٩م) دار المعارف - ١٩٥٧ م ص ص ٢٩٠ ، ٢٩١ ، وانظر : محمد السراج - شقائق النعمان فى حياة المهدى ووقائع السودان - مطبعة دار أحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٤٧م ص ٤٧ ومابعدها .

مرة في سنة ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧ م تجارة هائلة لمدن الحجاز ، مع بعض التجار الآخرين ، وروى أن تلك البضاعة عندما وصلت إلى بر الحجاز تم القبض عليها بدعوى أنها اشتملت على صنف الرقيق ، كما تم القبض على من بصحبتها من التجار ، وعندما علم عثمان دقنه بهذا الخبر سافر علي الفور إلى الحجاز ليستوضح الأمر فلم يجد هناك تهمة محددة فما زال بوالى الحجاز حتى أفرج - بعد محاولات مضنية عن البضاعة والتجار معا .

ويبدو أنه كان للحكومة الانجليزية ضلع فى القبض علي هذه التجارة حتى يروى أنه بعد أن تم الافراج عن البضائع بمساعى رجال قبيلة الدقناب أوعز الانجليز إلى مصر بمصادرة أموالهم وممتلكاتهم بحجة اتهامهم بتجارة الرقيق (١) .

وعلى الرغم من أن بعض المصادر تنفي عن عثمان دقنة شبهة تجارته فى الرقيق (٢) الا أن تكرار القبض عليه عدة مرات (٣) ، واتهامه بهذه التهمة قد يثير ظلالا من الشك حوله ، فيذكر أحد الباحثين (٤) : أن عثمان دقنة كان يعمل بتجارة الرقيق بين السودان والحجاز ، وعندما منعت الحكومة التجارة فى الرقيق ساءت حالته ، وسجن مرة فى جدة مع أخيه بسبب هذه التجارة الممنوعة .

ومما تجدر الاشارة إليه هو أن اسماعيل باشا (خديوى مصر) كان قد أعلن الحرب الضروس على النخاسة فى مصر والسودان بعد سنوات قليلة من حكمه وأسند هذه المهمة إلى السير

---

(١) محمد ضرار - أمير الشرق عثمان دقنه - ص ٢٢ .
وأنظر : عبدالله حسين - السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية - جـ ١ المطبعة الرحمانية بمصر - الطبعة الأولى - ١٣٥٤ هـ / ١٩٥٣ - ص ١٣٥ ومابعدها .

(٢) مجموعة رسائل لأحد أدباء مصر - السودان المصرى والانجليزى - الأهرام - الاسكندرية - ١٨٩٦- ص ١١ .

(٣) أنظر : تفاصيل ذلك فى :
ابراهيم فوزى " باشا " السودان بين يدى غوردون وكتشنر - جـ ١ القاهرة ١٣١٩ هـ - ص ١٧٦ .
وأنظر : مجموعة رسائل لأحد أدباء مصر - ص ١١ .
ومحمد ضرار - أمير المشرق - ص ٢٢ .

(٤) عبدالله حسين - السودان - جـ ١ ص ٢٣٥ .

صمويل بل بيكر (١) ومن ذلك ما روى فى سيرة الشيخ ابراهيم عبدالفتاح أنه كان يتولى قضاء مدينة جدة ورئاسة محكمة التجارة بها ، وأنه كانت له تجارة كبيرة بجدة وسعها بافتتاح فرع لها فى السودان - ابان الحكم المصر - وحينما استولى المهدى على السودان فى سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م نهبت أموال الشيخ ابراهيم وتجارته فى السودان كما نهبت تجارات أخرى كثيرة .

وقد ظل الشيخ ابراهيم متخفيا فى السودان مدة حتى تمكن من الهرب الى سواكن ومعه ابنه ليعود منها الى وطنه الحجاز ، ولكن الانجليز والمصريين قبضوا عليه قبل أن يتمكن من مغادرة سواكن وسجنوه هو وابنه بتهمة التجسس لصالح محمد أحمد المهدى وتصادف أن دخل القائد العام سجن سواكن لتفقد أحوال المسجونين فوقف الجميع احتراما ماعدا الشيخ ابراهيم فانه ظل فى مكانه جالسا فاسترعى ذلك نظر القائد الانجليزى الذي بادره بالسؤال كل الناس قاموا احتراما لي فلم تفعل كما فعلوا ؟ فرد عليه الشيخ ابراهيم بقوله : دينى يمنعنى من ذلك فعرف الحاكم الانجليزي أن الرجل من صلحاء علماء المسلمين ، وأكبر فيه عزته ثم لم يلبث أن أفرج عنه وعن ولده فعاد الى الحجاز ، وتحمل التجار ما كان لهم عنده ، وأمدوه بالبضائع حتى تمكن من الوقوف على قدميه فى التجارة مرة أخرى (٢) .

وقد أوردت تلك الحادثة والتى قبلها كتدليل على وجود تجارة رائجة كان يعترضها بعض المشاكل والعقبات ولكن سرعان ما كانت تتبدد هذه المشاكل أمام تعاون التجار بعضهم مع بعض .

مصادر تجارة جدة :

يذكر أحد الباحثين (٣) : أن ميناء جدة كان يرد اليه بين عامى ١٢٦٠هـ / ١٢٨٠هـ / ١٨٤٤م ، ١٨٦٣ م (مائة مركب ومركب شراعى) سنويا وهذا الأسطول كان يرد محملا بمختلف أنواع البضائع المصدرة من بلدان العالم المختلفة إلي جدة لتموينها وتموين شبه الجزيرة العربية وغيرها من بلاد العرب ، والى هذا الحد فكلام الباحث لا نكاد نختلف عليه انما الذى يدعونا حقا إلي

---

(١) بيركسرايتس - اسماعيل المفتري عليه - ترجمة فؤاد صروف - دار النشر الحديث - ص ٧٠ ومابعدها.

(٢) عبدالقدوس الأنصارى - موسوعة تاريخ جدة - م ١ - ص ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(٣) عبدالقدوس الأنصارى - موسوعة تاريخ جدة - م ١ ص ٤٦٠ .

الرد هو إهمال الباحث ذكر الصادرات المصرية من السودان ومصر فى معرض حديثه عَن مصادر تلك التجارة الواردةإلى مدينة جدة ، فقد ذكر الباحث أن : " مصادر تلك البضائع الواردة الى جدة على هذا الأسطول هى ككلتا بالهند والبصرة بالعراق ، وبلاد الشرق الأقصي كاندونيسيا والملايو وما أشبه ولا شك فى أن اهمال الباحث لذكر مصر مع الأقطار التى كانت تصدر بضائعها الى الحجاز يُعد قصورا فى عرضه التاريخى فقد سبق أن فصلنا كثيرا من ضروب التجارة بين مصر والحجاز ومما لاشك فيه أن هذه التجارة المتبادلة تعد تاريخا اقتصاديا كبيرا بين القطرين لا يمكن التغاضى عنه أو تجاهله فلقد ذكره الباحث نفسه (١) فى حديثه عن الشيخ علي باعشن أنه جلب صنف الأرز من مصر ثم سافر اليها للتجارة حيث تزوج بها وطاب له المقام فيها حتى أنه صار رئيسا لتجارها .

الملاحة التجارية بين الموانى المصرية والحجاز :

كان من بين العوامل التى ساعدت على انتظام حركة التجارة والانتقال بين موانئ البحر الأحمر المختلفة ظهور شركتين مصريتين الأولى : الشركة المصرية للملاحة التجارية وهى نيلية ومعظم أصحاب امتيازها أجانب فهى بذلك مصرية اسما وأجنبية لحما ودما وقد أنشئت هذه الشركة سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥٢ م / لنقل البضائع والمسافرين بالبواخر عن طريق النيل والترع الملاحية وبهذا أمكن نقل البضائع بين الأسكندرية والقاهرة فى يوم ونصف يوم كما كانت هذه الشركة تقوم بعمليات نقل التجارة الداخلية فى مصر والسودان بسفنها النيلية بالاضافة إلي نقل البضائع التجارية الى السواحل حيث تتولى نقلها الشركة الثانية (وهى الشركة المصرية المجيدية).

وقد أنشئت الشركة المصرية المجيدية سنة ١٢٧٤هـ / سنة ١٨٥٧ م وأطلق عليها المجيدية تيمنا باسم السلطان عبدالمجيد سلطان الدولة العثمانية وكان رئيسها مصطفى فاضل باشا ابراهيم والغرض من انشائها هو تسيير البواخر فى البحر الأحمر والمحيط الهندى حاملة البضائع والمسافرين.

أما تحركات بواخرها فكانت تنظمها ثلاث خطط الأولى: تحركات مجموعة منها بين السويس

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٦ .

وثغور الحجاز واليمن والقصير وسواكن ومصوع والثانية : تحركات مجموعة منها في البحر الأبيض المتوسط والثالثة : تحركات مجموعة منها في المحيط الهندى (١) .

وقد تبع إنشاء هاتين الشركتين إنشاء القومبانية المصرية (٢) في ١٥ من ذى الحجة سنة ١٢٧٩هـ / سنة ١٨٦٢ م وظهر لهذه القومبانية أثر عظيم في ازدياد وانتظام حركة التجارة والانتقالات بين موانئ البحر الأحمر المختلفة .

وكان لهذه القومبانية نظام خاص لتسيير السفن بين موانى السويس وجدة وينبع بصورة منتظمة أسبوعيا وهى تحمل البضائع التجارية سواء الخاص منها بالحكومة أم بالاهالي وقد أضيف إلى هذه السفن كذلك واجبات نقل البريد (البوستة) بين الموانئ الخمسة السويس وسواكن ومصوع وينبع وجده سواء الخاص منها بالحكومة أم بالتجار العرب والأوربين أم بالأهالى أم بغيرهم (٣) .

---

(١) د/ شوقى الجمل - سياسة مصر في البحر الأحمر ص ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٢٨٤ . وأنظر : د/ محمد فهمى الهيطة - تاريخ مصر الاقتصادى ص ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ - ود / محمد عبدالله ال زلفة - ميزانية ولايتى الحجاز واليمن - ص ص ٣٥٨ - ٣٥٩

(٢) تم انشاء القومبانية العزيزية المصرية في سياحة السفن التجارية باشتراك كل من اسماعيل راغب باشا ، محمد شريف باشا ، ونوبار باشا ، وعبداللطيف باشا ، وأحمد طلعت باشا ، وحسين شرين باشا ، والخواجه أوبنهايم، وايدوارد و يوما كسيموسى سكاكينى ، ودان سينادنيوه كمؤسسين للقومبانية ، وقد وافقت الحكومة المصرية على الترخيص لهم بتسيير السفن في البحر الأحمر والمتوسط لمدة ثلاثين عاما ، على أن تتبع كل اللوائح والقوانين المصرية ولا يعمل عليها سوى المصريين من ضباط وبحرية ، وقد باعت الحكومة للشركة ست سفن أربع منها في البحر الأحمر وهى الحجاز ، ولجد ، والقبارى وجدة ، واثنتان منها في البحر المتوسط هما النيل والجعفرية .

أنظر : تفاصيل ذلك عند :

أمين سامى (باشا) تقويم النيل - م٢ - جـ٣ - ص ٤٨٣ ومابعدها .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة التركية ٩٣ نمرة ٨٣ - المحفظة ٣٨ معية تركى من جعفر مظهر حكمدار السودان الى السكرتير الخاص للجناب العالى (١٩ من محرم سنة ١٢٨٣ هـ) وأنظر : صورة الأمر ٣ - ص ١٨٢ - الدفتر ١٩٢١ أوامر كرام - أمر إلي محافظ سواكن بتاريخ ٩ من ربيع الآخر سنة ١٢٨٣ م .

وعندما أصبحت سواكن ضمن الأملاك المصرية أرسل حكمدار السودان الى ادارة القومبانية العزيزية المصرية فى أوائل ١٢٨٣ هـ - ١٨٦٦ م بما تم انجازه من تدابير لتيسير نقل البريد واعلام التجار بخطوات نقل تجاراتهم من الخرطوم وغيرها الى سواكن ، ومن ثم فيلزم مرور بواخر القومبانية العزيزية المصرية فى البحر الأحمر التى كانت تأخذ طريقها من السويس الى جدة وينبع عبر سواكن حسب الخطة الآتية :

تعين القومبانية العزيزية باخرة في كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع لتبحر من السويس الى سواكن مباشرة ، ثم تبحر يوم الخميس من كل أسبوع من سواكن الى جدة ثم تعود إلى السويس وهى تحمل البضائع والتجار والمسافرين ، على أن تقوم تلك البواخر بأخذ البوستة من كل جهة لتوصيلها إلى الموانى التى ترسوا عليها حسب العناوين المكتوبة عليها .

وقد التمس مجلس ادارة القومبانية العزيزية من الجناب العالى فى ١١ من ربيع الأول سنة ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦ م صدور الأمر الى حكمدار السودان باعلان التجار وغيرهم بافتتاح الخط البحرى والحضور ببضائعهم لاستخدامه فى نقلها (١) كما تم ربط مصوع بهذا الخط أيضا فى ١٤ من جمادى الثانية سن ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م وأعلم محافظ سواكن بذلك (٢) .

ومما يجدر الإشارة اليه أن النظام الذى كان متبعا قبل ذلك بعام أى فى سنة ١٢٨٢ هـ / سنة ١٨٦٥ م كان يقضى حسب أوامر الخديوى اسماعيل بوجوب رسم خطة بواخر القومبانية العزيزية التى تعمل على خط السويس جدة لتعرج على سواكن مرة فى كل خمسة عشر يوما بصورة منتظمة(٣) .

---

(١) دار الوثائق القومية المضبط ٩٨ محافظ العزيزية - محفظة قرارات مجلس القومبانية العزيزية- ملف قرارات سنة ١٢٨٣ هـ - صورة قرار بتاريخ (١١ من ربيع الأول سنة ١٢٨٣ هـ) .

(٢) دار الوثائق القومية الدفتر ص /٤ / ١١/٦/٢ - جـ ٢ وارد سواكن - تحريران نمره ٥٠ - صفحه ٦٤ بتاريخ (١٤ من جمادى الثانى سنة ١٢٨٣ هـ) .

(٣) دار الوثائق القومية - وثيقة بدون رقم صفحه ٢٦ - الدفتر ٥٥٨ معية تركى إلى وكيل حكمدارية السودان بتاريخ (٢٨ من جمادى الآخر سنة ١٢٨٢ هـ) .

ثم استدعي الأمر بعد ذلك زيادة عدد السفن وتقليل عدد الأيام ليصبح مرتين فى الأسبوع كما أشرنا من قبل .

ومن المفيد ذكر أنه لم يكن يقصد أقاليم السودان من التجار - قبل الفتح المصري سوى قلة قليلة من المغامرين ومعظمهم من سكان الوجه القبلي ، وكانوا مع ذلك عرضة للاخطار فى أغلب الأحايين .

أما بعد الفتح المصرى فقد تحولت التجارة عبر السودان إلى طرق أكثر طمأنينة تتجه نحو موانئ البحر الأحمر التى جهزتها واعتنت بها الادارة المصرية عناية فائقة (١) .

وقد تم ربط موانئ اليمن هى الأخرى بموانئ الحجاز والسودان ومصر بخطوط ملاحية منتظمة استخدمتها سفن القومبانية العزيزية المصرية وساعدت على ازدهار التجارة بين موانئ البحر الأحمر المختلفة فى مصر والحجاز والسودان واليمن وتبودلت السلع التجارية بينها بطريقة منتظمة (٢) .

وقد ألزمت الحكومة المصرية القومبانيةالعزيزية بأن تبدأ بتسيير سفنها فى البحر الأحمر أولا ثم تسيير سفنها فى البحر المتوسط بعد ذلك ، ونصت الشروط التى عقدت بين الطرفين الحكومة المصرية والشركة على أن العاملين بسفن القومبانية المذكورة سواء أكانوا بحارة أم ضباط لابد أن يكونوا مصريين وأن من حق الحكومة - عند الضرورة استخدام كافة سفن الشركة فى مقابل أجر يتفق عليه الطرفان .

وفى مقابل ذلك تعهدت الحكومة بتقديم المخازن والمبانى والأراضى التى تلزم لمعدات الشركة وأغراضها فى الأسكندرية والقاهرة والسويس مجانا بالاضافة الى ما قدمته الحكومة إلى هذه الشركة من السفن الحكومية التى تعمل فى البحر الأحمر وهي الحجاز ونجد والقبارى وجدة ومن سفنها التى تعمل فى البحر المتوسط وهى النيل والجعفرية ولم تتقاضي الحكومة من الشركة إلا ثمنا رمزيا فقط على عشر سنوات .

---

(١) د/ جمال قاسم - الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية - معهد البحوث والدراسات العربية - ١٩٧٥م - ص ٢٧١ .

(٢) دار الوثائق القومية - صورة الأمر رقم ٣ الدفتر ٩٩٢١ أوامر كرام - أمر الى محافظة سواكن - فى ٩ من ربيع الآخر سنة ١٢٨٣ هـ .

وقد كانت هذه السفن بلاريب مساهمة من الحكومة المصرية لانجاح مشروع القومبانية العزيزية المصرية (١) .

وقد استمرت القومبانية فى تأدية واجباتها التجارية والبريدية ونقل المسافرين حتى سنة ١٢٨٧هـ/ سنة ١٨٧٠م عندما تم احلال الحكومة المصرية محل المساهمين فآلت ممتلكاتها ومشروعاتها وأموالها وموظفوها وعمالها الى الحكومة وتغيرت اسمها فأصبح (مصلحة وابورات البوستة الخديوية) .

وقد واصلت مصلحة وابورات البوستة الخديوية المسيرة التجارية والحضارية فى البحرين الأحمر والمتوسط (٢) .

وتفيد الوثائق أنه كانت هناك بعض السفن الأجنبية التى تتردد على الموانىء المصرية والحجازية لحمل البضائع التجارية ونقل الأهالى بين موانئ البحر الأحمر ، فقد كانت هناك شركتان الأولى ايطالية وهى (شركة روباتنير) والثانية انجليزية وهى (شركة بريتس هندت)(وقد أعدت الشركتان خطا تجاريا بين جدة ومصوع وسواكن (٣) وبذلك أصبحت سفن هاتين الشركتين عنصرا منافسا لوابورات الخديوية ، الا أن ادارة مصلحة وابورات البوستة الخديوية خفضت من قيمة الأجر (النولون) فقطعت بذلك خط الرجعة على السفن الأجنبية ، فامتنعت أو قل حضورها الى الموانى التابعة لمصر والحجاز .

وعلى أثر ذلك قررت الحكومة المصرية الخديوية فى سنة ١٢٩١ هـ /١٨٧٤ م : تغيير الخطوط الملاحية بحيث يتم نقل بضائع سواكن ومصوع التى يراد ارسالها من جدة الى السويس ، وفى ميناء السويس يتم شحنها فى السفن المتجهة إلى جدة ، مع مراعاة عدم زيادة الأجر عن السابق لعدم

---

(١) د / شوقى الجمل سياسة مصر فى البحر الأحمر - ص ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٢) الوقائع المصرية - العدد ١٥٥ - بتاريخ ٣٠ من المحرم سنة ١٢٨٧ هـ / ١ من مايو سنة ١٨٧٠م.

(٣) دار الوثائق القومية - تلغراف عربي رقم ٨٢ - وارد تلغرافات الدفتر رقم ٣٨ عابدين (٢٥ من صفر سنة ١٢٩٣ هـ) .

وانظر : محمد ضرار - تاريخ سواكن والبحر الأحمر - ص ٨٣ / ٨٤ .

تكليف التجار أية زيادات على أجور بضائعهم (١) .

ولا شك في أن الادارة المصرية أرادت بهذا النظام انتعاش ميناء السويس ، وذلك بجعل التجارة تصب فيه من مجموعة السواحل التابعة لمصر وما حولها ليقوم ميناء السويس بعد ذلك باعادة البضائع الى مقصدها ويدخل فى ذلك أيضا ما يمكن أن تستفيد به مصر بمرور البضائع على السويس كأجور الشحن والرسوم المقررة وجذب التجارة الهندية إلى ميناء السويس والتى كانت رائجة فى ميناء جدة بشكل ملموس .

كما تم فى ٢٢ من شعبان سنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م تخصيص خط بحرى آخر بين السويس وبربره (٢) تابع الوابورات الخديوية وقد خصصت الحكومة المصرية لهذا الخط عدد من السفن تمر على جدة فى الذهاب والإياب وقد أمدتنا وثائق سنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م بتفاصيل عديدة عن الخط ومواعيد تحرك ووصول السفن المخصصة له الى كل ميناء والمسافات بين تلك الموانى يمكننا عرضها فيما يلى :

أولا : السفينة المزمع سفرها من السويس إلى جدة تتحرك بعد ظهر الأثنين عبر ٦٤٦ ميلا تقطعها فى ٩٢ ساعة ، ثم تقلع من جدة إلى رأس راوية التابعة لسواكن - عبر ١١٠ أميال تقطعها فى ١٥ ساعة .

ثم تقلع من رأس راوية إلى سواكن عبر ١٢٠ ميلا تقطعها فى ١٧ ساعة . ثم تقلع من سواكن الى مصوع عبر ٢٦٠ ميلا تقطعها في ٣٧ ساعة .

ثم تقلع من مصوع إلى عيذاب عبر ٢٣٩ ميلا تقطعها فى ٣٩ ساعة ثم تقلع من عيذاب إلي تاجورة عبر ١٣٥ ميلا تقطعها فى ١٩ ساعة ثم تقلع من تاجورة الى زيلع عبر ٧٠ميلا تقطعها فى ١٠ ساعات . ثم تقلع من زيلع الى بربرة عبر ١١٤ ميلا تقطعها فى ١٦ ساعة .

ثانيا : عندما تتحرك السفينة مزمعة القيام برحلة العودة فانها تبدأ من حيث انتهت رحلة قدومها فتقلع من بربرة لتنهي رحلتها من حيث بدأت عند السويس ، مارة بميناء جدة وجميع الموانئ

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٤ - ص ١٦ الدفتر رقم ٦ وارد معية عربى - من مصلحة وابوورات البوستة الخديوية (غاية ذى القعد سنة ١٢٩١ هـ) .

(٢) تقع على ساحل الصومال الشمالى وتطل على خليج عدن فى مواجهة ثغر عدن وباب المندب . الأطلس العربى ص ١٢ ط المساحة بالقاهرة ١٩٧٨ .

التى مرت عليها فى رحلة القدوم (١) .

ومما هو جدير بالذكر أنه بعد افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية اتسع المجال أمام السفن التى كانت حركتها مقصورة على البحر الأحمر بين الحجاز ومصر فمدت خطوط ابحارها من جدة الى الأسكندرية (٢) فاتسعت بذلك حركة التجارة والنقل بين مصر والحجاز .

القوافل التجارية البرية :

لم يكن دور مصر فى انعاش التجارة الاقتصادية بين الأقطار الثلاثة ينحصر فقط فى تسيير القومبانية العزيزية لبواخرها بل كان هناك دور سبق عمل القومبانية العزيزية وهو تنظيم القوافل التجارية البرية فلقد اهتمت الادارة المصرية فى السودان بالقوافل التجارية البرية بين الخرطوم وسواكن حيث ربطت تلك القوافل بمواعيد ثابتة وألزمت العربان المقيمين على طول الطريق بحراستها ، كما أعدت لخدمة القوافل التجاريةالمحطات للراحة والآبار ليشرب منهاالناس والخيول والجمال ، وهذا النظام أفاد الادارة فى تسهيل نقل كل ما يخصها ، كما أفادها في تيسير أعمال جمع المكوس التى كانت تفرض على البضائع (٣) .

مصر شريان الحجاز :

لا يستطيع أحد أن ينكر أن مصر ظلت شريانا للحياة فى الحجاز طوال فترات العصور الاسلامية ، جاء فى دائرة المعارف الاسلامية: أن مصر تزود مكة بالمؤن

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٢٩٢ المحفظة ٥٢ معية تركى - بتاريخ (٢٢ من شعبان سنة ١٢٩٢ هـ) .

(٢) كانت جريدة الأخبار المصرية تنشر يوميا فى أعدادها حركة وصول واقلاع السفن بين جدة والأسكندرية .
أنظر : على سبيل المثال : الأخبار - العدد ١٢٣ - السنة الأولى - بتاريخ ٢٨ من رجب سنة ١٣١٤هـ/٢ من يناير سنة ١٨٩٧م .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٢٢ صادر ص ٣٩ دفتر ٥٥٢ صادر المعية السنية من حضرة الباشمعان إلى حكمدار السودان - فى (٣ من شعبان : سنة ١٢٨١ هـ) .

عن طريق جدة ، ومن ثم كانت جدة مفتاحها ، كما أن البلدين اعتمدا على مصر اقتصاديا فسياسيا (١).

بيد أنه مما يثير الدهشة أن مؤرخ جدة (٢) قلل من قدر هذه الحقيقة التاريخية حين قال منتقدا ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية ويتراءى لي أن هذا القول لا يصح اطلاقه هكذا بل يحسن أن يقيد ببعض الأحيان وعبارات الأنصارى توحى بأن اعتماد جدة ومكة على مصر اقتصاديا وسياسيا كان قليلا بيد أن المتتبع لوقائع التاريخ فى جميع العصور الاسلامية يدرك تماما أن ما ذكره الأنصاري يعد بابا من أبواب إلقاء الكلام على عواهنه بدون نظر أو تمحيص ولا يسعنا إلا أن نقول أن اطلاق دائرة المعارف لحكمها التاريخى يفيد الغالب والأعم فى معظم الفترات التاريخية - وهو الصحيح - فلقد اعتمد الحجاز على مصر ابتداء من العصور الاسلامية الأولى إلي آخر القرن التاسع عشر الميلادى .

ومنذ أن فتح العرب المسلمون مصر فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخذ اعتماد الحجاز (اقتصاديا) على المؤن المصرية يأخذ شكلا جديداً ويزداد يوما بعد يوم ، أما اعتماد الحجاز على مصر سياسيا فقد ظهر بوضوح منذ استيلاء الفاطمين على مصر وتحول تبعية الحجاز من بغداد الى قاهرة المعز لدين الله الفاطمى بعد سنة ٣٥٨ هـ ، واستمرت هذه الأحوال على نفس المنوال حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجرى ، التاسع عشر الميلادى، أما بالنسبة للتبعية الاقتصادية فانها استمرت حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى بنسب متفاوتة .

ويضيف الانصارى معللا تقييده لما جاء فى دائرة المعارف بقوله (٣) : فقد مضى على جدة زمن كانت فيه قطب رحى التجارة فى هذه المنطقة بواسطة أسطولها الشراعى التجارى الذى كان يصنع فى مرفئها ، ويدلنا على ذلك أن دائرة المعارف الاسلامية نفسها تحدثت بأن نجاح جدة

---

(١) هو تسما وآخرون دائرة المعارف الاسلامية - المجلد ١١ ص ١٢٦ طبع القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

(٢) عبدالقدوس الأنصارى - موسوعة تاريخ جدة - م ١ - ص ٤٦٢ .

(٣) المرجع والصفحة السابقان .

التجارى العظيم يؤرخ من ابتداء القرن الخامس عشر الميلادى عندما أصبحت مركز التجارة بين مصر والهند (١) .

وليس معني كون جدة قطب رحى التجارة - اذا سلمنا بهذا - أن تكون هى ومكة قد استغنتا عن المؤن المصرية أو قللتا من الاعتماد على مصر اقتصاديا وسياسيا ، والذى يقرأ تاريخ الأشراف(٢) يعرف أن الحجاز لم يكن به من الأغنياء وميسورى الحال سوى طبقتى التجار والأشراف فهم الذين كان كثيرون منهم فى سعة من الرزق وبعضهم فى كفاية .

أما طبقات الأمة الحجازية الأخرى فقد كانت تعيش في ضنك وضيق يتفاوت بين الحين والآخر قوة وضعفا حسب ورود المؤن والمخصصات المصرية وحسب مقاديرها تلك المخصصات التى يحاول أن يقلل البعض من شأنها .

وليس معنى نجاح جدة التجارى وأنها أصبحت مركز التجارة بين مصر والهند أنها سيطرت على تجارة المنطقه بما فيها تجارة مصر ، وانما كانت التجارة الهندية أعظم تجارة الشرق جزءا من تجارة مصر التى كانت لها معاملات تجارية مع معظم دول العالم . والحجاز كله يعد من أفقر مناطق العالم فى الموارد فلم يكن نجاح جدة التجارى ليجعل الطبقة الفقيرة فيها فى غنى عن المؤن المصرية التى كانت ترسل كل عام وحتي موضوع تفرد جدة بالنجاح التجارى فيه نظر . فلم تكن جدة هى الثغر التجارى الوحيد الذى ارتبط نجاحه تجاريا بمصر ، فعلى سبيل المثال نجد أن مدينة الوجه فى شمال الحجاز قد أحرزت نجاحا تجاريا عظيما بسبب ارتباطها بالتجارة المصرية وهذا ما أشار اليه البتنونى فى رحلته اذ قال : أن مدينة الوجه كانت تعتمد فى أغلب تجارتها على السويس ، ومن السويس كانت الشركة الخديوية ترسل مركبا لحمل البريد الى مدينة الوجه كل خمسة عشر يوما ، وبالتالى تشحن معه البضائع الى هناك (٣) .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية - المجلد ١١ ص ١٢٧ .

(٢) أنظر : فى ذلك على سبيل المثال :

أحمد بن زيني دحلان - خلاصة الكلام فى بيان أمراء بيت الله الحرام .

(٣) محمد لبيب البتنونى - الرحلة الحجازية - ص ١٨٧ .

ومع هذا فلم يكن لنجاح التجارة فى الوجه مسوغا لأستغناء أهل الحجاز عن المخصصات المصرية.

اثر افتتاح قناة السويس على تجارة الحجاز :

كان فتح قناة السويس المصرية فى ١١ من شعبان سنة ١٢٨٦ هـ / نوفمبر سنة ١٨٦٩ م عاملا من العوامل التى أدت الى تغيير بعض الأنماط الاقتصادية فى مصر والحجاز ومنطقة البحر الأحمر كلها إضافة الى التغيير الذى طرأ على المواقف السياسية والحربية فى المنطقة كلها .

فقد ساعد افتتاح القناة الدولة العثمانية على التدخل المستمر فى شئون شرافة مكة وتشديد قبضتها على الشئون فى الحجاز حيث أوجد افتتاحها ممرا مائيا مباشرا بين الآستانة ، وكل من الحجاز واليمن ، فلقد كان انتقال القوات العثمانية قبل افتتاح قناة السويس الى الحجاز وغيره محفوفا بالمصاعب لاستخدامها الطرق البرية فقط عبر الشام فشمال الحجاز فالحجاز فعسير أو الطرق البرية بالاضافةإلى الطرق البحرية فكثيرا ما كانت قوات الدولة تستخدم البحر المتوسط ، ثم الطريق البرى من الأسكندرية إلى السويس ثم البحر الأحمر .

لذا فقد كانت هذه القوات تصل الى مكان الأحداث وهى فى حالة إعياء شديد وربما بعد فوات فرص النجاح الساحقة مما كان يسهل على الثوار احتواءها ، وقد تبدل الموقف بعد افتتاح القناة ، فأصبح فى امكان الدولة أن ترسل قواتها بحرا فقط الى الحجاز أو اليمن ومعها المؤن والامدادات العسكرية فتصل الى أهدافها دون أن تعانى ما كانت تعانيه فى الماضي من مصاعب ولقد أدى ذلك إلى دعم سيطرة الدولة على إقليم الحجازبشكل جيد (١) .

لقد كان لافتتاح قناة السويس أثر ايجابى لا ينكر على ميناء ومدينة جدة ككل فى الجانب الاقتصادى فقد ساعد افتتاح القناة على ازدياد نشاط البحر الأحمر التجارى فأصبحت موانيه تستقبل أعداداًكثيرة من السفن التجارية وغيرها فاقت أعداد السفن التى

---

(١) فائق بكر الصواف - العلاقات بين الدوله العثمانية وأقليم الحجاز (١٨٧٦- ١٩١٦)م - ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ ص ٩٤ ، ٩٥ .

وأنظر : محمد أنيس - الدوله العثمانية والشرق العربى - ص ٢٢٤ .

كانت تستقبلها قبل افتتاح القناة فانتعشت تلك الموانى وصارت تستقبل التجارة الأوربية فى رحلتى الذهاب والعودة التى تقوم بها معظم السفن وكان لميناء جدة نصيب كبير من هذه الجولات التجارية الواسعة التى أتاحتها قناة السويس للملاحة الدولية فى البحر الأحمر (١) .

ويذكر الأنصارى (٢) أن أسواق جدة كانت قبل فتح قناة السويس مخازن عظيمة توزع البضائع على مدن الحجاز ومصر والشام وغيرها من بلاد الشرق العربي ، كما أن كثيرا من الصناعات راجت فيها ، أما بعد أن افتتحت قناة السويس للملاحة فإن تجارة جدة وصناعتها أخذت في الانكماش والضمور ، كما استعملت البواخر فى النقل والانتقال بدلا من المراكب الشراعية .

ومع التسليم ببعض ما ذكره الأنصارى إلا أنه غفل عن القول بأن أسطول جدة الذى تحدث عنه كان جله من النوع الشراعى الذي طغت عليه السفن الكبيرة الاسلامية والأوربية التى انتشرت فى البحر الأحمر ، كما اتجهت مصر الي تحويل معظم أسطولها الحربي الى أسطول تجارى امتدت أذرعه إلى بقاع وسواحل عديدة أدى الى عجز الأسطول الجدى عن منافسة السفن التجارية العظيمة خاصة بعد أن عملت إدارة الأسطول التجارى المصرى على تخفيض أجور النقل مما جذب التجار اليه فكان طبيعيا أن أدى كل هذا إلى ضربة أصابت أسطول جدة فى الصميم وأسلمت حركته إلى ركود واضح فضمر وانكمش .

أما أسواق جدة وتجارتها فانها لم تتأثر بهذا كثيرا لأن السفن المصرية والهندية والأوربية تولت نقل التجارات والبضائع إليها بعد أن توارى تدريجيا الأسطول الجدي .

وقد أصبح البحر الأحمر مسرحا ممتازا للسفن التجارية والمصرية والعثمانية ، والأوربية بعد مرور عامين من افتتاح قناة السويس ، فتشير إحدي الاحصائات البحرية حول السفن التى كانت تعمل على الخط البحرى الحجازى فى سنة ١٢٨٨هـ / ١٨٧١ م إلى أنه بالاضافة إلى السفن المصرية التجارية العاملة فى البحر الأحمر كانت هناك ثلاث سفن عثمانية ، وثلاث سفن انجليزية ،

---

(١) محمد أحمد الرويثى – المرافئ الطبيعية على الساحل السعودى الغربى – ص ١٩ ومحمد جمعان دادا – جدة فى عهد الملك عبدالعزيز ص ٥٢ .

(٢) عبدالقدوس الأنصارى موسوعة تاريخ جدة – م ١ – ص ٤٦٠ .

وسفينتان احداهما الجليزية والأخرى فلمنكية ، وكلها تتسابق إلى نقل الحجيج عبر البحر الأحمر(١) .

وقد أفرد الأنصارى حديثا مطولا (٢) : عما لحق بميناء جدة من خراب تجاري إثر افتتاح قناة السويس وانتقد بشدة أيوب صبرى صاحب كتاب مرآة الحرمين لذكره ارتفاع شأن جدة بعد افتتاح قناة السويس ، ومما يؤسف له أن الأنصارى دلل على خراب تجارة جدة بضياع أسطولها مع أن تلك التجارة باتت فى ازدياد ونشاط مستمرين بسبب تلك الخدمات المستمرة التى قدمتها إليها الأساطيل التجارية الاسلامية والأوربية أي أن ضياع أسطول جدة التجارى لم يترتب عليه ضياع تجارة الحجاز أو تجارة جدة .

يقول حافظ وهبه (٣) : " أنه قد كانت جدة فى القرن التاسع عشر مركزا تجاريا هاما تجلب البضائع اليها من الهند وغيرها الا أن شأن جدة التجارى قد دب فيه الضعف بعد أن وضع محمد على باشا يده على الحجاز وفتح السويس للتجارة (٤) كما أضعف من شأن جدة فتح ميناء بورسودان ، فأصبح هو الميناء الأول فى البحر الأحمر " .

وعلى الرغم من أن محمد على باشا قد وضع يده على الحجاز الا أننا لم نسمع أنه قيد حرية التجارة أو التجار بين القطرين الحجاز ومصر ، انما الواضح من وثائق عصره أنه كان يترك للأسواق المحلية ما يكفيها ، بل كان يجلب لها ما يمتنع على تجارها ، واذا أراد صنفا بعينه فانه يطلبه بثمنه بعد اكتفاء السوق المحلى الذاتي ، أما فتح قناة السويس للتجارة واتصال البحرين الأبيض

---

(١) الوقائع المصري - العدد ٤٠٣ - بتاريخ ٢٣ من محرم سنة ١٢٨٨هـ / ١٣ من أبريل سنة ١٨٧١ م .

(٢) موسوعة تاريخ جدة - م ١ - ص ٢٢٢ .

(٣) حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين - ص ٢٢.

(٤) كان النشاط التجارى فى ميناء السويس قد أتسع بعد تمهيد الطريق البرى بينها وبين القاهرة ، واتام تمديد خط السكة الحديدية اليها ،وانشاء الشركة المجيدية ونشاطها فى البحر الأحمر بالاضافة الى توسيع الميناء واصلاح واقامة حاجز بحرى ، وتأمين السفن ، وانشاء حوض عائم لاصلاحها - أنظر : د/ شوقي الجمل - سياسة مصر فى البحر الأحمر ص ٢٩٧ .

والأحمر فانه يعد في حد ذاته بداية الانطلاقة لتطورات خطيرة في تاريخ التجارة العربية الاسلامية الدولية .

فلقد ترتب على ذلك تحول أعداد كبيرة من السفن التى كانت تقصد رأس الرجاء الصالح الى طريق البحر الأحمر ، فأصبح لمصر وجدة المشاركة الحقيقية فى التوجيه الاقتصادي والسياسي للبحر الأحمر (١) .

ويقول المغربي (٢) :" إن جدة كانت قبل شق قناة السويس بمثابة همزة الوصل بين الهند ومصر حيث تجلب البضائع من الهند إلى ميناء جدة عن طريق البواخر ثم تصدر الى مينائى السويس والقصير ، الا أنه بعد شق القناة انتهت حاجة مصر إلى الاستيراد عن طريق جدة ، وأخذت تحصل على بضائعها باستيرادها استيرادا مباشرا سواء من الشرق أو من الغرب عن طريق القناة " .

ولا يمكننا أن نسلم بأن جدة كانت بمثابة همزة الوصل بين مصر والهند فى جميع الأحوال والأوقات السابقة على فتح القناة فلقدجاء فى وثائق سنة ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤ م . ما يؤيد أن التجارة كانت فى كثير من الأحيان تأتى مباشرة الى مرافئ مصر فى السويس وسواكن ومصوع دون مرورها على جدة وذلك قبل افتتاح القناة فقد بعث الخديوى اسماعيل لمعتمده فى الآستانة : برسالة فى ٢٨ من ذى القعدة سنة ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤ م جاء فيها : (٣) (............. والبضائع التى يراد تصريفها فى الحجاز تحمل وتنقل على السفن من الهند وخليج البصرة وسواحل اليمن ويؤتى بها رأساً إلى جدة ، والتى يراد تصريفها فى مصر من تلك الجهات تأتى إلى مرفأ السويس والى سواكن ومصوع من غير حاجة الى مرورها بميناء جدة).

مما تقدم عرفنا أن عناية مصر بالحجاز لم تقتصر على المجال السياسى بل تعدته إلى مجالات

---

(١) سعد الحلواني - الحكم المصرى فى سواكن وملحقاتها ص ١٤٧ .

(٢) محمد على مغربى - أعلام الحجاز فى القرن الرابع عشر للهجرة ، ط ٢ - ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥م- ص١٣٩ .

(٣) دار الوثائق القومية - المكاتبة التركية رقم ١٠٢ - ص ٢٨٣ الدفتر رقم (٢١) عابدين تركى- من أفندينا (اسماعيل باشا) الى المعتمد بالآستانة بتاريخ : ٢٨ من ذى القعده سنة ١٢٨١ هـ .

أوسع كان على رأسها المجال التجاري فعمدت الادارة المصرية إلى تسيير خطوط ملاحية تجارية بين موانيها على سواحل البحر الأحمر وبين موانئ الحجاز . ولقد تعددت مع ذلك أوجه التجارة التى شملت كثيرا من الأنواع التجارية الآتية : البن والملح والغلال والحيوانات والجلود والقطن وغير ذلك: مثل الصمغ والعاج والحصر ، والكتب ، والسكر ، والشيح ، والسنامكى ، والنيلة ، مما أثرى التبادل التجارى بين القطرين . وقد كان لافتتاح قناة السويس للتجارة الدولية أثر عظيم فى مرور تجارة البحر المتوسط الى جدة وأخذت السفن تصل من الأسكندرية الى جدة ,غيرها من موانئ الحجاز مباشرة ، على الرغم من أثر القناة السلبى على أسطول جدة الذي لم يستطع مسايرة السفن التجارية الحديثة ، فإن تجارة الحجاز أفادت من افتتاح القناة واستعاضت عن أسطول جدة بالسفن التجارية الكبيرة الاسلامية والأوربية وتسبب ذلك فى اندثاره .

الفصل الرابع

العلاقات الفكرية والاجتماعية بين مصر والحجاز

تمهيد :

تعد العلاقات الاجتماعية بين الشعوب واحدة من أقوى العلاقات الانسانية التي لاتقضى عليها الأحوال الطارئة والمتغيرة ، إنما يظل وقعها طويلا متجددا بعكس العلاقات السياسية أو الاقتصادية تلك التى تخضع لظروف طارئة وتتبدل حسبما يطرأ عليها من تغييرات فى المناصب القيادية أو التكتلات الدولية .

والعلاقات بين مصر والحجاز ليست وليدة العصر الحديث إنما ذات جذور عميقة تصل بنا إلى التاريخ القديم منذ زواج أبي الأنبياء ابراهيم - عليه السلام - من هاجر المصرية إلى يوم الله هذا .

وقد كانت العلاقات الاجتماعية بين القطرين هي المستمرة على أحسن ما تكون العلاقات بين الشعوب خاصة بعد أن ارتبطا بالوشائج الدينية واللغوية والفكرية ، وكان للجوار واتصال الحدود الأثر البالغ في قوة الترابط بين القطرين ، ولم تختلف التقاليد والعادات كثيرا ، فأدي هذا كله إلى ظهور الهجرات والتزاوج المستمر بين أبناء الشعبين ، وتوثقت عري الأخوة والصداقة بينهم بشكل واضح .

ولله در الشاعر الذى قال :

هذا الحجاز وهذه مصر ∴ جمعا فكان الماء والزهر

العلاقات الثقافية والعلمية :

لقد تعددت روافد الثقافة بفروعها وأشكالها المختلفة فى الحجاز ، لأن الروافد المصرية كان لها الأثر الأكبر في التأثير على المجتمع الحجازى .

ولقد ظهرت بواعث النهضة الفكرية فى الحجاز بانتقال دعوة محمد بن عبدالوهاب الاصلاحية إليه سنة ١٢٠٦ هـ / سنة ١٧٩١م وسريانها فى بلدانه بوسائل مختلفة منها :

كتب ابن عبدالوهاب ورسائله ، ورسله الذين بثهم لإقامة المناظرات ونشر التعاليم الاسلامية التى نادى بها الاسلام .

بيد أن سيطرة السعوديين بعد ذلك على منطقة الحجاز من سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢هـ كان له أعظم الأثر فى فرض تعاليم الدعوة على أهالى تلك المنطقة .

أما الأثر الفكرى المصرى فى الحجاز فقد ظهر واضحا بعد أن مكن محمد على باشا لنفسه فى شبه الجزيرة العربية خاصة فى السنوات العشر الأخيرةمن حكمه فيها ، فلقد أتاح الحكم المصرى للحجازيين فرصة الاطلاع على التيار الثقافى الخارجى ، ونشر الوعى العلمى ، واستمر ذلك حتى سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م ، وبعدها انحسر المد المصرى غير أن آثاره ظلت باقية فى أشكال غير منظمة ، أشكال اجتماعية بحتة لاتملك قوة كبيرة دافعة فتوقفت مسيرة الحجاز نحو حضارة العصر الحديث بعد خروج المصريين منه و عودةالأتراك إليه ، ومع ذلك فقد أقام بعض سكان الحجاز الكتاتيب الجديدة لتعليم الصبية فأصبح فى مكة وحدها أكثر من خمسين كتابا ، وفى المدينة ما يزيد على الثلاثين ، ولذلك ظهرت الكتاتيب فى كل من جدة والطائف بعد أن حرمتا من رافد الحركة العلمية بمصر ، ورافد حركة ابن عبدالوهاب الاصلاحية بنجد (١) .

واذا كان الحجاز قد استقى بواعث نهضته من رافدين كبيرين هما :

دعوة ابن عبدالوهاب بنجد ، ونهضة مصر العلمية فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرى(التاسع عشر الميلادى) فان الحجاز قد عد بعد ذلك معبرا لفكر ابن عبدالوهاب الى سائر الأقطار الاسلامية حينما حمل هذا الفكر البعض من تلك الأفواج العظيمة من حجاج بيت الله الحرام وهم عائدون الي أوطانهم ، فلم تقتصر أفكار الدعوة على الحجاز وشبه الجزيرة العربية بل تعدتها الى غيرها من كثير من الأقطار الاسلامية ، وكان موسم الحج ميدانا صالحا وفرصة سانحة لعرض

---

(١) د/ ابراهيم الفوزان – أقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة – ص ٢٥٧ مابعدها .

مبادئ هذه الدعوة على الحجاج ، واستمالتهم الى قبولها فاذا عادوا الى بلادهم دعوا اليها(١)

ولم يكن الحج هو الطريق الأوحد الذى انتشرت به دعوة محمد عبدالوهاب الاصلاحية فى مصر فلقد انتشرت الدعوة بطرق أخرى غيرها كان أعظمها :

مجموعة بيت الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبعض أبناء البيت السعودى وأتباعهم الذين حملهم جنود محمد على أسرى الى مصر (٢) . وبها كان يسمح لهم بالاختلاط بعلماء الأزهر واعلان مبادئهم فى جمهرة من المسلمين فكان لهذا أعظم الأثر فى انتشار مبادئ الشيخ محمد بن عبدالوهاب الاصلاحية بين المصريين ومن هؤلاء الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب المتوفى سن ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨ م الذى أخذ العلم عن جده وعن مشايخه من علماء الأزهر / عبدالرحمن الجبرتى مؤرخ مصر ، وكعبد الله بن سويدان الذى أجازه بجميع مروياته (٣) عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن المتوفى سنة ١٢٨٣ هـ / ١٨٧٦ م أخذ عن الشيخ البيجورى شيخ الأزهر وعن الشيخ مصطفى الأزهري والشيخ أحمد الصعيدى وغيرهم (٤) فيصل بن تركى المتوفى سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥ م الذى أسس الدولة السعودية الثانية له دراسات للقرآن وكتب التفسير فى مصر أثناء اقامته منفيا فيها (٥) .

ومنهم عبدالله بن محمد عبدالوهاب الذي نقله ابراهيم بن محمد على باشا الي مصر بعد استيلائه على الدرعية سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٨ م ونقل معه ابنه عبدالرحمن وبقى عبدالله فى مصر الى أن

---

(١) أحمد أمين - زعماء الاصلاح فى العصر الحديث - ص ٢٣ .

(٢) بلغ عددهم أربعمائة فرد من الأسرتين ، من بينهم أربعة أبناء سعود الكبير وهم : فهد ومشاري ، وسعد، وخالد بالاضافة الى عبدالله الذى أرسل الى الاستانة ، وقتله العثمانيون بها .
أنظر : أمين الريحانى - نجد وملحقاتها - ص ٩١ .

(٣) أنظر : ابراهيم بن عبدالمحسن - تذكرة أولى النهى - جـ ١ - ص ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٥) أنظر : المصدر السابق - ص ٢٢٢ .

(٥) أنظر : د/ عبدالفتاح حسن أبوعليه - الدوله السعودية الثانية (١٢٥٦هـ - ١٣٠٩ هـ) الرياض (١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ص ٩٥ .

توفى بها سنة ١٢٤٢ هـ أما ابنه عبدالرحمن فقد تعلم فى الأزهر الشريف ودرس برواق الحنابلة وظل يدرس فى الأزهر الى أن توفى في سنة ١٢٧٣هـ / سنة ١٨٥٦ م بعد أن أنجب ثلاثة ابناءه: أحمد الأجزجي ، وعبدالله الذي عمل كاتبا فى قلعة الوجه بشمال الحجاز ثم عاد الى مصر، وثالثهم محمد (١) .

وممن تأثروا بتعاليم بن عبدالوهاب من المصريين الشيخ درويش خضر الذى كانت تربطه بالشيخ محمد عبده قرابة وطيدة حيث كان الشيخ درويش خالا لأبيه .

وقد اعتنق الشيخ درويش مبادئ الدعوة التى نادي بها ابن عبدالوهاب والتى تحث على التحلى ببساطة الاسلام الأولي ، وتنقية الأعمال الدينية من البدع والخرافات التى لحقت بها وقد تمكنت دعوة ابن عبدالوهاب من فكر الشيخ درويش خاصة بعد أن سافر الى طرابلس الغرب ، واجتمع بها بأتباع السنوسى (٢) الذين وجدهم قد استقبلواتلك الدعوة الاصلاحية وتمكنت من قلوبهم (٣) .

كما تأثر بالدعوة الشيخ / محمد عبده الذى شب على تربية اسلامية (٤) وتأثر بخال أبيه - الشيخ درويش (٥) واقتنع بتعاليم دعوة ابن عبدالوهاب ووجد فيها الوسيلة للقضاء على البدع

---

(١) أنظر مجلة الدارة العدد ٣ - السنه الخامسه (ربيع ثان ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) الرياض ص ٥ ومابعدها .

(٢) جاء الأمام - محمد السنوسى إلى مكة لأداء فريضة الحج ، وسمع بدعوة ابن عبدالوهاب السلفية فاعتنقها وعاد الى الجزائر يدعو اليها .

أنظر : د/ ابراهيم الفوزان - اقليم الحجاز - ص ٢٦٠ .

(٣) أنظر : أحمد أمين - زعماء الاصلاح - ص ص ٣٠٦ ، ٣٢٨ .

(٤) قد كان الأمام محمد عبده فى بداية حياته أشعريا صوفيا ، ثم صار بالتدريج سلفيا أنظر : محمد رشيد رضا - تاريخ الأستاذ محمد عبده - جـ ٢ مطبعة المنار ط ٢ مصر ١٣٤٤ هـ - ص ٥٧٤ .

(٥) وكان للشيخ درويش أثر عظيم بجانب تلقين الإمام محمد عبده المبادئ السلفية التى نادى بها ابن عبدالوهاب وهو تشجيع الأمام على مواصلة طلب العلم فى الجامع الاحمدى ثم الدراسة فى الأزهر الشريف مما كان له أثر طيب فى تكوين فكر الأمام . أنظر : حسين حسان - الحركة العلمية والتعليمية فى الأزهر ص ٤٣٨ .

والخرافات فى المجتمعات العامه ، وصار يدعو للمبدأين الأساسيين اللذين تضمنهما فكر ابن عبدالوهاب وهما :

أولا : محاربة البدع ، وما ارتكبه بعض العامة من أباطيل وترهات .

ثانيا : فتح باب الاجتهاد الذي ادعى بعض من المقلدين أنه أغلق فأما المبدأ الأول فقد أخذ الشيخ محمد عبده يهتبل الفرص فى سبيل نشر ما أعتقده من فكر دينى فانتهز فرصة وجود جماعةمن العلماء لديه فى يوم المولد النبوى ، ودعوته للعشاء عند أحد المحتفلين ، فقام فيهم خطيبا مبينا لهم أن هذه الموالد كلها منكرات ، ويتمنى لو أنفق ما يصرف فيها على الفقراء ، وناظرهم فى ذلك مناظرة انتهت بانصراف العلماء الى العشاء فى المولد ، وامتناع الشيخ محمد عبده وحده عن المشاركة فى هذا العشاء .

كما قام الشيخ بتفسير جزء (عم) للناشئة فحمل فى تفسيره هذا بعنف على كل ما يشوب عقيدة التوحيد من أباطيل أدخلها البعض ، ودمجها فى العقيدة وهى منها براء (١) .

وكان الامام محمد عبده يطلق على الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى محاضراته التى كان يلقيها بالأزهر الشريف لقب : (المصلح العظيم) .

كما ألقى محمد عبده تبعة وقف دعوته الاصلاحية فى القرن الثالث عشر على الأتراك العثمانيين ومحمد على باشا الذي كان يذكره بلفظ " الألبانى " (٢) .

وقد أعان الشيخ فى ذلك تلميذه وصديقه السيد محمد رشيد رضا الذى ملأ صفحات مجلة المنار بمثل دعوة صديقه وأستاذه ليسمع بها المسلمون فى كل البلدان الاسلامية (٣) .

---

(١) أحمد أمين - زعماء الاصلاح فى العصر الحديث - ص ٢٥ .

(٢) محمد رشيد رضا -تاريخ الاستاذ الامام جـ ٢ ص ٣٨٢ . ، ود/ ابراهيم الفوزان - اقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة - ص ١٦١ . وفى اعتقادى أن ذكره لفظ الألبانى ربما فيه تبرئة المصريين من الفظائع التى ارتكبها جيشه فى شبه الجزيرة العربية .

(٣) أحمد أمين زعماء الاصلاح - ص ٢٥ . ٢٦ . وأنور الجندي - أعلام القرن الرابع عشر الهجرى - المجلد الأول أعلام الدعوة والفكر - مكتبةالأنجلو - ١٩٨١ .

وقد أطال السيد محمد رشيد رضا فى الكتابة عن أتباع ابن عبدالوهاب وإمامهم ومما قاله فى ابن عبدالوهاب :

" وكان الشيخ محمد عبدالوهاب رحمه الله مجددا فى الاسلام بإرجاع أهله عن الشرك والبدع التى فشت فيهم الى التوحيد والسعة " (١) .

وكان محمد رشيد رضا يمتدح كثيرا مذهب ابن تيمية وما قام به من نصرة مذهب السلف على المذاهب الكلامية ببرهان فى العقل والنقل ، ويذكر لمحمد رضا عن تأثر المصريين بالمذهب السلفى قوله : " وقد أحيت مصر والهند كتبه (ابن تيمية) وكتب تلميذه العلامه ابن القيم بعد أن كان الاهتداء بها محصورا فى بلاد نجد ، وهى الآن تعم الشرق والغرب ، وستكون عمد جميع مسلمى الأرض (٢) . وهو بذلك يتوقع للدعوة السلفية أن تسود العالم الاسلامى وأنى له ذلك ! ومن المصريين الذى تأثروا بتلك الدعوة أيضا :

ابراهيم رفعت باشا الذى تولى منصب قومندان الجنود المرافقين لقافلة حج سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠١م كما تولى أمارة الحج فى سنوات (١٣٢٠هـ / ١٩٠٣ م)، (١٣٢٢هـ/١٩٠٤م) ،(١٣٢٦هـ / ١٩٠٨ م) فلقد تأثر إبراهيم رفعت بتعاليم ابن عبدالوهاب الاصلاحية فتهكم على عادات الناس فى مصر ومنها التجمهر بأعداد كبيرة حول المحمل عند سفره الى الحجاز من مصر ومحاولة لمسه بأيديهم والتبرك به لأنه سيدخل المسجد الحرام ، ويوضع فى مقصورة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول بصدد ذلك (٣) .

" ولما كان التمسح بالقبور منهيا عنه فى الشرع كان الأجدر بالناس أن لا يتمسحوا بما يوضع على الأضرحة من باب أولى ، وخليق بالمسلمين خاصتهم و عامتهم أن تتفق عاداتهم مع آداب دينهم " .

---

(١) د/ ابراهيم الفوزان - أقليم الحجاز - ص ٢١٨ .

(٢) الشيخ محمد عبده - رسالة التوحيد -تعليق / محمد رشيد رضا دار المنار ط ١٧ مصر - ١٣٨٦هـ - ص ٢٢ .

(٣) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ١٣ .

ولا شك في أن هذا الحديث يعد متفقا مع طبيعة المبادئ التي قامت عليها دعوة ابن عبدالوهاب الاصلاحية .

وقد تأثر بالدعوة أيضا : أحمد أمين (١) حيث يظهر ذلك في كتاباته بوضوح وفي ذلك يقول: "فكانت دعوة ابن عبدالوهاب حربا على كل ما ابتدع بعد الاسلام الأول من عادات وتقاليد ، فلا اجتماع لقراءة مولد ، ولا استفاء بزيارة قبور ، ولا خروج للنساء وراء الجنازة ، ولا إقامة أذكار يغني فيها ويرقص ، ولا محمل يتبرك به ويتمسح ، ويحتفل به هذا الاحتفال الضخم ، وهوليس إلا أعواد خشبية لا تضر ولا تنفع ".

ويضيف قوله : " كل هذا مخالف للاسلام الصحيح يجب أن يزال ، ويجب أن نعود إلى الإسلام في بساطته الأولى " (٢) .

وممن تأثر بالدعوة أيضا ، وسار على نهجها الشيخ / عبدالظاهر محمد أبو السمح المتوفى سنة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م بمديرية الشرقية من أسرة دينية فحفظ القرآن العظيم على يد والده ولما يزل في التاسعة من عمره ، ثم أرسله أبوه الى الأزهر فتعلم على يد علمائه .

وشاء له القدر أن يحضر جلسات علم الأمام محمد عبده ، واتصل بالشيخ أمين الشنقيطي الذى كان يعد من كبار العلماء السلفيين فتعهده الأخير وبث في فكره تعاليم ابن عبدالوهاب التي وجدت عنده مرتعا خصبا ونال منها ونالت منه مما دفعه لدراسة كتب ابن تيمية ، وابن الجوزي حتى سيطر عليه الفكر الفلسفي ، وعمل مدرسا بالسويس ثم عاد إلى القاهرة وتتلمذ على يد السيد

---

(١) هو أحمد أمين بن ابراهيم الطباخ من علماء وكتاب مصر المرموقين ، ولد بالقاهرة في سنة ١٣٠٤ هـ/ ١٨٨٦ م، و توفي في سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤ م ، وقد تلقى علومه الأولى في الأزهر الشريف ، ومدرسة القضاء الشرعي ، ثم عمل قاضيا في المحاكم الأهلية ، وفي سنة ١٩٢٦م تولى التدريس بالجامعة المصرية ومناصب أخرى ، وله مؤلفات عديدة ومقالات متنوعة وجهود علمية متنوعة .

أنظر : دائرة المعارف الاسلامية - م ٢ - ص ٢٨٧ ، وبسام الجابي - معجم الأعلام - ص ٣٢ .

(٢) أحمد أمين - زعماء الاصلاح ص ١٦ .

محمد رشيد رضا ، ثم عين مدرسا بالأسكندرية فأسس بها جماعة أنصار السنة ولكنه أوذى بسبب دعوته إلى الاصلاح الدينى فصبر حتى رحل إلي مكة وعينه الملك عبدالعزيز بن سعود إماما وخطيبا ومدرسا بالمسجد الحرام فأسس مدرسة دار الحديث بمكة وظهرت له عدة مؤلفات منها: (حياة القلوب ، ومناسك الحج وتفسير بعض أجزاء القرآن الكريم ، وكرامات الأولياء) ، ومما يجدر ذكره أن الشيخ أبا السمح كانت له كتابات واسعة فى صحف الأخبار ووادى النيل ومجلة المنار أشتملت على دعوته للعقيدة السلفية (١) .

تنقل العلماء وطلبة العلم بين مصر والحجاز : وثمة رافد آخر من أعظم الروافد التى ربطت بين مصر والحجاز فى النواحى الثقافية والعلمية وهو تنقل العلماء وطلبة التعليم بين القطرين :

أولا : رحلات الحجازيين العلمية إلى مصر :

كان بعض الأثرياء الحجازيين يرغبون فى تعليم أبنائهم ثقافة وعلما أوفرو أعلى لهذا جعلوا قبلتهم مصر بأزهرها ومحافلها العلمية المختلفة ، كما أن كثيرين من علماء الحجاز لم يقنعوا بما كسبوه من علوم فى مدارس الحجاز وحلقاته ، فاتجهوا إلي مصر ليستزيدوا من علومها ومعارفها، وليتخذوا من علمائها أئمة يقتدون بهم وينهلون من فيض علومهم ومصابيح يهتدون بضيائها ويسيرون على هداها .

وقد زخرت كتب الأعلام بهؤلاء الطلبة والعلماء وسنستشهد فيما يلى بأمثلة منهم لنعرف من خلالها طبيعة هذه العلاقات وقدرها فى هذه الحقبة من التاريخ فمن هؤلاء :

الشيخ المؤرخ أحمد بن زيني دحلان : ولد أحمد بمكة سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٧م فلما شب عن الطوق بعث به أبوه الى القاهرة فتتلمذ على يد مجموعة من فحول علماء الأزهر الشريف

---

(١) عمر عبدالجبار - سير وتراجم - ص ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

مما أهله الى تبوء مكانة علمية عظيمة حازها بجدارة ، وقد ألف الشيخ مؤلفات كثيرة أبرزها مؤلفاته التاريخية القيمة التى اعتمد عليها كثير من الذين تصدروا لكتابة تاريخ شبه الجزيرة العربية فى القرن الثالث الهجرى التاسع عشر الميلادى ، كما تلقى عليه العلم كثيرون من طلبة الأزهر. على الرغم من افتراءاته الكثيرة على دعوة ابن عبدالوهاب والسعوديين .

ولقد جاء فى احدى المخطوطات بدار الكتب المصرية أن الشيخ أحمد بن زينى دحلان قد تتلمذ على يديه بعض طلبة العلم فى مصر وممن أجازهم ببعض علومه ومروياته (١) . الشيخ عبدالفتاح بن عبدالرحمن البنا الدمياطى وتتلمذ على الشيخ أحمد الشيخ / عثمان بن حسن الدمياطى ، والعالم الجليل الشيخ محمد الشنوانى الشافعى الأزهري ، والعلامة الشيخ عبدالله الشرقاوى الشافعى الأزهرى ، والعلامة الشيخ محمد الأمير الكبير المالكى الأزهرى .

وقد توفى ابن زينى دحلان بالمدينة المنورة فى سنة ١٣٠٤هـ / سنة ١٨٨٦ م ومن أبرز مؤلفاته خلاصة الكلام فى بيان أمراء البيت الحرام ، ورسالة فى الرد على الوهابية والسير النبوية، والفتح المبين فى فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين (٢) .

ومنهم الشيخ صالح بن بكرى شطا : ولد سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥ م بالحجاز وتوفى والده سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م وهو فى الثامنة من عمره فقام برعايته أخوه الشيخ السيد أحمد شطا الذى كان أحد مدرسى المسجد الحرام ، وقد حفظ صالح القرآن الكريم ومتون الفقه واللغة العربية على يد أخويه أحمد وعمر وأخذ علمى الأدب والفلك عن عبدالله بن صدقه دحلان . كما تلقى التفسير والحديث وأصول الفقه وعلوم البلاغة عن مجموعة من علماء عصره فى مكة الذين أجازوه للتدريس ولم يكتف صالح شطا بهذه العلوم التي أتقن الكثير منها فقام برحلات ثقافية إلى بعض البلدان الاسلامية التى كان على رأسها مصر قرأ خلالها نفائس كتب السلف الصالح وفكرهم كما

---

(١) مخطوطة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٢٤٦ مصطلح الحديث إجازة من الشيخ أحمد بن زينى دحلان المكى (١٢٣١ هـ / ١٣٠٤ هـ) الى الشيخ عبدالفتاح بن عبدالرحمن الدمياطى .

(٢) عبدالواسع بن يحيى الواسعى - الدر الفريد الجامع لمتفرقات الاسانيد - ص ٧٨ .

وانظر : خير الدين الزركلي - الأعلام - جـ ١ ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، وبسام الجابى - معجم الأعلام - ص ٤٠ .

استوعب فكر الشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، وعكف على مطالعة الصحف والمجلات المصرية التى وجد فيها ثقافة علمية واسعة كما كان يرسل الى الجرائد المصرية بمقالاته وأفكاره .

فأهله هذا لتبوء مكانة علمية ممتازة فى مكة عندما عاد إليها ، فافتتح حلقة دراسية فى الحصوة التى أمام باب الزيادة .

وقد تقلد الشيخ صالح شطا عددا من المناصب فى العهد السعودى أعظمها منصب المستشار لنائب الملك فى الحجاز ، ثم منصب مدير المعارف ، ثم عضوية مجلس الشورى - وقد ظل الشيخ صالح شطا عالما يشار اليه بالبنان وعلما من أعلام الحجاز المرموقين الى أن توفي صالح شطا فى ٢٩ من صفر سنة ١٣٦٩ هـ / سنة ١٩٥٠م (١) م. ومنهم الشيخ **صالح بن على بن حسن السروجى** الذى ولد بمكة سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤ م . وقد نشأ الشيخ صالح السروجى نشأة علمية فحفظ القرآن وكثيرا من المتون ، وظل يعكف على طلب العلم حتى أجيز بالتدريس ، وشرع فى تأليف حاشية على (ملامسكين على كنز الدقائق) فى الفقه الحنفى إلا أنه لم يتمكن من الانتهاء منها فقد اعتراه مرض فى عينيه منعه من التدريس والتأليف اضطره إلى السفر للعلاج فى مصر فشفاه الله فيها ، وعاد الى مكة حيث بقى بها إلى أن توفى سن ١٣٢٩/ سنة ١٩١١ م (٢) .

ومنهم : **الشيخ عبدالرؤوف الصبان** الذى ولد بمكة المكرم فى سنة ١٣١٦هـ/ سنة ١٨٩٨م فى أسرة عريضة الثراء ، وكان فريق من هذه الأسرة يسكن القاهرة ، ويعمل رجال هذا الفريق فى مجال نقل الناس من مكان الى آخر بالعربات التي تقودها الخيول قبل دخول الترام وانتشار السيارات، وكانت هذه العربات تعرف بخطوط الصبان .

وأما الشيخ عبدالرؤوف الصبان فقد تلقى تعليمه الابتدائى بمكة المكرمة ثم ابتعثته أسرته الى مصر فى أول القرن العشرين إلى أن تخرج فى مدرسة دار العلوم .

ويُعد الصبان من أوائل المتعلمين الذين تلقوا دروسهم المنتظمة والعالية طبقا للمنهج الحديث خارج

---

(١) أنظر : عمر عبدالجبار - سير وتراجم - ص ١٢٤ ومابعدها ، وانظر : محمد على مغربى - أعلام الحجاز- جـ ١ - ص ٥١ ومابعدها .

(٢) عمر عبدالجبار - سير وتراجم - ص ١٣١ .

الحجاز فى العهد التركى ، وعندما عاد من مصر إلى وطنه الحجاز أظهر ثورته على الجمود والخرافات التى ظهرت فى المجتمع الحجازى فى أواخر العصر العثمانى الهاشمى (١) وهاجر عبدالرؤوف الصبان من الحجاز الى مصر فى العهد الهاشمى حيث عمل هناك فى الدعاية للملك على بن الحسين (٢) أثناء الصراع بين السعوديين والهاشمين وعاش الصبان حتى أواخر السبعينيات من القرن الرابع الهجري ، وتوفى بعد رحلتين له فى مصر ولبنان .

ومنهم : الشيخ عبدالملك الفتنى بن عبدالوهاب بن صالح :

الذى ولد بمكة وحفظ بها القرآن الكريم كما طلب العلم بالمسجد الحرام على يد الشيخ جمال بن عبدالله الحنفى المفتى بمكة وشيخ علمائها ، وأخذ كذلك عن الشيخ العزب الدمياطى المدنى وغيرهم فأصبح بعد ذلك أهلا للتأليف والتدريس ومن مولفاته :

١ - شرح نظم الشمسية للشيخ عمر الناسكورى فى المنطق .

٢ - " نظم متن السراجية " ثم شرحه " فى علم المواريث .

٣ - " نظم متن المنار " ويبلغ حوالى أربعمائة بيت . فى أصول الفقه .

ومن تلامذته الشيخ أحمد أبو الخير ، والشيخ طاهر سنبل عبدالملك قلعى والشيخ محمد بن محمد صالح مرداد ، والذى يعنينا فى هذا المجال هو أن الشيخ عبدالملك بعد أن اشتهر أمره فى التدريس رحل من الحجاز الى مصر واستوطنها ثم افتتح بها مكتبة زودها بالكثير من الكتب فى مختلف العلوم والفنون وعاش بمصر الى أن توفى بها سنة ١٣٣٢هـ/ سنة ١٩١٤م (٣) .

ومنهم عبدالوهاب مظهر الأنصارى الذى ولد بالمدينة المنورة ، ورحل الى مصر صحبة والديه ، وهم فى معية والدة الخديوى عباس حلمى الثانى (والى مصر) فألحقته والدة الخديوى

---

١) محمد على مغربى - أعلام الحجاز - جـ ١ - ص ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) محمد علي مغربى - أعلام الحجاز - جـ ١ - ص ١٠٥ .

(٣) عمر عبدالجبار - دروس من ماضى الحجاز وحاضره بالمسجد الحرام - ص ٢٨٤ .

عباس بمدرسة بمبا قادن حيث تعلم فيها وفى مدارس أخرى بمصر حتى نال شهادة البكالوريا ثم التحق بالعمل الدبلوماسي فى المفوضية الهاشمية بمصر ، وأخذ بعد ذلك يرتقى فى المناصب حتى أصبح مستشارا بالسفارة السعودية فى مصر (١) .

ومنهم : محمد حامد بن أحمد عوض الحنفى : الذى ولد فى ضباء بشمال الحجاز فى سنة ١٢٧٧ / ١٨٦٠م فلما شب عن الطوق انتقل الى المدينة المنورة لطلب العلم بها، ثم سافر الى مصر لإكمال دراسته حيث أخذ ينهل من علوم الأزهر على يد أساتذته ردحا من الزمن نال بعده الشهادة العالمية وممن تتلمذ عليهم فى الأزهر الشيخ محمد نجيب ، وعاد بعد ذلك الى جدة حيث تصدى للتدريس بمسجد السنوسى ، ومسجد عكاشة ومسجد المعمارى ، ثم ارتحل الى مكة المكرمة ، وعاد مرة أخرى إلى جدة ليتولى منصب القضاء بها لمدة عامين فى عصر الحكومة الهاشمية ثم انتقل الى الهند وتوفى بها سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢ م (٢) .

ومنهم الشيخ محمد بن سليمان حسب الله الذي ولد فى سنة ١٢٣٣هـ/ سنة ١٨١٨م بالحجاز فلما شب عن الطوق أخذ العلم عن علماء الحجاز أمثال الشيخ عبدالحميد الشنوانى، وعبدالحميد الدمياطى ، وأحمد بن محمد الدمياطى مفتى الشافعية بمكة، وأحمد النحراوى ، وعبدالغنى الدهلوى ، وأحمد سنة الله الأزهرى وحسنين بن ابراهيم المالكى وبعد أن نهل من علومهم شد رحاله الى مصر ، فأخذ العلم عن بعض علمائها أمثال الشيخ مصطفى المبلط والشيخ ابراهيم السقا فلما حصل على إجازاتهم عاد الى المدينة المنورة وأخذ عن كبار علمائها ثم تصدى للتأليف فألف حاشية على مناسك الحج للخطيب الشينى الكبير ، والرياضة البديعة فى أصول الدين وبعض فروع الشريعة ، وفيض المنان شرح فتح الرحمن وكانت وفاة الشيخ محمد فى

---

(١) محى الدين رضا - صور ومشاهدات من الحجاز - ص ١٤١ وانظر : فؤاد حمزة البلاد العربية السعودية - ص ١٢٢ .

(٢) عبدالقدوس الأنصارى - موسوعة تاريخ جدة - م ١ ص ٣٤٧ وانظر : عمر عبدالجبار سير وتراجم - ص٢٣٦

سنة ١٣٣٥ هـ / ١٩١٧ م رحمه الله (١) .

ومنهم : محمد صالح الكتبي : ولد بمكة المكرمة سنة ١٢٤٥هـ/ سنة ١٨٢٩م وتربى على يد والده تربية دينية وعلميه حيث كان والده يعمل بالافتاء فى مكة وكان محمد أمينا على فتاواه فجمعها ، كما جمع مؤلفات والده أيضا التى كان منها حاشية على كتاب الوقف ، وحاشية على شرح العيني على الكنز ، وتولي محمد صالح منصب مفتى الحنفية بمكة وكان دائم التردد على مصر ، والاتصال ببعض الأسر المصرية بها حتى توثقت عرى الصداقة بينه وبين أفرادها. وتوفى الشيخ محمد صالح سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٦٨م (٢) .

ومما هو جدير بالذكر أن آل الكتبى كان لهم رواتب مصرية خاصة تدل على عناية أولى الأمر فى مصر بهم وبمكانتهم الطيبة فى أم القرى فتفرغوا للعلم والفتوى والتدريس (٣) .

ومنهم الشيخ محمد طاهر الدباغ :

ولد الدباغ بالطائف سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠ م من أسرة كريمة وتربى بين ربوع الطائف وحدائقه، ثم شاء الله له أن ينهل من كعبة العلم (مصر) فسافر من الحجاز الى الاسكندرية - حيث التحق بمدارسها ونال منها الشهادة العالية وبعدها عاد الى مكة حيث أكمل بعض الدراسات بها على أشهر علماء عصره ، وعندما افتتحت مدرسة الفلاح عين مدرسا فيها للعلوم الرياضية ، ثم عين مديرا لها، ثم تولى منصب مدير مالية جدة في عهد الملك الحسين بن على ثم وزيرا للمالية فى عهد الملك على

---

(١) عمر عبدالجبار - سير وتراجم - ص ٢٢٩ ومابعدها ، وخير الدين الزركلى الاعلام ج ٦ ص ١٥٢ ط بيروت ١٩٨٠ .

(٢) عمر عبدالجبار - سير وتراجم - ص ٢٤٠ .

(٣) دار الوثائق القومية - الأمر التركى رقم ٦٤ - صفحة ٣٢ - قسم ثان - من الجناب العالى الى ناظر المالية أحمد رشيد - (٦ من شعبان سنة ١٢٧٩ هـ) .

وانظر : ابراهيم رفعت مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ص ٣١٥ ، ٣٤٧ .

بن الحسين . وغير ذلك من المناصب حتي توفاه الله بمصر سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م .

ومن مؤلفاته المختصر في السيرة النبوية والمختصر في الحديث الشريف (الترغيب والترهيب) وكانت له اليد الطولى في تأسيس مدرسة (تحضير البعثات) بالحجاز ووضع مناهج المدارس المتوسطة والتجارية والليلية لنشر التعليم بين كافة الطبقات (١) .

ومنهم الأمير الشيخ محمد بن علي الإدريسي (٢) :

ولد محمد في صبيا سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م ، وتربى بها ثم رحل إلي مكة سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥ وأقام بها وهو من المشاهير الذين أسهموا بقسط وافر في مجال نقل الفكر والعلم بين مصر ومنطقة الحجاز وما حولها .

وأقام بها عدة شهور وخلال هذه الفترة نال قسطا وافرا من التعليم على يد علماء مكة وسمع بشهرة الأزهر وعلمائه واتساع العلوم التى تدرس فيه فشد رحاله الى مصر قاصدا أزهرها الشريف وأخذ ينهل من علومه على يد علمائه فترة طويلة بلغت ست سنوات من سنة (١٣١٤هـ/ ١٣٢٠هـ - ١٨٩٦م /١٩٠٢م) وفي هذه السنوات التى قضاها بالأزهر اختلط بلفيف من الإيطاليين وبعض من يخدمون سياستهم وأظهروا له الصداقة حتى مال اليهم وزينوا له أن يستحوذ على امارة عسير وتهامة كما زينوا له أن يستولى على اليمن ليكون مناوئا بذلك للدولة العثمانية وبالفعل عاد الإدريس وجمع كثيرامن الاتباع حوله حتي تمكن من تثبيت أقدامه في منطقة عسير وصبيا والاستيلاء عليها وسبب

---

(١) عمر عبدالجبار - سير وتراجم - ص ٢٨٢ ومابعدها.

وأنظر : د / طالب وهيم مملكة الحجاز - ص ٧٩ .

(٢) جاء جده أحمد بن ادريس من فاس بالمغرب سنة ١٢٤٦هـ/ سنة ١٨٣٠م ونزل في مكة حيث جاور بها ثلاثون عاما والتف حوله المريدون ، وكان متصوفا أسس الطريقة الأحمدية . ثم أنتقل من مكة الى صبيا فكثر بها اتباعه وتوفي فيها سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧ م وخلفه ابنه محمد الذى صار له ما يشبه الامارة وتزوج بسودانية فولدت له علي ، وتزوج بهندية فولدت له محمدا هذا .

أنظر : خير الدين الزركلي - الوجيز في سيرة الملك العزيز - ص ١٥٣ .

وانظر : دائرة المعارف الاسلامية - م ١٢ - ص ٢٨٦ .

كثيرا من المشاكل للدولة العثمانية والحجاز كما كان دائم الاتصال بالايطاليين في مصوع وعدن ، واستمر في منعة وقوة حتى وفاته سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٣ م (١) . ومحمد بن علي هو مؤسس دولة الأدارسة في صبيا بعسير (٢) .

ومنهم الشيخ : **محمد علي زينل رضا** الذى ولد بمدينة جدة سنة ١٣٠٠هـ /١٨٨٣ وتعلم مبادئ القراءة والكتابة في دار أبيه الذى كان من أكبر تجار جدة على يد بعض العلماء الموجودين فيها حينئذ ، كما بدأ بتعليم الانجليزية والفارسية على أيدى من يعرفونها من عمال والده ، وقد ظهر عليه أمارات عزوفه عن مجال والده التجارى وشغفه بطلب العلم منذ الصغر خاصة علوم الدين ، الا أنه لم يجد في جدة ما يروى ظمأه ، فاستأذن والده للسفر الى مصر ليلتحق بالجامع الأزهر، لكن والده رفض لاحتياجه إليه في التجارة الواسعة التى يديرها ، ولم يجد محمد أمامه بد من السفر دون أن يخبر والده فذهب الى مصر ، وأخذ يدرس بالأزهر فترة لم يطل به المقام خلالها فقد لحق به والده وأعاده الى جدة، ليتولى ادارة تجارته الواسعة .

وفى تلك الأثناء نبتت في فكر محمد مكرمة علمية عظيمة فقد كانت جدة خلوا من مدرسة عربية اسلامية (٣) ، فعظم ذلك عليه ، وقرر انشاء مدرسة لتعليم أبناء جدة وسماها مدرسة الفلاح .

وقد بدأ الشيخ محمد علي مشروعه هذا منذ سنة ١٣٢٣ هـ وفى طى الكتمان لأن مثل هذا لم يكن مصرحا من قبل السلطات العثمانية فلما أصبح حقيقة واقعة لم تستطع السلطات العثمانية الغاءها ولم تجد مبررا للتصدى لها فشجع هذا الشيخ محمد علي وأعوانه على انشاء مدارس أخرى على غرار

---

(١) شرف عبدالمحسن البركاتي - الرحلة اليمانية - ص ص ٣ ، ٤

أنظر : حسين نصيف - ماضى الحجاز وحاضره - ص ص ١٨ ، ١٩ .

وانظر :فائق بكر الصواف العلاقات بين الدوله العثمانية وأقليم الحجاز (١٨٧٦-١٩١٦) ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م - ص ١٤٢ .

(٢) بسام الجابي - معجم الأعلام - ص ٧٦٢ .

(٣) كانت بجدة مدرسة ابتدائية أنشأها العثمانيون وهي المدرسة الرشيدية الا أنها كانت تركية لتخريج بعض الموظفين من الأهالى لسد النقص الموجود في الحجاز من الموظفين اللذين يتطلب عملهم الالمام بالتركية .

أنظر : عبدالفتاح حسن أبو عليه - تطور المجتمع السعودى - ص ٨٣ .

مدرسة الفلاح فى بلاد عديدة فى الحجاز وخارجه مثل مكه وعدن وبومبانى ، وهذا أعظم دليل على أن الفكر الاسلامى بمفهومه العظيم الشامل كان هو السائد بين الطبقة المثقفة وأن الفكر المحلى الضيق العقيم لم يكن قد شهر بعد .

وقد ظل الشيخ محمد على يتعهد مدارس الفلاح (١) الى أن توفى فى شعبان سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩ م (٢) .

ومنهم **الشيخ محمد بن عمر نواوى الجاوى البنتنى** الذى ولد فى سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥ م وأخذ العلم فى مكة وهو صغير على يد السيد أحمد النحراوى والشيخ أحمد الدمياطى وغيرها من علماء المسجد الحرام ، كما نهل من علماء المدينة المنورة مثل الشيخ محمد خطيب دوما الحنبلى ، وبعد ذلك شد السيد محمد رحاله إلى مصر فطلب العلم بها على يد أفاضل العلماء فى ذلك الوقت ، كما انتفع بعلماء الشام ، ثم عاد الى مكة فسكن بشعب على وأصبح من أكابر علماء التفسير والفقه والتصوف ، وتخرج على يديه الكثير من طلبته ومريديه وقد اهتم السيد محمد النواوى اهتماما عظيما بالتأليف بجانب التدريس حتى بلغت مؤلفاته فى شتي العلوم حوالى مائة مؤلف منها تفسير القرآن الذى سماه (التفسير المنير لمعالم التنزيل) ." ومراح لبيد لكشف معانى القرآن المجيد " ومراقى العبودية " فى التصوف ، ومرقاة صعود التصديق فى شرح سلم التوفيق لابن طاهر " فى التصوف أيضا " وشرح بداية الهداية للغزالى " فى المواعظ .

---

(١) أنشئت مدرسة الفلاح بمكة سنة ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م وبومباى سنة ١٣٥٠ هـ، وعدن ودبي سنة ١٣٤٧هـ .

أنظر : عبدالقدوس الأنصارى - موسوعة م ١ - ص ١٩٥ ومحمد جمعان - جدة فى عهد الملك عبدالعزيز - ص ٦٤ .

(٢) محمد على مغربي - أعلام الحجاز جـ ١ ص ٣١٧ ومابعدها ، وانظر : محمد جمعان - جدة فى عهد الملك عبدالعزيز - ص ٦٢ ، ومابعدها .

" وقامع الطغيان على منظومة شعب الايمان " في أصول الفقه .
" وقطر الغيث في شرح مسائل أبي الليث " في الفقه .
" عقود الجين في بيان حقوق الزوجين " في الفقه .
" ونهاية الزين بشرح قرة العين " في الفقه .
" ونفع الرحمن في القراءات والتجويد "
" ونورالظلام في شرح قصيدة عقيدة القوام
للمرزوقي " في التوحيد
" وكاشفة السجا في شرح سفينة النجا " في أصول الدين والفقه .

ومما تقدم نري أن ابن عمر برع وألف في الفقه والتفسير والتصوف الاسلامي وكانت وفاته سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨ م كما جاء في أعلام الزركلي ، ومعجم أعلام الجابي ، أما عمر عبدالجبار فقد أرخ لوفاته بسنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م (١) .

ومنهم : الشيخ محمد نور فطاني : الذي ولد بالحجاز سنة ١٢٩٠هـ/ سنة ١٨٧٣م وأخذ في تناول دروسه من والده ، ثم أتمها علي يد الشيخ عبدالحق مؤسس المدرسة الفخرية ، والشيخ عابد مفتي المالكية بمكة ، وعلى الرغم من حصوله على اجازة التدريس الا أنه تطلع للاستزاده من العلوم والمعارف فتاقت نفسه إلى مصر وأزهرها فشد اليها الرحال ، والتحق بالأزهر طالبا للعلم ، فتعلم العلوم الدينية على يد الشيخ محمد عبده ، والشيخ بخيت ، والشيخ الشربيني ، وتلقى علم الهيئة والتوقيت عن الشيخ حسن زائد صاحب المطلع السعيد ، وعندما حصل على الشهادة العليا من الأزهر عاد الى مكة ، وعقد حلقته بالمسجد الحرام ، وفتح بيته على

---

(١) الزركلي: الأعلام - جـ ٦ - ص ٣١٨ والمولى : مصطفى بن عبدالله ، حاجي خليفه : كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون - جـ ١ - طبع الاستانة سنة ١٣٦٠ هـ / سنة ١٩٤١ م ص ٢٢٨ ، وعمر عبدالجبار - دروس من ماضى في الحجاز وحاضره بالمسجد الحرام - ط ١ سنة ١٣٧٩ - ٢٩٥.
وعمر بن عبدالجبار : سيروتراجم ص ٢٨٨ ، وسام الجابي - معجم الاعلام - ص ٧٦٦ .

مصراعيه لطلبه العلم ، وهو يتنقل بين المناصب التى كان جديرا بها الى أن توفى بمكة سنة ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.

ومما يذكر للشيخ محمد نور أنه كان سلفى العقيدة ، وقد استقى بذورها الأولى على يد شيخ المصلحين الامام / محمد عبده (١) .

وبعد تلك النماذج التى سقناها لا أستطيع أن أقول الا أن هؤلاء القوم وغيرهم قد استفادوا وأفادوا ، فقد استفادوا من النهضة العلمية والتعليمية التى كان يتزعمها الأزهر بأروقته المتعددة(٢)، وما أدخله محمد على باشا وحفيده اسماعيل باشا فى مصر من نهضة علمية غربية حديثة واكبتها نهضة ثقافية وأدبية .

ثانيا : رحلات المصريين العلمية الى الحجاز :

واذا كنا قد تعرضنا للتيار الحجازى الذى نال قسطا كبيرا من التعليم فى مصر وعاد لينقل ما ظفر به إلى ربوع الحجاز ، وليشاركم بذلك فى إثراء العلاقات الثقافية والعلمية بين القطرين الشقيقين مصر والحجاز فإن هناك تيارا مصريا جاء من مصر إلى الحجاز ليثرى تلك العلاقة وهذا التيار كان يأتي مفعما بحماس ومشاعر دينية متوهجة وأخوة صادقة .

---

(١) عمر عبدالجبار - سير وتراجم - ص ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٢) كان بالأزهر عدد كبير من الأروقة اختلف المؤرخون والباحثون فيها فذكر لنا على مبارك أن عددها ستة وعشرون رواقا وعدّدهم د/ الشناوى تسعة وعشرين وأما محمد كمال فقد ذكر أن عددهم سبعة وثلاثون رواقا ، وعدّتهم دائرة المعارف الاسلامية ستة وعشرين رواقا وعدها حسين حسان تسعة وعشرين رواقا .
أنظر : على باشا مبارك - الخطط التوفيقية - جـ ٤ - ص ٤٩ ومابعدها ود/ عبدالعزيز الشناوي - الأهر جامعا وجامعة - ص ٢٦٠ ومابعدها ومحمد كمال السيد - الأزهر جامعا وجامعة - ص ١١٧ ومابعدها . ودائرة المعارف الاسلامية مجلد ٣ - ص ١٨٧ ، ١٨٨ . وحسين حسان - الحركة العلمية والتعليمية فى الأزهر - ص ٥٧ . ويبدو أنه كان هناك بعض الأروقةقد اندثرت ، وبقى البعض الآخر فتضاربت بذلك الأعداد بين المؤرخين .

يقول أحدالباحثين الحجازيين (١) : " من المعلوم أن مصر ترتبط بالحجاز منذ القدم برباط الدين واللغة والأصل ، حيث يزور مكة كل عام آلاف المصريين من مختلف الطبقات لتأدية فريضة الحج ، ولهم أقارب وأصدقاء فى الحجاز ، يدور بينهم النقاش والمباحثات فى كل جديد يحدث فى المجتمعين الحجازى والمصرى ، وكثيرا ما يتخلف بعض الحجاج من المصريين فى الحجاز لا يعودون الى بلادهم حبا للسكن بجوار الحرمين الشريفين " .

كما يقول مؤرخ مكة أحمد السباعى (٢) " والذي أظنه أن المصريين من أقل الناس هجرة ، ولكن فتوحات محمد على باشا فى مكة شجعتهم على الانتقال إلي مكة والاستيطان فيها ولايبعد أن يكون أكثر المنتقلين من أصحاب العلاقة بحيش محمد على ، وقد اختاروا الاقامة بعده لهذا ... ومن أشهر العائلات المصرية بيت القطان والزقزوق ، والرشيدى ، والمنصورى ، والدمنهورى " .

ويضيف ابراهيم الفوزان عائلتين أخريين هما : الشاكر ، والشورى (٣)

والذى يبدو أن السباعى مبالغ فى تصوره ، ولم يتحر الدقة المطلوبة لأن كتب التراجم زخرت بأمثلة كثيرة لمهاجرين مصريين إلى الحجاز دون أن يكون لهم ارتباط حكومى وانما كان هدفهم التدريس أو السكنى بجوار الحرمين .

فمن هؤلاء : ابراهيم رفعت باشا :

وهو ابراهيم رفعت بن سويفى بن عبدالجواد بن مصطفى المليجى الذى ولد بمدينة أسيوط فى ١٨ من جمادى الأولى سنة ١٢٧٣ هـ / ١٤ من يناير سنة ١٨٥٧ م ، وقد تعهدته أمه بالرعاية والعناية بحفظ القرآن الذى أتمه قبل أن يتجاوز الرابعة عشر من عمره وأخذ ينهل علومه بعد ذلك بعدة مدارس حتى تخرج من الحربية فى سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦ م ونظرا لنشاطه وموهبته الفذة تدرج فى الرتب العسكرية ، ومنح أوسمة عديدة مكافأة له على نجابته ، حتي عين فى ٤ من رمضان سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م رئيسا لحرس المحمل ، وبعد عام واحد تم تعيينه رئيسا للحرس

---

(١) د/ ابراهيم الفوزان - اقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة - ص ٢٦٥ .

(٢) أحمد السباعى - تاريخ مكة -ص ٥٦٩ .

(٣) د/ ابراهيم الفوزان - أقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة - ص ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

الخديوى فى شوال سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠٢ م وتولى فى سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣ م مسئولية إمارة الحج للمرة الأولى أما الثانيةفقد كانت فى سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م وكانت إمارة الحج الثالثة له سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧ م والذى يعنينا فى هذا المقام ما ذكره - المترجم له عن نفسه : أنه يعلم من الحجاز وطرقه وأمرائه وولاته والحج ومناسكه مالايعلمه كثير غيره " (١) .

وهذه حقيقة يعترف بها كل من يطلع على سفره العظيم " مرآة الحرمين " جمعه فى جزئين ، وانتفع به كل المؤرخين الذين تصدروا للكتابة التاريخية عن مصر والحجاز فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادى ، ناهيك عن المتعة والاستفادة التي يغنم بها القارئ العادى .

ولذلك فهو يعد بحق مرآة للعلاقات الاجتماعية والدينية بين مصر والحجاز فى هذه الفترة . وقد توفي ابراهيم رفعت باشا فى سنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م .

ومن هؤلاء : الشيخ ابراهيم الشورى (بكسر الراء) : الذى قدم من دمياط إلى جدة وهو واحد من علماء عصره المشهود لهم ، وعندما استقر فى جده أخذ يلقى فيها دروسه حتى اشتهر أمره وعد من علماء جدة فى القرن الثالث عشر الهجرى ، وترسخت أواصر العلاقات الاجتماعية بأوثق سبلها بينه وبين أهل جدة عندما زوجه الشيخ عبدالله نصيف (جد آل نصيف وأحد رجالات جدة المعدودين من ابنته التى أنجب منها ، فبادر الشيخ عبدالله بوقف دار للسكنى على الشيخ وذريته وزوجه (٢) .

وقد كان للشيخ ابراهيم الشورى دور عظيم فى نهضة المملكة العربية السعودية فى النصف الأول من القرن العشرين ، وترك بصمات واضحة فى المعارف ، ووزارة الحج والمالية ، ونال مكانة طيبة فى مصر والسعودية معا (٣) .

---

(١) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ٢ - ص ٣٦٥ ومابعدها .
وأنظر : بسام الجابى - معجم الأعلام - ص ١٢ .

(٢) عبدالقدوس الانصارى - موسوعة تاريخ جدة - ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ . وجدير بالذكر أن هذه الدار قد آلت إلى آل نصيف بسبب انقراض نسله (حسب شرط الوقف) .

(٣) محيى الدين رضا - صور ومشاهدات من الحجاز - ص ١٣٩ .

ومنهم الشيخ أحمد الحضراوي :

وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن عبده الهاشمي الحضراوي الشافعي ونسبته (الحضراوي) تعود الى بلدته الحضرة التابعة للمنصورة .

وقد ولد الحضراوي بالاسكندرية سنة ١٢٥٢هـ/سنة ١٨٣٦ م ثم رحل إلى مكة وعمره سبع سنوات حيث حفظ القرآن الكريم ، وتلقى علومه فيها عن مجموعة من العلماء منهم الشيخ عبدالغنى بن أحمد الفاروقى الطرابلسى ، وأجازه ، كما أخذ عن الشيخ عبدالرحمن الكزبرى والشيخ عبدالغنى الميدانى ، فصار عالما من علماء المسجد الحرام ، وله مؤلفات معظمها فى التاريخ والتراجم منها .

" الفية فى السيرة النبوية - ومبادئ العلوم .

" وبشرى الموحدين فى معرفة أمور الدين .

" وتاريخ فى الحوادث جمعه فى ثلاث مجلدات عنوانه تاج تواريخ البشر من ابتداء الدنيا الى آخر القرن الثالث عشر وفضائل مكة والمدينه ، واللطائف فى تاريخ الطائف .

" وتراجم أفاضل القرن الثانى والثالث عشر فى مجلدين .

وكتاب سراج الأمة فى تخريج أحاديث كشف الغمة للشيخ عبدالوهاب الشعرانى فى ثلاث مجلدات.

" والعقد الثمين فى فضائل البلد الأمين .

" (مختصر حسن الصفا) فيمن تولوا إمارة الحج .

" ورسالة أدبية فى الحماسة على لسان أهل الطائف وجدة والمفاضلة بينهما عنوانها : المفاضلة بين جدة والطائف .

وقد توفى الشيخ الحضراوي سنة ١٣٢٧ / ١٩٠٩ وكان له ابن هو الشيخ محمد السعيد من علماء الحجاز .

وقد رحل الشيخ السعيد الى أندونيسيا وتوفى بها (١) .

ومنهم الشيخ أحمد بن محمد الزهرة الشافعي :

ولد بمدينة دمياط المصرية ، وأخذ بها علومه الأولية ثم تلقى علم القراءات ونال الشهادة العلمية ، ثم رحل الى الشام فى صدر شبابه وانتقل بعد ذلك إلى الحجاز فأقام فترة بالمدينة المنورة ثم ارتحل منها إلى جدة فى سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م .. وأقام بها روحا طويلا من الزمن بلغ أربعين عاما متوالية عمل خلالها بالتدريس فى مسجد الشافعى بعد صلاة المغرب يوميا كما كان يعقد حلقة علمية فى داره كذلك .

وكان الشيخ الزهرة كفيف البصر يرتدى القفطان والعمامة المصرية والمعروف أن هذا الزى هو زى العلماء المصريين .

وبالاضافة إلى عمل الشيخ بالتدريس كان قد اشتهر بتلاوة القرآن فى المحافل والمناسبات المختلفة ، ويبدو أنه جمع من هذه الأعمال أموالا كثيرة استثمرها فى شراء المنازل الكبيرة فى الوقت الذى كان يقترفيه على نفسه ، ويقلل من مصاريفه إلا أن الشيخ رحمه الله - فاجأ الجميع فى مدينة جدة قبل وفاته بأنه وهب هذه البيوت الكبيرة لمصالح خيرية عظيمة .

فقد وهب البيوت الثلاثة الأولى لمدارس الفلاح وأوقفها عليها ، ووهب البيت الرابع لمسجد الشافعى وأوقفه عليه ، فأنهي حياته هكذا بجليل الأعمال وأعظمها أنه تنازل عن ثروته التى جمعها خلال حياته المديدة للخير والبر بعد أن ضيق على نفسه وحرمها حرمانا متواصلا ومنهجه هذا مستمد من منهج عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وقد توفي الشيخ أحمد الزهرة بالمدينة فى شهر رمضان سنة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥ م عن عمر

---

(١) عمر عبدالجبار - دروس من ماضى الحجاز وحاضره بالمسجد الحرام - ص ص ٢٧١ ، ٢٧٢ وللمؤلف نفسه سير وتراجم بعض علمائنا فى القرن الرابع عشر للهجرة - ص ص ٥٧ ، ٥٨ .

وأنظر : خير الدين الزركلي - الأعلام - جـ ١ ص ٢٤ ، ومصطفى بن عبدالله ، حاجى خليفه : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ج ٢ ص ١٤٩٢ .

يناهز الثمانين عاما (١)

ومنهم الشيخ خليل طيبة :

قدم الشيخ خليل من مصر إلى الحجاز قاصدا بيت الله الحرام ونظرا لعلمه الوفير وورعه وتقواه عقد حلقته العلمية بالمسجد الحرام ، وكان من بين طلابه الشيخ عبدالرحمن جمال والشيخ عباس بن صديق ، وقد بلغ من احترام الناس له وخاصة وجوه القوم أن كان الشريف منصور بن يحيى (٢) ينفق عليه وعلى أسرته تشجيعا له وتقديرا لعلمه الغزير ومكانته الطيبة لدى الناس .

وظل الشيخ خليل يؤدى رسالته ناشرا للعلم إلى أن توفاه الله سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م(٣).

ومنهم : الشيخ عبدالرحمن أبو حسين :

وهو من أسرة عريقة فى مديرية المنوفية ، وقد رحل الشيخ عبدالرحمن فى سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م إلى مكة المكرمة بنية الهجرة وطلب العلم من علماء مهبط الاسلام والهداية ، فالتقى فى مكة بالعالم المصرى الكبير السيد محمد صالح الكتبي مفتي الحنفية فأخذ عنه العلم وعن غيره من علماء الحرم المكى ، وقد توسم الكتبي خيرا فى السيد عبدالرحمن فزوجه من حفيدته التى ولدت له فى سنة ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م محمدا فرباه وأحسن تربيته فأينعت ثمرته ، وصار محمد من كبار علماء عصره حيث أجيز للتدريس فى الحرم ، ثم تولى القضاء بمكة خلفا لجده (٤) .

---

(١) عبدالقدوس الأنصارى - موسوعة تاريخ جدة - م ١ - ص ٣٤٧ وانظر تفاصيل أكثر عن حياته فى الحجاز عند محمد على مغربى : أعلام الحجاز ج ١ - ص ١١ ومابعدها ، وانظر : محمد جمعان دادا - جدة فى عهد الملك عبدالعزيز ص ٦٥ .

(٢) تولى الشريف منصور بن يحيي شرافة مكة سنة ١٢٦٧ هـ / ١٨٥١م نيابة عن الشريف محمد بن عون الذى صدر له الأمر بالشخوص الى الأستانة ، فامتثل الأمر وحاول أعيان مكة تثبيت منصور بن يحيي إلا أن ذلك لم يصادف قبولا عند الدولة العلية بل وجهت الإمارة الى الشريف عبدالمطلب بن غالب فى رمضان من العام نفسه . أنظر : احمد زينى دحلان - خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام ص ٣١٥ .

(٣) المصدر السابق - ص ٢٨٩ .

(٤) عمر عبدالجبار - سير وتراجم - ص ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

ومنهم : الشيخ محمد بن حسين ابراهيم المشهور بالفقيه :

ولد بمدينة دمنهور المصرية فى حوالى سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م ثم قدم الى جدة ، وتعلم بها القراءات على يد الشيخ أحمد الزهرة - المصرى المتقدم ذكره وكان الفقيه حريصا على طلب العلم واقتناء الكتب الثمينة حتى أصبح عالما يشار إليه بالبنان ، وأخذ يدرس للناس علوم التفسير والحديث فانتفع بعلمه الكثيرون (١) .

ومتهم : الشيخ محمد العايش :

وهو من علماء الأزهر المجاورين بالمدينة المنورة ، ولم يذكر لنا المغربى من تفاصيل حياته فى كتابه أعلام الحجاز سوى أنه عده من مشايخ الشيخ ضياء الدين حمزة وجب المولود فى سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٥ م (٢ .

ومنهم : محمد لبيب البتنونى :

المنتسب إلي مدينة البتنون بمديرية المنوفية بمصر ، وكان له اشتغال واهتمام بالأدب والتاريخ وشهرة بالرحلات وبخاصة رحلاته الى الحجاز وله مؤلفات منها : رحلة إلى الأندلس ، وتاريخ كلوت بك ، والرحلة الحجازية ، ورحلة الصيف إلي أوربا والرحلة إلى أمريكا .

وقد دفعنى إلى عده من بين من شاركوا فى إثراء الحركة العلمية والثقافية بين مصر والحجاز ما كتبه فى وصف رحلة الخديو عباس حلمى الثاني إلي الحجاز كشاهد عيان ذا بصيرة وفطانة ، وقد تحدث عن رحلة الحج هذه بتفصيل وصف فيه المناسك والطرق وبعض الاجتماعيات ، فعد أحد رحالي ومؤرخى عصره وقد اعتمد البتنونى على كتابات كثيرين ممن سبقه من المؤرخين والباحثين .

وظل شغوفا بالتاريخ والرحلات والأدب إلي أن توفي البتونى فى سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م(٣).

---

(١) عبدالقدوس الأنصارى - موسوعة تاريخ جدة - م ١ - ص ٣٥٠ .

(٢) محمد على مغربى - أعلام الحجاز - جـ ١ - ص ٦٥ .

(٣) الزركلى - الأعلام - جـ ٧ ص ١٥ ويسام الجابى - معجم الأعلام - ص ٧٧٤ .

ثالثا : رحلات المسلمين العلمية الى مصر والحجاز :

اذا كان فريق من طلبة العلم والعلماء الحجازيين قد نهلوا العلم من أساطينه في مصـ ودرسوا في الأزهر ، وفريق من طلبة العلم والعلماء المصريين نهلوا العلم من مدرستي الحـ الشريفين وحملوا علمهم الى ربوع الحجاز ، ودرسوا في مدارسه وحلقاته ، فان هناك طائفة أ من العلماء وطلبة العلم من أقطار إسلامية شتى شاركوا بسهم وافر في إثراء حركة العلم والـ ونشر الثقافة بين مصر والحجاز في الفترة التي نحن بصدد دراستها .

فمن هؤلاء العلماء الأجلاء الذين قاموا بهذا الدور العظيم :

المولى / أحمد عارف حكمت بن ابراهيم بن عصمت بن اسماعيل رائف باشا (١٢٠٠-٢٧٥ (١٧٨٥-١٨٥٨) م ويذكر انتهاء نسبه الى بيت النبوة من نسل الحسين بن علي ، وكان (ابراهيم عصمت باي) قاضيا للعسكر العثماني في فترة حكم السلطان العثماني سليم الـ (١٧٨٩-١٨٠٧)م (١٢٠٣هـ - ١٢٢٢هـ) (١) .

ويعد المولي أحمد عارف من الأتراك القليلين الذين جمعوا بين المناصب الرفيعة والعلوم المخت وإجادته اللغة العربية ، فمع تدرجه في مراتب العلوم والمعرفة تقلد عدة مناصب عاليه في إسلاميه مختلفة .

فقد تولى أحمد عارف قضاء القدس الشريف ، ثم تولى قضاء مصر ، ثم تولى بعد قضاء المدينة المنورة ، ثم ارتقى سلم المناصب ليتولى مشيخة الاسلام بالآستانة في سنة ٢٦٢ ١٨٤٦م وقد ظل أحمد عارف في هذا المنصب سبعة أعوام ونصف العام ، ونحى عن سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م ، ثم ترك المناصب ومشاغلها ، وتفرغ للعبادة والقراءة حتى توفاه الله بالآ بعد حياة حافلة بالانتاج العلمي والثقافي ولاشك في أن المثقفين في القاهرة والمدينة المنورة قد انـ بعلمه وفضله ومن أشهر ما انتفع به طلبة المدينة وعلماؤها والمثقفون الواردون عليها خزانة كتبه المشـ والمعروفة باسم مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة التي جمع فيها كنوز وأمهات المصادر والـ

The Sate E.7. W. Gibb History of Ottoman Poetry Volume IV-London 1905. P.350.

ومؤلفاته العلمية والأدبية العظيمة التى جمعت بين النثر والنظم باللغات العربية والفارسية والتركية وقد شهد له علماء الأدب بأن له نظم جيد باللغة العربية على الرغم من تركيته (١) .

وهذه المكتبة الثمينة التى أنشأها عارف حكمت فى سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م عند تفرغه للعلم والعبادة جمعت ثلاثة عشر ألف مجلد كلها مخطوطة منذ بداية التأليف فى العصر الاسلامى أقدمها تلك التى ألفت سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨ م (٢) .

ويُعد المولى عارف حكمت من مجموعة العلماء المرموقين الذين جاءوا فى أواخر الفترة الرمانسية ولمعت أسماؤهم فى الثقافة الشرقية التى عمل هو على نشرها فى معظم أنحاء الامبراطورية العثمانية من عرب وترك (٣) .

وربما ساعده على ذلك ارتقاء المناصب الرفيعة فى بقاع عديدة من الامبراطورية المترامية مع إجادته اللغتين التركية والعربية التى نظم بهما أشعارا عظيمة وغالبا أجاد الفارسية لأن منهج علماء الترك الذى ظل سائدا هو أن العالم عندهم لا يطلق عليه عالم الا اذا أجاد مع التركية العربية والفارسية.

ومنهم : الشيخ الطيب أحمد بن على باصبرين الحضرمى :

الذى ولد بحضر موت فى حوالى سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م وتلقى علومه فى كل من حضر موت (مسقط رأسه) ، وجدة ، ومصر ، وفى مصر اقترن بإحدى المصريات ورزق منها بمحمد صالح الذى تركه أبوه مع والدته فأحسنت نشأته حتى صار طبيبا مشهورا بالأسكندرية ، وحصل على لقب بك ، وكان يذهب إلى الحجاز مندوبا عن الحكومة المصرية فى شئون الحج .

ومما هو جدير بالذكر أن الشيخ أحمد بن على عاد من مصر - بعد تلقى الكثير من علوم الدين -

---

(١) خير الدين الزركلى - الأعلام - ص ١٤١.

(٢) محمد الدين رضا - صور ومشاهدات من الحجاز - ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م - ص ١٦٧.

وانظر : بسام الجابى - معظم الأعلام - ص ٤٤ .

(٣) The Sate E.7.W. Gibb - History of Ottoman Poetry P.350.

الى الحجاز ، وأخذ فى فى تدريس فقه المذاهب ، وألف فيه كتابا لايزال مخطوطا ، وينبغى أن نشير الى أن منهج الشيخ أحمد بن على موصول بمنهج كثيرين من علماء الإسلام فى مصر وغيرها ممن درسوا وألفوا فى علوم الطب والرياضيات كما درسوا وألفوا فى علوم الدين واللغة سواء بسواء . وكانت وفاته بعدن سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م (١) .

ومنهم : الشيخ شعيب الدكالى :

وهو شعيب بن عبدالرحمن الدكالى المغربى الذى ولد بالمغرب فى ذى القعدة سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م ، ونشأ نشأة علمية فى أسرة اشتهرت بالمحافظة على شعائر الدين وعلومه ، وأخذ العلم من علماء المغرب وفى سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦ م شد رحاله إلى مصر حيث التحق بالأزهر الشريف والتقى بعلمائه وطلابه بعد أهلته العلوم التى استقاها من بلده ومن الأزهر لأن يرحل إلى مكة ويعقد فيها حلقتين علميتين احد اها صباحية فى حصوة باب الصفا ، والأخري مسائية فى رواق باب السليمانية بالحرم المكى .

وقد اشتهرت دروسه فى التفسير والحديث حتى ذاع صيته ، وطابت له الاقامه فى مكة فتزوج بها وواصل تدريسه حتى وفاة الشريف عون سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١ ، وقد كان مقربا منه ، فآثر الرحيل الى بلاده ، وهناك تولى قضاء مراكشي ، ثم عين وزيرا للعدل فى سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢ م ، وتوفى فى سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م (٢) .

ومنهم : الشيخ / عبدالرحمن أبو حجر المالكى :

وهذا الشيخ ولد بالجزائر فى حوالى سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م ، ورحل إلى مصر طالبا للعلم فى أزهرها الشريف فحصل فيه قدرا كبيرا على يد علمائه ثم شد رحاله الى السودان سعيا وراء

---

(١) خير الدين الزركلي - الأعلام - جـ ١ - ص ١٨٣ والأنصارى - موسوعة تاريخ جدة م١ - ص ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ ومحمد جمعان دادا - جدة فى عهد الملك عبدالعزيز ص ٦٥ .

(٢) عمر عبدالجبار - سير وتراجم ص ١٢٣ .

رزقه في مجال التجارة ، وعاد منه إلى مصر حيث بقى بها فترة أعقبها بالانتقال الى الحجاز ، فاستقر بعض الوقت في مكة المكرمة ثم انتقل الى جدة وطاب له المقام فيها فاختارها موطنا له .

وقد كان الشيخ عبدالرحمن من علماء السنة المخلصين ، ويبدو أنه بات سلفي العقيدة نظرا لثقة الحكومة السعودية التى أولته اياها وعينته رئيسا لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجدة ، وظل بها إلى أن توفي سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩ م (١) .

ومنهم : الشيخ عبدالواسع بن يحيى الواسعى اليمني:

فقد رحل الواسعى من بلدة صنعاء باليمن إلي أقطار اسلامية عديدة كان عى رأسها : مصر والحجاز ، وأخذ العلم عن كثير من شيوخها ، وأجاز ، وأُجيز ودَرَس ودَرَّس فى محافل العلم المختلفة ، وأبرز من أخذ عنهم الواسعى من علماء الحرمين الشريفين : العلامة حسين بن محمد الحبشى ، والشيخ عبدالله الزواوى ، والعلامة أحمد بن أبى بكر شطا المصرى الأصل وغيرهم .

وفى مصر أخذ الواسعى عن كوكبة من كبار علماء الأزهر كان على رأسهم : الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية ، والعلامة الشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ عبدالمعطي بن حسن ، والشيخ محمد عبدالواحد المصرى .

وللواسعى مؤلفات :

" فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن " ، ومجموعة تشتمل على ثلاث رسائل ، اثنتان منها فى الحديث والثالثة فى فضائل اليمن واللطائف البهية فى شرح أربعين حديثا لزيد بن عبدالله الودعانى ، وملحق لتاريخ اليمن والدر الفريد (٢) الجامع لمتفرقات الأسانيد ، ومختصر

---

(١) عبدالقدوس الأنصاري - موسوعة تاريخ جده - م ١ - ص ٣٥٠ .

(٢) يذكر الرزكلي اسم الكتاب : " العقد الفريد " والصحيح هو الدر الفريد لاطلاعى عليه واستفادتى منه فى بعض جوانب هذا البحث .

الترغيب والترهيب فى الحديث ، وكنز الثقات فى علم الأوقات (١) .

ومنهم : الشيخ علي بن جنيد باصبرين الحضرمى الشافعى :

الذى رحل إلى جدة واتخذها موطنا له بعد أن نال قسطا كبيرا من التعليم فى مصر على يد علمائها مكنه من إلقاء دروسه على طلبة العلم فى جدة .

وقد اهتم الشيخ علي بإيفاد ابنه أحمد - المتقدم ترجمته - إلى مصر لتلقى العلوم بها ، وأنفق عليه أموالا كثيرة فى سبيل ذلك ، ولما رجع الإبن الى جدة بعد تفقهه أنابه والده عنه فى إلقاء بعض الدروس ثم سافر الأب الى مصر ليستزيد من معارفها ، وليخالط عقله عقول مشايخها وعلمائها .

وللشيخ على مؤلفات أشهرها : إتحاف الناقد البصير بقوى أحاديث الجامع الصغير للسيوطى عن الحسن والضعيف ، " وأثمد العينين فى بعض اختلاف الشيخين المشهورين : العلامة الشيخ أحمد بن محمد الهيتمى المصرى ، والعلامة الشيخ محمد بن أحمد الرملي المصرى " فى الفقه الشافعى ومن مؤلفاته أيضا ك الجدول المشهور فى حساب الفلك لعرض جدة وقد توفى الشيخ علي بجده سنة ١٣٠٦هـ (٢) ١٩٨٩ م .

ومنهم الشيخ عمر بن حمدان :

ولد بتونس سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥ م وبدأ رحلته العلمية منذ سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦ وهو

---

(١) عبدالواسع بن يحيى الواسعى - الدر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد - ص ١١ ومابعدها .
وانظر : خير الدين الزركلى- الأعلام - جـ ٤ -ص ١٧٨ .

(٢) عبدالقدوس الأنصارى - موسوعة تاريخ جدة - م١ - ص ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

فى الحادية عشر من عمره ، فاستقى علومه من مصادر شتى وعلماء كثيرين أولهم علماء المدينة المنورة ثم علماء مكة وتونس ، ثم علماء فاس ، ثم علماء دمشق ثم علماء اليمن ، وحضر موت ، ثم علماء مصر وأزهرها الشريف .

وفى مصر أخذ العلم عن الشيخ عبدالمعطى السقا ، والشيخ عبدالرحمن عليش والشيخ محمد إبراهيم السقا ، والشيخ محمود خطاب السبكي السلفى والشيخ أحمد رافع الطهطاوى ، والشيخ أبو محسن على بن محمد الببلاوى ، والشيخ محمد الشفعى الظواهرى ، والشيخ عبدالرحمن قراعة - مفتي الديار المصرية ، والقاضي محمد بخيت المطيعى ، وشيخ الجامع الأزهر الخضر بن حسين التونسى ، وقد توفى بن حمدان بالمدينة المنورة فى ٩ من شوال سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩ م (١).

ومنهم الشيخ : محمد حبيب الله المغربى الشنقيطى :

الذى كان نزيلا بالمدينة المنورة ، ثم تحول الى مكة حيث أقام بها - مجاورا ردحا من الزمن فأفادو استفاد ، ثم انتقل بعد ذلك إلى مصر فأقام بمدرسة الكلشنى بالقاهرة ، وكان يلقى دروسه فى مسجد الامام الحسين (رضى الله عنه) (٢) .

ومنهم : الشيخ / محمد الطيب المراكشى أبو عبدالله :

ولد بقرية منابرة من أعمال مراكش سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩ م ولما شب عن الطوق تعلم القرآن الكريم على يد خاله الشيخ / على بن أحمد البكرى / ثم تعلم الفقه والنحو ، وأخذ قسطاً وافرا من علوم الشريعة واللغة العربية على نخبة من علماء مراكش ثم أجيز من مجموعة كبيرة من العلماء فى المغرب العربى ، وبعد ذلك رحل الى مصر فى سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦ ليستزيد من علوم علمائها، فأخذ عن السيد أحمد الرفاعى ، واجتمع بالشيخ الطاهر الجزائرى وحصل منه على إجازه بما سمع منه من علوم .

---

(١) عمر عبدالجبار - سير وتراجم - ص ٢٢٩ ومابعدها .

(٢) عبدالواسع بن يحيى الواسعى - الدر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد ص ٢١ .

وقد رحل المراكشي فى سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠ م إلى مكة ، وظل بها عامين يعلم ويتعلم، ومنها انتقل إلى أندونيسيا سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢ م حيث شارك فى نشر العلم هناك فترة اقامته، إلا أنه لم يطل به المقام فعاد إلي مصر ثانية سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣ م ، ثم عاد إلى مكة بعد رحلة شملت عدة بلدان إسلامية شارك خلالها فى إثراء الحركة العلمية بين أهالى هذه البلاد خاصة مصر والحجاز اللتين كان لهما النصيب الأوفر فى رحلاته وجهوده العلمية حيث تكرر سفره إليهما .

وعندما رحل الشيخ المراكشى الى مكة فى سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م تولى التدريس بمدرسة الفلاح حيث قام بواجبه خير قيام ثم عين مديرا لهذه المدرسة فى سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١ م ، وتوفى رحمه الله سنة ١٣٦٤هـ /١٩٤٥ (١) .

ومنهم : الشيخ الأديب الشنقيطى التركزى :

وهو محمد محمود بن أحمد بن محمد التركزي الشنقيطى الذى وصف بأنه علامة عصره فى اللغة والأدب كان شاعرا أموى النسب عرف بابن التلاميد (٢) ولد محمد فى مدينة شنقيط بموريتانيا، ورحل إلى المشرق فأقام بمصر فترة من الزمن ، ثم شدرحاله الى مكة المكرمة ، واتصل بأميرها الشريف عبدالله الذي أكرمه ، واعتني بأمره لعلمه الذي بدا منه ، إلا أن شريف مكة لأمر صار يحرش بينه وبين علماء الحرم حتي حدثت بين الشنقيطى والعلماء بفضاء وتشاحن .

ونظرا لما اشتهر به الشنقيطى من العلم والأدب أرسلته الحكومة العثمانية فى عهد السلطان عبدالحميد الثانى - الي أسبانيا للاطلاع على مافيها من مخطوطات عربية ، ولمعرفة ما لا يوجد منها فى الآستانة فقام بعمله الذى أنيط به خير قيام ، فلما عاد إلى الآستانة طلب مستحقاته عن هذا العمل وقبل تقديمه الأوراق فأهمل أمره ، فظلت تقاريره العلمية ومذكراته هذه عنده ، وسافر إلى المدينه المنورة فلم يطب له فيها المقام نظرا لعدم وفاقه مع علمائها الذين طلبوا إخراجه منها مما دفعه للرحيل إلى مصر ، وفى مصر نزل الشنقيطى ضيفا عند نقيب الأشراف السيد / محمد توفيق البكرى الذي بالغ فى تكريمه ، واستعان به على تأليف كتابه " أراجيز العرب " ، ثم طبع الكتاب

---

(١) عمر عبدالجبار - سير وتراجم - ص ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٢) اشتهر والده بالتلاميد (وهو تصحيف للتلاميذ) فعرف محمد بابن التلاميد لذلك .

منسوبا إلى البكرى وحده ، مما أغضب الشنقيطى ، ووصل الأمر بينهما إلى القضاء .. ثم اتصل الشيخ الشنقيطى بالشيخ محمد عبده الذى واساه وسعى لتعيين مرتبات له بالأوقاف المصرية ، وهذا مما شجع الشنقيطى على الاستقرار بالقاهرة إلى أن توفى سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤ م .

ومن مؤلفات الشنقيطى : الحماسة السنية فى الرحلة العلمية اشتمل على بعض أخباره وقصائده ، وله : أرجوزة عنوانها : عذب المنهل ، وله " احقاق الحق " وهو حاشية على شرح لامية العرب لعاكش اليمنى .

وله أيضا : تصحيح الأغانى (١) بيّن فيه الأخطاء وصحح الأوهام الواقعة فى نسخة المطبعة البولاقية .

لقد ظهرت آثار هؤلاء وهؤلاء فى الحجاز وما نقلوه عن الحياة العلمية والثقافية بشكل عام فأخذ الأهالى الحجازيون فى إنشاء المدارس الأهلية فى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر الهجريين ، وكان من أوائل المنشئين للمدارس الأهلية فى الحجاز هولاء الصفوة الذين تعلموا فى الأزهر سواء أكانوا حجازيين أم كانوا مصريين ، كالشيخ أحمد شاهين المصرى الذى شارك فى انشاء مدرسة النجاح الأهلية سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م ، والشيخ محمد على زينل الذى أسس مدارس الفلاح فى جدة سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣ م(٢) .

كما اتسعت عملية التعليم في الحجاز عن طريق الكتاتيب التى أنشئت على نمط الكتاتيب التى كانت سائدة فى مصر كما كان للدروس التى ألقاها العلماء في الحرم المكى والحرم النبوى أعظم الأثر فى اتساع العملية التعليمية فعلي سبيل المثال : بلغت حلقات الحرم المكي وحده مائة وعشرين حلقة كان يتناوب العمل فيها الأساتذة فى أوقات الأصالة والبكور ، وفى أناء الليل ، وأطراف النهار .

وقد ظهر التشابه وربما التطابق فى طريقة التعليم ، وتلقى العلم بين حلقات العلم فى مصر والحجاز حيث كان التعليم بالحرم يعتنى باللغة العربية ، وعلوم الدين عناية عظمى ، ويسير على

---

(١) خير الدين الزركلي - الأعلام - جـ - ص ٨٩ .

(٢) أنظر : د/ ابراهيم الفوزان - أقليم الحجاز ص ٢٨٩ وانظر : أحمد أبو بكر ابراهيم - الأدب الحجازى فى النهضة الحديثة - مكتبة نهضة مصر ١٩٤٨م - ص ص ٥١ ، ٥٤ .

نفس منوال طريقة التعليم التى كانت متبعة فى أروقة الأزهر الشريف (١) ، وحول أعمدته ، ولاغرو فقد كانت حكومات الحجاز تتصل بمصر ، وكان أكثر عنايتها بالجانب العلمى والثقافى مستهدف ترقية الثقافة والتعليم فى ربوع الحجاز وذلك بإرسال طلبة العلم الحجازيين إلي الأزهر الشريف واستقبال علمائه للاسهام فى الحركة العلمية والتعليمية فى الحجاز ، وكان علماء الأزهر فى هذه الفترة قد أسهموا بقسط وافر فى التعليم الحديث خاصة فى بداية النهضة في الحجاز (٢) ومازالوا يؤدون واجباتهم فى هذا الميدان .

دور الصحافه المصرية فى تنمية العلاقات بين مصر والحجاز :

ولقد كان للصحافه المصرية تأثير فى مجتمع الحجاز لا ينكر ، وأول جريدة أنشئت فى الحجاز هى جريدة " الحجاز " التى صدر أول عدد منها فى ٨ شوال سن ١٣٢٦ هـ/ ٣ من نوفمبر سنة ١٩٠٨ م بمكة ، وكانت تنشر الأوامر الرسمية والأخبار العالمية ، وبعض المقالات والقصائد الأدبية، وقد شارك فى الكتابة فيها شعراء مصريون كان على رأسهم أمير الشعراء أحمد شوقى(٣) والشاعر الملهم حافظ ابراهيم (٤) .

---

(١) أنظر فى ذلك : د/ عبدالعزيز الشناوى - الأزهر جامعا وجامعة - ص ٢٤١ ومابعدها - وأنظر : محمد كمال - الأزهر جامعا وجامعة - ص ٣٠١ ومابعدها .

(٢) د/ ابراهيم فوزان الفوزان - إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة - ص ٢٦٧ ومابعدها .

(٣) هو أحمد شوقى بن على بن أحمد شوقي المولود سن ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨ م ، ويعد شاعر البلاد وأشهر شعراء عصره الحديث ، ويلقب بأمير الشعراء وقد حاول شوقى العمل في المجال السياسى إلا أنه أخفق فى مسايرته فلزم الشعر حتي وفاته سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢ م أنظر : أحمد لطفى السيد صفحات مطوية - ص ٦٧. وبسام الجابى - معجم الأعلام - ص ٤٣ .

(٤) هو حافظ ابراهيم محمد الشاعر والكاتب المصرى المولود بين عامى ١٨٦٩م ، ١٨٧٢م بمديرية أسيوط بالصعيد المصرى ، وقد نال حافظ قسطا من التعليم والتحق بالمدارس الحربية فى القاهرة ، ولكنه ترك الحياة العسكرية بعد أن عاشها وأتيحت له فرصة التلمذة على يد مصلح زمانه الشيخ / محمد عبده ثم انصرف بعد ذلك إلى الشعر حيث برع فيه ، و عُد من أعلامه حتي توفى سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢ أنظر : دائرة المعارف الاسلامية م ١٣ - ص ٢٢٥ .

وكان مما نشره حافظ ابراهيم فى جريدة " الحجاز " بمناسبة الاحتفال بالعام الهجرى سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩ م قوله :

أطل على الأكوان والخلق تنظـــــر ∴ هلال رآه المسلمون فكبـروا
سلوا الترك عما أدر كوافيه من منى ∴ وما بدلوا فى المشرقين وغيرو
سلام على عبدالحميد وجيشــــــــه ∴ وأمته ما قام فى الشرق منبر(١)

كما كان لابراهيم المدني مقالات نارية على صفحات جريدة الحجاز ضد الاستعمار الفرنسى فى الجزائر (٢) .

بالاضافة الي المقالات الأدبية للنابغة عائشة التيمورية (٣) والتى ازدانت بها صفحات تلك الجريدة مما يدلنا على عمق الروابط الاجتماعية ولا سيما الثقافية منها بين مصر والحجاز وقد ساعدت الصحافة المصرية وما ينشر فيها من علم وأدب على ظهور النهضة الأدبية الحديثة فى الحجاز .

وتجب الاشارة الى أن تأثير النهضة الأدبية المصرية فى الأدب الحجازى قد استغرق نهاية القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، ولم يؤت ثماره مباشرة الا بعد مرور فترة زمنيه ربما استغرقت الربع الأول من القرن العشرين .

حتي أن شعراء الحجاز منذ أن بدأت تظهر عندهم بوادر النهضة أخذوا يعالجون بأشعارهم النواحي السياسية مثلما كان الوضع في مصر لأن طريقتهم كانت فى أغلبها مصرية ، وهذا ما عبر عنه الغزاوى (الشاعر الحجازى) في كثير من أبيات شعره كقوله .

---

(١) د/ ابراهيم الفوزان - أقليم الحجاز - ص ٣٠٢ .

(٢) د/ جلال يحيى - العالم العربى الحديث - ص ٣٥٠ .

(٣) هى عائشة عصمت بنت اسماعيلي باشا بن محمد كاشف تيمور المولود فى سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م ، وهى من أدباء مصر المرموقين الذين تبوؤا مكانة أدبية رفيعة حتى توفيت فى سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م أنظر : بسام الجابي معجم الأعلام - ص ٣٧٣ .

يا مصر أنت وقد دأبت منارة للمهتدين ، وسميك المترسم

وكقوله :

يا مصر يا أم الحضارة والنهى مهلا فحبك فى الجوانح مدعم(١)

ولم يكن حظ النثر فى الأدب الحجازى بأقل من حظ الشعر فى التأثر بالأدب المصرى ، وهذا لا ينفى أن الحجازيين كما تأثروا بأدباء مصر تأثروا أيضا بأدباء المهجر (٢) الا أن عنايتهم بالأدب المصرى كان بشكل عام قد فاق عنايتهم بالآداب الأخري (٣) .

وهذا يشير بلا ريب الى أنه كان هناك نشاط اجتماعي وحركة متبادلة تشمل سفر الأهالى بين القطرين الشقيقين للاقامة والعمل ، ونقل الفكر والثقافة الحديثة بين البلدين .

هجرة الأسر بين مصر والحجاز :

تحدثنا بعض المصادر عن عائلات اشتهرت بالعلم أوالتجارة انتقلوا فى هجرات غير منظمة بين البلدين ومن هؤلاء :

آل المنوفى : وهؤلاء ينتسبون الى إقليم المنوفية ، وقد حضر جدهم إلى مكة فى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى ، واشتهر أمره بالتدريس ، وورث أبناؤه علمه مثل الشيخ / عبدالجواد ، ومحمد وأحفاده مثل زين العابدين ، وحسن أبناء سعيد بن محمد المنوفى وكان لهؤلاء مدرسة خاصة بهم فى مكة ، ثم انقرض نسلهم ولم يبق منهم الا امرأتان كانتا تتوليان نظارة رباط العباسية لصفا والمروه حتي القرن الرابع عشر الهجرى ، وكان فى حوزتهما سجلات سلطانية بأوقاف هذا الرباط (٤) .

---

(١) أحمد أبو بكر ابراهيم - الأدب الحجازى فى النهضة الحديثة - مكتبة نهضة مصر مصر سنة ١٩٤٨م - ص١٠٢ .

(٢) المرجع السابق - ص ص ١٢١ ، ١٣٤ .

(٣) المرجع نفسه - ص ٥٩ .

(٤) أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ٤٦٧ .

كما حدثتنا تلك المصادر أيضا عن آل شطا فذكرت أن جدهم السيد محمد شطا زين العابدين بن محمود بن على الشافعى قدم من ثغر دمياط بمصر الى مكة فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى ، وتولى أمر التدريس فى الحرم ، وأنجب أولاده بمكة: السيد عمر ، والسيد عثمان ، والسيد بكري ، وكان الأخير أكثرهم علما ، وله عدة مؤلفات .

كما أنجب السيد بكري ثلاثة من العلماء وهم السيد / أحمد ، والسيد / حسن ، ثم السيد: صالح (١).

والسيد / أحمد بن بكر شطا هذا عده الشيخ عبدالواسع بن يحيى الواسعى (٢) صاحب الدرالفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد - من بين شيوخه الذين تتلمذ علي أيديهم من علماء الحجاز ، وذكر الواسعى أنه قرأ على الشيخ / أحمد شطابين العشاءين فى صحن الحرم شمال الكعبة فى كتاب الإحياء للغزالى (٣) .

وتشير اسماء عائلة شطا وتلقبهم بالسيد وحرصهم على العلم إلى أنهم من أشراف مصر البكرية ، وقد أكدت بعض المصادر أن سكان جدة " خليط من أجناس شتى مكيين ، ويمنيين ، وحضرميين ، وهنود ، وترك ، وشوام ، ومصريين وقصيريين - من القصير (٤) .

وقد كانت هناك جاليات مصرية كبيرة تعيش فى مدينة جدة ، وفى مدينة الزجه التي تقع فى شمال الحجاز - وكان معظم سكانها البالغ عددهم خمسمائة من القصير ومن بلاد أخري من الصعيد المصرى ، وكلهم قدموا إلي الحجاز عبر القصير ، وذلك فى أوائل القرن العشرين (٥) .

---

(١) أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ٥٨٦ .

(٢) سبق الحديث عنه وذكر ترجمته فى هذا الفصل .

(٣) عبدالواسع بن يحيى الواسع - الدرالفريد الجامع لمتفرقات الزسانيد - ص ١٢ .

وأنظر : عمر عبدالجبار - سير وتراجم - ص ١٢٤ ومابعدها .

(٤) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ٢٣ .

(٥) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ٤٩٠ .

كما أن معظم سكان مدينه ينبع قد نزحوا من الصعيد المصرى ، واستوطنوها في فترات مختلفة (١) ومن أشهر الأسر التى انتقلت من مصر الى الحجاز واستوطنته أسرة نصيف ذات الثراء العريض ، والشهرة العظيمة في المجالات الأدبية والعلمية والاجتماعية والسياسية ، فقد رحل جدهم من صعيد مصر إلي الحجاز ، واستوطنه كمايذكر ذلك أحد مشاهير عائلتهم وهو : محمد بن حسين بن عمر نصيف .

فقد سأل الزركلي محمدا هذا عن أصل نسبه فأجاب بأن الأصل من صعيد مصر ، وأن جماعة نصيف فى الصعيد يدعون أنهم من قبائل حرب العربية إلا أن جده عمر كان يذكر بأنهم ليسوا عربا .

والذي يعنينا هو أن محمدا هذا كان عالم جدة ، وصدرها فى الفترة المديدة التى عاشها من سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥ إلى سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١ من حيث كان له ولع بالكتب دفعه الى اقتناء مكتبة عظيمة ، وساعد على نشر الكثير من الكتب السلفية وغيرها ، وقد اطلعت على كتابات الكثيرين ممن اعتمدوا عليه كمصدر معاصر .

وقد كان الباحثون والكتاب يسألونه فيجيب من ذاكرته بأخبار من الأحداث السابقة وبشتى المسائل العلمية حتى عدوه دائرة معارف ناطقه وكان السيد محمد رشيد رضا يكتب عنه فى " المنار" مادحا : فيقول " محمد نصيف نعم المضيف " (٢) .

ومما يجدر ذكره أن بيت آل نصيف فى جده كان يعد مجلسا تعقد فيه الندوات العلمية والفكرية، وظل مفتوحا كذلك لطلبة العلم لينهلوا منه علومهم (٣) .

وفى المقابل كانت هناك أسر حجازية وأفراد حجازيون نزحوا إلى مصر والأقطار التابعة لها، وقد أشرنا الى بعض من نزحوا بها من أمثال الشيخ أحمد باصبرين ، وباعشن الذي تزوج بمصر ، وصار شهبندر التجار فى القاهرة وغير ذلك من الأمثلة .

---

(١) د/ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم - الحجازيون فى مصر فى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى - ص ١٥٧ .

(٢) خير الدين الزركلي - الأعلام - جـ ٦ - ص ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٣) محمد جمعان دادا - جدة في عهد الملك عبدالعزيز - ص ٥٩ .

كما تشير الوثائق إلى نزوح أعداد كبيرة من عربان الحجاز من منطقتى رابغ وينبع إلى سواحل سواكن ومصوع ابان الحكم المصري لهما - حيث أقاموا بين ملاحة راوية وسواكن ، وبين جزيرة عقيق ومصوع ، واشتغلوا بالزراعة ، ورعى المواشى .

ويبدو أن هؤلاء العربان قد كانوا على خلاف مع أهالى تلك المنطقة فعملت الادارة المصرية فيها على دخولهم تحت طاعتها ، وتوطينهم فى الأراضى الصالحة للزراعة ، ثم فرضت الضرائب على زراعتهم ونظمت أحوالهم بانتخاب مشايخ لهم (١) .

كما أن هناك بعض العشائر العربية انتقلت من فترات سابقة من الحجاز إلى مصر واستوطنتها وأصبحت قبائل يمتد نسبها الى القبيلة التى انفصلت عنها بالحجاز والأمثلة على ذلك كثيرة : فمعظم عائلات العنقاوى التى تقيم فى قنا من بني الحسن (الأشراف) من عائلات العنقاوية فى المدينه المنورة ، كما أن لهم أقارب يعيشون في وادي فاطمة شمال مكة المكرمة(٢) .

وقد استمرت تلك الهجرات العربية من الحجاز إلى مصر طوال العصر الاسلامى وحتي القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي .

واستقرت تلك القبائل المهاجرة في الريف المصري، وبعض بلدان الصعيد ومن أشهر هذه القبائل : قبائل حرب ، وسليم ، وجهينة ، واستقر معظم فروعها فى بعض مناطق صعيد مصر كالمنيا وأسيوط وسوهاج كما أن فروعا أخري حجازية استقرت فى بعض مناطق الوجه البحري كالشرقية ، والغربية ، والقليوبية ، هذا بالاضافة الى بعض الجماعات العربية التى هاجرت إلى مصر وعاشت ومازالت تعيش على حياة الترحال والتجوال فى الصحراء ، وعلى هامش الريف المصرى وهم الذين يعرفون باسم : (عرب الخيش) لاستخدامهم الخيش فى صنع خيامهم ويصنعوها من صوف الأغنام (٣) .

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ١ مرور - صفحة ٩٠ - دفتر ١٨٥٩ معية من محافظ مصوع وسواكن - بتاريخ (٢١ من ربيع الأول سنة ١٢٨٩هـ).

(٢) مصطفى كامل الشريف - عروبة مصر من قبائلها - ص ١٩٩ .

(٣) د/ عبدالرحيم عبدالرحمن - الحجازيون في مصر - ص ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

ومن علائق النسب الواضحة التي جمعت بين الحجاز ومصر ما ذكر في ترجمة الشيخ محمد فالح أبو النجاح الظاهري ، وهو أحد العلماء المحدثين من أهالي المدينة المنورة وأصله من عرب الظواهر بالحجاز .

فقد ولد الشيخ محمد في المدينة المنورة سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م ونشأ فيها ، وتعلم وترقى مدارج العلم بها حتى أصبح من علمائها ، وله مؤلفات مطبوعة منها : صحائف العامل بالشرع الكامل في الفقه ، والمنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، وحسن الوفا لإخوان الصفا ، وغيرها ، وتوفي الشيخ الظاهري بالمدينة في سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠ م .

والذى يعنينا في هذا المقام أن الشيخ محمد الظاهري هو جد الدكتور الظواهري طبيب الأمراض الجلدية الفذ المصري المعروف (١) .

ويغلب على الاعتقاد أن الشيخ المذكور قد رحل إلي مصر ، وتزوج بها أو أن النسب قد جاء بصورة أو أخرى من صور العلاقات الاجتماعية الطيبة بين مصر والحجاز . ومن هؤلاء أيضا : محمد مجدى باشا بن محمد بن صالح مجدي حفيد الشريف مجد الدين فقد كان محمد مجدى مكى الأصل وعالما بالقضاء الا أن ولادته كانت بالقاهرة في سنة ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٨ م ، وكذلك كانت وفاته بها في سنة ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م .

أما عن حياته العلمية ومناصبه فقد تعلم بمصر وأكمل تعليمه بفرنسا ثم أخذ يتقلب في المناصب الرفيعة التى يذكر منها : عضويته بمجمع العلوم النفسية بباريس كما عين مستشارا بمحكمة الاستئناف الأهلية بمصر ، وكان ضليعا في العلوم الشرعية ، والنفسية وعمدة كذلك في التاريخ الاسلامي ، والمصرى القديم .

ومن مؤلفاته : الرهن العقارية في القوانين الفرنسية والروماني ، ورسالة في التوحيد ، والقول الفصل في العقوبة بالقتل ، ولؤلؤة تاج الملوك ، وبهجة الأطفال في أصول الدين وقواعد الاسلام، وثمانية عشر يوما في صعيد مصر ، ورسالة باللغة الفرنسية بعنوان : " هل عبدالعرب -

---

(١) عبدالسلام هاشم حافظ - المدينة المنورة في التاريخ - دار التراث - ط ٢ - القاهرة - ١٩٧٢م - ص ١٥٦.

وقدماء المصريين إلها واحدا وأخرى بعنوان : تسع عشرة عالمة مسلمة في القرن الثامن للهجرة(١).

الوظائف والأعمال بين مصر والحجاز :

قد يتخيل البعض أن خروج محمد علي وجيشه وموظفيه من شبه الجزيرة العربية سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م قد قطع الصلة الإدارية بين القطرين ، ولم يعد أحد من مصر يتولى الوظائف الحجازية ، إلا أن الحقائق تشير إلي غير ذلك ، فلقد حوت المصادر التاريخية الكبرى كالوثائق والموسوعات أمثلة عديدة تؤكد أن هناك بعض الأعمال كان يقوم بها كثيرون من المصريين فى الحجاز ، وأن بعض الحجازيين كانوا يتولون أعمالا فى مصر وما ألحق بها .

فعلى سبيل المثال نسوق بعض النماذج من كل طائفة مصرية عملت بالحجاز :

ا - الوظائف المصرية بالحجاز فى المجال الديني والفكرى :

فقد كانت مولوية مكة المكرمة(٢) يتولاها مصريون من ذوى المناصب الرفيعة وكان المتبع فى ذلك أن يأتى الأمر بتعيين هذا المنصب وتوجيهه من السلطان العثمانى مثال ذلك الأمر السلطانى الذي أصدره السلطان العثمانى عبدالمجيد فى ١٦ من ربيع الأول سنة ١٢٦٤هـ / ١٩٤٨ م بتولية السيد محمد أفندى قاضي مصر - حينئذ مشيخة مولوية مكة المكرمة ، وقد تضمن هذا

---

(١) خير الدين الزركلى - الأعلام - جـ ٧ - ص ١٨ .

(٢) يرجع اسم المولوية الى طائفة من الصوفيين وفدوا الى مصر ضمن من وفد إليها من الطرق الصوفية فى القرن ٧ هـ / ١٣ م ، وينسب أتباع هذه الطائفة إلي مؤسسها المتصوف جلال الدين الرومي فى قونية ، وقد اتخذ هؤلاء من مدرسة سنقر السعدى مقرا لهم في عهد الناصر محمد بن قلاوون فى الفترة ما بين ٧١٥هـ/ ٧٢١ هـ .

انظر : د/ ربيع حامد خليفه - فنون القاهرة فى العهد العثماني ١٥١٧- ١٨٠٥م - مكتبة نهضة الشرق - القاهرة - ١٩٨٥ م ص ١٥٠ . ويبدوا أن هذه الطائفة قد افتتحت لها فرعا ومقرا فى مكة المكرمة فصار تعيين شيخها من مصر . أو لعلها من النظم الدينية التى أسندت الدولة إلي مصر الاشراف عليها .

الأمر حثا للسيد محمد أفندى على السفر من مصر إلى الحجاز ليتولى منصبه الجديد (١) .

أما قاضي مدينة الوجه بشمال الحجاز فكان يتم تعينه من قبل مصر ، وقد ظل منصب قاضى الوجه يتولاه عالم مصرى حتى سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨ م عندما أمرت الخديوية المصرية بسحب القاضى المصرى بناء على الاتفاق الذي تم بين الدولة العثمانية ومصر ليتم إحلال قاض عثمانى مكانه (٢) .

وكان يدير خدمة الحرم النبوى الشريف والعناية بفرشة مصري ينوب عن خديوى مصر فى هذا العمل الجليل .

جاء فى وثائق سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢ م أن خدمة فراشة الحرم النبوى كان يتولاها فى عهد محمد سعيد باشا موظف مصرى يدعي محمد بدرى أفندى كوكيل من الوالى ، ولما توفى محمد بدرى فى عهد الخديو اسماعيل أصدر الخديوى اسماعيل أمرا كريما باقامة الشيخ محمد الخطيرى على خدمة الفراش ، وخصص له مرتباته ، وقد جاء فى هذا الأمر الكريم ما يلى :

" .... أقمت الشيخ محمد الخطيري مقامى في أداء خدمة الفراشة فى الحرم النبوى نظرا لوفاة محمد بدرى أفندى وكيل عمنا سعيد باشا وخصصنا للمومي اليه مرتباته " (٣) .

وتشير المصادر إلى وجود بعض المصريين الذين رحلوا من مصر إلى الحجاز طواعية ، وتقلدوا فيه مناصب دينية علمية مختلفة كالإمامة والخطابة والتدريس والفتوى ويعد قيام علماء الأزهر المصريين بالتدريس فى مدن الحجاز ولا سيما فى الحرمين الشريفين من الأمور المعتادة طوال العصر العثمانى ، وفى عهد محمد علي بالحجاز ، مثال ذلك ما حدث في سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٣م : فعندما توفى الشيخ على الشرنوبى الذي كان يعمل مدرسا بالحرم النبوى الشريف أرسلت الإدارة

---

(١) الوقائع المصرية - العدد ١٠٥ (١٦ من ربيع الأول سنة ١٢٦٤هـ) .

(٢) دار الوثائق القومية - محافظ مجلس الوزراء - رقم ١/جـ/١١ حربية - مستخرج من نوتة محضر جلسة ١٢من مارس سنة ١٨٨٨ م .

(٣) دار الوثائق القومية - صورة الأمر الكريم رقم ٤ - صفحة ١ - دفتر رقم ١٩٠٣ أوامر كريمة - أمر كريم إلى شيخ فراشة الحرم النبوى (٢٢ من شعبان سنة ١٢٧٩هـ) .

المصرية إلى على أغا محافظ المدينة المنورة لتعيين الشيخ حسن الأزهرى ليحل محل المتوفى (١).

ومن تولوا الامامة والتدريس والفتوي :

الشيخ حسين بن ابراهيم المكى الذي ولد فى مصر سن ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧ م وتلقى العلم فى الجامع الأزهر وثابر على تحصيله حتي صار علما من أعلامه وظهرت له مؤلفات عديدة ، كما عنى بكتابة عدة كتب بيده منها صحيح البخارى .

ثم سافر فى رحلة إلى الحجاز واستقر فى مكة المكرمة سنة نيف وأربعين ومائتين وألف هجرية فعني به أمير مكة الشريف محمد بن عون وقربه ، ثم ولاه فى إمامة الحرم وخطابته ، وكتب له تقريرا بذلك ، وعين له راتبا لهاتين الوظيفتين ، فظل الشيخ يؤم الناس ، ويدرس بالمسجد الحرام حتي اشتهر أمره فتول الافتاء بمكة ، وعرف عنه عدله وتحريه الدقة فى كل فتاويه .

ويغلب على الاعتقاد أن الشيخ قد سبقه إلى الحجاز شهرته وصيته اللامعان مما جعل أمير مكة يستقبله بالحفاوة ويكرمه بالوظائف الرفيعة القدر والمخصصات .

ومن مؤلفات الشيخ / حسين :

حاشية على الدردير ، ورسالة فى مصطلح الحديث ، وشرح بانت سعاد وشرح الحكم لابن عطاء الله السكندرى ، وموضح المسالك فى مذهب الإمام مالك وقد توفى رحمه الله بمكة فى ١٠ من ربيع الثانى سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م ، وترك خمسة أبناء تولى أحدهم الافتاء فى مكة مثل أبيه (٢) .

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ١٠١ - دفتر ١٤ معية تركى - الى على أغا محافظ المدينة (٦من شوال سنة ١٢٣٨هـ) .

(٢) عمر عبدالجبار - سير وتراجم ص ١٠٠ .

٣ - الوظائف المصرية بالحجاز فى المجال الإدارى والعسكرى :

ومن أمثلة الوظائف الادارية التي تولاها المصريون في جدة باشكتابة مصالح جدة ففى سنة ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م أصدر محمد على باشا قرارا بتعيين وتثبيت الشيخ بدوى المرسل من مصر من قبل الخزانة المصرية ليعمل فى (باشكتابة) مصالح جدة فى منصب مميز (١) .

وكانت واجبات صاحب هذا المنصب هى الاشراف والمراجعة على شئون الكتبة الذين يعملون فى مجلس جدة المتكفل بادارة مصالحها .

ومن الطبيعي أن يكون مدير العمارة الخيرية (التكية) المصرية التى أنشأها محمد على باشا فى المدينة سنة ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م مصريا ، إلا أنه كان لوجهاء المدينة وأشرافها مشورة فى تعيينه وعزله .

فقد جاء فى أخبار سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩ م أن أعيان ووجوه مكة رفعوا عريضة الى الخديوى اسماعيل بأنهم غير ممنونين من ناظر العمارة الخيرية ، وقد وقع عليها شريف مكة مع توقيعاتهم فصدر أمر الداخليه المصرية بتعيين رفعتلوا أسعد بك بدلا منه (٢) .

كما أنه كان بمنطقة الوجه فى شمال الحجاز مجموعة من الموظفين المصريين وحامية مصرية كانت تقوم بالحفاظ على الأمن في المنطقة طوال العهود السابقة وقد ظل هؤلاء الموظفون ورجال الحامية العسكرية يؤدون أعمالهم بمدينة وميناء الوجه حتى سنة ١٣٠٥ هـ/ سنة ١٨٨٨ م عندما أمرت الخديوية المصرية بسحب الحامية المصرية وإحلال حامية عثمانية مكانها بناء على الاتفاق الذى تم بين الجهتين العثمانية والمصرية أما الموظفين المصريين فى الوجه فقد صدرت لهم الأوامر أيضا فى العام المذكور بترك وظائفهم ، وخيرتهم بين العودة إلى مصر أو البقاء والاقامة فى هذا الثغر بعيدا عن مناصبهم التي لم تعد تابعة للادارة المصرية (٢) .

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٤٤ صادر - محفظة ٢٦٢ عابدين - من سليمان محافظ جدة إلى حضرة صاحب الدولة - بتاريخ (٩ من ربيع الثانى سنة ١٢٥٧هـ) .

(٢) الوقائع المصرية - العدد ٨١٠ - (٢٠ من جمادي الأول ١٢٩٦هـ) .

وفى أواخر العصر العثمانى وأوائل الهاشمى فى الحجاز (١) كان بالحجاز مجموعة من الشباب المصريين يتولون مناصب عليا فى حكومة الحجاز الهاشمية ومن هؤلاء : محمد بك الحسينى الذي كان طبيبا خاصا للملك (الشريف) حسين بن علي ، ومنهم خليل بك الذى كان طبيبا خاصا للأمير على بن الحسين ولي العهد ومنهم وهبي بك الذي كان مديرا للزراعة فى الحجاز وغيرهم كانوا يتولون وظائف ذات مسئوليات جسيم (٢) .

٣ - الأعمال المصرية بالحجاز فى المجال المهنى :

تعددت الأعمال المهنية التى كان يقوم بها مصريون فى الحجاز ، ومن هذه الأعمال التى تجدر الاشادة بها ما قاموا به من دور فى انشاء سكة حديد الحجاز الحميدية حيث كان السلطان عبدالحميد الثانى يعتزم تشغيل الخط بأيد إسلامية وبتمويل إسلامى كذلك ، إلا أنه اضطر أمام العمل الفنى والتخصصات الدقيقة الى استخدام فنيين أجانب ، أما المصريون فانهم اختصوا بالعمل فى المجال المهنى الذى يعد هيكل هذا المشروع وأساسه ، ولقد تم استخدام الصناع المصريين بدلا من الأوربيين ابتداءا من محطة الأخطر عند الكيلو ٧٦٠ جنوبى دمشق حتى بلغ الخط المدينة المنورة (٣) .

كما كان للأطباء والمهندسين والفنيين والعمال المصريين جهود أخري فى أعمال اصلاحية مثل الاصلاحات والانشاءت بالحرمين الشريفين وغيرهما سيأتى الحديث عنها فيما بعد بمشيئة الله .

أما عن أعمال الحجازيين فى مصر وتوابعها فقد كانت هناك أمثلة ونماذج تقل فى أعدادها كثيرا عن المصريين فى الحجاز إلا أنها تؤكدعلى الاتصال الاجتماعى بين الجهتين الاسلاميتين بشكل طيب .

فقد لوحظ أن الادارة المصرية استعانت بخبرات بعض الحجازيين فى بعض المهن ، فعندما قامت الادارة المصرية بإنشاء الأفران لخبز الجراية فى سواكن للموظفين والجنود المصريين اتصلت

---

(١) أوائل القرن العشرين .

(٢) عبدالعزيز صبرى بك - تذكار الحجاز (خطرات ومشاهدات فى الحج) - المطبعة السلفية بمصر - ١٣٤٢هـ ص ٩٢ .

(٣) د / السيد محمد الدقن - سكة حديد الحجاز الحميدية - ص ٢٢٧ .

بوكيل القومبانية العزيزية المقيم بجدة فى سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥ م للبحث عن خباز لعدم وجود من يصلح لهذا العمل فى سواكن علي أن يكون للخباز حرية الاقامة الدائمة فى سواكن أو الاقامة فيها فترة تعليم عدد من العمال هذه المهنة ، ثم يعود إلى جدة مرة ثانية ، كما أرسلت الحكومة المصرية إلى قائمقام جدة رسالة حول هذا الموضوع (١) .

كما لوحظ أن بعض الحجازيين شغلوا بعض المناصب الاقتصادية الرفيعة فى مصر فقد تولى الشيخ على باعشن منصب رئيس التجار (شاه بندر التجار) فى مصر وزاول بها التجارة الواسعة ، وذلك فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى (٢) .

وهناك أمثلة كثيرة لأشخاص آخرين رحلوا الى مصر ، وقاموا ببعض الأعمال فيها مثل الشيخ/ عبدالملك الفتنى بن صالح الذى رحل من الحجاز إلى مصر واستوطنها حيث افتتح بها مكتبة لخدمة العلماء والطلبة ، وظل يؤدى عمله إلى أن توفى فى سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م (٣) .

مقارنة بين العادات والتقاليد فى القطرين المصرى والحجازى :

مما لاشك فيه أن المؤثرات المختلفة كالتقاليد والعادات والعلاقات المباشرة وغير المباشرة بين الشعبين فى مصر والحجاز انصهرت جميعها فى بوتقة واحده لتنتج فى النهاية ظواهر شعبية متحدة أو متقاربة .

فقد أدى التزاوج بين الشعبين وعلاقات التجارة والاختلاط فى فترة الحج ، وغيرها ، والانتقالات المستمرة بين الجهتين عبر الطرق البرية والبحرية ، والعادات الرسمية والشعبية إلى تبادل العادات والتقاليد وانتشارها فى القطرين كعادات المأكل والمشرب والملبس والاحتفال بالأعياد ، والثقافات المختلفة ، وكبعض الاحتفالات الدينية ، وسنعرض لتفصيل ذلك فيما يلى :

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٢٦٢ صفحه ١٤٤ - دفتر ص /١/٥/٢/٤ صادر سواكن جـ ١ - حسابات - (١٢ من رجب ١٢٨٢هـ) وانظر فى ذلك : سعد الحلوانى - الحكم المصرى فى سواكن وملحقاتها - ص ١٣٣ .

(٢) عبدالقدوس الأنصارى - موسوعة تاريخ جدة - م ١ - ص ٢٧٦ .

(٣) عمر عبدالجبار - دروس من ماضي الحجاز وحاضره - ص ٢٨٤ .

الملابس والأزياء :

يبدو بجلاء ووضوح أن ملابس أهل الحجاز متأثرة تأثرا عظيما بالملابس المصرية ، يدل عليه هذا الاقتباس الواضح من ملابس مصر فاذا أخذنا شريحة من ملابس أهل الحجاز كملابس العلماء والتجار مثلا نجد أنها متفقة فيما بينها تقريبا إلا في بعض اختلافات بسيطة بين لباس العلماء ولباس التجار ، وملابس هاتين الفئتين العلماء والتجار الحجازيين هي في مجموعها كملابس رجال الأزهر العلماء والطلاب في مصر .

ويحدثنا المغربي عن زي العلماء في الحجاز فيذكر (١) : أن العلماء الحجازيين كانوا يلبسون الثياب البيض من الكتان أو البفتة ، وفوقها الشاية وهو ثوب يربط من الوسط بحزام لغلقه ، ثم الجبة من فوقه ، أما الرأس فكان عليه العمامة (٢) .

وتتميز ملابس العلماء بأن قماشها بسيط لا مغالاة فيها خالية من الزينة أكمامها واسعة وكان بعض العلماء يستخدم شالا من الصوف يطوق به عنقه خاصة في الشتاء ، وكانت ثيابهم تزود بجيوب متوسطة في الحجم في النصف الأدنى من الثوب ليضع فيها العالم منديله ومسبحته وكيس نقوده ، وما يقال في ملابس علماء الحجاز يقال أيضا في ملابس تجار الحجاز مع اختلاف بسيط وهو اهتمام التجار بنوعية الأقمشه والزينة والتطريز وخلافه .

وهذا الوصف بلاشك ينطبق معظمه علي زي علماء الأزهر الشريف وطلبته وعلي زي تجار مصر في تلك الحقبة .

أما طبقة العمال وصغار الباعة في الحجاز وهم الذين كانوا يسمون :
(أولاد الحارة) (٣) فكان لباسهم الثوب (الجلباب) وحزام يشدون به الوسط وكانوا يضيفون

---

(١) محمد علي مغربي - ملامح الحياة الاجتماعية - ص ص ٧٣ ، ٧٤ وأحمد السباعي - تاريخ مكة - ص ص ٥٧١ ، ٥٧٢ .

(٢) حول ملابس علماء الأزهر وغيرهم انظر : حسين حسان - الحركة العلمية والتعليمية في الأزهر - ص ٣٨٤ ، ود/ ربيع حامد خليفه - فنون القاهرة في العهد العثماني - ص ١٤٥ ومابعدها .

(٣) أن كلمة (أولاد الحارة) تعد من الألفاظ السائدة في المدن المصرية ثم أطلق على الحرفيين ومن على شاكلتهم بعد ذلك (أولاد البلد) وهي عبارة مصرية .

إلى الحزام صدرية (١) وهي نفس الصديرى المصري ، وفيما عدا عقال الرأس الذى كان يرتديه بعض الحجازيين وبخاصة البدو ولا نجد فروقا جوهرية بين ملابس المصريين والحجازيين فى ذلك الوقت .

الاحتفال بختم القرآن الكريم :

كان نظام تحفيظ القرآن الكريم فى الحجاز يتم طبقا لنظام تحفيظ القرآن الكريم فى مصر حيث كانت الكتاتيب فى البلدين تجمع فيها الصبية ، ويتم تلقينهم آيات القرآن الكريم من الصغر (٢) .

وقد كان الاحتفال بختم القرآن الكريم من العادات الكريمة المشهورة فى الحجاز وظلت حتى النصف الأول من القرن العشرين ، فكان الطالب إذا أتم حفظ القرآن أقام له أهله حفلا يحضره الأهل والأصدقاء والمعلم الذى علمه وبعد الانتهاء منه يقدم الأهل الى المعلم نقودا ثم يتناولون معه الطعام .

الاحتفال بالحج والعمرة :

قد يرى البعض أن مثل هذا الاحتفال غريب فى أرض الحجاز على وجه الخصوص نظرا لأن الحج والعمرة من جدة أو الطائف أو أى بلدة فى الحجاز يكاد يكون أمرا متيسرا بلا شك لقرب المسافة، وانتفاء الغربة ، وغير ذلك فالمقيم بالحجاز يستطيع أن يؤدى العمرة عدة مرات فى السنة ، كما يستطيع أن يؤدى الحج عدة مرات فى العمر ، إلا أن التأثير المصرى فى مجتمعات الحجاز جعل أهالى الحجاز يقيمون أيضا احتفالات مشابهة للاحتفالات المصرية عند قدوم الحاج أو المعتمر من مكة(٣) عائد ا الى موطنه .

---

(١) د/ الفوزان - إقليم الحجاز - ص ٢٤٥ .

(٢) أنظر : مجلة اقرأ - عدد خاص عن جدة - ص ١٧٤ - مقال بعنوان : هكذا عاش أهل جدة وهكذا كانت حياتهم عن المعاصر محمد عزاية .

(٣) أنظر تفاصيل ذلك عند : د/ الفوزان - اقليم الحجاز - ص ٢٤٨ ، وعن الاحتفال المصرى د/ ليلى عبداللطيف - المجتمع المصرى - ص ١٤٤ .

الزواج :

إن الدارس للمجتمعات فى مصر والحجاز يلاحظ اتفاق الكثير من التقاليد والعادات بين مصر والحجاز فى الزواج وما يتعلق به فعلى سبيل المثال : طريقة وإتمام الخطبة لوحظ أن النساء فى البداية يقمن باتصالات تمهيدية ، ثم يجتمع الرجال للاتفاق المبدئى ، ثم يتم عقد القران على يدى المأذون الشرعى الذى كان الحجازيون يسمونه " الملك " فكل هذه الخطوات متفقة فى مبناها ومعناها فى كل من مصر والحجاز حتى خطبة النكاح التى يتلوها المأذون فى الحجاز تشبه الى حد كبير الخطبة التى يتلوها المأذون فى مصر .

كما أن احتفالات ليلة دخول العروسين التى تسمى فى القطرين " الدخلة" تكاد تكون متفقة فى كل من مصر والحجاز بشكل عام ، وكذلك ما يسبقها من : ليلة الحناء حيث يقوم النسوة بوضع الحناء فى يدى الزوجة ، أما الزوج فقد كان يضع فى إحدى يديه شيئا من الحناء البسيطة (١) الرمزية وقد كانت هدية العروس الحجازية من الذهب وتستورد من مصر فى الغالب مثل الأسورة الذهبية والأسورة الثعبان وحول ذلك يقول المغربى (٢) :

" وقد حدث تطور فى البناجر أو الأسورة الذهبية ، بعد أن عرف الناس السفر إلى مصر وزيارتها للعلاج والاستشفاء ، أو لغير ذلك من الأغراض فوردت البناجر والأسورة من مصر وهى تختلف عن مثيلاتها التى تصنع محليا " ويضيف المغربى فى حديثه عن الأسورة الثعبان قائلا :

" كان السوار الذى يصنع فى مصر يصاغ على شكل ثعبان وتطعم العينان بفصين صغيرين من الماس ، أو الياقوت .... وكانت الأسورة الثعبان فى وقت من الأوقات شائعة فى كل بيت وتهدى لكل عروس .

---

(١) عبدالقدوس الأنصارى - موسوعة تاريخ جدة - م ١ - ص ٢٤٥ ومابعدها .

(٢) محمد على مغربى - ملامح الحياة الاجتماعية - ص ٨٩ .

حفلة الختان :

كانت حفلة الختان فى الحجاز تمثل عادة حجازية مطابقة تماما لمثيلتها فى مصر فقد كانت هذه الحفلة تقام عند ختان الطفل حيث يركبه أهله " فرسا" مزينا بأبهي زينة ، ويدورون به فى البلدة وهو فى أحسن الثياب ثم يجرى له عملية الختان (الحلاق) الذى يتردد عليه عدة مرات بعد ذلك لمعالجته(١) .

وهذا كله يحدث فى مصر مع بعض زيادات فى القرى امتازت بها عن المدن .

الأطعمة والأشربة :

على الرغم من تعدد الأطعمة فى الحجاز نظرا لتأثير موجات وافدة كثيرة من الحجاج فإن الشبه يتضح فى معظم أنواعها بينها وبين أطعمة مصر .

ونظام تناول الطعام فى الحجاز لا يكاد يختلف عنه فى مصر وذلك كتقسيم الطعام الى ثلاث وجبات : فطور وغداء وعشاء .

ويتناول الحجازى فى فطوره : الفول المدمس ، والبيض ، والهريسة ، والعصيدة والعريكة ، والجبنة ، والزيتون ، وأنواع المربى ، والمعصوب ، والقشطة ، والذبدة والعسل ، والكوارع(٢) وهذه الأطعمة التى يتتناولها الحجازى فى افطاره تتفق مع ما يتناوله المصرى فى افطاره عدا العريكة والمعصوب والكوارع أما الغذاء فإن أشهر ما يتناوله الحجازى فيه : الأرز واللحم المسلوق(٣) أو السمك المشوى إلى جانب بعض الخضروات على حسب طرق طهيها المتعددة ، ثم الفاكهة والحلوى وهو متفق مع ما يتناوله المصري .

---

(١) عبدالقدوس الأنصارى - موسوعة تاريخ جدة - م ١ - ص ص ٢٥٠ ، ٢٥١ وعن الختان فى المجتمع المصرى أنظر : د/ ليلى عبداللطيف - المجتمع المصرى العصر العثمانى - ص ١٤٠ .

(٢) د/ ابراهيم الفوزان --أقليم الحجاز - ص ٣٥٤ .

(٣) وقد يكون السمك بديلا للحم خاصة فى مدينة جدة التى كان يصنع فيها أكلات السمك بأشكال متنوعة ==

وأما الحلوى فى الحجاز فمعظمها تشبه الحلوى فى مصر .

ويتحدث المغربى عن بعض هذه الحلوى وهى المشبك فيقول : " وقد رأيته يباع فى الأحياء الشعبية فى مصر مثل حى السيدة زينب ، وسيدنا الامام الحسين (رضى الله عنه) ، ولعله ورد إلى الحجاز من مصر أو الهند " ، ويغلب على الظن أنه ورد من مصر وليس من الهند إلى الحجاز لأن شكله يوحى بأنه طراز إسلامى .

ويكاد يكون العشاء قاسما مشتركا بين المصريين والحجازيين فهو يتكو ن من : الجبن والحلوى والطحينة واللبن والزبادى والهريسة والفاكهة (١) .

أما الخبز فانه يختلف فى الحجاز عن مثيله فى مصر بعض الاختلاف ، ومع ذلك فقد ذكر ابراهيم رفعت أن خبز الأهالى فى مدينة الوجه " شمسى كالذى يصنعه أهل الصعيد (٢) .

وهذا يؤيد ما سبق ذكره وهو أن أهل الوجه من أصول صعيدية مصرية وأما المشروبات فأشهرها عند الحجازين البن والشاى وهما المشروبان المنتشران فى المجتمعات المصرية (٣) .

٤ - الألعاب :

بمتابعتى للألعاب التى كانت معروفة - فى تلك الحقبة التاريخية لاحظت أن القليل منها الذى كان يتفق والألعاب المصرية وهى : الورق (الكوتشينة) والشطرنج ، والمراجيح للصغار ، وركوب الخيل ، ولعب العصا ، والسباحة (٤) .

== أشهرها الذى يتفق مع الإعداد المصرى سمك الصبادية حيث توضع الأسماك خاصة (نوع القرموط) قطعا متراصة فى صينية وعليه الصلصة ثم يوضع فى الفرن حتي ينضج . أنظر : محمد جمعان - جدة فى عهد الملك عبدالزيز - ص ٢٧٢ .

(١) محمد على مغربى - أعلام الحجاز - جـ ١ - ص ص ١٩٧ ، ١٩٨ وانظر : محمد جمعان دادا - جدة فى عهد الملك عبدالعزيز ص ٢٧٤ .

(٢) مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ٤٩٠ .

(٣) د/ ابراهيم الفوزان - أقليم الحجاز - ص ٢٣ .

(٤) المرجع السابق - ص ٢٤٨، ٢٤٩ : والأنصارى - موسوعة تاريخ جدة م ١ - ص ٢٦٤ ومابعدها. ==

٥ - العادات الأخرى :

كان من بين العادات السائدة فى المجتمع المصرى والحجازى شرب الدخان والزار بالشكل المعروف تماما فى مصر ، يقول المغربى أن الزار ربما تكون بدعته قد انتقلت مؤثراتها من بعض البلدان المجاورة للحجاز (١) ويغلب على الظن أنه انتقل الى كل من مصر والحجاز من الهند .

وتبدوالدهشة فى حديث مؤرخ مكة السباعى عن المؤثرات المصرية فى الحجاز حينما يقول (٢) " ومن الغريب أن الأهالى فى مكة والمدينة وجدة تأثروا بكثير من عوائد المصريين ونقلت الى لغتهم بعض الألفاظ التى لاتزال باقية إلى اليوم بعض آثارها " والحقيقة أنه لاغرابة فى هذا التأثير خاصة وأن مصر كان لها هيمنة سياسية واقتصادية طوال قرون عديدة أدت إلى تلك المؤثرات الاجتماعية وهي نتيجة طبيعة للأسباب التى تجمعت فى قطرين تجمعهما روابط اللغة والدين والعوامل الطبيعية الأخرى كالاتصالات البحرية والبرية .

ويضيف السباعى قوله عن أثر عادات المصريين :

" ولعل أثرها فى سكان الوجه وبلاد الشمال الحجازى أوضح منها فى غيرها ، والذي ألاحظه

== بيد أنه كانت فى الحجاز بعض الألعاب الأخرى إلا أنها تختلف بعض الاختلافات مع الألعاب المعروفة فى مصر كلعبة (الاستغماية) التى لا تتفق مع اللعبة المصرية إلا فى اسمها حيث أن الاستغماية الحجازية تتم بثلاثة أشخاص حاملين معصوبى الأعين وثلاثة محمولين ويدق أحد المحمولين ، وعلى الحاملين معرفته فاذا عرفوه تحول الحاملون الى محمولين وهكذا أما الاستغماية المصرية فهي أن يقسم اللاعبون فريقين فريق يحمى الجدار الذى يسمى " الأم " والفريق الآخر حر يحاول اقتحامه دون أن يُمسك من المدافين فإن تم تقييد أحد المهاجمين يتقلب المدافعون إلى مهاجمين وهكذا ، وهناك لعبة البربر الحجازية التى تتفق مع لعبة "الحجلة" المصرية التى يلعبها الصبية فى الحارات مع اختلاف فحواه أن الحجازيين يقذفون قطعة الفخار فى حفرة بقدمهم اليمنى بينما ينقلها المصريون من مربع إلى مربع آخر ، وفى كل يرفع اللاعب قدمه اليسرى إلى الركبة مع حفظ توازنه . أنظر فى ألعاب الحجاز : محمد جمعان - جدة فى عهد الملك عبدالعزيز - ص ٢٧٠ ، ٢٧١ ومحمد علي مغربى - ملامح الحياة الاجتماعية - ص ٢٢١ ومابعدها .

(١) محمد على مغربي - أعلام الحجاز جـ ١ - ص ١٢ .

(٢) أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ٥٢٧ .

أن كثيرا من تقاليد الطبقات الشعبية القديمة فى مصر كان يقابلها إلى عهد بعيد تقاليد مماثلة فى الطبقة التى يسمونها فى مكة والمدينة وجدة (أولاد الحارة) ، وأن كثيرا من ألاعيب الأطفال فى هذه المدن تتشابه مع مثيلاتها فى مصر " (١) .

ومن المفارقات العجيبة تأثر المصريين بأهل المدينة فى استخدام لفظ (قبلى) حتى أنهم نقلوا استخدامه خطأ لأن المدنيين يستخدمونه للدلالة على جهة القبلة وهى تقع بالنسبة لهم فى الجانب الشرقى الجنوبى ، أما فى مصر فقد استخدموا لفظ قبلى للدلالة على الجنوب مطلقا (٢) .

فمما تقدم نعلم أنه كان للعلاقات الاجتماعية الأثر البالغ فى استمرار الاتصال المصرى الحجازى طوال عهوده السابقة بعكس العلاقات السياسية التى كانت تتسبب أحيانا فى قطع تلك العلاقات بين القطرين .

فباستثناء قضية تعدى العربان على القوافل المصرية نلاحظ استمرارية العلاقات الاجتماعية بصور شتى تظهر الحياة فى كل قطر كأنها امتداد للقطر الأخر ، ولا أدل على ذلك من الأثر الثقافى والعلمى الذى طبعت به مصر بلدان الحجاز وتركت فوقها بصمات لا تنكر ، وقد تعددت الروافد التى شاركت فى نهضة الحجاز فى العصر الحديث كمايلى :

أولا : ما حدث من اختلاط اجتماعى بين الشعبين نتيجة للحملات التى بعث بها محمد على فأطلع أهل الحجاز من خلالها على التيار الثقافى والعلمى الحديث .

ثانيا : الهزة العنيفة التى صنعتها دعوة بن عبدالوهاب فى تبادل الفكر الدينى بين الحجاز ومصر حيث ظهر المؤيدون والمعارضون ، وكل من الفريقين كان يقيم الحجج والبراهين على صحة فكره وسلامة دعواه ، وقد ساعدت مواسم الحج في تجمعاتها الكبرى على هذا التبادل الثقافى الفكرى .

---

(١) المصدر السابق - نفس الصفحة .

(٢) البتنونى - الرحلة الحجازية - ص ٢٢٧ .

ثالثا : انتقال العلماء وطلبة العلم بين البلدين أتاح الفرصة لهذه الصفوة المثقفة إلى نقل كل جديد وانتشار حركة علمية لا بأس بها ليس على مستوى القطرين فقط بل تعداهما إلي الأقطار الاسلامية . فقد كانت مصر بأزهرها ومحافلها العلمية ، والحجاز بحرميه الذى تهفوا إليهما قلوب المسلمين ، وبمدارسهما العريقة مركزى إشعاع علمى يشد اليهما رحال العلماء وطلبة العلم .

أما الانصهار الاجتماعى فقد بدأ فى أقوى مظاهره لاعتماده على الاسلام والعروبة واللغة والتقاليد والعادات المتحدة وقد شجع هذا على قيام بعض المصريين بأعمال حجازية وقيام بعض الحجازيين بأعمال مصرية كما تقلد المصريون فى الحجاز وظائف قضائية ودينية وعلمية وادارية وفنية مثل :

الإمامة والخطابة فى المسجد الحرام بمكة وإدارة خدمة الحرم النبوى الشريف ومشيخة المولوية الصوفية فى مكة وقضاء مدينة الوجه وادارة العمارة الخيرية (التكية) والطب ، وادارة الزراعة ، هذا عدا المهنيين الذين شاركوا فى إنشاء السكك الحديدية الحميدية وغيرها .

ولا شك فى أن العوامل الاجتماعية السالفة الذكر أفرزت مجموعة من العادات والتقاليد واتفق فيها الشعبان مثل : الملابس والأزياء والاحتفالات التى كانت تقام فى مناسبات شتى والألعاب وغيرها مما كان نتيجة طبيعية لأواصر القربى والاتصال الدائم بين البلدين .

الفصل الخامس

موكب الحج المصرى وآثاره
فى مصر والحجاز

تمهيد :

لقد زادت مناسك الحج والعمرة من قوة الوشيجة الدينية بين الشعبين فى مصر والحجاز كما دعمت الروابط الاجتماعية وزادتها احتراما وثراءا ونشاطا ، والمصريون يعتبرون الحج وهو الفريضة الخامسه قمة الرقي فى الدين ،و ومن هنا تغلغلت فى أعماقهم قدسية الحرمين الشريفين والقطر الحجازى ، ونما بين الشعبين المتجاورين المصرى والحجازى الاحترام العميق فى العلاقات هذا اذا غضضنا الطرف عن القبائل العربية المنتشرة فى الصحراء والتى لم يسلم من اعتداءاته أي موكب من مواكب الحج القادمة إلى الحجاز برا فى مراحل التاريخ السالفة .

وتاريخ مواكب الحج المصري له وجه دينى وأوجه أخرى سياسية وعسكرية واقتصادية .

فلقد كانت القبائل العربية المنبثة فى بناء وشبه الجزيرة العربية طرفا قويا وخصما عنيدا فى تاريخ موكب الحج المصرى الذى كانت تتبعه مواكب المغرب وأفريقيا ، وهذا الخصم العنيد كان أحيانا يخوض الحرب ضد موكب الحج المصرى وأحيانا أخري كان يقبل الهبات والمنح مقابل التزامه بالسلم.

بيد أنه بظهور سفن القومبانية العزيزية المصرية فى البحر الأحمر تحول معظم الحجاج المصريين والمغاربة والأفارقة إلى السفر على ظهورها لكونها أكثر أمنا وسلامة من الطريق البرى .

وسنفصل فيما يلى تاريخ موكب الحج المصرى وأثره على العلاقات المصرية الحجازية إبان فترة هذا البحث .

الاستعدادات لرحلة الحج فى مصر :

كان خروج الحجاج من مصر لأداء فريضة الحج تسبقه الاستعدادات وتواكبه شتى مظاهر الاهتمام وحفلات التوديع (١) .

كما كان يتم تعيين أمير للحج من الشخصيات البارزة فى الحكم ، ورئيس لحرس المحمل من الشخصيات العسكرية الكبيرة وذلك بعد تشكيل القوة العسكرية المرافقة للقافلة والتى كانت تتكون من حوالى مائة جندى وصف ضابط وضابط ومن بينهم أربعة عشر موسيقيا .

كما كان يتم تعيين إدارة للمحمل من موظفى الدولة المشهود لهم بالكفاءة والأمانة كأمين الصرة ، وكاتب الصرة وصراف الصرة واثنين من الكتبة المعاونين ، وكذلك كان يتم تعيين طبيب للمحمل وعدد من المرضين المعاونين له وتخصيص ما يلزم لعملهم من أدوية ووسائل طبية ، كما كان يتم تعيين آخرين للخدمات العامة حتي لقد بلغ جملة هولاء الموظفين والعسكريين والطبيبين ٤٧٣ فردا حسب إحصاء سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠ م (٢) .

وكانت القاهرة على مر العصور مركزا يتجمع فيه الحجاج المصريون والمغاربة وحجاج غرب ووسط أفريقيا وحجاج الأندلس وحجاج بعض جزر البحر المتوسط وحجاج دول البلقان وبعض دول أوربا، وهؤلاء جميعا كانوا يتجمعون فى أماكن شتى من القاهرة فى العشر الأخير من شهر شوال فى كل عام (٣) .

وقد كان الحجاج المسافرون على الطريق البرى يعانون من السفر البرى بالاضافة إلى المعاناة التى كان يلاقيها الحجاج المسافرون على الطريق البحرى فى ميناء جدة من الاجراءات البطيئة

---

(١) الدكتور / السيد محمد الدقن - سكة حديد الحجاز - ص ٧٠ .

(٢) ابراهيم رفعت باشا - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ٥ .

(٣) د/ السيد محمد الدقن - سكة حديد الحجاز - ص ص ٤٧، ٤٨ ، وانظر دائرة المعارف الاسلامية - م ١٣ - ص ٣٣٨ .

والانتظار الطويل (١) وهذا ما دعا حكومة مصر إلى اتخاذ اجراءات تخفف تلك المتاعب وتحمي الحجيج ففي سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م قرر مجلس النظار المصرى فى ٢٣ من شعبان الاعلان بأن كل من يريد أداء فريضة الحج يجب عليه مرافقة قافلة المحمل ليكون تحت رعاية أميره وملاحظة حرسه .

كما تكفلت الحكومة بنقل الحجاج برا وبحرا من السويس إلى جدة وداخل الأراضى الحجازية لإتمام مناسك حجهم ، وتكفلت أيضا بنقلهم وهم عائدون في نظير أن يدفع كل حاج يركب الدرجة الأولى فى الباخرة سبعين جنيها على أن يخصص له خمسة جمال لحمل أمتعته وأن يدفع كل حاج يركب الدرجة الثالثه خمسين جنيها على أن يخصص له جملان لحمل أمتعته وهذا المبلغ ضمان للصرف منه على الحاج خلال رحلته وما يتبقى من هذه النقود يرد له بعد عودته (٢) وجدير بالذكر أن هذه القيمة التى فرضتها الحكومة المصرية على الحجاج نظير نقلهم برا أوبحرا تعد باهظة جدا مما قلل من عدد الحجاج فلم يتقدم للحج إلا نفر قليل بلغ ثمانية وعشرين حاجا من الأهالي(٣) .

طريق الحجاج فى الذهاب والعودة :

تعد وسيلة السفر وطريقها العنصران الرئيسيان اللذان يوفران عوامل الراحة والطمأنينة للحجاج اذا ما أعدا اعدادا جيدا .

وقد كانت الإبل هى الوسيلة المثلى لسفر الحجاج منذ فجر التاريخ حتي قرب نهاية النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى لأن الجمل سفينة الصحراء بلا منازع .

---

(١) ابراهيم رفعت باشا - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ص ١٤ ، ١٧ .

(٢) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ٢ - ص ص ١ ، ٢ .

(٣) أنظر : المصدر السابق - ص ٨ .

ولقد أعد الناس الإبل كوسيلة للسفر اعدادا جيدا بما أدخلوه عليها من إمكانات للراحة وحفظ الأمتعة فظهر هناك جمل الشقدف (١) ، جمل المحفة (٢) وجمل السحلية (٣) ، وجمل العصم (٤) ، وكيفما كانت وسيلة السفر فإن رحلة الحجيج كانت في جميع الأحوال شاقة لطول السفر ووعورة الطريق وصعوبة الانتقال من مكان إلى آخر (٥) .

أما الطريق الذي كان يسلكه الحجيج فقد قسم المؤرخون تاريخه إلى أربع فترات هي :

---

(١) الشقدف ويسمى أيضا الهودج ، وهو عبارة عن مجموعة من الأعواد الخشبية تلتف بطريقة متشابكة ثم تكسى بقماش من صوف الإبل أو الغنم ويتكون الشقدف من جزئين متقابلين يوضعان فوق ظهر البعير وله قاعدة خشبية تفرش بالبسط والمخاد والأطفة ويمكن لشخصين النوم فيها . وكانت أجرة الشقدف في سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م عن المسافة من مكة الى المدينة الى ينبع ٢٣ ريالا يضاف إليها ريال للشريف وآخر للوالي، وثالث للمخرج ، ورابع للمطوف أي أن مجموع أجر الشقدف ٢٧ ريالا . أنظر : محمد علي مغربي - الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشرة للهجرة ص ص ١٨٠ ، ١٨١ وسيد عبدالمجيد بكر - الملامح الجغرافية لدروب الحجيج - تهامه - ط ١ - ١٤٠١هـ/١٩٨١ م - جده - ص ٩٢ ، ومحمد جمعان دادا- جدة في عهد الملك عبدالعزيز - ص ٥٨ .

(٢) المحفة عبارة عن كرسيين من الخشب فيها راكبان جالسان وكانت أجرة المحفة عن المسافة من مكة إلى المدينة ثم الى ينبع في سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م ٢٢ ريالا وارتفع هذا الأجر في سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠ م فأصبح ٣٢ ريالا .

أنظر : د / السيد الدقن سكة حديد الحجاز - ص ٦٤ .

(٣) السحلية هي عبارة عن سرير يشد على ظهر الجمل مستعرضا ليست فوقه مظلة ويجلس فيه شخصان والسحلية مركب الفقراء .

أنظر : سيد بكر - الملامح الجغرافية ص ٩٣ .

(٤) جمل العصم هو جمل الحمل يركب عليه شخص واحد ، وكان أجره ثلث أجر الشقدف عن المسافة السالفة الذكر أي تسعة ريالات .

أنظر : سيد بكر - الملامح الجغرافي- ص ٩٣ .

(٥) د/ السيد الدقن - سكة حديد الحجاز - ص ص ٦٢ ، ٦٣ .

الفترة الأولى :

من ٢٨٧هـ / ٩٠٠ م - ٤٥٥هـ / ١٠٦٣ م

الفترة الثانية :

من ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤ م - ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م

الفترة الثالثة :

من ٦٦٧هـ/ ١٢٢٨م - ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٣ م

الفترة الرابعة :

من ١٣٠١هـ / ١٨٨٣ م إلى نهاية الفترة التى يعالجها هذا البحث .

والذى يعنينا من تلك الفترات التاريخية الفترتان الأخيرتان لأنهما متعلقتان ببحثنا هذا.

فأما الفترة الثالثة وهى التي تبدأ من سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٢٨م وتنتهى فى سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م فإن قوافل الحج المصرى والمغربي ، والإفريقى كانت تسلك خلالها الطريق البرى الذى يبدأ من (بركة الحج فى مصر وينتهى فى مكة المكرمة بالحجاز) .

ولابد لهذه القوافل من أن تمر على المحطات والبلدان التالية وهى :

البويب ، عجرود ، المنصرف (وادى الحاج) ، التية ، ونخل ، والعقبة ، ظهر الحمار ، ومغاير شعيب ، عيون القصب ، المويلح ، الأزلم ، اصطبل عنتر ، الوجه والجزيرة ، أكرا ، الحوراء ، ينبع النخيل .

وقد كانت هذه القوافل تتحرك كل عام عبر هذا الطريق بعد العشرين من شوال حيث تصل إلى مكة بعد العشرين من ذى القعده وتستغرق فى رحلتها من القاهرة إلى مكة المكرمة ما لا يقل عن شهر وتقطع هذه القوافل مسافة تصل الى ١٥٠٠ كيلو متر .

وقد ظلت قوافل الحج تطرق هذا الطريق خلال تلك الفترة التى زادت على الستة قرون حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى سنة ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ .

وقد كانت آخر قوافل الحج البرية التى استخدمت الإبل تضم ألفا ومائة وسبعين حاجا (١) .

أما الطريق الذى كان يسلكه الحجيج المصري إلى المدينة المنورة قبل دخولهم الحرم المكي فهو طريق البحر الأحمر من الوجه إلى المدينة المنورة - كما حدث فى زيارة والى مصر محمد سعيد باشا إلي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى منتصف سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠ م (٢) .

أما الرحلة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة فقد كان الحجاج يسلكون طريق ينبع حتى منتصف القرن التاسع عشر ، ثم توقف استخدام هذا الطريق حوالى ثلاثا وأربعين عاما حتى سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م (٣) .

وفى خلال هذه الأعوام كان ركب الحج يسلك الطريق المعروف باسم الطريق الشرقى وكان يبدأ من مكة ليصل إلى المدينة عبر محطات عدة هى :

بئر البرود ، وادى فاطمة ، وادى الليمون ، الحظائر (الغربية) ، محطة البركة ، محطة الغدير (المكرأو المكير) ، محطة الهضاب ، صفين، السويرجية ، الحجرية ، الغديره المدينة المنورة (٤) .

أما طريق عودة ركب الحج المصرى من المدينة المنورة إلى مصر خلال السنوات السالف ذكرها ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠ - ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م فانه يبدأ من بئر سيدنا عثمان ثم بئر رومة ، فبئر الظعينى-

---

(١) سيد بكر - الملامح الجغرافية - ص ٨٠ وأنظر د/ السيد محمد الدقن سكة حديد الحجاز - ص ص ٤٥ ، ٤٦ وقد أضاف البتنونى بعض المحطات كما ذكر بعد ينبع النخيل المحطات التالية : السقيفة مستورة - رابغ - بير الهندى خليص عسفان وادى فاطمة - حتى يصل الركب إلي مكة المطهرة .
أنظر : الرحلة الحجازية - ص ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) كما سيأتى بيانه .

(٣) إبراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ٢ - ص ٢ .

(٤) المصدر السابق - جـ ١ - ص ٣٦٩ ومابعدها .

فالملاليح - فقصر عبلة (الشجرة) - فآبار الحلو - فالحفائر - فالفقير - فالعقلة - فالمطر - فالخوتلة - فالوجه ، ومن ميناء الوجه يستقل الحجاج البواخر إلى الطور بحرا حيث تتوقف للاستراحة والتموين ، ومن ميناء الطور تستأنف هذه البواخر رحلتها وعلى ظهورها الحجيج إلى السويس بحرا وذلك لاستكمال اجراءات الحجر الصحى ، ومن السويس يتجه الحجيج إلى القاهرة بالقطار لينطلق كل حاج الى بلدته أو قريته (١) .

وفى سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٣م استخدم أمير الحج المصرى / ابراهيم باشا رفعت وبرفقته قافلة الحج المصرية طريق ينبع البحر (٢) فى انتقاله من مكة إلى المدينة المنورة بالاضافة إلى الطرق البرية الأخرى .

وقد سلك الركب المصرى أولا الطريق البرى من مكة الي جدة ثم ركب بعد ذلك البحر إلي ينبع البحر ، ومنها اتخذ طريقا إلى المدينة المنورة يبدو أقل وعورة وأقصر مسافة من الطرق الأخرى، فانتقل من ينبع الى المسيحلى ، فأرض الفجيج فبئر سعيد فالحجرة ، فبئر عباس ، فبئر درويش ، فالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام . وقد ظهرت فى سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م محاولات لاستخدام الحجاج المصريين والأفارقة والمغاربة إبان عودتهم لسكة حديد الحجاز الحميدية وذلك عند تعذر وصول قوافلهم الى ينبع البحر للابحار منها إلى السويس نتيجة لتعرضها لهجات العربان الثائرين الذين ظلوا يمطرون ركب الحج المصرى بوابل من الرصاص على مدى خمس ساعات ونصف الساعة ، مما أدى إلى موت جندي وإصابة ستة آخرين ووفاة أحد الحجاج ، هذا بالاضافة الى إصابة بعض الخيول ونفوق البعض الآخر على الرغم من المحاولات المضنية التى بذلها أمير الحج المصرى ابراهيم رفعت باشا ومحاولته إرضاء العربان بدفع أموال لهم ليخلدوا إلى السكينة دون جدوى .

---

(١) ابراهيم رفعت باشا - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ٤٨٢ ومابعدها .

(٢) يقع ينبع البحر فى منتصف المسافة بين جدة والوجه ، وهى ميناء المدينة المنورة ويقع علي بعد ٢٠٨ كيلو منها ، وتطل على خليج ممتد من البحر الأحمر تحميه بعض الجزر ، وهناك ينبع النخيل وهي تقع على بعد ٥٨ كيلو من ينبع البحر وتبعد عن المدينة بمسافة ١٥٠ كيلو مترا وبها ٢١ قرية كانت كلها منتعشة لمرور قوافل الحج عليها ولكنها مرت بفترة ركود بعد تحول طريق القوافل الى ينبع البحر . أنظر سيد عبدالمجيد بكر - الملامح الجغرافية لضروب الحجيج ص ص ١٤٠ ، ١٤١ .

ويبدو وأن ثورة وهياج العربان - كانت بسبب نقمتهم على ... انشاء سكة حديد الحجاز الحميدية فلم تنفع معهم كل محاولات الترضية (١) ، كما أخبر مندوب شريف مكة الحراس للركب بأن هؤلاء العربان لن تجد معهم أية محاولات عسكرية أومادية .

مما اضطر إبراهيم رفعت باشا إلى العودة إلى المدينة مرة ثانية بعد أن سار يومين كاملين فى الطريق البرى ، وقد أبرق ابراهيم رفعت باشا إلى ناظر الداخلية المصرى فى ٢٥ من المحرم سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨ بما حدث، وطلب مخابرة الأستانة لتسهيل عملية سفر المحمل وقافلة الحج عن طريق الشام باستخدام الخط الحديدى الحجازى ، ثم تحرك بركب الحج المصرى قاصدا رأس السكة الحديدية بالعلا (٢) قبل أن تأتيه موافقة الدولة على استخدام السكة الحديدية وقبل أن يصل رفعت باشا بالحجيج إلى رأس السكة الحديد جاءته ارادة سلطانية بمنع ركب المحمل من ارتياد الطريق الحديدى ، بحجة وجود نقص بالخط ، وعدم استعداده لنقل الركب المصرى ، وأن على قافلة المحمل أن تسلك من الطرق الأخري ما تشاء .

ويلقى ابراهيم رفعت باللوم فى هذا المنع على كل من الحكومة المصرية والسلطات والانجليزية ويرجعه إلى أسباب سياسية .

وقد اضطر ركب الحج المصرى والمحمل الى العودة عن طريق المدينة الوجه برا وهناك أركب الحجاج الباخرة المخصصة لنقلهم من الوجه الى مصر (٣) .

---

(١) كان عربان الأحامدة الذين تزعموا هذه الثورة يعتقدون أن المشير كاظم باشا المسئول عن انشاء السكة الحديدية الحجازي مصاحب لركب الحج فلذلك نقموا على الركب لأنهم كانوا يريدون الفتك به ، فقد كانوا يعتقدون أن سكة حديد الحجاز تقطع أرزاقهم ، وستكون سببا فى تسلط الأجانب ولا سيما الألمان عليهم وعلى بلادهم. أنظر : ابراهيم رفعت باشا - مرآة الحرمين - جـ ٢ - ص ص ٢١٢ ، ٢١٣.

(٢) تقع العلا قرب دائرة عرض ٣٨ - ٣٦ شمالا وخط طول ٥٥ - ٣٧ شرقا وتوجد على واد معروف (بوادى العلا) فى منطقة غنية بالمياه العذبة وفى سطحها واحة خضراء تحيط بها المرتفعات ، وتكثر فيها عيون الماء . أنظر : سيد عبدالمجيد بكر - الملامح الجغرافية لدروب الحجيج - ص ٢٠٦ .

(٣) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ٢ - ص ٢١٠ و مابعدها ، وأنظر : د/ السيد الدقن - سكة حديد الحجاز الحميدية - ص ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

وقد استخدم ركب الحج المصرى فى بعض الأعوام التالية لسنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م الخط الحديدى الحجازى فى رحلتى الذهاب والعودة .

كما استخدم الخديوى عباس حلمى الثانى هذا الخط الحديدى فى طريق عودته سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠ م بعد أن أدى فريضة الحج . وقد بدأت رحلته من السويس ، بحرا إلى جدة ، ثم برا الى مكة ، وبعد أن أدى الفريضة استخدم الخط الحديدى فى طريقه الى المدينة المنورة ، وفى عودته منها (١) .

كما استخدم الحجاج التابعون لقافلة الحج المصرى الخط الحديدى فى رحلة العودة إلي مصر سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠ م بعد أن أدى الحجاج مناسكهم فى مكة وأتموا زيارتهم للمصطفى صلى الله عليه وسلم . فقد ركب هؤلاء الحجاج ومعهم المحمل القطارات الحجازية من محطة المدينة المنورة إلى حيفا ركبوا سفينة المحروسة إلى الاسكندرية ومما هو جدير بالذكر أنه فى هذا الموسم (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) كان بالمدينة المنورة خمسون أسرة مصرية وشامية ومغربية وتركية انقطع بها الطريق بعد أن أدت مناسكها ولم تجد وسيلة لرجوعها إلى أوطانها فأمر الخديوى عباس بسفر هذه الأسر على نفقته فركبت هذه الأسر قطار المعية السنية الثانى من المدينة إلى حيفا وتوجهت الأسر الشامية إلى مواطنها بالشام وواصلت الأسر التركية سفرها إلى تركيا شمالا ، أما المصريون والمغاربة فقد سافروا من حيفا إلى بورسعيد على إحدى البواخر الخاصة بالشركة الخديوية بناءا على تعليمات الخديوى(٢) .

وفى سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١ م استخدم ركب الحج المصري هذا الخط الحجازى الحميدى كذلك فى رحلة الذهاب فقط حيث استقل الحجاج البواخر من الاسكندرية الى حيفا ومنها استقلوا قطار السكة الحديدية الحميدية الى المدينة المنورة .

أما رحلة العودة بعد أداء مناسك الحج فقد سلك ركب الحج المصرى الطريق من مكة إلى جدة ، ومنها سلك الطريق البحري على ظهور البواخر إلى الطور حيث الحجر الصحى (الكورنتينة)-

---

(١) محمد لبيب البتونى - الرحلة الحجازية - ص ١٨٨ ومابعدها .

(٢) تم انشاء السفينة الحربية " المحروسة " فى عهد الوالى المصري إسماعيل باشا وكان تصنيعها فى لندن بانجلترا خصيصا لركوب الوالى المصرى . أنظر جميل خانكى - تاريخ البحرية المصرية - ص ٣٩٨ .

وبعدها أبحر الى السويس (١) - ثم اتجه الركب برا من السويس الى القاهرة حيث انطلق كل حاج الى بلدته أوقريته .

وأما الفترة التاريخية الرابعة من تاريخ طريق الحج المصرى فقد ارتبط ظهورها بتطور المواصلات العالمية ، وظهور السكك الحديدية كوسيلة نقل سريعة ومتطورة حيث كانت مصر فى مقدمة الدول التى ظهرت فيها السكك الحديدية بعد انجلترا صاحبة الاختراع .

فلقد أدى ظهور الخط الحديدى بين القاهرة والسويس(٢) إلى مبادرة الحجاج باستخدامه كوسيلة مريحة وسريعة للانتقال من القاهرة إلى ميناء السويس ومن هذا الميناء كان الحجاج يكملون سفرهم على متن البواخر إلى ميناء جدة (٣) .

ونستطيع **تحديد** هذا التغيير الواضح فى طريق الحج ابتداء من عصر اسماعيل نظرا لأن الخديوى إسماعيل قد عمل علي تسيير خطوط ملاحية منتظمة بين مصر والحجاز لنقل البضائع والبريد والحجاج أيضا .

وربما استخدم بعض الحجاج طريق السويس جدة البحرى فى رحلات ذهابهم وإيابهم قبل هذا التحديد ، إلا أن المقصود بتحديد عصر إسماعيل كبداية فى استخدام هذا الخط هو أن استخدامه

---

(١) د/ السيد محمد الدقن - سكة حديد الحجاز الحميدية - ص ٣٠٤ ومابعدها .

(٢) إهتبل محمد سعيد باشا فرصة صدور الفرمان السلطانى سنة ١٨٥٦م الذي حث الولاة على تسهيل المواصلات وفتح الطرق ، وإزاء إلحاح القنصل الانجليزي على سعيد باشا للموافقة على مد خط سكة حديد بين القاهرة والسويس وافق محمد سعيد باشا على مد هذا الخط رغم معارضةفرنسا له التى كانت تخشى من ضرره على مشروع قناة السويس المرتقب ، وبالفعل تم انشاء خط القاهرة السويس فى سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م بسرعة مذهلة ساعد عليها إلحاح انجلترا على إقامته لخدمة مصالحها ، ومنها نقل جنودها إلى المستعمرات الانجليزية فى الهند ، وكانت مصر تستفيد من ذلك إذ كانت تحصل على عائد قدره خمسة جنيهات عن كل جندى بريطانى يعبر الأراضى المصرية . أنظر : محمد فهمى لهيطة - تاريخ مصر الاقتصادى ص ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٣) د/ السيد محمد الدقن سكة حديد الحجاز - ص ص ٤٦ ، ٤٧ .

كان منظما وبشكل دائم ورسمي .

ويذكر السباعي (١) : " أن الحجاج ظلوا يسلكون إلى مكة طريق العقبة البرى أو طريق القصير البحري في المراكب الشراعية ، ثم بدأت البواخر تستعمل لنقلهم فى أواخر سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣ م ، فاتخذوا ميناء السويس بوابة بحرية لسفرهم على السفن التجارية الكبيرة إلا القليل منهم الذين كانت تنقلهم المراكب الشراعية من موانى أخري ، كما استعملت البواخر لنقل حجاج الشرق الأقصى والأوسط وبعض بلاد أوربا " .

بيد أن وثائق هذه الفترة تشير إلى أن بواخر القومبانية العزيزية كانت تحمل الركاب من السويس إلى جدة فى العقد السادس من القرن التاسع عشر ، ومن هذه الوثائق : ما عثرنا عليه فى محافظ العزيزية وقد تضمنت أمرا خديويا بإبطال مرور بواخر القومبانية العزيزية على مصوع وسواكن مؤقتا لتدارك الاستفادة من موسم الحج على أن تتولى بواخر الحكومة توصيل بريد سواكن ومصوع وذلك فى سنة ١٢٨٦ هـ/ ١٨٦٩ م .

وعلى إثر ذلك رؤى البدء بقيام الباخرة القصير من السويس إلى جدة مباشرة دون المرور على مصوع وسواكن ، ثم شمل هذا الأمر جميع بواخر القومبانية العزيزية حتى انتهاء موسم الحج بنهاية سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م (٢) أى قبل التاريخ الذى ذكره السباعي كبداية لاستعمال البواخر بأربعة عشر عاما تقريبا بل أن هناك اشارات تاريخية تلقى الضوء على محاولة لاستخدام هذا الخط البحرى لنقل الحجاج قبل ذلك وعلى وجه التحديد فى ٢٦ شوال سنة ١٢١٣ إبريل سنة ١٧٩٩ م أثناء وجود الفرنسين فى مصر حيث يذكر الجبرتى فى هذا التاريخ ما يلى نصه (٣) : " وفى يوم الثلاثاء نادو فى الأسواق والشوارع بأن من أراد الحج فيحج فى البحر من السويس صحبة الكسوة والصرة وذلك بعد أن عملوا مشورة فى ذلك أما محمد سعيد باشا فانه ارتاد طريق السويس جدة فى سنة ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م كما سيأتى .

---

(١) أحمد السباعي - تاريخ مكة - ص ٥٧٦ .

(٢) دار الوثائق القومية - محافظ العزيزية - (الوابورات ٦٩ - ٧٢) ، ملف عام (٣ محرم ١٢٨٦-٢٦ ذالحجة ١٢٨٦ هـ) ملف خاص وابورات - غرة رجب ١٢٨٦/ ٧ أكتوبر ١٨٦٩ الى ٢٤ رجب ١٢٨٦/ ٣١ أكتوبر ١٨٦٩ م .

(٣) الجبرتى عجائب الاثار - جـ٣ - ص ٧٤ .

وتشير جريدة الوقائع المصرية إلى أن الحجاج المصريين استخدموا الطريقين البحرى والبرى معا فى عام واحد فتذكر الجريدة فى معرض حديثها عن وصول الحجاج فى سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م أنه حرر من السويس أن الظاهر تكامل عدد الحجاج من الحجاز وتواردهم : فالوارد منهم بطريق البحر من جدة ٤٦٥٦ ، ومن ينبع ٩٤٢ فذلك ٥٥٩٨ ، وكثير من الحجاج سابق لقافلة الحج العظيمة المنتظر ورودها عما قريب من البر [١] وقد كان المتبع عند حلول موسم الحج أن تصدر الأوامر إلي البواخر المصرية بالاستعداد لنقل الحجاج من السويس إلي جدة مرورا بينبع فى الذهاب والإياب[٢] .

ولم يقتصر أمر نقل الحجاج بين السويس وجدة علي البواخر المصرية وانما تعداها إلى البواخر العثمانية والأجنبية من مختلف الجنسيات .

فعلى سبيل المثال نلاحظ أنه فى سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م ظهر فى البحر الأحمر مجموعة من البواخر العثمانية والأوربية شاركت فى نقل الحجاج من جدة إلى السويس بعد أن أتموا مناسك حجهم فى مكة والمدينة .

فقد نقلت البواخر العثمانية بابل ومدار توفيق وطرابزون ١٩٥٠ حاجاً استقل الأولى منهم ٥٧٧ حاجا واستقل الثانية ٨٢١ حاجا واستقل الثالثه ٥٥٢ حاجا .

ونقلت البواخر الانجليزية سنيت وبارت اخوان وشيراز ٨٧٤ حاجا استقل الأولى منها ٣٥٠ حاجا واستقل الثانيه ١٧٠ حاجا ونقلت السفينة النمسوية أبوللو ٦٤٨ حاجا ، ونقلت السفينة الفلمنكية منادو ٣١٤ حاجا ، بينما نقلت البواخر المصرية مصوع وأوستريا والحجاز ١٨٨٣ حاجا .

وبلغ مجموع من قدم من الحجاج حتى ٢٢ من المحرم سنة ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١م خمسة آلاف وستمائة وتسعة عشر حاجا (٣) .

---

(١) الوقائع المصرية - العدد رقم ٢٠٨ - بتاريخ ٢٠ من صفر سنة ١٢٨٥هـ / ١١ من يونيو سن ١٨٦٨م .

(٢) الوقائع المصرية - العدد رقم ٨٢١ - بتاريخ ٩ من شعبان سنة ١٢٩٦هـ / ٢٧ من يولديو سنة ١٨٧٩م .

..... قائع المصرية - العدد رقم ٤٠٣ - (٣ من محرم سنة ١٢٨٨هـ/ ١٣ من ابريل سنة ١٨٧١م) .

ومما يجدر ذكره هو أن كثيرين من الراغبين فى الحج كانوا لا يملكون مالا يمكنهم من السفر فكانت الحكومة الخديوية المصرية تصدر الأوامر بنقلهم علي حسابها مثلما حدث فى عهد الخديوى إسماعيل عندما أمر فى سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م بنقل واحد وثمانين من فقراء المسلمين على الباخرة المصرية (مصوع) فنقلتهم هذه الباخرة من ميناء السويس إلى ميناء جدة (١) ، دون أن يدفعوا شيئا وفى سنة ١٣١٨هـ/١٩٠١م حج الخديوى عباس الثانى فسار مع ركب الحج المصرى في رحلة العودة تسعة وأربعون من فقراء المغاربة على الرغم من التنبيه عليهم بأن ركب المحمل لا يستطيع تحمل نفقاتهم ولا زادهم ، إلا أنهم ساروا معه حتى مدينة الوجه ، وهناك رفض ربان الباخرة التى ستقل المحمل والحجاج أن يحملهم فرجاه إبراهيم رفعت ومحافظ الوجه أن يحملهم مع الحجاج حسبة لله تعالى فوافق على نقلهم معه إلى السويس (٢) .

ولا شك فى أن الاحصاءات الدقيقة تلقي الأضواء على الحقائق التاريخية وتساعد على الوصول إلى نتائج أكثر دقة وسلامة فعلى سبيل المثال : نجد أن إحدى الاحصاءات تضمنت عدد الحجاج المسافرين للحج وعدد الحجاج العائدين منه خلال ثماني سنوات من ١٢٨٢ هـ/ ١٨٦٥م الى ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م تشير إلى أن عدد الحجاج العائدين يقل باستمرار عن عدد الحجاج المسافرين بمقدار يتراوح بين خمسمائة وسبعمائة حاج تقريبا بيد أن السنة الأخيرة ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م ازداد فيها هذا النقصان فيلغ ثلاثة الاف وخمسمائة وخمسا وثمانين حاجا - كما هو موضح فى الحاشية (٣) .

---

(١) الوقائع المصرية - العدد رقم ٢١ - بتاريخ ٤ من ذى الحجة سنة ١٨٢ هـ / ١٩ من ابريل سنة ١٨٦٦م

(٢) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - ج. ١ - ص [illegible] .

(٣)

السنة		الحجاج المتوجهون من السويس	الحجاج العائدون الى السويس
١٢٨٢هـ	١٨٦٥م	-	[illegible]٩٠
١٢٨٣	١٨٦٦	-	١٢٨٨٧
١٢٨٤	١٨٦٧	٨٨٤٧	٨٣٤٧
١٢٨٥	١٨٦٨	٩٦٨٠	٨٠٧٤
١٢٨٦	١٨٦٩	١١٢١٢	١٠٧٢٤
١٢٨٧	١٨٧٠	٢٠٨٦٦	١٩١٠٩
١٢٨٨	١٨٧١	١٢٤٠٢	١١٦٣٧

أنظر الوقائع المصرية العدد رقم ٥٠٣ (١٨ من صفر سنة ١٢٣٠ هـ ١٥ من ابريل سنة ١٨٧٣ م) .

ويبدو أن هذا النقص كان سببه ما كان يعانيه الحجاج من مشاق ومخاطر جسيمه وأمراض كانت تودى بحياة الكثيرين منهم خاصة كبار السن والضعفاء. أما النقص المروع الذى طرأ فى سنة١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢م **فأغلب الظن** أن هذا العدد الكبير قد راح ضحية وباء من الأوبئة التى كانت تقضى على أعداد كبيرة من الحجاج .

وربما كان البعض يتخلف حبا فى الاقامة بالأراضى المقدسة ، وطمعا فى أن يدفن بها أجسادهم بعد موتهم (١) .

ويلاحظ أيضا ازدياد عدد الحجاج بعد افتتاح قناة السويس للملاحة حتى بلغت هذه الزيادة عددا كبيرا فى سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م .

فكان عدد المسافرين من السويس إلى جدة للحج فى البواخر الخديوية ٢٢٨٣٦ حاجا بينما كان عدد المتوجهين بالبواخر الأجنبية ١٤٤٦٠ حاجا وبلغ عدد الجميع ٣٧٢٩٦ حاجا مر ثلثهم تقريبا من قناة السويس (٢) .

الطريق الذى سلكه محمد سعيد باشا لزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم :

عزم والى مصر محمد سعيد باشا على السفر إلى المدينة المنورة لزيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم فى منتصف سنة ١٢٧٧ هـ (٣) / ١٨٦٠م فأرسل مندوبه أحمد بك إلى الحجاز لإتمام

---

(١) ومن أشهر من توفوا فى مكة ودفنوا بمقبرة المعلى التى تقع خارج مكة زوجة محمد على باشا التى كانت قد حضرت إلى مكة للحج فى سنة ١٢٦٦هـ / ١٨٥٠ م فماتت ودفنت هناك . أنظر : محمد لبيب البتنونى - الرحلة الحجازية ص ٣٣ .

(٢) الوقائع المصرية - العدد رقم ٤٩٧ - بتاريخ ٥ من محرم سنة ١٢٩٠هـ / ٤ من مارس سنة ١٨٧٣ م.

(٣) يذكر عبدالرحمن الرافعى أن ملابسات رحلة سعيد باشا تدل على أن غرضها كان سياسيا نظرا لأنه لم يذهب فى موسم الحج وقنع بزيارة المدينة فقط مع تجريدة عسكرية صاحبته ، ويعزى الرافعى سبب تلك الزيارة الى طلب استدعاء الأستانة للوالى فرفض الحضور إليها واعتزم تلك الزيارة للحجاز ليجد مسوغا للرفض .
أنظر : عصر اسماعيل - جـ ١ - ص ٤٦ .

الاستعدادات اللازمة هناك وعلى رأسها إعداد الجمال التى أوصاه بجمعها فى ينبع البحر وأمره ألا يقل عددها عن أربعة الاف جمل علي أن تشمل مجموعة من الهجن ، وأرسل له مبلغا قدره عشرة الاف فرانسه محذرا إياه من أى تعسف يتم اجراؤه مع أصحاب الجمال ، ويوصيه بحسن المعاملة لهم وجمع الجمال برضا كامل منهم (١) .

كما أرسل محمد سعيد باشا بخطابين إلى الحجاز أحدهما إلى شريف مكة والثانى إلى والى جدة وطلب منهما فى هاتين الرسالتين مساعدة مندوبه (أحمد بك) على جمع واستئجار الجمال والهجن وكل ما يلزم احضاره لرحلة الوالى المصرى (٢).

إلا أن الأخبار ما لبثت أن وصلت إلى عربان تلك الجهات حتى كثرت الاشاعات والأراجيف ، وحدث للجميع وهم ورعب شديد من سفر والى مصر إلى هناك ، فقد تذكروا ما وقع عليهم فى عهد محمد على باشا واعتقدوا أن ذلك سيتكرر مرة ثانية .

لذلك آثر محمد سعيد تهدئة القبائل وأرسل إلى الشيخ سعد جزا شيخ عربان حرب أكبر القبائل بأنه عدل عن التوجه عن طريق ينبع البحر ، وصمم على اتخاذ طريق السويس البحرى إلى قلعة الوجه ومنها سيتجه برا إلى المدينة المنورة على الطريق المعتاد للحجاج المصريين ، كما قرر أن يكون فى معيته نحو ألف وخمسمائة من الجنود بالاضافة إلى حاشيته (٣) .

وقد بعث سعيد باشا برسالة إلى شيخ عربان حرب ببذل الهمة فى نقل مهمات ومؤن قافلته من ينبع إلى المدينة المنورة عند وصولها على ظهور الجمال (٤) .

أما نقل تلك المؤن والمهمات من السويس إلى الينبع والعكس فلقد قامت بها شركة الشرق التى خصصت لها الباخرة (. بولجيز) ، وقد بلغت التكاليف التى صدرت الأوامر بدفعها إلى الشركة عشرة آلاف وخمسمائة جنيه مصرى ، كما وزع سعيد باشا خمسمائة وستة وثلاثين جنيها وعشرة شلنات على عمال وموظفي الباخرة على أن تحتسب هذه الأموال دينا لمصلحة المرور والسكة الحديدية

---

(١) أمين سامى - تقويم النيل - م١ - جـ ٣ - ص ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٢) أمين سامى . تقويم النيل - م ١ - جـ ٣ - ص ٣٦٠ .

(٣) يذكر الرافعى أن عدد الجنود والحاشية بلغ ألفى رجل من المشاة والفرسان والمدفعيين والأتباع .
أنظر : عصر اسماعيل - جـ ١ - ص ٤٦ .

(٤) أمين سامي - تقويم النيل - م١ - جـ٣ - ص ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

نظرا لأن المصلحة ستقوم بتسوية هذه المبالغ بينها وبين شركة الشرق (١) .

وعلى الرغم من أن سعيد باشا سلك طريق السويس - الوجه (البحرى) ثم اتجه الى المدينة المنورة برا فإنه عاد من المدينة المنورة إلى ينبع واستقل منها الباخرة (نجد) إلى السويس ، وقد بدأ سعيد باشا رحلته من القاهرة فى ١١ من رجب سنة ١٢٧٧هـ/ ٢٣ من يناير سنة ١٨٦١م وعاد إلى مصر فى ١٧ من شعبان سنة ١٢٧٧هـ/٢٨ من فبراير ١٨٦١ (٢).

وكان فى استقباله على أرض الحجاز الشريف عبدالله بن محمد بن عبدالمعين حيث احتفى به حفاوة عظيمة حتى أنه صاحبه عند عودته إلى مصر وظل بها الى شهر شوال من هذا العام (٣) .

ثالثا : معاملة العربان الجمالة للحجاج :

كان المسافر يتعرض فى كثير من بلدان العالم لكثير من المشاكل والصعوبات التي يلاقيها إما لوعورة الطرق أو لمعاملة القائمين على خدمة وسائل السفر للمسافرين بأساليب تظهر فيها ألوان من الطمع والجشع .

وهذا يعد هينا بسيطا اذا ما قورن بما كان يحدث من قبائل العربان المنتشرة حول الطرق والتى كان يرتادها الحجاج ، فهؤلاء العربان كانوا يقومون بتقديم الجمال التى يحتاجها ركب الحج المصرى نظير أجور يتم الاتفاق عليها بالاضافة إلى تقديم بعض الخدمات السريعة مثل المياه ، وبعض الطعام أحيانا وغيرها من الأمور التى يحتاجها الحاج وعلى الرغم من ذلك فان هؤلاء كانوا مثار رعب وقلق شديدين للحاج (٤) ، وذلك قبل عهد الملك عبدالعزيز بالحجاز(٥) .

---

(١) المصدر السابق - ص ٣٧٣ .

(٢) عبدالرحمن الرافعى بك - عصر اسماعيل - جـ ١ - ص ص ٤٦ ، ٤٨ .

(٣) أحمد بن زينى دحلان - خلاصة الكلام - ص ٣٢٤ ، وأحمد السباعى تاريخ مكة - ص ٥٣٧ .

(٤) د/ السيد محمد الدقن - سكة حديد الحجاز الحميدية - ص ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٥) ولد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود فى قصر أسرته بالرياض فى ٢٠ من ذى الحجة سنة ١٢٩٧هـ/ ٥من ديسمبر سنة ١٨٨٠ م ، وكان ترتيبه العاشر فى سلالة سعود الحاكمة ، وقد نشأ نشأة دينية ، وتنقل مع أبيه إلى البحرين والكويت وغيرها ، حتى تمكن من استعادة ملك أبائه وتم له فتح الرياض فى أربعين ==

اذ كانوا ينقلبون إلى قطاع طرق عندما يبخل عليهم الحجاج بما لهم وعطاياهم فيذيقونهم العذاب ألوانا ، بينما يحافظون على الحجاج متى غمروهم بعطاياهم من مأكولات ومشروبات خاصة الشاى الذى كان يسعد هؤلاء العربان كثيرا ، وتزداد عناية هؤلاء العربان بالحجاج متى وعدوهم بالكساوى وهى ثوب قطنى وعقال (كوفيه) لكل أعرابى .

ولقد تعددت كتابات الرحالة والكتاب والحجاج فى أسفارهم عما كان يعانيه الحجاج من سطو ونهب باستمرار يصل إلى حد القتل وسفك الدماء ، ومن هؤلاء الرحالة والكتاب محمد بيرم الخامس (١٢٥٦-١٣٠٧)هـ (١٨٤٠-١٨٨٩م) العالم والرحالة المؤرخ التونسى (صاحب كتاب : صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار) فيذكر محمد بيرم :أنه على الرغم من كل الاستعدادات الحربية التى كانت تصاحب ركب الحج إلا أن ذلك لم يكن يقى الحجاج من اعتداءات العربان :

== من رجاله سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠٢ م ، وكانت هذه هى بداية تكوين وتوحيد المملكة السعودية على يديه ، فنصب سلطانا على نجد سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١ ، كما نصب ملكا للحجاز سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م ، ويعد - فى نظرى - **أحد رجالات الدهر بل وفى مقدمتهم .**
أنظر :

Document No 57 / 1 /1 Subject : Not Regarding the Kingdom of the Hejaz and Nagjd and its Dependenc from Fuad Hamza Act - Durector for forein affairs to the Secretory of State waskington . M.S.A. Foreign office Mecca Hejaz on 29 th Septimber 1928 .

أنظر الزركلى - الوجيز فى سيرة الملك عبدالعزيز - ص ١٧ ومابعدها وفؤاد حمزة - البلاد العربية السعودية - ص ١١ ومابعدها .

وسيد محمد ابراهيم - المملكة العربية السعودية - مكتبة الرياض الحدثة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م - ص ١٧٧.

ود / ليلى عبداللطيف - الملك عبدالعزيز والاخوان ١٩١٢ - ١٩٣٠ م مجلة كلية الدراسات الانسانية العدد الخامس - ١٩٨٧م - ص ٢٠٧ .

ومحمد جمعان - جدة فى عهد الملك عبدالعزيز - ص ٩٧ .

وبسام الجابى - معجم الأعلام - ص ص ٤١٨ ، ٤١٩ .

ومحمد ابراهيم الحقيل (القاضى) - عبدالعزيز فى التاريخ - ط ٣ - بيروت ١٣٩٧/١٩٧٧م - ص ومابعدها .

وكذلك أسهب ابراهيم رفعت باشا فى ذكر معاناة الحجيج ومعاناته هو نفسه فى رحلات حجه من العربان ، وخاصة الجمالة منهم ، كما وصف لنا محى الدين رضا (١) الكثير من تلك الاعتداءات والمصاعب المؤسفة .

ومع ذلك فقد كان لهؤلاء العربان بعض المواقف التي كانت تمتاز **باللين والانسانية** وترتبط ببعض المبادئ الاخلاقية التى كانوا يحافظون عليها من ذلك ما ذكره ابراهيم رفعت (٢) وهو أنه كان من عادة العربان اذا تناولوا طعاما مع الحجاج فانهم لا يخونونهم بل يشملونهم بالحماية اذا أراد معتد الاعتداء عليهم .

لذلك فقد كان الحجاج يهتمون في الاستعداد لرحلتهم بسلاحهم الذى يصطحبونه معهم كأنهم سائرون الى دار حرب وليس إلى دار أمان ، ولذلك كان الأهالى فى مصر ينتظرون حجاجهم في ترقب وقلق شديدين حتي اذا أتت بشائر وصول الحجاج من الطور بسلامة الله عن طريق البريد أو البرق يستعد الأهالى لاستقبالهم بالبهجة والسرور معهم الطبول والزمور فيقيمون لهم الأفراح والليالى السامرة ابتهاجا بذلك (٣) .

ويبدو أن هذه المشقة وخطورة الطرق والمفاوز والعربان على الحجيج قد باتت أهون كثيرا فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين حيث أصبح طريق الحجيج فى تلك الفترة أقل صعوبة منه فى الفترات السابقة (٤) .

ومما تجدر الاشارة اليه هو أن تعسف العربان مع الحجاج والزيادة عليهم لم يكن خاصا بالحجاج وانما كان يتعداه إلى مندوبى الحكومة المصرية كذلك مثلما حدث مع إبراهيم عفت الذي كان قائدا لحرس المحمل الشريف فى سنة ١٩٠١ م ./ ١٣١٨ هـ عندما استقبله مقوم المحمل (متعهد الجمال) بالترحات والأكرام إلا أنه كان يبغى من ذلك الحصول منه على شهادة مزورة فيها

---

(١) محى الدين رضا - صور و مشاهدات من الحجاز - ص ١٤٥ وابراهيم رفعت باشا - مرآة الحرمين - جـ١ - ص ٦٨ ، جـ ٢ - ص ص ٧٠ ، ٧١ وبسام الجابى - معجم الأعلام - ص ٧٩٧ .

(٢) المصدر السابق - نفس الصفحة .

(٣) البتنوني - الرحلة الحجازية - ص ٢٣٩ .

(٤) المصدر والصفحة السابقان .

أعداد زائدة من الجمال عن المقرر لركب المحمل ليقدمها إلى المالية المصرية فيصرف قيمتها بدون حق، إلا أن إبراهيم رفعت رفض طلبه وأبى إلا أن تكون تلك الشهادة موافقة للواقع (١) .

وقد كان المتبع أن تقوم خزانة جدة بالصرف على أجور نقل الذخائر والمهمات العسكرية والمؤن التى ترد من مصر الى الحجاز لحماية قافلة الحج المصرية ، وبعد انتهاء موسم الحج كانت خزانة جدة تستوفى مستحقاتها من الخزانة الملكية المصرية بموجب دفتر رسمى يشتمل على مفردات المصاريف المشار إليها .

ويبدو أن الخزانة المصرية لم تكن تبادر بمحاسبة خزانة جدة وتسديد مستحقاتها فورا وهذا مادعا خزانة جدة فى سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦ م عندما أصابها الضيق إلى أن تتعجل استيفاء حقها البالغ ١١٠٦٦٠ قرشا و ١٨ بارة منها ٨٥٨٦٧ قرشا وعشر بارات عن سنتى ١٢٦١هـ/١٢٦٢هـ/١٨٤٥م : ١٨٤٦ م ومنها ٢٤٧٩٢ قرشا وبارة واحدة بقايا من سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م(٢) .

رابعا : المكوس :

كانت المكوس من المشاكل التى عاني منها الحجيج خاصة فى العصور المتأخرة حيث كانت تؤخذ منهم فى أشكال متنوعة فكان يؤخذ فى جدة من البائعين على كل شقدف ستة قروش مصرية ونصف يضاف الى مايدفعه كل حاج ، كما كان يؤخذ من أجرة الجمل الذى يقل الحاج من جدة إلى مكة ريالان للشريف ، وأربعة قروش مصرية للحكومة الحجازية ، وريال لوكيل المطوف ومتعهد الجمال تضاف كلها على ما يدفعه الحاج (٣) .

ويذكر البتنوني وهو يتحدث عن حجة فى سنة ١٩٠٩ م /١٣٢٨هـ (٤) .

---

(١) ابراهيم رفعت مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ص ٧٠ ، ٧١ .

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٨٧ - المحفظة ١٨ بحريرا - من شريف محمد رائف إلى الجناب الخديوي - بتاريخ (٧ من جمادى ١٢٦٢هـ).

(٣) د/ السيد محمد الدقن - سكة حديد الحجاز - ص ٦٦ .

(٤) الرحلة الحجازية - ص ١٧٨ .

الحجاج بن يوسف الثقفي بأمر عبدالملك بن مروان بديباج خراسان (١) .

أما العباسيون فقد بالغوافي العناية بكسوتها فكانوا يكسونها بالحرير الأسود (في الغالب) لأن اللون الأسود شعار العباسيين ، وكانوا يصنعونها بمدينة تنيس المصرية التي كانت ثغرا في شمال دمياط ، والتى كان لها شهرة عظيمه في صناعة المنسوجات الثمينة (٢) .

وقد اشتري الملك الصالح اسماعيل بن الملك الناصرين قلاوون في سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م ثلاث قرى هي : بسوس - وسندبيس وأبو الغيط .

من قرى القليوبية ودفع أثمانها من بيت مال المسلمين ثم وقفها على كسوتي الكعبة والحجرة النبوية الشريفة ، وزاد عليهاالسلطان العثمانى سليمان المشرع فاشترى عدة قرى بمصر ثم أضافها إلي القري الثلاث السابقة فى سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م (٣) .

ويروي أن السلطان سليم بن سليمان المشرع كان أول من بدأ تطريز كسوة الكعبة الشريفة بالطراز المذهب ، وكان قبل ذلك يطرز بحرير أصفر (٤) .

وفى السنوات ١٢١٣- ١٢١٥هـ/١٧٩٨/ ١٨٠٠ م توقف إرسال الكسوة الى الكعبة ، كما سبق أن ذكرنا - بسبب أحداث الحملة الفرنسية على مصر . وعند جلاء هذه الحملة عنها حتي سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م حيث توقف ارسالها من مصر مرة أخرى بسبب استيلاء السعوديين على مكة فى سنة ١٢١٣ هـ ومنعهم دخول المحمل المصري مكة محتجين بأن صورته منافية للشريعة الاسلامية .

ويروى أن السعوديين لما استولوا على مكة فى سنة ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م أخذوا يكسون الكعبة بحرير أسود كالكسوة العباسية ،من غير كتابة عليه مدة سبع سنوات (٥).

---

(١) محمد على مغربى - أعلام الحجاز - جـ ٢ - ص ٩٠ .

(٢) البتنوني - الرحلة الحجازية - ص ص ١١٠ - ١١١ .

(٣) د/ السيد الدقن - كسوة الكعبة المعظمة - ص ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٤) أنظر : حسين عبدالله باسلامه - تاريخ الكعبةالمعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها - تهامة ط ٢ - سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م ص ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٥) حسين باسلامه - تاريخ الكعبة - ص ٢٨٤ .

أن المكوس التى كانت تأخذها الحكومة الحجازية على الجمال الخارجة من مكة أو جدّة أو المدينة أو ينبع كانت على ما يبدو ريالين عن كل جمل .

ولم تكن هذه هى كل المعوقات التي كان يعانى منها الحجيج - ففضلا عن مشاق السفر ووعورة الطرق ومعاملة العربان والمكوس كانت تقابل الحجاج مشاكل أخرى عديدة ، وخاصة الموظفين منهم فى الأعمال الأميرية فقد كان المتبع - حتى سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م أن من أراد الحج من الوظفين المصريين يتم طرده من عمله مباشرة ويستبعد نهائيا من وظيفته، وذلك كان الحال بالنسبة لمن أراد السفر لزيارة أحد أقربائه فى الحجاز(صلة للرحم) إلا أن هذه المشكلة قد تم حلها فى شهر شعبان سنة ١٢٧٩هـ عندما صدر الأمر بشأن الذين يعملون فى الوظائف الأميرية فى مصر بأن تعطي لهم أجازة محددة لأداء مناسك الحج ، أو السفر لصلة الرحم ، ولا يتم طردهم من أعمالهم إلا بانقطاعهم عن العمل بعد فترة الأجازة ، كما شمل الأمر نصا قضى بضرورة إلحاق من تم فصلهم فى السابق لهذين السببين بأعمالهم مرة أخر ى أو إلحاقهم بأعمال غيرها تحتاج اليها الحكومة (٢) .

٢ - المحمل وكسوة الكعبة :

لم تكن كسوة الكعبة من ابتكارات العصر الحديث ، انما هى سنة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث كساها فى عهده بالثياب اليمانية (٣) . ثم كساها أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم بثياب تسمى القباطى (٤) كانت ترد من مصر وكانت مشهورة فى تلك الأزمنة ، ثم كساها

---

(١) الرحلة الحجازية - ص ١٧٨ .

(٢) دار الوثائق القومية - ملخص ١٠٦ - المحفظة ٢ ذوات تركى - من الجناب العالى إلى رئيس مجلس مصر (١٩ من شعبان سنة ١٢٧٩هـ) .

(٣) ذكر البتنونى : (أن أول من كسا الكعبة هو أبو بكر أسعد (ملك حمير) فى نحو سنة ٢٢٠ قبل الهجرة وكان يهوديا كساها بالجلد وقلده فى ذلك خلفاؤه من بعده فكانوا يكسونها بالقباطى . انظر : الرحلة الحجازية ص ١١٠ .

(٤) القباطي جمع قبطية وهو ثوب من ثياب مصر الرقيقة ، نسبة الى القبط والقبط بلدة بمصر ينسب اليها أقباطها- ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين جـ ١ - ص ٢٨٢ .

وانظر : د / محمد بديع شريف - فى مهبط الوحى - دار الفكر - ص ٢ - القاهرة ص ص ١١٤.١١٤ .

فلما قضى (محمدعلى باشا) على سلطان السعوديين فى الحجاز استأنفت مصر إرسال الكسوة فى عام سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣ م فى إطار نظام جديد هو الصرف على شئون الكسوة من الخزانة المصرية مباشرة بعد أن كان ينفق عليها من أوقاف الحرمين الشريفين .

وقد ذكر استاذنا الدكتورمصطفى رمضان :

أنه ابتداء من سنة ١٢٢٨هـ /١٨١٣ م استولى محمد على باشا على أوقاف مصر كلها وأدخل أوقاف الحرمين إلى خزانة الروزنامة المصرية (١) .

كما يذكر أستاذنا الدكتور الدقن (٢): أن محمد على قد استولى على أوقاف مصر كلها بما فى ذلك الكسوة ، وأوقاف الحرمين وأدخل إيراداتها فى الخزانة المصرية ، وبذلك دخلت تلك الأوقاف فى دائرة سياسية .

وهذا صحيح بالنسبة للقرى التى أوقفت على الكسوة والأوقاف الأميرية **إلا أن الحقيقة فيما يبدو أن استيلاء** محمد على لم يشمل كل الأوقاف ، وإنما شمل تلك القرى التى أوقفها الملك الصالح اسماعيل وسليمان المشرع أما الأوقاف الأهلية والخيرية فلا أعتقد أنها دخلت كلها ضمن ما استولى عليه محمد على ودليلى فى ذلك : ما ذكره البتنونى فى بيان مصاريف المحمل ومرتبات مكة والمدينة المطلوبة وأنها ثلاثة آلاف جنيه (٣) تصرف سنويا من أوقاف الحرمين والأوقاف الخصوصية والأهلية و الخيرية ومن الخاصة الخديوية والمالية .

وهذا الحديث عن أوائل القرن العشرين أى بعد محمد على بستة عقود تقريبا . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن ايرادات الأوقاف التى أستولى عليها محمد على لم يضمها كلها إلى الخزانة المصرية ، وانما ضم بعضها إلى ممتلكاته الخصوصية فتذكر إحدى الوثائق ما يفيد : بأن محمد على

---

(١) د/ مصطفى رمضان :

وثائق مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر إبان العصر العثمانى وأهميتها فى تاريخ الجزيرة العربية سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م - الريضا - ص ٧ .

(٢) د/ السيد الدقن - كسوة الكعبة - ص ١٠٩ ١١٠ .

(٣) الرحلة الحجازية - ص ١١٩ والتبنونى كان يتحدث فى أعقاب رحلة الحج عام ١٩٠٩ .

قد طلب من السلطان العثمانى الموافق على تحويل الأراضى المطلوب وقفها على عمارة المدينة الخيرية (التكية) فصدر الأمرالسلطانى بتمليكها لمحمد على حتى يتسنى له وقفها كما يشاء (١) .

كما أن كثيرا من الأوقاف الأهلية كانت تظل بيد أصحابها يتوارثون رعايتها وجمع حصيلتها لترسل إلى وجهتها فى مواعيدها .

ومما تجدر الاشارة إليه أنه باستيلاء الدولة العثمانية على مصر فى سنة ٩٢٣هـ /١٥١٧م وحتي الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجرى اختصت الدولة بكسوة الحجرة النبوية الشريفة بالاضافة إلى كسوة الكعبة الداخلية ، **بينما اختصت مصر بكسوة الكعبة الخارجية مضافا إليها ستارة لبابها** ، وأخرى لباب التوبة ، وثالثة لباب المنبر (٢).

وقد كان من المعتاد في مصر إعداد برقع وكيس لمفتاح الكعبة وغطاء لمقام ابراهيم عليه السلام - وستارة له قد خطت عليها آيات شريفة بخط أمهر الخطاطين وآخرهم فى تلك الحقبة الخطاط الماهر الشهير فى ذلك الوقت عبدالله بك زهدى (٣) وقد كان كل هذا يرسل مع كسوة الكعبة المشرفة رفق قافلة المحمل المصرى ، وقد بلغت تكاليف تجهيزه الكسوة التى تصرف ميزانيتها من وزارة المالية المصرية أربعة آلاف وخمسمائة جنيها مصريا فى سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م (٤) .

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ١١ - المحفظة ٨ بحرير من محمد نجيب إلى الجناب العالى - (١١ من رجب سنة ١٢٣٨هـ) والوثيقة مستخرجة من محفظة ٢ الحجاز) .

(٢) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ٢٩١ . ولمزيد من التفاصيل عن الكسوة وشكلها وأجزائها . أنظر : ص ٧ ومابعدها ، وص ٢٩١ ومابعدها - وأنظر : البتنونى - الرحلة الحجازية - ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) الوقائع المصرية - العدد ٤٨٥-٨ من شوال ١٢٨٩هـ / ٩ من ديسمبر ١٨٧٢م .

(٤) بيانها كالتالى :

جنيه	
٥١٥	ثمن مخيش فضة محاط بالذهب و وقدره ١٤٨٣٥ مثقالا ، ومن الفضة البيضاء ٣٨٠٥ مثقالا .
١٦٦٤	أجرة عمال الزركشة وعددهم ٤٧ نفرا .

ويبدو أن تكاليف الكسوة لم تتجاوز حدود هذا المبلغ إبان تلك الأعوام الأولي من القرن العشرين .

فقد بلغت تكاليف الكسوة فى سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م أربعة آلاف ومائة وثلاثة وأربعين جنيها(١) .

كما بلغت تكاليفها فى سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٨ م ٤٠٨٤ جنيها وهومبلغ قريب أيضا من المبلغين السالفي الذكر .

جنيـــه	
١١١١	ثمن حرير وأجرة نسيج ، وعدد من يعملون به ٧٠ نفرا .
٢٠٠	ثمن أدوات التشغيل مثل البفتة وخلافها .
١٥٠	مصاريف ليلة الاحتفال المعتاد عمله لموكب الكسوة السنوى .
٦٠	عوائد تصرف للعاملين يوم انتهاء عمل الكسوة .
٨٥٠	مرتبات الموظفين وخدمة إدارة الكسوة .
٤٥٥٠	الجملة

أنظر : البتنونى - الرحلة الحجازية - ص ١١٣ .

(١) جنيـــه

٣٠٠	مرتب مأمور الكسوة .
٢٠٤	مرتب كاتب ومخزني الكسوة .
١٢٩	مرتبات خدمة سائرة .
٣٥١٠	نفقات صنع الكسوة كثمن الحرير ، والمخيش الفضة والملبس الذهب وأجرة العمال ، ونفقات الاحتفال .
٤١٤٣	الجملة

أنظر حسين باسلامة - تاريخ الكعبة المعظمه - ص ٢٨٧ .

وكان إرسال الكسوة من مصر **يبدأ باحتفال بهيج** فى ديوان محافظة مصر يدعى اليه المحافظ والعلماء من شتى التخصصات كما يدعو اليه علية القوم والمعتنين بشئون الحج والأمور الدينية بتذاكر خاصة فإذا ما اكتمل نظا م الحفل تحيى ليلته بالقرآن والأذكار والأوراد ، ثم ترسل كسوة الكعبة فى فجر ذلك اليوم فى موكب عظيم من ميدان محمد على باشا (الرميلة) إلى مسجد الامام الحسين رضى الله عنه (١) .

وبعد ذلك يجتمع الناس في ميدان محمد علي ويصطف الضباط والعساكر السواري والبيادة في حضور المأمورين والعلماء انتظارا لقدوم المحمل من مسجد الامام الحسين رضى الله عنه فإذا ما حضر يقوم الخديوى بتسليم زمام الجمل الحامل للمحمل إلى السر سوارى فيسير وأمامه جم غفير من مشايخ الطرق ومريد يهم حاملين الأعلام (٢) .

وتجدر الاشارة إلى أن خروج موكب الحج المصرى كان عادة فى الأسبوع الأخير من شهر شوال ، وكانت رحلته من مصر الى مكة تستغرق سبعا وثلاثين يوما تقريبا (٣) .

وعندما يعود المحمل كان يقام له احتفال عظيم (٤) أيضا بلغ من اشتغال الناس به فى القاهرة حدا توقفت فيه حركة الحياة اليومية حتي أن صحيفة مثل الوقائع المصرية كانت تتوقف أيضا عن الصدور فى يوم الاحتفال هذا وفى ذلك تقول الصحيفة .

" لم تطبع صحيفتنا فى يوم الثلاثاء الماضى لعودة المحمل والناس مشتغلون بالتفرج على موكبة لأنه كان في انتظام زائد " (٥) .

---

(١) الوقائع المصرية - العدد ٣٩٠ - (١٣ من شوال سنة ١٨٧هـ/ ٥ يناير ١٨٧١م) .

(٢) الوقائع المصرية العدد ٣٩٢ بتاريخ ٢٧ من شوال سنة ١٢٨٧ هـ / ١٩ من يناير سنة ١٨٧١ م .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية - مجلد ١٣ - ص ٣٣٨ .

(٤) كان أول من ابتدع الطواف بالمحمل وبكسوة الكعبة بالقاهرة هو الظاهر بيبرس البندقدارى فى سنة خمس وسبعين وستمائة هجرية .

أنظر : على باشا مبارك - الخطط التوفيقية لمصر القاهرة - جـ ١ - ص ٨٦ .

(٥) الوقائع المصرية - العدد ٤٣٨ - ٢٣ من شوال سنة ١٢٨٨هـ/ ٤ من يناير سنة ١٨٨٢ هـ .

وقد كان هذا الاحتفال ذو شقين الأول : نابع من تعلق الانسان المصري المتدين بُطبعه بالأراضي المقدسة التي تضم قبلة المسلمين ومثوي الهادي الأمين صلى الله عليه وسلم - والشق الثاني : العناية الزائدة بأمر المحمل والكسوة وترك الأشغال ، واهمال الأعمال للوقوف ساعات طويلة للتبرك بهذه الأشياء التي ستتشرف بدخول مكة وحرمها والالتصاق بالكعبة البيت الحرام ودخول المدينة ومسجدها وذلك - في نظري - ابتعاد عن آداب الدين وجهل بما ينفع ويضر من الأعمال (١) يساعد عليه حكام جهلوا أحكام الدين(٢) ، وتغاضي عنها بعض العلماء سامحهم الله . وقد استمر الحال على هذه العناية وهذا الاحتفال الشعبي والرسمي قبل خروج المحمل وبعد عودته ولم تنقطع تلك الاحتفالات السنوية خلال فترة الدراسة الا في سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨ م .

فقد حدث في هذا العام عند خروج المحمل على عادته أن أمرت الحكومة المصرية باغلاق مقاهي القاهرة وحاناتها بقوة الشرطة ، ومنعت الناس من الوقوف في الطرق التي يمر منها المحمل ، كما منعت كل التجمعات التي ظهرت في الشوارع للمشاركة في الاحتفال بمرور المحمل ، ومحاولة لمسه والتبرك به .

وقد قام جنود الشرطة بضرب الناس في الشوارع ، وايذائهم ، وكان السبب في هذا الموقف - ما حدث يوم نقل الكسوة الشريفة حيث تجمع الشباب والأهالي وأخذوا ينادون بالدستور حيث صاح الجميع : " ليحي الأمير ليحيي الدستور " فخشيت الحكومة من المظاهرات التي قد تنشأ من اجتماع الناس بأعداد غفيرة للاحتفال بالمحمل وقد نجحت الشرطة في منع عامة الناس من حضور هذا الحفل .

---

(١) فقد كان لهذا المحمل تبجيل وتعظيم بلغ بالناس وبالحكام والأمراء حد الوقوف احتراما وتقديساً لهذا المحمل عند مروره من أمامهم ، والجميع يحاول لمسه والتمسح به تبركا .
أنظر : د/ ربيع خليفه - فنون القانون في العهد العثماني - ص ١٥٤ .

(٢) بلغ من اشتغال الحكام بأمر المحمل وعنايتهم به أن خصص الخديوى عباس حلمي الثاني وقتا لزيارة المحمل في منطقة جرول بأطراف مكة عند حج الوالي المصري سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩١٠ .
أنظر : محمد لبيب البتوني - الرحلة الحجازية - ص ٣٤ وكأنه ذاهب لزيارة نبي أو رسول أو عالم من علماء الأمة ، وماهي إلا أصنام صُنعت بأيديهم .

فتم الاحتفال الرسمى - دون الشعبى - بحضور الخديوي عباس حلمى الثانى والأمراء والعلماء ووجوه القوم (١) .

وقد كان المتبع عند وصول الكسوة الى مكة أن تسلم وتوابعها إلي الشيخ الشيبى - سادن الكعبة - بمقتضى إشهاد شرعى بحضره العلماء والوجهاء ثم يقوم بحفظها فى بيته القريب من الصفا حتى يحين يوم النحر ، والحجاج بمنى فيقوم ومعه جمع كبير من الناس بإلباس الكعبة كسوتها وتثبيتها عليها بحلقات من النحاس الأسفر .

أما الكسوة القديمة فيرسل المقصب منها عادة إلى شريف مكة ، وإذا كان الحج يوم جمعة فكان من المعتاد أن يرسل هذا المقصب إلى السلطان العثمانى ، أما غير المقصب من الكسوة فيأخذه الشيخ الشيبى ليبيعه للحجاج (٢) .

وجدير بالذكر أن الشيخ أحمد بن محمد الشيبى كان سادنا للكعبة قبل سنة ١٢٧٤هـ/ وتولى بعد وفاته - فى هذا العام - أخوه على بن محمد الشيبى سدانة الكعبة (٣) ، ثم تولى بعده عبدالرحمن بن عبدالله الشيبى إلي أن عزله السلطان عبدالحميد الثانى وولى مكانه محمد بن صالح بن أحمد بن محمد الشيبى الذى استمرت سدانته أربعا وعشرين عاما (٤) .

وصول ركب الحاج الى مكة :

يُعد وصول المحمل وقافلة الحج كل عام حادثا عظيما يهز مشاعر أهل مكة فيستقبلونه بالترحاب والود والتكريم ، ويحتفلون بقدومه ، أما القافلة فإنها تضرب خيامها في أماكن مختارة خارج مكة ، ومن المعتاد أن يكون وصول القافلة قبل الحج بعدة أيام ، إلا أن بعض الحجاج يبادرون بالحضور إلي مكة فى شهر رمضان ويبقون بها إلي أن يتموا شعائر الحج ، بل إن بعضهم

---

(١) أحمد لطفى السيد (باشا) صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية ص ٥١ .

(٢) حسين باسلامة - تاريخ الكعبة المعظمه - ص ٢٨٨.

(٣) محمد بن عبيد آل عبدالمحسن - تذكرة أولى النهى والعرفان - ص ١٠٥ .

(٤) المصدر السابق - ص ٣٠٠ .

يبقون بعد الحج مجاورين إما لنيل بعض الدراسات العلمية على يد علماء الحرمين أو للتدريس فى مكة إذا كانوا من العلماء ، أو للعبادة والنسك فترة تطول أو تقصر أو لتحقيق أمنية غالية وهى أن يلقوا ربهم وهم بالأراضى المقدسة ظاهرين مطهرين بجوار بيت الله الحرام .

ومن المعتاد أيضا أن يزداد عدد ركب القافلة المصرية عندما يكون يوم الحج الأكبر (التاسع من ذى الحجة) موافقا يوم الجمعة (١) .

وثمة كلمة خاصة بكتابات ابراهيم رفعت باشا أري من الواجب التعرض لها فعلي الرغم من أن ابراهيم رفعت أسهب فى وصف قافلة الحج ومحركاتها وتحدث عن الصرة والمحمل ومكوناتهما والكسوة وتوابعها ثم تحدث عن الترتيبات الرسمية ومشيلاتها من القاهرة إلى السويس ثم تحدث عن إبحار القافلةإلى جدة بتفصيل فإنه لم يتعرض من بعيد أو قريب إلي الحديث عن الحجاج وهم العنصر الأساسى اللهم إلا من خلال إشارات ثلاث لا تتناسب وقدرالموضوع .

الاشارة الأولى هى : قوله (٢) (وقد أخذ من كل حاج بالسويس ٣٢ مليما ضريبة الحجر الصحى بها وقد استنفذ ذلك كثيرا من وقت الحجاج) .

والاشارة الثانية هى : حديثه عما عاناه الحجاج فى ميناء جدة من إجراءات بطيئة وانتظار طويل .

والاشارة الثالثة هى : ذكره أن عدد الحجاج الذين نزلوا من الباخرة زاد على ستمائة حاج(٣)

وحبذا لو أنه فصل الحديث عن اجتماع الحجاج بمصر قادمين من كل فج عميق وحبذا لو تحدث عن أحوالهم وملابسهم ومسكنهم فترة تجميعهم وتكاليف تنقلاتهم ، وما كانوا يلاقونه من صعاب عديدة بتفصيل أكثر خاصة وأنه فصل في موضوعات كثيرة أقل من موضوع الحجاج .

فمما تقدم نرى أنه كانلرحلة الحج المصرية آثار متباينة الواقع فى مصر والحجاز على

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية - م ١٣ - ص ٣٣٩ .

(٢) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ١٤ .

(٣) المصدر السابق -ص ١٧ .

المستوى السياسى والاجتماعى ، فلقد عضدت رحلة الحج المصرية العلاقات بين القطرين وأذكت روح الأخوة بين الحجاج المصريين وأهل الحجاز ، فتبادلوا المنافع ووقع التزاوج بين الشعبين .

وكانت هناك صور سلبية تمثلت فى همية العربان وجشعهم وقطعهم لطرق الحج وفرضهم الاتاوات على قوافله .

هذا بالاضافة إلى ابتزاز بعض الأشراف وأتباعهم للحجاج بصور شتى وإزاء هذه الأشكال المتباينة والصور المختلفة في العلاقات عملت الحكومات المصرية على تنظيم قافلة الحج ودعمها وحمايتها فعينت لها الأطباء والممرضين ، وخصصت لها فرق عسكرية قوية لحراستها والدفاع عنها وأعدت من السفن البخارية التابعة للشركات المصرية لنقل الحجاج وأمتعتهم من مصر والسودان الى الحجاز والعكس كما عنيت كذلك بتجهيز القلاع على طول طريق الحج وزودتها بالجنود والأسلحة وحفرت بجوارها الآبار ليتزود منها الحاج بالمياه ، وليجدوا في تلك القلاع الأمان والنجدة اذا ما داهمتهم شراذم العربان أو قطعت طريقهم ، هذا بالاضافة إلى أن الحكومة المصرية خصصت لعربان القبائل العربية رواتب سنوية لتأمين شرورهم التى قد تقع على قافلة الحج، وليقدموا مزيدا من العناية والرعاية لحجاج تلك القافلة ، ومع ذلك فان هؤلاء العربان لم يؤدوا تلك الرعاية حق أدائها بل كثيرا ما كان الحجاج يتعرضون لهجماتهم ويسلبونهم .

وكثيرا ما كان هؤلاء العربان - يطمعون فيما كانت تحمله القافلة من مخصصات وأموال أميرية للحرمين وللحجاز ، كما كانوا يطمعون فى زاد كل حاج ومتاعه وقد استمر هذا الحال حتى بداية الربع الثانى من القرن العشرين **عندما بدأت الحجاز تنهض نهضتها الحديثة على أيدي آل سعود .**

الفصل السادس

المخصصات المصرية للحجاز

تمهيد :

ظل الحجاز طوال القرون الماضية يعتمد اعتمادا كبيرا علي ما كانت ترسله مصر كل عام من مخصصات وخيرات عامة للحرمين الشريفين وللأشراف وللقبائل العربية وكان يطلق على هذه المخصصات أموال الحرمين الشريفين والصرة الشريفة (١) ، ولكل من الأموال والصرة موارد ومصارف

---

(١) كان عمرو بن العاص رضي الله عنه أول من أرسل الغلال المصرية فى العصر الاسلامي إلى الحجاز عندما أعاد عمرو بن العاص فتح قناة تراجان باسم خليج أمير المؤمنين سنة ٢١ هـ / ٦٤٢م لكي يمر عن طريقها عشرون سفينة محملة بالغلال من ميناء بابليون النهرى إلي القلزم ومنه إلى ميناء الجار بالحجاز . ويعد المقتدر العباسى أول من أرسل صرة النقود إلى الحرمين الشريفين (٢٩٥-٣٢٠هـ) ، ومن سلاطين ابن عثمان محمد خان ٨١٦ - ٨٢٤ هـ) ثم من بعده ، وكانت تسمى أيضا الصدقة الرومية ، وزاد عليهم السلطان سليم خان (٩١٨-٩٢٦هـ بعد أن قرر لجماعة من المجاورين بالحرمين مائة دينار لكل شخص تدفع إليهم من خزانة مصر ، وسمي هذا (مال الذخيرة) كما كان السلطان سليم أول من رتب (صدقة الحب) لأهل الحرمين حيث أرسل من السويس مجموعة من السفن تحمل سبعة آلاف أردب من القمح خص منها مكة خمس، وخص المدينة المنورة منها باثنتين .

أنظر : تقي الدين أبو العباس أحمد بن على المقريزى - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - جـ ١ - ط القاهرة ١٢٧٠ هـ - ص ٧١ .

وابراهيم رفعت - مرة الحرمين - جـ ٢ - ص ٣٠٩ .

ومحمود نعناعة - اسرائيل والبحر الأحمر - دار مكتبة الفكر - طرابلس ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣ م - ص ١٤.

وحسين عبدالله أبو ركبه - مقال بعنوان : جدة العاصمةالتجارية - مجلة أقرأ - عدد خاص بعنوان جدة في مطلع القرن الخامس عشر الهجري - ١٠ من جمادي الثانية سنة ١٤٠١هـ/ ١٤ من أبريل سنة ١٩٨١ م - ص ١٠ .

خاصة (١) .

وفي عهد محمد علي تحملت مصر تبعات حكمها لشبه الجزيرة العربية مشمولا بالسيادة العثمانية .

وقد شملت هذه التبعات الشئون الادارية والاقتصادية والدينية وغيرها وظل هذا النظام إلي أن أرغم محمد علي على سحب قواته وموظفيه من شبه الجزيرة العربية ومنها الحجاز تنفيذا لاتفاق لندن سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠ م .

وهذا لم يكن معناه قطع الصلة بين مصر والحجاز تماما فلقد ظلت بعض الصلات قائمة بين القطرين تعتمد على روافدها الحية وهي : الدين والادارة والمجتمعات .

وكان من أبرز هذه الصلات المخصصات المصرية للحجاز التى قامت مصر بأدائها إلى الحجاز فى صور شتى وبسخاء إسلامى أخوى كسخاء نهر النيل .

المخصصات المصرية العامة للحجاز

كانت هذه المخصصات تشتمل علي أنواع كثيرة عينية ونقدية ، وكانت إنفاقاتها معرفة ببنود متميزة ، وعلى الرغم من خروج القوات المصرية من الحجاز ، وسائر أقطار شبه الجزيرة العربية فإنها ظلت ترسل المخصصات والتعينات الخاصة بجنود الدولة العثمانية المكلفين بالمحافظة على الأقطار الحجازية كل عام ، بالاضافة إلى الحبوب والغلال المرتبةللأشراف وشيوخ العربان والحج والتى كانت ترسل إليهم كل عام من المحاصيل المصرية (٢) .

فلقد بقي فى الحجاز بعد خروج جيش محمد على منه حامية عثمانية تتكون من الجنود

---

(١) حسين أفندى الروزنامة - ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية - ص ص ٢ ، ٥ مخطوط بدار الكتب بالقاهرة - رقم ٨٨٧٣ .

(٢) د / شوقى الجمل - سياسة مصر فى البحر الأحمر - ص ص ٣١١ ، ٣١٢ .

النظاميين ، والطوبجية (١) السلطانية ، وعساكر الفرسان ، والمشاة المرتزقة .

وكانت الحامية تتولى أمر المحافظة على الأقطار الحجازية ، وقد تحملت مصر على عاتقها واجبات ترتيب وإعداد تعيينات ولوازم هذه الحامية نظرا لبعد المسافة بين الحجاز والعاصمة العثمانية ، هذا بالاضافة إلى الحبوب والغلال المرتبة للحج والأشراف وشيوخ العربان كما ذكرنا وكلها كانت ترسل بموجب أمر سلطانى ، ثم يتم بعد وصولها إلى الحجاز اتصال من الجهات الإدارية فى الحجاز بوزارة المالية العثمانية لإثبات وصول هذه المخصصات وبيان مقاديرها كواردات وبيان كيفية توزيعها كمنصرفات .

وبعد أن تتم إدارة الحجاز تسجيل هذه البيانات فى كشوف خاصة كانت ترسل إلى الأستانه ليتم خصم هذه الأموال من قيمة الويركو المصرى (٢) السنوى المقرر سداده للدولة العثمانية .

جاء فى فرمان سنة ١٢٥٦ هـ/ ١٣ من فبراير سن ١٨٤١ م أنه : " يرسل ربع إيرادات الحكومة المصرية الحاصل من دخل الجمارك والخراج والضرائب إلى خزانة الباب العالى ، ويخصص الثلاثة الأرباع الأخرى لشئون مصر كنفقات الجباية والادارة العسكرية والمدنية ، وحاجات الحكومة ، والغلال التى ترسل سنويا الى مكة والمدينة ...."(٣) .

وقد تغير هذا الويركو عدة مرات خلال القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى نلمس هذا فى فرمان سنة ١٢٥٧هـ/ يونيو ١٨٤١م والذي تضمن تعديل الويركو السنوى ليصبح ثمانين ألف كيس أى ما يوازى أربعين ألف جنيه مصرى (٤) .

وقد ارتفع مقدار هذا الويركو السنوي فأصبح مائة وخمسين ألف كيس فى مقابل صدور فرمان

---

(١) المدفعيون ، وكلمة طوبجى جاءت من التركية طوب أى المدفع ، وجى هى أداة النسب التركية الى الصنعة. أنظر : دار الوثائق القومية قسم الارشاد . ود / أحمد السعيد - تأصيل ما ورد فى الجبرتى من الدخيل - ص ١٤٣ .

(٢) الأموال المقررة على مصر للدوله العثمانية .

(٣) عبدالرحمن الرافعى - عصر محمد على - ص ٢٦٤ .

(٤) المصدر السابق - ص ٢٦٧ .

تغيير نظام وراثة الحكم في مصر في ١٢ من المحرم ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م (١) .

وفي بعض السنوات كانت الأموال المخصصة لولاية جدة (الحجاز) يتأخر وصولها فتتأثر خزانة جدة بهذا التأخير مما يضطر الحكومة الحجازية إلى الاقتراض من التجار الموثرين في مدينة جدة على أن يقوم وكلاؤهم في القاهرة بصرفها من الخزانة المصرية مثال ذلك :

ما حدث في التاسع من رجب سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦ م حينما بعث الشريف محمد بن رائف إلى محمد على باشا رسلة يخبره فيها بعدم وجود مبالغ نقدية في خزانة جدة مما اضطر الشريف إلى اقتراض ألف ريال من التاجر سعيد بندقجي ، وقد طلب الشريف محمد تسديد هذا المبلغ إلى وكيل التاجر المذكور بالقاهرة على أن يتم خصم الألف ريال من مرتبات سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥ م بالحجاز (٢)

كما بعث الشريف محمد رائف الى محمد على برسالة أخري في صفر سنة ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م أخبره فيها بأنه اضطر أيضا إلى اقتراض ستة الاف ريال من الحاج /يونس كازيط التاجر بجدة وأنه يرجو محمد على باشا أن يسدد هذا المبلغ لوكيل التاجر يونس كازيط في القاهرة على أن يخصم هذا المبلغ كذلك من مرتبات سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥ م الخاصة بالحجاز (٣) .

كما كانت **العادة المتبعه أن يتم تخصيص الغلال** المرسلة من مصر إلى الحجاز **من أنقى الأنواع المصرية** ، ثم يتم شحنها في مواعيد منتظمة من ميناء القصير (المصرى) إلى مخازن ميناء جدة ، وميناء رابغ (٤) ، وميناء ينبع البحر .

---

(١) د/ شوقي الجمل - سياسة مصر - ص ٣١٣ .

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٨٨ - المحفظة ١٨ بحرير - من شريف رائف إلى الجناب العالى- ٩ من رجب سنة ١٢٦٢ هـ .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٣ - المحفظة ١٢ بحرير - من رائف محمد شريف الى ....(٩من صفر سنة ١٢٦٣هـ) .

(٤) رابغ إحدى إمارات الحجاز التابعة للمدينة المنورة وتقع على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر في شمال مدينة جدة ، ويمتاز ثغر رابغ بالخصائص الطبيعية التى تلزم للمرفأ بصفة عامة فغوره عميق وشعابه قليلة =

وقد تضمن كشف الأرزاق المرسلة الى الحجاز فى سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٤ م ما هو خاصّ بميناء جدة ، وما هو خاص بميناء رابغ ، وما هو خاص بميناء ينبع البحر .

فأما ما هو خاص بميناء جدة : فقد بلغت مقادير الأرزاق المرسلة إليه هذا العام ستة عشر ألف أردب من الحنطة وثلاثين ألف أردب من الشعير ، وثمانية آلاف أردب من الفول ، وألف أردب من البقسماط (١) ، وعلى ذلك يكون مجموعها خمسة وخمسين أردبا من الغلال والبقسماط حملتها البواخر المصرية من ميناء القصير إلى جدة ، وتم نقلها بعد ذلك إلى مكة المكرمة .

وأما ما هو خاص بميناء رابغ فقد بلغت الأرزاق التى حملتها البواخر المصرية إليه فى هذا العام أربعة آلاف أردب من صنف الحنطة ، وخمسة عشر ألف أردب من الشعير ، وخمسة آلاف أردب من البقسماط ، فيكون مجموعها أربعة وعشرين ألفا وخمسمائة أردب من الغلال والبقسماط .

وأما ما هو خاص بميناء - ينبع البحر فقد بلغت الأرزاق المرسلة إليه فى هذا العام على البواخر المصرية خمسة الاف أردب من الحنطة ، وخمسة آلاف أردب من الشعير ، وألفى أردب من

= يمكن تفاديها ، ويوجد بمدينة رابغ مزارع نخيل واسعة ، ويزرع بأرضها البطيخ ، ونبات (دم الأخوين) الذى يجعلونه للتداوى من بعض الأمراض ، أما المياه فيستخرج بعضها عن طريق حفر الآبار لمسافة قليلة ، والبعض الآخر من الآبار الدائمة ويوجد بالمدينة خزانات للمياه ، وكان بمدينة رابغ مركزا لتجميع الذخائر والمؤن التى تلزم للمحامل حين المرور بها ، وفى سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م كانت رابغ تحتوى على ١١٦ منزلا ، وخمسة مساجد ، وعشرة صهريج ، كان بها فى هذا العام رئيس مائة ، ومائة جندى عثمانى ، وملازم ، وطبيب ، وبعض الذخائر والمؤن .

أنظر : عمر رضا كحالة - جغرافية شبه الجزيرة العربية - ص ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(١) البقسماط : لفظة يونانية وتركية وفارسية ، وفى الأخيرة بقسمات وتعنى الخبز الجاف الذي يحمله المسافر ليتزود به .

أنظر : د/ أحمد السعيد تأصيل ما ورد في الجبرتى - ص ٤٢ .

الفول ، وخمسمائة أردب من البقسماط (١) فيكون مجموعها اثنى عشر ألف وخمسمائة أردب من الغلال والبقسماط .

ومما يجدر ذكره أن الميناثين الأخيرين ، رابغ ، وينبع البحر كانا ميناثى المدينة المنورة ، وكانت الغلال والبقسماط التى تودع بمخازنهما تخص المدينة المنورة .

وبذلك يكون مجموع ما أرسلته مصر من الغلال والبقسماط الى الحجاز فى سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٤ م اثنين وتسعين ألف أردب .

وبمقارنة ما أرسلته مصر إلى الحجاز من الغلال فى هذا العام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٤ بما أرسلته مصر بعد ذلك الى الحجاز من الغلال فى سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨ م نجد أن هناك فرقا كبيرا بين الكميتين المرسلتين تمثل فى هذا التدنى الحاد الذى ظهر فى الكميات التى أرسلت فى سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨ .

ذلك أن مجموع ما أرسلته مصر فى سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨ م لم يتجاوز عشرين ألف أردب ومائتين وخمسة وثلاثين أردبا (٢) ، أى بنقص حاد بلغ مقداره واحدا وسبعين ألفا وسبعمائة وخمسة وستين أردبا ، وهو نقص كبير لا نستطيع أن نعزيه إلا أنه أثروا ضح من آثار الاحتلال البريطانى على مصر .

فلقد تعمدت السلطات البريطانية في مصر تقليل غلال الحجاز ومرتباته وإبقائها عند أدنى المقادير التى أرسلت فى الماضى .

فلقد كانت الحالات فى مصر نفسها لا تخلو من الأزمات والصعوبات التى كانت تمر بها البلاد فضلا عن انخفاض منسوب النيل فكان هذا يؤدى الى تخفيض مقادير الغلال التى سترسل إلى الحجاز ، وكان الباب العالى يضطر إلى الموافقة على تخفيض الغلال .

ففى سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م صدرت أوامر الخديوى إلى نظارة المالية المصرية مشمولة

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٩٨ - المحفظة ١٨ بحرير من والى إيالة جدة الشريف محمد رائف إلى الجناب العالى (محمد على باشا) من محرم سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧ م .

(٢) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ٢ - ص ٣١١ .

بموافقة الصدر الأعظم على تخفيض مقدار الغلال التى سترسل إلى الحجاز لتصبح ٢٠٩٥٦ أردبا اشتملت على ٥٢٦٧ أردبا من الحنطة و ١٣٢٤٧ أردبا من الشعير و ٢٤٤٢ أردبا من الفول على أن ترسل تلك الكمية إلى الحجاز فورا دون تأخير (١) .

ومن الواضح أن هذه الكميات يبدو فيها التدرج إلى مستوى خطير من التدنى والنقص اذا ما قورنت بالكميات التى أرسلت فى سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٤ م .

فمجموع تلك الكميات التى أرسلت فى سنة ١٢٧٩هـ/ هو ٢٠٩٥٦ أردبا بينما كان مجموع الكميات التى أرسلت فى سنة ١٢٦٤هـ/ هو ٩٢٠٠٠ أردب أى أن مجموع النقص الذى حدث فى سنة ١٢٧٩هـ هو ٧١٠٤٤ أردبا مع ملاحظة أن الكميات التى أرسلت في سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م تكاد تساوى الكميات التى ترسل إلى الحجاز إبان الاحتلال البريطانى لمصر كتلك الكميات التى أرسلت فى سنة ١٣٢٦٦هـ/ ١٩٠٨ م والتى بلغت ٢٠٢٣٥ أردبا .

ومما تجدر الاشارة اليه هو أن كمية الغلال والحبوب التى كانت ترسلها مصر إلى الحجاز سنويا لم تكن ثابتة عند مقدار معين ، كما لم يكن إرسالها محددا بيوم معين فأحيانا كان إرسال هذه الحبوب يتأخر بسبب انخفاض النيل الذي كان يتسبب فى انخفاظ إنتاج الأراضى الزراعية فتشح الأقوات فى مصر وترتفع أثمانها (٢) .

وهذا يؤدى بالضرورة الى ظهور صعوبات جمة فى جميع الكميات المطلوبة للحجاز ويؤدى بالتالى إلى تأخر إرسالها ، كما يؤدى إلى انخفاض مقاديرها .

بيد أن هذا كان يدفع ولاة مصر إلى إضافة مقادير أخري من الغلال إلى الكميات المقررة فى الأعوام التالية ، فكانوا يزيدونها وبخاصة عند ظهور القحط أو الغلاء فى الأراضى الحجازية مثلما حدث فى سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م عندما اشتدت المجاعة فى الأقطار الحجازية بسبب قلة الغلال ، قلة الحبوب التى وردت إلى التجار من اليمن ، فتضرر من ذلك أهالى مكة تضررا بالغا ، وعلى الفور أصدر الخديوى اسماعيل أمره فى ربيع الثانى سنة ١٢٨٢هـ . مارس سنة

---

(١) دار الوثائق القومية - ملخص ترجمة الأمر التركى رقم ٦٣ - صفحة ٣٢ - القسم الثانى الدفتر ٥٢٥ معية تركى - من الجناب العالى إلى أحمد رشيد بك ناظر المالية (٥ من شعبان سنة ١٢٧٩هـ) .

(٢) د / مصطفى رمضان - وثائق مخصصات الحرمين - ص ١٤ .

١٨٧٥ م بارسال ألف أردب من القمح ، وألفى أردب من الشعير على وجه السرعة إلى جدة ، وقد تم شحن هذه الغلال على متن الباخرة (دسوق) مع مأمور خاص لتوزيعها على المحتاجين في الأراضى الحجازية مجانا (١) .

وقد بلغت تكاليف أثمان هذه الحبوب ومصاريف نقلها ٤٣٦١٠٥ قرشا وكسور وصدرت الأوامر بخصم هذه من أبعادية مصلحة الأشوان الملكية (٢) .

ولا شك في أن هذا الموقف من المواقف المجيدة فى تاريخ مصر وتاريخ واليها الخديو اسماعيل وهو موقف لا يمكن تجاهله أو الاقلال من قدره المعنوى .

ومما لا ريب فيه أن تدنى كميات الغلال المرسلة من مصر إلى الحجاز لا يمكن أن يكون بمعزل عن التأثر بديون مصر التى حدثت فى عصر اسماعيل ، بالاضافة الى انخفاض منسوب النيل .

وقد كان كل هذا تمهيدا لتحويل الالتزام بإسال الغلال المخصصة للحجاز من ولاية مصر إلى باشوية بغداد ، فلما اكتملت أسباب هذا التحويل لدى الباب العالى وافق فى سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م على تحويل الالتزام بإرسال الغلال المخصصة للحجاز من مصر إلى بغداد حيث صدرت الأوامر من الأستانة بتكليف بغداد بإرسال تلك المخصصات من الغلال إلى الحجاز ابتداءا من هذا العام .

ومع ذلك فان هذا لم يعف مصر من إرسال بعض الأرزاق إلى الحجاز اذ أن تحويل هذه الالتزام إلى بغداد لم يؤد إلى كفاية حاجات الحجازيين من الغذاء ، فأخذ الأهالى والأعيان يرسلون بشكاواهم المتتالية إلى مصر مما يشير بجلاء إلى اشتداد الأزمة فى الحجاز ، فلم يسع الخديوى إسماعيل إزاء تلك الاستغاثات العديدة إلا أن يأمر بإرسال كمية من الأرزاق إلى إهالى الحجاز للتخفيف من وطأة الأزمة عليهم (٣) .

---

(١) الوقائع المصرية - العدد ٦٠٦ ١١ من ربيع الثانى سنة ١٢٨٢هـ / ١٦ من مارس سنة ١٨٨٥م .

(٢) أمين سامى - تقويم النيل - م ٣ - جـ٣- ص ١٣٢١ .

(٣) دار الوثائق القومية - مكاتبة رقم ١٣٧ - دفتر عابدين - صادر الى كامل بك القبو كتخذا -(غاية ربيع الأول سنة ١٢٨٠ هـ) .

وانظر : د / شوقى الجمل - سياسة مصر في البحر الأحمر ص ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

وهذا يشير إلى أن التزام باشوية بغداد بإرسال الغلال المخصصة إلى الحجاز لم يؤد الى توقف مصر عن إرسال المخصصات السنوية التى كانت ترسلها إلى أهالى الحرمين الشريفين كما أنه يدل دلالة قاطعة على باشوية بغداد كانت ترسل غلالا أقل من المقادير المطلوبة بكثير أى أنها لم تنفذ التزامها ولو بالقدر الذي يجنب الحجاز المجاعه والتهلكة .

ولقد ظلت مصر تتحمل الأعباء الملقاة على عاتقها حتي بعد التزام بغداد بهذه الواجبات فى سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م .

كما ظلت مصر ترسل الأموال والمخصصات كعادتها إلى التكية المصرية فى المدينة المنورة ، بيد أن الأهالى هناك استولوا على تلك المخصصات بالقوة وتخطفوها بدون نظام ، وهذا ، أغضب الخديوى فأرسل الى الباب العالى يشكو إليه ما حدث ويطلب صدور الأوامر إلى والى جدة ومشيخة الحرم النبوى الشريف لمنع الأهالى من ذلك وإرغامهم على اتباع النظام المتبع كل عام (١) .

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على اشتداد الأزمة الطاحنة وصعوبة الحصول على المؤن من الأسواق الحجازية مما دفع الأهالى إلى مهاجمة التكية المصرية للحصول على أنصبتهم من تلك المخصصات .

وعلى الرغم من أن الأهالي ما هاجموا التكية إلا بدافع من ضروراتهم القاتلة فإن أسلوبهم هذا فتح الباب على مصراعيه للمستغلين واللصوص ، وحرم معظم الضعفاء والمرض من أنصبتهم، ولم يستمر هذا الأمر طويلا فقد تدفقت المكاتبات العثمانية من الأستانة ومن الحجاز على مصر فى سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م تقضى بضرورة تحمل مصر أعباءها بإرسال جميع المؤن والتعيينات المخصصة إلى الحجاز بصفة دورية خاصة بعد أن خفت حدة الأزمة الاقتصادية فيها فاستمرت مصر فى إرسال المخصصات كل عام بصفة دورية طبقا للنظام الأصلى المقرر من قديم الزمن ولم تتوقف عن ارسال تلك المخصصات حتى فى سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م التى قرر الباب العالى فيها أن يقوم العراق بإسال هذه المخصصات بدلا من مصر ، ولو توقفت مصر عن إرسال مخصصات الحجاز فى هذا العام لوقع الحجازيون وسائر المناطق التابعة له فى براثن مجاعة مهلكة . فكما أن مصر ظلت تؤدى واجبها الاسلامى نحو الحجاز (طوال تاريخنا السابق) فإن العراق عجز عن أداء هذا الواجب أو جزء منه فى سنة واحدة وتلك مقارنة ينبغى التأمل فيها طويلا ولم تجنح مصر

---

(١) دار الوثائق القومية . إفادة رقم ١٨٤ - دفتر ٣٢١ عابدين - إلى الباب العالى (٦ من جمادى الأولى سنة ١٢٨٠ هـ) .

إلى التخلى عن واجباتها الاسلامية حتى إبان اشتداد أزماتها ، ففى سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦ أرسلت الحكومة المصرية إلى الباب العالى تشكو من الزيادة المطردة فى المؤن المرسلة إلى الحجاز سنة بعد أخرى في الوقت الذى ظل مقدار الخصم فيه من الويركو السنوى كما هو ٢٠,٠٠٠ كيس مع زيادة المصاريف السنوية على المؤن سواء فى ذلك أثمانها أم تكاليف نقلها أم أجور الموظفين مما أدى إلى تراكم مبالغ كبيرة فى ذمة الخزانة السلطانية لحساب الخزانة المصرية بلغت ٥٣٠٠٠ كيس .

هذا في الوقت الذى تدفع فيه مصر فوائد طائلة على ديونها القديمه مما يؤثر على الخزانه المصرية ويصيبها بأضرار فادحة .

ويضاف إلى تلك العقبات ما كان يبديه مندوبو الحجاز - المكلفون باستلام المؤن من تعنت وتعللات كثيرة تؤدى الى نزاع مستمر يقع بينهم وبين مندوبى مصر أثناء تسليم الغلال .

ومن أجل ذلك طلبت الادارة المصرية حسم هذا الأمر واقترحت بأن تكتفى مصر بإرسال ما كانت ترسله من قبل وهو غلال الجراية والصدقة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة أما باقى المؤن والتعيينات الأخرى فترسلها باشوية بغداد على أن تقوم مصر بسداد مبلغ ٢٠,٠٠٠ كيس للخزانة السلطانية أو جدة نقدا (١) بيد أن هذا الاقتراح لم يدخل فى طور التنفيذ وظل مجرد فكرة .

وفى سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦ م عندما جهزت الدولة العثمانية أول ميزانية لولاية الحجاز منذ سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م ظهرت مقترحات تقضى بأن يتم استيراد الثلثين من المرتبات العينية (الغلال) المخصصة لجدة من البصرة (ولاية بغداد) والثلث الباقى يتم استيراده من مصر باستثناء الفول الذى يجب أن يتم استيراده كاملا من مصر ، أما مرتبات المدينة المنورة فإنه يجب استيرادها من مصر كاملة عن طريق ميناء ينبع نظرا لبعد المسافة على البواخر القادمة من البصرة (٢) وهذه العلة ليس لها قدمان تقف عليهما إذ لا فرق بين جدة والينبع بالنسبة لسفينة قادمة من الخليج فهى ظاهرية تخفى وراءها سببا حقيقيا ودى تحميل مصر بالقدر الأعظم من مخصصات الحجاز .

ويذكر الدكتور الجمل (٣) : أنه قد أحيل أمر المؤن والتعيينات - للمرة الثانية إلى

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٧٢ - سجل رقم ٢٤ عابدين - الى الباب العالى - (١٥ من ربيع الثانى سنة ١٢٨٣ هـ) .

(٢) د/ محمد عبدالله آل زلفة - ميزانية ولايتى الحجاز واليمن - ص ٣٥٥ .

(٣) الوثائق التاريخية - ص ٤٢٤ .

باشوية بغداد إلا أنها لم تستمر فى ارسال ما يحتاجه الحجاز من مؤن فى حينه فأعيد مرة أخري لمصر وهكذا فشلت محاولة الباب العالى تحميل العراق بعض مخصصات الحجاز للمرة الثانية وبقى الأمر على ما هو عليه وظلت مصر هى المعطاءة لما وهبها الله من الخير والفضل والبر والاحسان .

ولم تقف مسئوليات مصر عند هذا البر والاحسان فقد كانت الحكومة المصرية تتكفل كذلك بمسئوليات أخري خاصة بالحجاز نذكر منها على سبيل المثال : ما حدث فى سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧١م عندما أرسلت الدولة العثمانية فرقة عسكرية إلى الحجاز واليمن لاخماد ثورات العسيريين فقد طلب الباب العالى من مصر إرسال ما مقداره خمسمائة وخمسة وسبعون ألف أقة من المؤن منها خمسمائة ألف أقة من الأرز وخمسين ألف أقة من السمن ، وخمسة وعشرين ألف أقة من السكر ، فأصدر الخديوى اسماعيل أوامر مشددة للمختصين بتجهيزه وتجميع تلك الكميات المذكورة وإرسالها بحيث يستقبل نصفها ميناء الحديدة أما النصف الآخر فيرسل إلى المكان الذى يحدده (رديف باشا) قائد الحامية العثمانية هناك ، على أن تقوم مصر بتثمين هذه الأشياء ومصاريفها وترسل كشفا بها إلي الأستانة لادخاله فى الحسابات المتداولة بين مصر والدولة العثمانية ولم يقتصر الخديوى إسماعيل على المسارعة بتلبية ما طلبته الدولة وإنما عرض عليها استعداده لتلبية أى طلبات تريدها السلطنة العثمانية (١) .

المخصصات المصرية للحرمين الشريفين :

كانت مصر تتكفل بالاضافة إلى تلك المخصصات العامة للحجاز السالف ذكرها بإرسال الحصر والشموع والسكر المرتبة لحفلة الاسراء والمعراج حيث كان يقام احتفال كل عام فى ليلة الأسراء والمعراج ، فعلى سبيل المثال نجد أن مدير الحرم النبوى أرسل إلى محافظ المدينة المنورة فى سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠م يخبره بأن الحصر المرتب إرسالها من مصر كل سنة لم يبق منها شئ ، وأنه قد حل ميعاد إرسالها هي والزيت والشمع العسلى والقناديل المرتبة للحرم النبوى الشريف وطلب المدير من المحافظ الكتابة إلى ديوان الخديوى ليتم ارسالها .

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ١٢٧٢ المسجل رقم ٢٤ عابدين من الديوان الخديوى الى الباب العالى (١٨ من ذى القعده سنة ١٢٨٧هـ).

فكتب المحافظ على عريضة المدير برسالة إلى معاون الخديوى الذى عرضها بدوره على الخديوى ، فأصدر أوامره باعداد المطلوب من الجهة المختصة ليتم إرساله علي عجل إلي المدينة المنورة (١).

وفى سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م حدث أن وصلت العوائد السنوية المخصصة للحرم المدني ما عدا صندوق الشموع وأقفاص السكر حيث أخبر أمين الصرة أنها غرقت في البحر ولذا فقد أرسل علماء وأعيان مكة إلى والى مصر محمد سعيد باشا يرجونه إرسال غيرها حتى لا يحضر الناس فيجدون الاحتفال دون عادة كل عام فتحدث بلبلة على حد قولهم (٢) .

كما كانت هناك أشياء أخري بسيطة لها قيمتها المعنوية تقوم مصر بإرسالها إلى الحجاز مثل ما حدث عندما ظهر أن بيرق الحرم المكى قد بلي ، ولم يعد صالحا للاستعمال ، فصدرت أوامر الخديوى اسماعيل بصنع غيره وإرساله تبركا بما يهدى إلى الحجاز (٣) .

ولئن كانت قيمة هذا البيرق المادية قليلة بحيث يمكن لأى فرد أو جماعة حجازية إعداده لكن هذا يشير إلى مدى اعتماد الحجاز علي مصر فى عظيم الأمور وصغيرها كما يشير إلي أن مصر ظلت مصدر الرئاستين المعنوية والمادية ، فكان ورود البيرق النبوى الشريف من مصر يضفى عليه من الهيبة والاحترام ما لا يضف عليه وروده من أى مكان آخر .

كما تكفلت مصر كذلك بصرف رواتب الكثيرين من القادة والموظفين الحجازيين وعلى رأسهم شريف مكة .

فقد جاء فى وثائق سنة ١٢٧٩ هـ /١٨٦٢م ما يشير إلى أنه قد صدرت أوامر الآستانة بتحويل راتب الشريف عبدالله بن الشريف عبدالمطلب - بن غالب - البالغ ستة الاف قرش فى

---

(١) دار الوثائق القومية - ملخص الوثيقة التركية رقم ٨٣ حمراء - المحفظة ٢٦٩ - عابدين - من محمد شريف رائف مدير الحرم النبوى إلي محرم محافظ المدينة المنورة (١٧ من جمادى الأولى سنة ١٢٥٦هـ .

(٢) دار الوثائق القومية الوثيقة رقم ١٢٧ - المحفظة ١٨ بحرير - من بعض علماء وأعيان مكة الى الجناب العالى (٢٠ من المحرم سنة ١٢٧٣هـ) .

(٣) الوقائع المصرية - العدد ٧٠٥ - (غرة ربيع ثانى سنة ١٢٩٤هـ / ١٥ من أبريل سنة ١٨٧٧ م).

الشهر ليصرف من الخزانة المصرية من مخصصات الحرمين الشريفين ومن أجل ذلك أصدر خديوى مصر تعليماته إلى ناظر المالية أحمد رشيد بصرف راتب الشريف عبدالله السالف ذكره كل شهر من خزانة مصر على أن يسلم الراتب اليه بعد أن يوقع على سند يفيد استلامه (١) وهناك مرتبات أخري كانت تتولي مصر دفعها إلي موظفى الحرمين الشريفين منها مرتب مفتى الحرم المكى السيد حسين الكتبى البالغ مائتين وخمسين قرشا ولما توفى السيد حسين تم تحويل مرتبه الى السيد محمد الكتبى (٢) مفتى مكة الجديدة .

وقد خصصت الحكومة المصرية لورثة المفتى المتوفي ستة وعشرين جنيها وستين مليما سنويا (٣).

ومنها : راتب المؤذن بالحرم المكى الذى بلغ فى سنة ١٢٧٩هـ /١٨٦٢م مائتين وخمسين قرشا بعد أن كان قبل هذا التاريخ مائة وخمسين قرشا .

هذا بالاضافة إلى ما كان ينعم به الخديوى من مرتبات على المجاورين الذين أثروا البقاء بجوار الحرمين الشريفين ليحيوا حياة النسك والطهارة ولينعموا ببركات هذه البقاع وليتعلموا العلم.

وأحيانا كان بعض من لا رواتب لهم من هؤلاء المجاورين يرسلون إلى خديوى مصر باحتياجهم الى مرتبات تقيم أودهم نظرا لانقطاعهم للعبادة أو للتدريس أو لتلقي العلم في الحرمين وبعض هؤلاء أقعدهم الكبر أو المرض عن مزاولة أى عمل يكسبون به رزقهم ورزق من

---

(١) دار الوثائق القومية - ملخص الأمر التركي - رقم ٦٥ - صفحه ١٢ القسم الثانى الدفتر ٥٢٥ معية تركي - من الجانب العالي إلى ناظر المالية أحمد رشيد فى ٦ من شعبان سنة ١٢٧٩هـ .

(٢) دار الوثائق القومية - ملخص الأمر التركى رقم ٦٤ - صفحة ٣٢ - قسم ثان دفتر ٥٢٥ معية تركى - من الجناب العالى إلى ناظر المالية أحمد رشيد (٥ من شعبان سنة ١٢٧٩) .

(٣) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ٢ - ص ٣٤٧ .

ويبدو أنه كان لبعض أفراد أسرة الكتبى مرتبات أخرى غير هذه إذ أنه بالاطلاع على مخصصات سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م نجد بعضا من أسرة الكتبى قد قيد لهم مخصصات ومثال ذلك تخصيص خمسين قرشا شهريا لمحمد طاهر الكتبي .

يعولونهم فكان الخديوى يصدر أوامره على الفور إلى نظارة المالية المصرية لتخصيص رواتب شهرية لهم ومن أمثلة ذلك : تلك الرسالة التى بعث بها أحد المجاورين بمكة ويدعي سرورفي ٢٣ من المحرم سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م إلى الخديوى والتى ذكر فيها أنه رجل عاجز وفقير وعليه دين لذا فهو يلتمس من الخديوى تخصيص مقدار ما يكفيه من راتب أو تعيين أو صدقة ليتمكن من الانفاق على من يعول (١) .

كما أرسل آخر ويدعى فاتح برسالة الى الخديوي فى ٣ من المحرم سنة ١٢٥٦ه/١٨٤٠م يخبره فيها برغبته فى التوجه من مصر إلى مكة المكرمة ليقيم فيها فترة عام أو يبقى مجاورا بمكة طوال حياته كما يتمنى ، ويأمل من الخديوى الموافقة على ذلك الأمر الصادر باقامة تلك المقارئ يقتضى قيام المعينين فى هذه المقارئ بقراءة بعض السور عدة مرات فى أوقات مختلفةيوميا وتفويض السيد / محمد المنتظر للنظر فى شئون المعينين لقراءة القرآن من حيث تنصيبهم وعزلهم وتعيين بدل من يتوفى منهم فيكون النظر فى هذا الموضوع بكامله لهذا الوكيل وحده (٢).

ومن هؤلاء أيضا الخديوى اسماعيل الذى أرسل أمره الكريم إلى نظارة المالية فى الخامس من جمادي الأخره سنة ١٢٨٧هـ وقد جاء فيه أنه :

" قد اقتضت ارادتنا ترتيب ألف قرش شهرى الى الشيخ منتظر من المجاورين بجهة الحجاز إحسانا من لدنا وفى كل سنة يرسل له استحقاقه مع الصرة ولهذا لزم اصداره لكم لتجروا مقتضاه اعتبارا من تاريخه حسبما تعلقت به ارادتنا " (٣) .

وعندما توفى الشيخ منتظر - المذكور - صدر أمر الخديوى إسماعيل فى جمادى الأولى سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦ م بتخصيص كمية من الغلال قدرها ثلاثة أرادب حنطة شهريا إحسانا إلى السيد

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٥٩ حمراء من مكة - المحفظة رقم ٢٦٦ - عابدين ، عريضة للجناب العالى الخديوي من المدعو سرور والمقيم بمكة (٢٣ من المحرم سنة ١٢٥٥هـ).

(٢) رفعت - مرآة الحرمين - جـ ٢ ملحق رقم ٣٤٠ (وقفية لقراءة قرآن وبخارى بالمسجد النبوى) .

(٣) أمين سامى - تقويم النيل - م ٢ - ج ٣ - ص ٨٠ (دفتر ١٩٣٠ عربي - صفحة ١٨٩ - أمر كريم صادر للمالية بتاريخ ٥ من جمادى سنة ١٢٨٧هـ .

محمد خير الدين لحل المتوفى الشيخ منتظر بالمدينة المنورة ولأسرته ، وأن يتم أرسال الحنطة المذكورة مع الحنطة الجاري إرسالها صدقة لأهالي الحجاز (١) .

ولم يقف مرتب السيد محمد خير الدين عند هذا القدر وانما ترقى فى الأعوام التالية إلى أن بلغ فى سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م أى بعد ثلاثة وثلاثين عاما من فرضه ستة وثلاثين أردبا من القمح(٢) .

والراجح عندى أنه في خلال هذه السنوات المديدة ، ومع كثرة الأولاد طلب محمد خير الدين زيادة له ولأولاده من القمح فزيد له وان من يطلع على وثائق تلك الفترة يجد كثيرا من التماسات المجاورين للحرمين الشريفين يطلبون فيها زيادة معاشاتهم بسبب الحاة وكثرة العيال وغير ذلك .

تكيتا مكة والمدينة المصريتان وخيراتهما :

أولا : (تكية مكة المكرمة)

أنشأ هذه التكية محمد على باشا فى سنة ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٢م وتقع بشارع جياد فى المكان الذى كانت فيه دار السعادة (التى كانت مقرا لحكومة بنى زيد من الأشراف) .

وقد خصص محمد على باشا هذه التكية لخدمة فقراء الحرم المكى من جميع الجنسيات والشعوب المختلفة الذين أعوزتهم الحاجة ولا يجدون مأوى يأوون إليه ولا يجدون طعاما يقيمون به أودهم .

وكان كثيرا من نساء مكة وجواريها الفقراء يتعيشن بما يحصلن عليه من هذه التكية اكتفاء به عن مسألة الناس ، هذا بالاضافة إلى بعض المجاورين ، والفقراء من السودانيين (التكارنة) ، والمغاربة وغيرهم .

---

(١) المصدر السابق م ٣ ج ٣ - ص ١٣٥٧ ، (دفتر عربى بدون رقم - صفحة ١٥٠ - أمر كريم للمالية - بتاريخ ١٨ جماد أول سنة ١٢٩٣هـ) .

(٢) ابراهيم رفعت باشا - مرآة الحرمين - ج ٢ - ص ٣١١ .

ويتولى تشغيل التكية والقيام على خدمة الفقراء بها مجموعة من الموظفين والعمال على رأسهم الناظر والمعاون ، وبعض الكتاب ، وكان هؤلاء الموظفون والعمال ، يتم تعيينهم من قبل مصر ، وبإشراف مصرى كامل ، فكانت مرتباتهم وما يلزم لهم يأتيهم من مصر .

إلا أن وجهاء مكة والمدينة كانوا يبدون رأيهم فى هؤلاء الموظفين ، وإذا قصروا فى أداء واجباتهم يرسل هؤلاء الوجهاء برأيهم إلى والى مصر لتغييرهم (١) .

وكان لهذه التكية طاحونة يقوم بإداراتها أربعة بغال بالتناوب لطحن القمح وبها مطبخ واسع يشتمل على ثمانية مواضع فى آنية من الحجم الكبير (قذان) ، كما كان يوجد بها مخبز لصناعة الخبز ، ومخزن ، وغرف للموظفين وبها أيضا دورات مياه ، وصنابير للمياه النقية ، وبركة ماء صناعية (فسقية) وحولها مكان مفروش للجلوس عليه والتمتع بالنظر إلى ماء البركة الصناعى ، وكان أمير الحج وأمين الصرة لصرف المخصصات وأتباعهم يجلسون حولها وفى فترة الحج كان يسكن التكية بعض مرافقى المحمل كالطبيب ، والصيدلى ، وكاتب القسم العسكرى وغيرهم (٢) .

وكان يصرف يوميا من المخصصات المصرية لإطعام فقراء هذه التكية ما يقرب من أربعمائة أقة من الخبز ، وهو حاصل خبز ثلاثة أرادب من القمح ، ويصرف كذلك لهذا الهدف مائة وخمسون أقة من الأرز هذا فى جميع أيام الأسبوع عدا الخميس الذى كانت حصته من الخبز والطعام يزاد عليها مائة أقة من اللحم وحصته من الأرز يزاد عليها مائتان وسبعون أقة من الأرز لترتقى من مائة وخمسين أقة إلى أربعمائة وعشرين أقة .

أما شهر رمضان فقد كانت أيامه كلها على غرار أيام الخميس فيصرف للتكية فى كل يوم منها مايصرف لها فى أيام الخميس من خبز وطعام وأرز ولحم ويزاد عليها بعد ذلك فى كل يوم خمسون أقة من الحمص .

هذا بالاضافة إلى ما يصرف فى عموم أيام السنة من السمن الذى يكفى لطبخ تلك

---

(١) الوقائع المصرية - العدد ٨١٠ - (٢٠ من جمادى الأولى سنة ١٢٩٦هـ) .

(٢) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

المقادير وكان عدد الأشخاص المستفيدين يوميا من التكية المصرية فى مكة - فى الأيام العادية -أكثر من أربعمائة شخص ، ويزداد هذا العدد فى شهر رمضان وما يليه حتى آخر ذى الحجة ليصل إلى أربعة الاف شخص فى اليوم الواحد (١) .

ثانيا : تكية المدينة المنورة :

بناها إبراهيم باشا بن محمد على باشا فى عهد أبيه فى منطقة المناخة على يسار الداخل من باب العنبرية ، ويبلغ طولها تسعة وثمانين مترا ، وعرضها خمسين مترا وقد ذودت هذه التكية بالمخازن والأفران والمطابخ ، وكان يأتيها رزقها رغدا من القمح والأرز واللحم وغير ذلك من ديوان الأوقاف بمصر ، وكذلك كانت تأتى مرتبات الناظر والموظفين الذين يعينون من قبل الحكومة المصرية وكانت هذه التكية تفتح أبوابها يوميا للفقراء بدون استثناء (٢) .

وقد حظيت تكية المدينة المنورة بالعناية التى خصها بها والى مصر محمد سعيد باشا إذ أصدر أمره فى شهر شعبان سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م بزيادة مرتباتها من اللحم والأرز والغلال وغير ذلك وزيادة مرتبات بعض موظفيها على أن يرسل جزء من هذه الزيادات إلى هذه التكية نقودا للانفاق على مرتبات التكية من الطعام وزيادة رواتب من يستحقون الزيادة من موظفيها ، وقد اشتملت أوامر الوالى المصرى على أن تجمع تلك النقدية من إيراد بعض أملاكه الخاصة وهى الخزان الموجود فى مديرية البحيرة ، أما الغلال فترسل من الأرض التى يملكها (٣) فى

---

(١) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٢) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ٤٢٤ .

(٣) بلغت أملاك محمد سعيد باشا ستا وأربعين ألف فدان وستمائة وخمسة عشر فدانا وبلغت أملاك الأسرة الحاكمة سنة ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م (فى عهد محمد على باشا) ستمائة وسبعا وسبعين ألف فدان على الرغم من أن محمد على باشا وأسرته قد جاء و امن بلادهم (ألبانيا) لا يملكون شيئا .

أنظر : الكسندر شولش - مصر للمصريين ، أزمة مصر الاجتماعية والسياسية (١٨٧٨-١٨٨٢) تعريب د/ رءوف عباس - دارالثقافة العربية القاهرة - ١٩٨٣ م - ص ٣٠ .

فارسكور ، أما الأرز فيرسل من زراعة ديروط ، كما اشترطت أوامر الوالي المصرى أن تكون مصاريف النقل مأخوذة من إيراد خزان البحيرة السالف ذكره .

وقد بلغت مساحة الأراضى الموقوفة على هذه الأمور الخيرية أربعة آلاف وسبعمائة وواحدا وخمسين فدانا (١) .

وبعد وفاة محمد سعيد باشا طلب الروزنامجى (٢) من وزارة المالية أن تعرض على الخديوى اسماعيل أمر الزيادات التى خصصها المرحوم محمد سعيد لتكية المدينة المنورة ، وهل يستمر ارسالها أم تتوقف فأصدر الخديوى اسماعيل أمره باستمرار إرسال ما أمر به محمد سعيد باشا من الأموال نقدية ومحاصيل الأطيان التى خصصها لتلك التكية (٣) .

وقد يتبادر إلى الذهن تساؤل هو لماذا اختص محمد سعيد باشا تكية المدينة المنور ة بهذه الزيادة الكبيرة دون أن يخص بمثلها تكية مكة ؟

والإجابة - تظهر إذا علمنا أن محمد سعيد باشا كانت له زيارة خاصة الي المدينة المنورة فى ١١ من رجب سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م لزيارة مقام المصطفى صلى الله عليه وسلم (٤)

---

(١) دار الوثائق القومية - الأمر الكريم رقم ٢٣٩ - صفحة ١٥٥ - الدفتر رقم ١٩٠٨ أوامر عربى - بتاريخ (٢ من ربيع الآخر سنة ١٢٨١هـ) .

(٢) الروزنامجى : هو رئيس الروزنامة من كبار الأفندية بمنزلة نصف بك أو نصف سنجق فى الترتيب الوظيفى العثمانى ، وأطلق عليه الترك فى بادئ أمره كاتب اليومية ، أما ديوان الروزنامة فى مصر فهو ديوان مالى يختص بجباية الضرائب ، وعليه مسئولية العناية بتجهيز الكسوة الشريفة ، والانفاق على قلاع الحجاز ، ومرتبات مجاورى الحرمين الشريفين ، وغير ذلك ، وكلمة الروزنامة تعنى فى التركية التقرير اليومى .

أنظر : دار الوثائق القومية - قسم الارشاد .

ود/ أحمد السعيد - تأصيل ما ورد في الجبرتى - ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٣) أنظر الوثيقة السابقة رق ٢٣٩ .

(٤) أنظر : عبدالرحمن الرافعى - عصر اسماعيل - جـ ١ - ص ٤٦ .

وقد عاد من هذه الزيارة في ١٧ من شعبان وتاريخ الأمر الذى استقيت منه بيانات الزيارة التى أمر بها محمد سعيد هو شعبان سنة ١٢٧٧هـ/ أى نفس الشهر الذى عاد فيه محمد سعيد من المدينة مما يدل دلالة قاطعة على أن تلك الزيادة التى قررها ترتبط ارتباطا وثيقا بتلك الزيارة فى الوقت الذى لم يزر فيه مكة فى فترة ولايته كله ويغلب على الاعتقاد أنه أثناء زيارته للمدينة المنورة رأى وسمع عن حاجة المجاورين والأهالى والحجاج لمزيد من العناية والرعاية التى تقدمها التكية المصرية بالمدينة.

ويبدو أن أعمال البر والاحسان لمجاورى الحرمين الشريفين وحجاج بيت الله الحرام كان ميدانا استبق فيه أمراء البيت الحاكم فى مصر فقد كان لعباس حلمى الثانى (والى مصر) فضائل أخرى على تكية مكة المكرمة فقد كان مكتوبا على بابها بالخط الثلث الجميل البيتين التاليين :

لعباس مولانا الخديوى فضائل   عليها دليل كل يوم مجدد
رأيناه قد أحيا تكية جـــــدة   فقلنا أعباس بنى أم محمد(١)

وقد استنتجت من البيتين أنهما مدح لعباس الثانى الذي كان له لقب الخديوى أما عباس الأول فلم يكن قد حاز هذا اللقب ، كما أن المقصود بمحمد فى نهاية الشطر الثانى من البيت هو محمد على باشا الذى أمر ببناء التكية سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م .

نفقات كسوة الكعبة وركب الحج المصرى وما يحمله معه من أموال الى الحجاز :

بلغت تكاليف قافلة الحج المصرية وكسوة الكعبة الشريفة ومخصصات الحرمين الشريفين فى

= و : أمين سامى - تقويم النيل - م ١ - جـ ٣ ص ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ .
و : أحمد بن زينى دحلان - خلاصة الكلام - ص ٣٢٤ .
و : أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ٥٣٧ .
(٢) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ١٨٦ .

سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩ م خمسا وأربعين ألفا وتسعمائة واثنى عشر جنيها وستمائة وأربعة وثمانين مليما أنفق منها على إعداد الكسوة الشريفة أربعة آلاف وستمائة جنيه شملت أثمان القماش وما ألحق به وأجور الصناع والاحتفالات العامة في القاهرة بالكسوة (١) .

وأنفق منها على القسم العسكري لقافلة الحج ألف ومائتان وستة وسبعون جنيها شملت مرتبات الجنود ، وتكاليف الحراسة التي كان يقوم بها الجند لتأمين القافلة من هجمات قطاع الطرق و الأعراب .

وأنفق منها لمرتبات وتعيينات أمير الحج ، وأمين الصرة ، وموظفي المحمل وعماله الرسميين ألف ومائتان وثمانية وخمسون جنيها .

وأنفق منها لمرتبات وتعيينات عربان القلاع الحجازية سبعمائة وأربعة وتسعون جنيها ومائتي مليم .

كما أنفق منها لمرتبات وتعيينات عربان الصحراء الحجازية ألفان وثلاثمائة وأربعة وتسعون جنيها وهذه المبالغ وإن كانت ترفع لعربان الحجاز تحت مسمى حفظهم لأمن الطريق ومساعدة قافلة الحج إلا أن الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن هذه المبالغ ما كانت تدفع للعربان إلا لدفع غيلتهم ومحاولة تجنب شرورهم ، فهذه المبالغ تعد بمثابة فدية تفتدى بها قوافل الحج أمنها وسلامتها وبالاضافة إلى ما تقدم فقد كان نصيب أشراف الحجاز من تلك المخصصات ألفا وأربعمائة وثلاثة وتسعين جنيها .

كما أنفق من تلك المخصصات لمرتبات خاصة بأهالي مكة المكرمة والمدينة المنورة بلغت ثلاثة آلاف وسبعمائة وتسعة جنيها ت وزعت عليهم حسبما كان بأيديهم من صكوك وما اعتادوا عليه طوال السنوات السابقة كذلك أنفق في تكيتي مكة والمدينة من تلك المخصصات ثلاثةآلاف ومائتان وستة وستون جنيها ، وكانت مصر تتكفل بجميع النفقات اللازمة لهاتين التكيتين بالاضافة إلي مرتبات موظفيها كما سبق أن ذكرنا وقد زيدت نفقات التكيتين نخصصت لها الحكومة المصرية مبلغ ثلاثةآلاف وخمسمائة وخمسين جنيها في سنة ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م أي بزيادة قدرها مائتان وأربع وتسعون جنيهاً عن المخصص لهما سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م .

وأنفق من تلك المخصصات لمرتبات قاضي مكة وقاضي المدينة (٢) وقد بلغت هذه المرتبات في السنة المذكورة سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م أربعمائة وخمسة وخمسين جنيهاً وخمسمائة وأربعة وخمسين مليما .

---

(١) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ٢ - ص ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٢) كما كان قاضي مدينة الوجه الحجازية يعين من قبل الحكومة المصرية وبالتالي تتولي مصر رفع مرتباته - انظر دار الوثائق القومية - محافظ مجلس الوزراء - رقم ١ / حـ ١١ حربية - مستخرج من نوتة محضر جلسة (١٢ من مارس سنة ١٨٨٨ هـ) .

وكان لقمح الصدقة الذي يوزع في مكة والمدينة النصيب الأكبر من هذه المخصصات اذ بلغت قيمته اثنين وعشرين ألفاً وبلغت أجور الحمالين والحيوانات والأمتعة سبعمائة جنيه وتقاضت السكك الحديدية المصرية ثلاثمائة جنيه وتقاضت الباخرة التي أبحرت بالحجاج من السويس إلي جدة ذهاباً ثلاثمائة جنيه .

وتقاضت الباخرة التي أبحرت بالحجاج عائدة من الوجه إلي السويس ثلاثمائة جنيه .

أما أجر الجمال التي أقلت الحجاج عبر صحراء شبه الجزيرة العربية فقد بلغت ألفين ومائتين وثمانين جنيها تقاضاها الجمالون أجراً لجمالهم .

كما أنفق من هذه المخصصات مائة وستة وثمانون جنيها مكافأة للمتعهدين ، وأنفق مائتان وأربعة عشر جنيها إنفاقاً احتياطياً لهم .

وأنفق في ارسال البرقيات وتجديد الخيام ، وثمن شمع وقناديل (١) التي أعدت لحفل الاسراء والمعراج مائتان وعشرون جنيهاً (٢) .

وهناك انفاقات أخري نثرية بلغت مائتين وخمسة وستين جنيهاً .

ويمكن عمل مقارنة بين المخصصات التي تم انفاقها في سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م والمخصصات التي تم انفاقها في سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م ، وذلك بعد سرد المخصصات التي تم انفاقها في سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩ م .

في سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م كانت مرتبات وتعيينات أمير الحج ومستخدمي المحمل ألفاً ومائتين وثمانين جنيهاً ، وكانت مرتبات العربان ألفين وخمسمائة وأحد عشر جنيهاً ، وكانت مرتبات الأشراف في مكة والمدينة ألفا وأربعمائة وثلاثة وتسعين جنيهاً ، وخصص للتكيتين في مكة والمدينة ألف وتسعمائة وواحد وستون جنيهاً .

أما المرتبات الخاصة بأهالي مكة والمدينة فقد بلغت ألفين وثمانمائة وتسعة وسبعين جنيهاً وبلغت أثمان القمح وتكاليف نقله اثنين وعشرون ألفاً وخمسمائة جنيه .

أما أثمان الشمع والقناديل فقد ارتفعت ارتفاعاً ملحوظاً في هذا العام فبلغت ألفا وستمائة وتسعة وعشرين جنيهاً ، كما بلغت أجور النقل البري والبحري بما فيها أجور الجمال أربعة آلاف ومائتين وثمانية وأربعين جنيهاً ، وبلغ ثمن الخيام مائة وخمسة وخمسين جنيها ، وبلغت مرتبات المستحقين من أهالي مكة والمدينة من أوقاف الحرمين الخصوصية والأهلية والخيرية ، ومن الخاصة الخديوية والمالية مبلغاً وقدره ثلاثة آلاف جنيه .

---

(١) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ٢ - ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيق التركية رقم ٨٣ حمراء - محفظة ٢٦٩ عابدين من محمد شريف رائف مدير الحرم النبوى الى محرم المدينة المنورة (١٧ من جمادى الأولى سنة ١٢٥٦ هـ) .

أما ماكان يرسل من زيوت الاضاءة والحصر وخلافها إلي الحرمين الشريفين من ديوان الأوقاف فقد بلغت أثمانه في هذا العام ستة آلاف وأربعمائة وعشرين جنيها (١) .

وبذلك بلغ مجموع المنصرف في هذا العام (١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م) خمسين ألف جنيه مصري .

وقد لوحظ أن انفاقات سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م قد زادت عن انفاقات سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ بمقدار ٤٠٨٧ جنيهاً تقريبا علي الرغم من أنها لم تشمل نفقات الكسوة الشريفة التي بلغت تكاليفها في سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م / ٤٦٠٠ جنيها .

كما يلاحظ علي قافلة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م أنها لم تشمل أيضا نفقات القسم العسكري الذي بلغ في سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م ١٢٧٦ جنيهاً ولم تشمل أيضاً مرتبات عربان قلاع الحجاز التي بلغت في سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م ٧٩٤ جنيباً .

ولم تشمل مرتبات قاضى مكة والمدينة والتى بلغت فى سنة ١٣٠٧ هظ ٤٥٥ جنيه ولم تشمل مكافآت المتعهدين والتى بلغت فى سنة ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م ٤٠٠ جنيه ويلاحظ أيضا ارتفاع ثمن الشموع والقناديل ارتفاعا كبيرا فى سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩ اذ بلغ ١٦٢٩ جنيها بينما لم يتجاوز فى سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م خمسين جنيها .

وقد ورد فى مصروفات ركب الحج لسنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩ م مبلغ خاص بالزيوت والحصر وخلافها قدره ٦٤٢٠ جنيها وهو مبالغ فيه ولم يرد فى مصروفات ركب سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩ م .

ومع ذلك فهناك أوجه اتفاق تام بين بعض الانفاقات فى سنتى ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩ م ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩ م نراها فى :

ثمن الصدقه الذي بلغ ٢٢٥٠٠ جنيها في السنتين .

والمصاريف النثرية التي بلغت ٢٦٥ جنيهاً في السنتين .

---

(١) البتنونى - الرحله الحجازية - ص ص ١٢٨ ، ١١٩ .

وثمن الخيام والقرب وخلافها والذي بلغ ١٥٥ جنيهاً في السنتين .

ومرتبات الإشراف والتي بلغت ١٤٩٣ جنيهاً في السنتين .

كما وجد تقارب بين بعض بنود الانفاقات في السنتين السالفي الذكر مثل مرتبات ومكافآت أمير الحج ومستخدمي المحمل والتي بلغت سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م ١٢٥٨ جنيهاً وفي سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩م ١٢٨٢ جنيها ، ومثل مخصصات تكيتي مكة والمدينة والتي بلغت في سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م ٣٢٦٦ جنيهاً وفي سنة ١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩ م ٣٦١٨ جنيهاً ومثل أجرة النقل البري والبحري والتي بلغت في ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م ٤٢٨٠ جنيها وفي سنة ١٣٢٢٧ هـ / ١٩٠٩ م ٤٢٤٨ جنيها .

والذي يبدو لي هو أن البتنوني قد أجمل بعض الأنواع في البعض الآخر في الوقت الذي فصل فيه ابراهيم رفعت بنود مصاريف قافلة الحج بشكل أوضح .

الهدايا والمنح المصرية للحجاز :

لم يقف أمر انفاقات مصر علي الحجاز عند المخصصات فهناك هداياقيمة كانت ترسلها ولاة مصر إلي الحرمين الشريفين وإلي الأشراف في مكة والمدينة والذين كانوا يفوزون بنصيب الأسد من تلك الهدايا.

فعلي سبيل المثال : أرسل الوالي المصري عباس باشا الأول بإرادة الي كتخداي مصر ومأمور أشغال السفن المصرية بجدة في ربيع الأول سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م فحواها : أنه قد أنعم علي نجل شريف مكة بالسفينة الفرقاتة عطية الرحمن ، وعلي المسئولين تسليم هذه السفينة بجميع محتوياتها للمندوب الذي بعثه الشريف ، وعليهم أن يقوموا بمحو اسم السفينة من سجل البحرية المصرية .

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن تلك الفرقاتة ــ عطية الرحمن ــ كانت من أكبر السفن الحربية المصرية في البحر الأحمر ، وقد شيدها محمد علي باشا ، وأنفق عليها أموالاً طائلة وساعدته كثيراً في حروبه بالحجاز وباليمن (١) .

---

(١) أمين سامي - تقويم النيل - م ١ - ج ٣ - ص ١٦ (الدفتر الافتر الأ - صفحة ٢٤٦ ادارة الكتخداي مصر - المأمور أشغال السفن المصرية بجدة بتاريخ ٢٩ من الأول سنه ١٢٦٥ هـ) .

فلما تولي عباس الأول أهمل أمر الجيش والبحرية فكان تبرعه بهذه السفينة لنجل شريف مكة متمشياً مع منهجه (١) .

ويبدو أن ارسال الفرقاتة كهدية الي نجل شريف مكة جاء في اطار الهدايا المتبادلة بين الطرفين علي الرغم من الفارق الكبير بين الهديتين .

فقد أهدي شريف مكة جوادين كريين يسميان السقلاوي والأحمراني إلي نجل الوالي المصري عباس باشا (٢) .

لكن شتان بين الهديتين فهدية مصر قلعة تجوب البحر وهدية الشريف فرسان افترسهما المرض فيما بعد .

قضية المخصصات والمنح والصدقات المرسلة الى الحجاز

ويعنينا الآن مناقشة قضية لها خطرها طرحها مؤرخ مكة السباعي علي بساط البحث التاريخي ، فلقد عاب السباعي . (٣) علي العثمانين، وعلي المصرين ارسالهم المخصصات والمنح والصدقات والهدايا الي أهل الحجاز ثم قال : ان هؤلاء الخيرين قدأساءوا الي أهالي الحجاز أكثر مما أحسنو اليهم ، فهم قد عودوهم بذلك علي قبول الإحسان بما في هذا القعود من خمول وكسل وقد ساعد هذا علي تنشئة أجيال متعاقبة تعودت علي اقتناص الهبات والصدقات وطرحت الأعمال والطموحات.

---

(١) ومما يؤكد عدم إكتراثه بالبحرية ورغبته فى التخلص منهبعاتها انه عندما سافر الى جزيرة رودس على متن الباخرة المصريه (الشرقية) للإجتماع بالسلطان العثمانى هناك أهدى سفينة الشرقية الى هذا السلطان الذى ضمها الى العمارة التركية تحت اسم / مخبر سرور

انظر : جميل خانكى - تاريخ البحرية المصرية - ص ٣٤٣ .

(٢) أمين سامى - تقويم النيل - م ١ - ص ٣ - ص١٩

وقد جاء ذكر هدية شريف مكة الى نجل عباس الأول - عرضا - فى ذكر اسباب اغلاق مدرسة الطب البيطرى وتسريح الاطباء بها لعدم اهتمامهم بالجياد والحيوانات التى فقد كثير منها ومن بينهما الجوادان اللذان أهداهما شريف مكة الى نجل عباس الأول .

(٣) أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ٤٦٢ .

حقيقة أن هذه المخصصات من مرتبات وصدقات وهبات قد أقعدتهم عن الجد والعمل واستغنوا بها عن خوض معترك الحياة.

لكن يجب أن نضع في حسباننا أن بعض الحجازين كانوا أهل عمل اشتغلوا بالتجارة والصناعة والزراعة والسفن وكثير من الأعمال المنتجة بالاضافة إلي اشتغالهم بالعسكرية والعلوم، وتهافت الكثير منهم علي المخصصات والهبات والهدايا إنما جاء من طبيعة بلادهم التي وصفها الله تعالي بأنها " غير ذي زرع " وهذا لا يكفي كدليل علي اتهامهم كأمة بالكسل والركون الي الدعة واقتناص الصدقات، وما الأعراب الذين حصّلوا أنصبتهم من الخيرات وأموال ركب الحجاج . بحد الحسام إلا نتيجة طبيعية لحال الأرض الجدباء.

فمما لا شك فيه أن المخصصات والهبات والخيرات كانت لتكملة العجز الاقتصادي الطبيعي في ارض الحجاز ولعلاج تلك الأحوال السيئة

(ألا تقوم الولايات المتحدة الان بتوزيع المنح علي البلدان الفقيرة ويتقبلها العالم المتحضر وغير المتحضر الآن بنفس راضية) .

اذ الاسباب الحقيقة لركون كثيرين من الحجازيين الي الدعة انما هي نقص الموارد الطبعية وعدم وجود منافذ للعمل وطلب الرزق في تلك الحقب .

والمخصصات كانت صورة من العلاج ولم تكن بدعة عثمانية أومصرية فأول من فرضها عمر بن الخطاب ثم من جاء بعده من الخلفاء والسلاطين العظماء كسياسة تضامنية ناجحة يحث عليها الاسلام ويؤيدها منطق الرقي والتحضر أما عدم ترشيد استخدام هذه المخصصات فتلك قضية أخري.

ولما جاءت الدولة السعودية ظلت في حالة اقتصادية متواضعة الي أن اكتشف البترول ولو لم يكشف لأصبح من الضروري ومن لب الشريعة والتحضر أن يقدم الي الحجاز من سائر الأمم الاسلامية معونات اقتصادية .

فحديث السباعي حديث من أخذته العزة الاقليمية والنعرة القطرية ، ولم يضع في حساباته نظام التكافل الاسلامي وهو حق وواجب أصبح الآن من أولي واجبات دول البترول والذهب للنهوض بالأمم الاسلامية ودعم دفاعاتها ضد عدو متربص (اسرائيل) يسري بعدو انه في قلب الأمم الاسلامية وبخاصة دول المواجهة سريان المرض المتنامي.

إلا اننا لا نستطيع أن نعيب على المحسن لإ حسانة ونترك من تقبلو الا حسان مع القدرة على العمل ، وحتى هذه لا نجد فيها غضاضة إلا قليلا نظرا لظروف الحجاز الطبيعية من نقص الموارد وخلافه وإنما العيب - فى اعتقادى - هو عدم محاولة أولى الأمر - الأشراف - استثمار تلك المخصصات الكبيرة من أموال النقدية أو تعينات وجراية أو هدايا لو استغلت فى انشاء أعمال نافعة مثل زراعة الأراضى وحفر الابار وإقامة صناعات مختلفة لآتت تلك المشروعات فى النهاية ثمارها واستغنت بها منطقة الحجاز عن قبول هذا العطاء الذى هو ليس إحسانا وإنما هو تضامن لازم وبهذا يمكننى أن ألقى بعض المسئولية على كاهل الأشراف الذين كانت لهم الزعامة والرياسة فى تلك المنطقة الحيوية قروناً عديدة فقد كان أهالى الحجاز يحتاجون إلى القدوة الصالحة التى تسير بهم إلى الأفضل والأحسن فلم يجدوا ، ونظر الناس فوجدوا أشرافهم ينتظرون وصول الصرة والمخصصات المختلفة والحجاج.

وصار إرسال البرقيات إلى الأستانة والقاهرة طمعا فى زيادة المخصصات والهبات وسيلة مثلى لتحقيق الرواج ، أما (العربان) فى داخل الحجاز وخارجه فقد كانوا يحصلون على انصبتهم بحد الحسام - كما ذكرنا - فاذا اعطوا من المخصصات لانت قناتهم وإن منعوا منها أعلنو الحرب وأدخلوا الرعب فى نفوس الأمنين من حجاج بيت الله الحرام .

وقد ادركت الحكومتان المصرية والعثمانية بأن استرضاء هؤلاء العربان هو أسلم الحلول وأقربها لهذا خصصت لهم الحكومة المصرية فى بنود مصروفات الحج أنصبة وافية تحت عنوان مرتبات العربات أو مرتبات عربان القلاع .

ولا يستطيع باحث أن ينكر أو يقلل من شأن الأموال والمخصصات التى كانت تصب فى الحجاز من مصر والدولة العثمانية وبعض البلاد الاسلامية كالهند ، فلقد كانت الهند ترسل هى الاخرى أموالا بسخاء زائد لو استثمرت استثمارا جيدا لأصاب الحجاز خير عظيم .

فعلى سبيل المثال حضر الى الحجاز فى سنة ١٢٥٦ ﻫ / ١٨٤٠ م أحد وزراء . . . ملوك الهند يسمى على خان عن طريق جدة مع تابع له وقدم الى شريف مكة عشرين ألف ريال فرنسى لإصلاح وتنظيف الأبار الكائنة بين المدينة المنورة ومكة المكرمة ، كما وعد بأنه سيرسل عشرين الفا من الريالات لصرفهافى هذا المجال (١) وهناك أمثلة كثيرة للهدايا والأوقاف الخيرية وغيرها التى خصصت للحجاز تناثرت أخبارها فى بطون المصادر .

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة التركية رقم ٢١٩/٤٢ المحفظة ٢٦٩ عابدين - من محرم محافظ المدينة المنورة الى صاحب الدولة والعناية باشمعاون الجناب العالى بتاريخ (١٦ من جمادي الثانية سنة ١٢٥٦ هـ)

ومما يجدر ذكره أن زيع المخصصات والرواتب كانت تتم بطريقة مجحفة انتقصت بها حقوق البعض وأعطي بها البعض الأخر ما زاد على حقوقهم ولم يراع الدقة والعدل الضروررين - فقد كان من المفروض أن يتم الصرف للمستحق بمقتضى الإذن الذى يوقعه أمين الصرة ، وأمير الحج ، والكاتب الاول للصرة دلالة علي أن الصرف قانونى غير أن هذا لم يراع فى كثير من الاحوال .

فعلي سبيل المثال عندما شرع الكاتب في صرف المخصصات والراواتب سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م حضر أمامه كم غفير من الناس فسألهم الكاتب : هل أنتم أصحاب المرتبات ؟ فقالوا : لاولكننا موكلون في تسليمها كل عام فطلب منهم التوكيلات المحررة فلم يجدها لديهم غير انهم احتجو بأن أصحاب المخصصات توفوا(١) من زمن بعيد ولا أثر لوارثيهم وأنهم احق الناس بميراثهم ثم ادعى الجميع انهم متفقون فيما بينهم علي ذلك عندما اخذ الكاتب يتلوا عليهم الأسماء أخذ كل منهم يخطف ما يستطيع الحصول عليه من أذونات الصرف حتي كان الواحد يستولي علي الخمسين الي الستين منها ثم يتسلم قيمتها كما ان الاشراف المقيدة أسمائهم في كشوف المخصصات بعضهم قد توفي ومع ذلك كانت تصرف مرتباتهم لمن يعينهم شريف مكة كوكلاء عنهم (١).

وهذا يشير الي أنه كان غالبا ما يحصل على المخصصات والرواتب من كان صاحب قوة بدنية او صاحب جاه ونفوز كبير أ ما المقعدون والمرضي والارامل واليتامي ومن لا .... يسألون الناس الحافا فيبدو أن انصبتهم من المخصصات كانت قليلة أ ومفتالة . ومن خلال استقرائى لمثل هذه المواقف ظهر لى ان الاشراف كانوا ضالعين بشكل او باخر فى هذه التجاوزات ، وكانت لهم مصلحة كبيرة فى مرورعملية تسليم المخصصات بالشكل الذي أوردنا وصفه آنفا .

ولا أدل على ذلك مما جاء فى التقارير الامريكية التى كان يبعث بها القناصل الامريكيون فى عدن والقاهره إلى وزارة الخارجية الامريكية عن احوال الشريف الحسين بن على (٢) وقد استقت تلك التقارير بعض معلوماتها من أحد قضاة عدن ويدعى ياسين وكانت السلطات الانجليزية قد أرسلته الي جدة ومكة والمدينة لكتابة تقرير خاص عن الحالة فى الحجاز، وتعده القنصلية الامريكية من المصادر الموثوق بها ولا يرقي اليه شك .

---

(١) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ٧٣ .

(٢) ولد الشريف الحسين بن على سنه ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣م بالعاصمة العثمانية استانبول وعاش فيها الى حين تولى = =

فقد وصفته تلك التقارير بأوصاف شنيعة أربأ عن ذكرها لأن الماضى الامريكي اشد شناعة واعظم سؤا واكتفى بذكر مايعد موضوعا تاريخيا قابلا للمناقشة وهو ان الشريف حسين كان دائب العمل في سبيل الحصول على الاموال بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة وارهاق الاهالي ، وابتزاز اموالهم باساليب وطرق عنيفة (١) .

مما جعل الجميع يشكون منه ويتطلعون إلي حاكم عربي يحررهم من نيره واستبعاده (٢) بعدما حاد عن سيرة جده الأعلى صلي الله عليه وسلم والسلف الصالح .

ولم تكن هذه هي كل التجاوزات في المخصصات والهبات المصرية للحجاز ، وإنما كانت هناك تجاوزات اخري أشد وأنكي حدثت في حقبة سابقة .

== والده شرافة مكة فرافقه اليها وظل بمكة إلى سنه ١٢٩٩ ه / ١٨٨٢ م عندما تم ابعاد الحسين الى استانبول التى بقى بها حتى عين لاماره مكه سنه ١٩٠٨ ومن حينها اخذ فى التمكين لنفسه حتى خلع طاعة العثمانيين بثورته العربيه عليهم سنه ١٣٣٤ ه / ١٩١٦ م وطرد الحامية العثمانية من الحجاز كله .

انظر فى ترجمته : د / محمود صالح منسى – حركة اليقظة العربية – ص ١٩٢ ومابعدها . وانظر عمر رضا كحاله – العالم الاسلامي حـ ٢ – ط ٣ – دمشق ٤٠٤ ه / ١٩٨٤ ص ٦٠

وانظر : أمين الريحانى – الاعمال العربية الكاملة ملوك العرب – م ١– حـ ١ – ط٢ ١٩٨٦ م – ص ٥٨ وما بعدها .

وخير الدين الزركلى – الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز – ص ٧٩.

ود /جلال يحيى – المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث – دار المعارف مصر ١٩٦٥م – ص ٥٠٣ وما بعدها .

(1) Doument no 163, file no 800 .sudject the 1922 pilg - rimage to mecca farm ruymond David the American to Gonsui to secretory of state washington Aden Arapia in November 6, 1923.

(2) Document No (Number mentioned) ,File No . 800 , Subgect Attitude of transjordania to words Hejaz from gerusalem C.cobb the American nice consul in charge jerusalem Balestine in November 6,1923.

ففي شوال سنه سنه ١٢٥٦ هـ \ ١٨٤٠ م أرسل محمد علي باشا مفتشا للحسابات علي رأس لجنة مصريه لجرد حسابات المدينة المنورة وجرايات الصدقة ، وغير ذلك من المصالح ، وقد ظهر في بداية الجرد زيادة ملحوظة اثبتها المفتش علي أمين الخزانة وكاتبها في المدينة المنورة وقد بلغت هذه الزيادة عشرين ألفاً (١) ، كما أثبت المفتش تجاوزات كثيرة في بند المشتريات بل أثبت ماهو أكثر من ذلك وهو تواطأ محافظ المدينة المنورة مع وكيله علي ابتزاز مستحقات الأهالي والحجاج من المخصصات المصرية علي الرغم من أن هؤلاء كانوا يحملون سندات واجبة الدفع وقد حدث هذا التواطؤ بحيلة متفق عليها بين المحافظ ووكيله ، اذ يأتي حامل السند ليصرفه من المحافظ فيجيبه المحافظ بعدم وجود نقدية في الخزانة اليوم ، وعلي صاحب السند الانتظار لليوم التالي ، وهكذا حتي يمل حامل السند فيذهب الي وكيل المحافظ ويبيعه السند بربع قيمته الحقيقية ثم يقوم الوكيل بصرف قيمة السند الحقيقية من المحافظ مباشرة(٢) بعد أن يتخلص من صاحب السند .

تكفل مصر باستقبال ونقل الموظفين العثمانيين الي الحجاز وكبار الشخصيات المسافرين أو العائدين منه :

كان من المعتاد أن تتكفل مصر باستقبال العثمانين الموظفين الذين يأتون من الاستانة إلي الحجاز أو العكس سواء كانوا مكلفين بواجبات رسمية أم كانوا يبغون الحج والعمرة، وغالباً ما كان هؤلاء ينزلون بالمسافر خانة الخديوية مدة استراحتهم في مصر، ومن هؤلاء علي سبيل المثال: عز تلود أنس بك أفندى أمير الاي (العساكر الشاهانية المقيمة بالمدينة المنورة، وقد كان عز تلو بك راجعاً من الحجاز وقاصداً الي الأستانة (٣).

---

(١) تفيد الوثيقه التي بين ايدينا ان هذا المبلغ أشيع بأنه يخص المحافظ وان زيادته في الحسابات جاء نتيجة للتلاعب والتحايل علي نهب اصحاب السندات .

(٢) دار الوثائق القومية – الوثيقة التركية رقم ٦٢ حمراء – محفظة ٢٦٩ عابدين من أحمد لبيب الي باشمعانون جناب الخديوي – بتاريخ (١١ من شوال سنة ١٢٥٦ هـ) .

(٣) الوقائع المصرية– العدد ١٢٠– بتاريخ ٦ من ربيع الأول سنة ١٢٨٤هـ / ٨ من يوليو سنة ١٨٦٧م.

كما كانت الحكومة المصرية تتكفل بنفقات سفر الموظفين المتجهين إلي أعمالهم في الحجاز ونفقات سفر أتباعهم ونفقات حمل ما معهم من منقولات فعلي سبيل :

عندما حضر علي رضا افندي قاضي المدينة المنورة وابراهيم افندي قاضي مكة المكرمة من الاستانة في سنة ١٢٩٣ هـ - /١٨٧٦ م قاصدين الحجاز تم ترحيلهما من السويس الي جدة علي نفقة الحكومة المصرية،وصدرت الأوامر الي نظارة المالية بخصم مبلغ ١٩٩٦ر٢٠ قرشا - قيمة تكاليف سفرهما من مالية الديوان حيث أنه كان قد تم صرفه من محافظة السويس علي حساب المالية (١) .

وقد كانت في عناية مصر بأمر المسافرين الي الحجاز وكرمها في الانفاق عليهم مثارا لأطماع البعض فكانوا يتقدمون بمطالب زائدة عن الحد الممكن بحجة اعانتهم علي سفرهم الي الأراضي الحجازية المقدسة لأداء ما أنيط بهم من واجبات مثل السيدمصطفي الذي حضر الي مصر في سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠ معينا من قبل الدولة العثمانية لتولي منصب القضاء في مكة المكرمة وقد طلب هذا القاضي من الحكومة المصريةاعطاءه إحدي السفن البخارية المنشأة حديثا ليسافر علي متنها الي جدة احسانا من الخديوي ، وتعلل بأن الوقت شتاء والسفر البحري بالسفن العادية يكون فيه مشقة غير أن طلبه قوبل بالرفض ولم يجب اليه (٢).

ولم يقتصر الأمر علي ضيوف الأستانة فلقد شمل كرم مصر ضيوفاً من جنسيات أخري كانوا يسافرون إلي الحجاز عن طريق مصر فتتكفل مصر بإكرامهم وبعض نفقات سفرهم مثال ذلك ماحدث سنة ١٣١٩ هـ /١٩٠١ م من إكرام لسلطان المكلا والشحر (٣) عوض بن عمر القعيطي في رحلته الي الحج

---

(١) أمين سامي - تقويم النيل- م٣ - ج٣-ص ص ١٣٢١، ١٣٢٢(دفتر بدون رقم - صفحة ١١٠- أمر كريم للمالية - بتاريخ ٢٤من ربيع الاول سنة ١٢٩٣هـ).

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقة التركية رقم ٦٠ حمراء المحفظة ٢٦٩ عابدين من السيد مصطفي قاضي مكة المكرمة الي سامي بك بتاريخ (١٠من شوال سنة ١٢٥٦هـ).

(٣) المكلة و الشحر ثغران في جنوبي بلاد العرب يقعان علي ساحل المحيط الهندي بينهما وبين عدن مسيرة ٢٤ ساعة في الباخرة.

انظر : ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ١- ص ٤٠٠.

حيث كان في صحبته حرس بلغ عدده تسعين جنديا وحاشية كبيرة وقد رافق ركبهم المحمل المصري من مكة الي المدينة فقدم له ركب المحمل خدمات عديدة منها:

ان رئيس المحمل المصري عين تسعين من الجنود ليعاونوا ركب السلطان القعيطي في تحميل الأمتعة لما تكاثر العربان علي ركب السلطان القعيطي طمعا في ماله ، وظهرت منهم نوايا الغدر به في الطريق، واشار عليه قائد قافلة الحج المصرية بمرافقتهم حتي يوفر له الركب المصري الأمن والحماية فامتثل بعد ان ندم علي مابذل للأشراف من أموال كثيرة ذهبت كلها أدراج الرياح (١).

وقد قدم الركب المصري لركب السلطان القعيطي خدمات عديدة طوال الرحلة من المدينة الي ان وصلوا الي الوجه ، ولندرة مرور البواخر علي ميناء الوجه فقد تم اعداد أماكن للسلطان وحاشيته علي ظهر احدي السفن المصرية علي الرغم من قلة الأماكن المتاحة فيها (٢) ، ونقلته السفينة الي السويس فظل بها حتي سافر الي بلاده .

وممن تمتعوا بكرم مصر وعنايتها ابان رحلتهم الي الحجاز السلطان علي شاه (شاه ايران السابق) الذي رغب في السفر الي الحجاز عن طريق السويس في سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م، وما أن علم محافظ السويس بذلك حتي بادر بطلب اثني عشر ثوبا من قماش الشيت لفرش القصر الخاص بوالي مصر في السويس ليتم استقبال (السلطان علي) فيه، غير أن الحكومة المصرية ردت عليه بأن يصرف النظر عن موضوع الشيت نظرا لأن السلطان عليا متوجه الي الحجاز عن طريق القصير (٣) .

ثم صدرت الي محافظ القصير الأوامر بضرورة استقبال الشاه علي بالحفاوة والتكريم هووحاشيته البالغ عددها خمسين فردا ، وأن يتم حجز احدي السفن المناسبة لسفرهم فرد محافظ القصير بأنه قد استعد بالفعل لاستقبال الشاه ومرافقيه وأنه خصص السفينة فضل الباري (الكرويت) لسفرهم ، واذا حضرت

---

(١) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - ج١ - ص٤٠١وما بعدها.

(٢) المصدر السابق - ص ٤٨٤ وما بعدها.

(٣) دار الوثائق القومية- الوثيقة العربية رقم ١٨٤ حمراء المحفظة ٢٦٦ عابدين من قاسم أمين كمرك ومحافظ السويس الي باشمعاون جناب داوري بتاريخ (٢٩ من ذي القعدة سنة ١٢٥٥هـ).

سفينة أخري أفضل منها سيتم تخصيصها لهم وتسريح الأولي (١) . وقد تم استقبال الشاه علي في السويس والقصير بمنتهي التكريم وظلت عناية مصر تحفه حتي أتم سفره هو وحاشيته الي الحجاز حيث كان يخدمه فيها آلاي مصري كامل يرأسه نعمان بك فلما أتم الشاه علي حجه بعث برسالة شكر الي محمد علي باشا والي مصر وهو عائد الي وطنه في ١٩ من ذي الحجة سنة ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩م علي الحفاوة والتكريم التي لقيها من رجال الادارة المصرية في القصير ومكة وخاصة قائد الالاي نعمان بك وقد طلب الشاه علي في رسالته هذه من محمد علي باشا أن يمنح نعمان بك قائد الآلاي رتبة قائمقام (٢) .

رواق(٣) الحرمين الشريفين (٤) بالأزهر الشريف:

يقع رواق الحرمين الشريفين داخل باب المقصورة الجديدة بالأزهر عن يمين المتجه ناحية المنبر (٥) .

وكان هذا الرواق من أصغر الاروقة ، وأقلها طلابا مجاورين ، ويحتوي الرواق علي قاعة سفلية يعلوها ثلاث غرف لسكني الطلاب ،الذين يفدون إلي الأزهر من مكة والمدينة وجدة والطائف والبلدان الحجازية الاخري (٦)

---

(١) دار الوثائق القومية- الوثيقة رقم أصلية - حمراء- المحفظة رقم رقم ٢٦٦ عابدين ملف القصير- بتاريخ (غزة ذي القعدة سنة ١٢٥٥هـ) .-

(٢) دار الوثاذق القومية - الوثيقة التركية رقم ٢٥١ حمراء- المحفظة ٢٢٢٦ عابدين ترجة عربية لترجمة تركية عن أصل فارسي من السلطان علي شاه إلي محمد علي باشا- بتاريخ (١٩ من ذي الحجة سنة ١٢٥٥هـ).

(٣) الرواق كان يعد بمثابة منزل به كافة احتياجاته من غرف ودواليبوخزائن ، وكان لكل طائفة أو مذهب من المذاهب رواق خاص ينفق عليه من أحباس جعلها أصحابها- تقرباً الى الله- وقفاً علي مصالح أهل الرواق من مأكل ومشرب وملبس وغير ذلك، وكان لكل رواق شيخ يدير شؤونه.
انظر: محمد كمال - الأزهر جامعا وجامعة- ص ١١٠.

(٤) كان يطلق علي هذا الرواق أحيانا: رواق المكاويين إلا أن هذه النسبة خاطئة لأن الذين يؤمون هذا الرواق من بلاد الحجاز المختلفة .
انظر: د/ عبد العزيز الشناوي- الأزهر جامعاً وجامعة - ص٢٦٣.

(٥) حسين حسان - الحركة العلمية والتعليمية في الازهر - ص ١٣٢.

(٦) دار الوثائق القومية سجل ٣٣ من سجلات تعداد المحقق نسبتهم للازهر - ص١٩٢ (١٢٩٩هـ) . وانظر :د / عبد العزيز الشناوي - الازهر - ص ٢٦٣ .

الا أنه من الملاحظ قلة عدد المجاورين في هذا الرواق من طلبة العلم الحجازيين حيث تراوحت أعدادهم في الفترة من سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م الي سنة١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م بين مجاورين وخمسة (١) . ويعزو مجموعة من الباحثين سبب قلة المجاورين من أهل الحجاز في رواقهم الي أن معظم أهالى الحجاز كانوا يفضلون المجاورة بأحد الحرمين الشريفين في مكة المكرمة أو المدينة المنورة (٢) .

الا أن هناك سببا آخر لمسته من خلال متابعتي لأخبار طلبة العلم الحجازيين في الأزهر – خاصة إبان القرن التاسع عشر – هو أن معظم هؤلاء كانوا من الموثرين الذين أرسلهم أهلوهم علي نفقتهم فكانوا يفضلون السكني علي نفقتهم الخاصة في منازل القاهرة ، وكثير من هؤلاء كانوا إما من الأسر التجارية أو من الأشراف أمثال محمد على زينل ، ومحمد نصيف ، وعبد الرؤوف الصبان ، طاهر الدباغ وغيرهم . أما سائر الاهالي الحجازيين الفقراء فان الذين أقعدهم عن التعليم في الأزهر هو عدم تمكنهم من الانفاق عاي سفرهم الي مصر فقنعوا بالمجاورة في الحرمين .

ومما تجدر الاشارة إلية هو ان شيخ رواق الحرمين كان من الحجازين مثل الشيخ محمد عبد اللة الطائفي في اواخر القرن التاسع عشر (١٣١٤هـ / ١٨٩٦ م) وكان يصرف لهذا الرواق جراية من الخبز قدرها اثنا عشر رغيفا كل يومين (٣) . فمما تقدم نري أن تعدد أوجه البر المصرية التي خصصت للحجازر للحرمين الشريفين في صورة رواتب عينية ونقدية اعتمدت علي الاوقاف الاميرية ، وكان الهدف منها هو كفالة شئون الحجاز ورعاية أمرائه وعلمائه . »

فقد حملت مصر علي عاتقها الالتزام بإرسال مخصصات الحجاز والحرمين الشريفين ، وتعينات ومؤون أفراد الحماية العثمانية التي كانت ترابط في الحجاز بعد خروج جيش محمد علي من شبه الجزيرة العربية ، وكانت هذه المؤن تؤخذ من أجود المحاصيل المصرية وترسل عبر مينائي القصير والسويس الي مواني الحجاز المختلفة مثل جدة ، ورابغ ، وينبع البحر .

---

(١) دار الوثائق القومية – الازهر الشريف السجل رقم ٢ من سجلات الميزانية والمصروفات والايرادات ص ٥٢ (١٨٨٥ – ١٨٨٨ م) (١٣٠٢ – ١٣٠٥هـ)

(٢) انظر : علي باشا مبارك – الخطط التوفيقية – ص ٥٢ . ود/ عبد العزيز الشناوي – الازهر جامعا وجامعة –ص ٢٦٣ . وحسين حسان – الحركة العلمية والتعليمية في الأزهر – ١٣٢ .

(٣) دار الوثائق القومية – الأزهر الشريف – سجل ١٦ من سجلات الجرايات ص٣٨ (١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م) . وعلي باشا مبارك – الخطط التوفيقية – ج٤– ص٥٢ .

و كانت مصر تتأثر كثيرا بتأخر فيضان النيل . وبعض الصعوبات الاقتصادية الطارئة مماجعلها تطالب الدولة العثمانية بالزام باشوية بغداد بإرسال التعينات والمؤن المخصصة للحجاز ، علي أن تكتفي مصر بالأوقاف الخيرية ، وكسوة الكعبة ، وعلي الرغم من صدور الأوامر لولاية بغداد بذلك الاأنها لم تكف الحجاز مئونته فعادت المسئولية مرة أخري الي مصر فواصلت مصر مسئوليتها تجاه كفالة الحجاز والحرمين ، ولم تقتصر مصر علي ذلك وانما اضطلعت بأعباء أخري مثل إرسال احتياجات الحملات العثمانية لاخماد ثورات العسيريين .

وكانت هذة المخصصات المصرية العثمانية تنفق في مرتبات الأشراف ، وبعض الموظفين في الحجاز وللمجاورين وعلماء الحجاز ، والعربان ، وتنفق في فرش الحرم المدني ، وانارتة بالشموع .

كما تكلفت مصر بالاضافة الي كل ماتقدم بتسهيل نقل الموظفين العثمانين وكبار الشخصيات المتجهين للحجاز أو العائدين منه مع استقبالهم ، واستضافتهم في مصر . كما خصص في أورقة الأزهر رواقا لأهل الحرمين الشريفين مع مخصصات له وبعض الاوقاف . ولقد كان للعمارة المصرية (التكيتان المصريتان) في مكة المكرمة والمدينة المنورة أثر عظيم في اقامة أود الفقراء حيث كانت كل تكية تصرف طعاما وشراباً كل يوم علي مدار العام مع زيادة مخصصات المواسم ، وأيام الخميس ، وايام شهر رمضان.

ولم يكن كل ماتقدم من الامور التي احست مصر بانها مفروضة عليها بل كانت واجبات خيرية أحس المصريون وحكوماتهم بشرفها وعلو قدرها فأوقفوا عليها أوقافا الي جانب أوقاف السلاطين العظماء تقربا لله وشعور بمبدا الاخاء الاسلامي وزادت هذة الاوقاف ونمت علي مر القرون حتي منّ الله علي جزيرة العرب كلها بالرخاء والاكتفاء زاد الله الحجاز وأهله نعيما وتشريفا وجعله دائما ملجأ العابدين والقانتين والتائبين والعائذين والركع السجود .

الفصل السابع
الإصلاحات والتنمية المصرية في الحجاز

تمهيد

اعتنت مصر عناية عظمي متواصلة بالاصلاحات التي احتاجها الحرمان الشريفان بصفة خاصة والحجاز بصفة عامة ، وقد شملت الاصلاحات ترميمات وبناء الاماكن العامة والمقدسة ، وإنشاء وإصلاح الموانى ، والطرق ، والسكك الحديدية ، والقلاع التي تحرس طرق الحج ، وإعداد مصادر المياه وإصلاحها .

ولم تتوقف الاصلاحات والترميمات والتحسينات في الحرمين الشريفين طوال القرون الماضية (١) وهي اصلاحات تجل عن الحصر اذ كانت السيول والعوامل الطبيعية تؤثر تأثيراً مباشراً علي الحرمين خاصة في مكة المكرمة .

والتأثير الشديد للسيول علي الحرم المكي يرجع الي جغرافية الحرم نفسه إذ يقع في منطقة منخفضة تحيط بها الجبال والمناطق المرتفعة مما يودي الي تدفق السيول بشدة إلي داخل الحرم فتؤثر علي جدران الكعبة المشرفة والمسجد ودور مكة .

ومن الأمثلة التي حفظها لنا التاريخ علي تلك الاصلاحات :

التعميرات والاصلاحات المصرية في الحرم المكي سنة ٨٢٥ هـ / ٨٢٦ هـ / ١٤٢٢ م التي قام بها الأمير المصري زين الدين مقبلا القديدي في عهد الأشرف برسباي ، ومنها : اصلاحات سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م علي عهد السلطان جقمق كما كانت هناك اصلاحات في الحرم المدني أشهرها اصلاحات سنة ٨٨٢ هـ / في عهد السلطان قايتباي (٣) ومنها ماحدث في ٩٥٩ هـ / ١٥٥٢ م عندما أصابت

---

(١) أنظر : تفاصيل ذلك عند السباعى . تاريخ مكة - ص ٤٧٤ ومابعدها .

(٢) . ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ٢٤١ .

(٣) المصدر السابق - الصفحه نفسها .

الأمطار سقف الكعبة بالخلل فبعث علماء مكة وأعيانها الي واليّ مصر علي باشا برسالة شرحوا فيها ماآل اليه حال الكعبة ، وأرفقوا بها فتوي مفتي الحرم المكي ابن حجر الهيثمي المصري فبادر علي باشا يعرض الأمر علي حكومة استانبول ففوضته في العمل علي اصلاح ما وهي من الكعبة فبعث الي مكة بالفنيين والآلات والأموال لاصلاح ماصدعته الامطار من الكعبة المشرفة (١).

ومن الاصلاحات ما كان في سنة ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م في عهد ولاية سنان باشا علي مصر حيث أرسل المعلم أحمد بك الذي اصطحب شيخ المهندسين بمصر محمد المصري (٢).

ومن ذلك ماحدث في سنة ١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م عندما هطلت الأمطار بكثرة وطفت المياه علي المسجد الحرام حتي بلغ ارتفاعها باب الكعبة فتهدمت بعض حجارة الكعبة الشريفة بسبب ذلك ، فقام أعيان مكة وعلي رأسهم أميرهم بإرسال مندوب ليخبر والي مصر بما حدث ليتصل بدوره بالحكومة العثمانية في الأستانة حول هذا الشأن .

وبعد أن أتم والي مصر محمد باشا قول الإجراءات الادارية ، واعتمد علي الفتاوي الشرعية بعث علي الفور إلي الحرم أربعة من المهندسين المصريين يعاونهم ثلاثة من متعهدي البناء في مكة ، وقاموا بهدم جميع جدران الكعبة وأقاموها من جديد بمساعدات عثمانية مصرية (٣) .

الاصلاحات المصرية في الحرمين الشريفين :

لقد ظل دور مصر العظيم في تعمير الحرمين الشريفين واصلاح ما وَهي من بنائها طوال القرون الماضية كما كان دورها رائداً في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي .

ومن أعظم الشواهد التاريخية ترميم أعمدة الحرم المدني بعد تحللها وتآكلها بمرور الزمن عليها ، فعندما علم بأمرها السلطان العثماني عبد المجيد خان في سنة ١٢٧١ هـ / ١٨٥٤ م أرسل إلي قا ممقام

---

(١) الشيخ : شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمى المصرى (مفتى الحرم المكى) المناهل العذبة فى اصلاح ما وهى من الكعبة - الورقات ١٤٥ - ١٤٧ مخطوطه بدار الكتب رقم ٢٤٣٤٠ ب مجاميع .

(٢) الاسحاقى - أخبار الأول - ص ١٥٠ .

(٣) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - ص ص ٤٨١ ، ٤٨٢

جدة بأنه لا يجوز بقاء المكان الذي هبط عليه الوحي خالياً من الزينة ويجب اقامة أعمدة جديدة للمسجد النبوي الشريف محلاة بالمرمر .

وقد عينت الدولة العثمانية علي الفور أمينا لمباني المسجد النبوي الشريف هو حافظ ابراهيم أفندي للاشراف علي هذا العمل ، كما أمر السلطان العثماني بإرسال سفينة الي مصر لتنقل منها مواد البناء ومواد التحلية المطلوبة ، والاتصال بكل من والي مصر ووالي جدة لتسهيل هذا العمل والاهتمام به (١) .

وقد أرسلت وزارة المالية العثمانية إلي الحجاز عن طريق الخزانة العثمانية مبلغاً قدره اثنان وسبعون كيساً من النقود ليصرف منها رواتب عمال البناء العشرين الذين بعثت بهم مصر للعمل في عمارة المسجد النبوي الشريف علي أساس أن يحصل كل عامل مصري علي أجر يومي قدره سبعون قرشا ، وليصرف منها علي تكاليف شراء وإرسال مواد البناء والتجميل المزمع إرسالها من مصر إلي المدينة المنورة ومنها شراء مائة صندوق من الزجاج (٢) .

ولم تقتصر القوي المصرية العاملة في الحرم النبوي علي العشرين عاملاً السالف ذكرهم ، فقد جاء في وثائق سنة ١٢٧٢ هـ / ١٨٥٦ م أن عدداً كبيراً من العمال المصريين وصلوا إلي المدينة المنورة وأن العمال المصريين بلغوا خمسة وتسعين عاملا شاركوا بجهود عظيمة في تعمير الحرم المدني الشريف (٣)

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض - الوثيقه رقم ٥٤٩٣ من مجموعة الوثائق التركية (م/٣ م - ٣٨) من السلطان الى القائمقام - بدون تاريخ .

(٢) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض - الوثيقه رقم ٦٩ - من مجموعة الوثائق التركي (٢ / ٣ م - ٦٢) من رئيس الكتاب محمد بك الى الصدارة العظمى - (١٨ من صفر سنة ١٢٧١ هـ) والوثيقة رقم ١٣٥١٠ - من مجموعة الوثائق التركي (٣/٢ - ٣٩) من مجلس الشورى الى الصدارة - (٢٥ من صفر سنة ١٢٧١هـ).

(٣) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض الوثيقه رقم ٧٠٨ - من مجموعة الوثائق التركيه (٣/٢م - ٦٧) من الدفتر الوارد الى الصدارة بدون تاريخ .

وقد بادر اثنان من أعيان المدينة المنورة وأشرافها هما السيد عمر الجفري ، والسيد أحمد الرفاعي الملازم للحرم النبوي الشريف بإرسال عدة رسائل إلي الصدارة العظمي ووزارة الأوقاف العثمانية وقد شملت هذه الرسائل رؤيتهما وأفكارهما ، ومقترحاتهما حول التغيير المطلوب في شكل وهيئة مباني الحرم النبوي الشريف (١).

كما تراءي لشيخ الحرم وقاضي المدينة اهتبال فرصة وجود العمال والمهندسين المعماريين المصريين في تعمير وتجديد قبر عثمان بن عفان رضي الله عنه وطلبا من الأستانة صدور أمر سلطاني بذلك فصدر الأمر السلطاني بأن يتم تعيين مهندس لمعاينة المكان وتقرير اللازم له (٣) .

وقد قام العمال المصريون بواجباتهم خير قيام في مختلف أنواع المهن التي استلزمها تعمير المسجد النبوي الشريف من بناء ونجارة وطلاء ونقاشة وغير ذلك كما ثبت أن هؤلاء العمال بذلوا أقصي جهدهم في ذلك حتي حازوا إعجاب كل المسئولين العثمانيين والأشراف ، فطلبوا لهؤلاء العمال زيادة في أجور يومياتهم ونظراً لوفاة سبع وسبعين عاملاً منهم وقيام التسعة عشر عاملاً الباقين بعمل الجميع علي خير وجه قرر والي مصر رفع أجر كل عامل منهم عشرين قرشا زيادةً علي الأجر الاصلي وقدره ستون قرشا ، الا أن الغلاء والقحط اللذين كانت تعاني منهما المدينة المنورة جعلا هذا الاجر لا يفي بمصاريف العمال مما اضطرهم الي الاستدانة من الحجاج في موسم الحج ، وعندما علم المسئولون العثمانيون بذلك أصدروا تعليماتهم الي والي مصر لاعطاء كل عامل من عمال البناء والنقاشة والطلاء ثلاثمائة قرشا واعطاء كل نجار مائتين وخمسين قرشا ، علي أن يتم سداد الاجر اليومي عند عودتهم الي مصر بحيث يتقاضي كل عامل ماهر ستين قرشا ، ويتقاضي كل نجار اربعين قرشا .

وقد التمس العمال بالاضافة الي ما تقدم - السماح - لهم بصرف يوميات السفر ذهابا وأيابا نظرا لانها غير محسوبة في الاجر (٣) .

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض - الوثيق رقم ٤٨١٧١ - من مجموعة الوثائق التركية - (٣/٢م - ٤١) من سيد أحمد الرفاعي وسيد عمر جعفري (١٤ من ربيع الأول سنة ١٢٧٢ هـ) .

(٢) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض - الوثيقة رقم ٢٦٨٢٢٢ من مجموعة الوثائق التركية (٢ /٣م - ٤٠) من شيخ الحرم النبوى وقاضى المدينه ورؤساء الأغوات الى الصداره - بدون تاريخ .

(٣) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض - الوثيقه رقم ٧٠٨ من مجموعة الوثائق التريه (٣/٢ م - ٦٧) من الدفتر دار الصدارة - بدون تاريخ .

كما تقدم العمال بعريضة يلتمسون فيها طلب منحة سلطانية كريمة من السلطان عبد المجيد خان ، وعودتهم الي أعمالهم في أماكن اقامتهم بمصر (١) .

وهناك أمران مثيران للعجب والدهشة وردا في الوثيقتين السابقتين لابد من رصدهما والتدقيق فيهما :

الامر الاول : ما جاء في الوثيقه الاولي (٢) وهو أنه " لما توفي من هؤلاء العمال ست وسبعون قام التسعة عشر الباقون بعملهم "

ومثار العجب هنا أن عدد المتوفين يعد كبيرا بشكل غير عادي ولا يحدث مثله الا في الكوارث ومع ذلك فلم تذكر الوثيقة لفظ المرض وانما ذكرت لفظ الوفاة وهو ما يشير الي أنهم توفوا وفاة طبيعية .

والذي أرجحه هو أن هؤلاء العمال قد صادفوا وباءا وقع في المدينة فترة إقامتهم فيها فأودي بحياة الكثير منهم حتي أن الخمسة والتسعين عاملا لم يبق منهم إلا تسعة عشر عاملا فقط .

والامر الثاني : ما جاء في الوثيقة الثانية (٣) " من عودة حوالي سبعة وأربعين عاملا مصريا من النقاشين والبنائين والنجارين الي بلادهم " .

إذ أن ذلك العدد الذي عاد الي مصر يتعارض مع الباقي من العمال بعد وفاة الستة والسبعين عاملا فالباقي كما جاء في الوثيقه الاولي تسعة عشرا عاملا بينما العائدون الي الوطن كما جاء (في الوثيقة الثانية) سبعة وأربعون عاملا .

والذي ترجح عندي هو أن حالات الوفاة عندما زادت وتفشت في العمال ولم يتبق منهم إلا النذر اليسير بادر والي مصر الخديوي عباس باشا الاول بارسال أعداد أخري من العمال المصرين لسد النقص الحادث من الوفاة .

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض - الوثيقة رقم ٧٠٨/٤ - مجموعة (٣/٢ م - ٧٠) من رئيس الكتاب الى الصداره - بدون تاريخ .

(٢) الوثيقه رقم ٧٠٨ - من مجموعة الوثائق التركيه ٢ / ٣ م - ٦٧ .

(٣) الوثيقه رقم ٧٠٨/٤ - من المجموعة ٣/٢ م - ٧٠ .

ومما يثير العجب عدم تعرض المؤرخين والباحثين لعمارة المسجد النبوي علي الرغم من استغراقها أربع سنوات اللهم إلا بأشارة واحده مختصره جاءت في كتاب أحد المؤرخين الحجازيين وقال فيه (١) .

ثم دخلت سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٥م) وفيها شرع في عمارة المسجد النبوي وكان الذي تولي ذلك السلطان عبد الحميد خان ، واستمرت هذه العمارة نحوا من أربع سنين ولم يقدم باشارته السابقه سوي معلومة واحده وهي استمرار عمارة المسجد النبوي أربع سنوات ، واستغراق العمارة هذا الوقت يدل علي أن هذه العمارة قد شملت نواح كثيرة في المسجد ، وانه تم فيها عمل ضخم وجليل ، كان لابد أن يستحس همم المؤرخين ويشحذ أفكارهم ويجري بالتسجيل أقلامهم .

وبالاضافة الي ما تقدم من جهود مصرية نحو تعمير الحرمين والعناية بهما كانت هناك أدوار أخري غير منظورة ، وربما أخذت شكلا هامشيا إلا أنها تؤكد عناية مصر واهتمامها الدائم بأمر الحجاز العزيز.

فمن امثلة ذلك :

أنه في سنة ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢ م وأرسل شيخ الحرم النبوي الي السلطان العثماني باحتياج الكتب النفيسة التي في الحرم النبوي الشريف الي ترميمات واصلاحات كما أن هناك بعض الاصلاحات اللازمة للحرم النبوي ذاته .

وعلي الفور بادرت الحكومة العثمانية بارسال ثلاثين صندوقا بداخلها احتياجات الحرم من جلود ومواد أخري لترميم الكتب والاثاثات وتحقيق الغرض المطلوب ، وقد أرسل ناظر الاوقاف السلطانية الي محمد علي باشا والي مصر بضرورة العناية بتلك الصناديق التي ستصل الي الاسكندرية علي متن سفينة تجارية وحثه علي المبادرة الي ايصال الصناديق الي الحجاز ،واتخاذ ما يلزم نحو إتمام هذا العمل الجليل علي أكمل وجه (٢) .

---

(١) ابراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن - تذكرة أولى النهى - جـ ١ - ص ١٠٠ .

(٢) دار الوثائق القومية - مرفق الوثيقة رقم ٨٣ - المحفظة ١٨ بحريرا - من رؤوف الى .... بتاريخ (١٩ من شوال سنة ١٢٥٨ هـ) .

ويمكن استنتاج حقيقة حضارية من خلال رسالة ناظر الاوقاف السلطانية العثمانية الي محمد علي التي تضمنت التأكيد علي (محمد علي) باتخاذ اللازم لاتمام هذا العمل وهي أنه يتعين علي (محمد علي) إرسال المجلدين المهرة المصريين الي الحجاز بصحبة صناديق المهمات اللازمة مما يؤكد هذا الاستنتاج أن التأثير المصري في فن تجليد الكتب يظهر بوضوح في التجليد العثماني للكتب في هذا العصر وأن ارتقاء فن تجليد العثماني قد جاء نتيجة لارسال السلطان العثماني سليم الاول المجلدين المصرين اللذين برعوا في هذا المجال إلي اسلامبول (١).

هذا بالاضافة إلي أن رسالة الاوقاف لم يظهر فيها أية اشارة عن مصاحبة فنيين عثمانيين للقيام بعمل التجليد لتلك الكتب النفيسة (٢) ، كما أن الحجاز لم يكن به من يقوم بهذا العمل فكان لابد من إرسال الفنيين المصريين (٣) .

ومن الامثلة التاريخية الدالة علي العناية المصرية بتجميل المدينة ما حدث في سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م عندما أراد السلطان العثماني - عبد الحميد الثاني إنشاء حديقة جميلة حول مقام السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرسل السلطان الأزهار المراد غرسها من الاستانة إلي المدينة .

إلاأنها لم تنبت هناك لاختلاف تربة الاستانة ومناخها عن تربة المدينة المنورة ومناخها لذا فقد اقترح الفنيون الزراعيون إحضار الازهار من مصر حيث يمكن أن تنبت في تربة المدينة (٤) المنورة ، ولذلك فقد صدرت الأوامر العثمانية إلي الادارة المصرية بإرسال الازهار المطلوبة إلي المدينة المنورة ، وقد بادرت مصر إلي أرسالها.

---

(١) د/ ربيع حامد خليفة - فنون القاهرة في العهد العثماني (١٥١٧ - ١٨٠٥)ص٢١ .

(٢) انظر : الوثيقة السابقة .

(٣) وصل عدد المجلدين في مصر في العهد العثماني سنة ١٦٧٢م الي ١٥٠ مجلدا للكتب . انظر د/ ربيع حامد خليفة فنون القاهرة في العهد العثماني - ص٢٣ .

(٤) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٢/٢١ محفظة ١٦٤ - ملف ثابت باشا - بتاريخ (٢٠ من صفر سنة ١٢٩٩هـ) .

الإصلاحات فى ميناء جدة :

ساهمت مصر بدور بارز فى عملية إعداد ميناء جدة لاستقبال البواخر التى تنفذ اليه فى شتى البقاع خاصة من الموانى المصرية .

فقدلاحظت الحكومة المصرية فى سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م أن ميناء جدة غير ملائم لرسو واستقبال السفن إذ كانت السفن تجد صعوبة شديدة فى دخول الميناء نظراً لضيقه ، وقد عانت سفن الشركة العزيزية فى أثناء شحن البضائع وتفريغها كثيرا من المصاعب البحرية عند الرسو على رصيف ميناء جدة أو الاقلاع منه .

هذا بالاضافة الى افتقار ميناء جدة الي منار يساعد على أرشاد السفن مع خطورة ولوج السفن فيه، وذلك لكثرة الصخور والنتوءات الظاهرة والمستترة تحت سطح الماء .

من أجل ذلك إستأذنت الحكومة المصرية الحكومة العثمانية فى عمل عدة إصلاحات وتوسعات فى هذا الميناء وفى بناء مرساة علي نفقتها الخاصة ، فلما أذنت لها الدولة بذلك نشطت الحكومة المصرية فى إرسال العمال والمهندسين المصريين المتخصصين فى مثل هذة الأعمال ، كما بادرت مصر بإخطار والى الحجاز ليتخذ اللازم نحو تيسير الأعمال المنوطة بهؤلاء العمال والمهندسين في ميناء جدة (١)

ثالثا : الدعم المصرى للقلاع والموانى المصرية الحجازية

اهتمت الادارة المصرية بأمر القلاع الحجازية على طول الطريق المشترك بين مصر والحجاز لحماية أمن الحجاج وقافلة المحمل التى ترتاد هذا الطريق .

وقد اتفقت الحكومتان المصرية والعثمانية على أن تكون الانفاقات على إصلاح تلك القلاع وتحصينها أمرآ مشتركا بين الدولتين يسدد من أموال الخزانتين المصرية والتركية على أن يكون التنفيذ مصريا .

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٣٤٩ - دفتر رقم ٢٢ عابدين - إلى والى الحجاز - بتاريخ (٥ من رمضان سنة ١٢٨٢ هـ) .

وأعظم القلاع التى حظيت بالاصلاحات والتحصينات المصرية هى قلاع العقبة والمويلحوضباء والوجه ذلك حتى سنة ١٣٠١ ه /١٨٨٤ م حينما استحوذ العثمانيون على قلعتى العقبة والوجه ثم ألحقوها بإمارة مكة (١) .

وقد إنصرفت الجهود المصرية فى تلك الحقبة الى رعاية وترميم القلاع الحجازية بشكل ملحوظ ففى عهد محمد سعيد باشا سنة ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٨ م برزت حاجة القلاع الحجازية إلى الترميم والتعمير ، فصدرت الاوامر من الحكومة المصرية إلى المهندسين الخبراء بعمل الدراسات والمقايسات اللازمة وقد أوضحت هذة الدراسات أن تكاليف هذة الاصلاحات والانشاءات تقدر بمبلغ ألف وثلاثمائة وثمانية أكياس(٢) ومائتين وستين قرشا .

وعلى اثر ذلك تم تجهيز الأدوات والمهمات اللازمة لتعمير تلك القلاع وإصلاحها إلا أن والى مصر محمد سعيد باشا صرف النظر عن تلك العمارة وأصدر أوامره بوقف هذا العمل وتأجيله .

وفى بداية عهد إسماعيل باشا سنة ١٢٨٠ه /١٨٦٣ م أعيد النظر فى موضوع عمارة تلك القلاع الحجازية المشار اليها ، وكان الخراب قد ظهر فيها بشكل سافر نتيجة لإهمال الوالى المصرى محمد سعيد باشا لشأنها حتى أن المختصين بشئون القلاع أعلنوا خشيتهم علي تلك القلاع من الهدم ، من أجل ذلك التمست نظارة المالية المصرية زيادة الاعتمادات المالية المخصصة لتلك القلاع بحيث يرتفع مقدارها علي ماحدد في سنة ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٨ م نظراً لاتساع الخرق ، واحتياج القلاع إلي ترميمات وإصلاحات غير قليلة .

فصدرت أوامر الخديوي إسماعيل بالبدء فوراً في تعمير واصلاح تلك القلاع مع الاستعانة بتلك الأدوات والمعدات التي سبق تجهيزها لهذا الغرض ، وبنفس الاعتمادات المالية الأولي إلي أن يظهر مدي احتياج تلك القلاع لمخصصات أو اعتمادات أكثر فيتم حينئذ تداركها ، وقد تضمنت تعليمات الخديوي

---

(١) أحمد السباعى - تاريخ مكة - ص ص ٤٦٣ ، ٤٦٤

(٢) الكيسة حافظة نقود كانت تساوى خمسمائة قرش أى خمس جنيهات مصرية انظر : هيلين آن ريفلين - الاقتصاد والادارة فى مصر - ص ٤٣٢ .

اسماعيل أن يتم سفر العمال والمهندسين فوراً دون تأخير الي مواقع عملهم في مناطق القلاع (١) السالف ذكرها .

وقد كانت العناية بتلك القلاع تابعة لعناية مصر بشكل عام بسواحل البحر الاحمر وموانيه وقلاعه والعناية بأمر الحجاز والطرق المؤدية اليه ، فأنشأت مصر بتلك الثغور فنارات لتساعد علي هداية السفن المصرية التابعة للقومبانية العزيزية وغيرها من سفن الدول الأخري إلي مواني تلك الثغور ، ثم دعمت هذه الفنارات وفرضت لها الأنظمة الإدارية والمالية لتنميتها والحفاظ عليها .

ومن هذه الفنارات التي تقع في الطريق الساحلي بين السويس والمواني الحجازية فنار رأس الزعفران، وفنار زنوبيا ، وفنار رأس غريب .

ففي شهر المحرم سنة ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م أصدرت الحكومة المصرية أمرها الي محافظ مصر بتعيين معاون وبعض الحراس لاستلام وحراسة الفنار الموجود بمنطقة رأس الزعفران بجهة السويس وما يتبعه من منشآت حتي تتم الاستعدادت لإدارته وألزمت المحافظة بقيد استحقاقات هؤلاء المعينين بديوان المحافظة للصرف (٢) من خزانته .

كما ابتاعت الحكومة المصرية في المحرم سنة ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م فنار زنوبيا الذي كان تابعاً للقومبانية العزيزية بجميع لوازمه بمبلغ وقدره أربعمائة جنيه (٣) .

---

(١) دار الوثائق القومية - الأمر الكريم رقم ١٧ - صفحة ٣٣ - الدفتر رقم ١٩٠٧ أوامر كرام - بتاريخ (٧ من جمادى الأولى سنة ١٢٨٠ هـ) .

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقه رقم ٩٥ - صفحه ١٨٣ - الدفتر ١٨٩٤ أوامر أمر إلى محافظ مصر - (٨ من محرم سنة ١٢٧٧ هـ) .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقه رقم ١٦٥ - صفحجة ١٦٢ - دفتر ١٩٣٥ أوامر أمر إلي الداخلية - (٢٧ من المحرم سنة ١٢٨٨ هـ) .

كذلك قامت الحكومة المصرية بتركيب فنار برأس ... وقد تولي تركيبه أحد المهندسين الأجانب الذي يدعي بركار ، فلما انتهي من تركيبه صرفت له الحكومة المصرية مبلغاً قدره ١٧٧٨٦ فرنكاً فرنسياً نظير قيامه بتركيب هذا الفنار بعد موافقة المجلس الخصوصي عليه (١) .

أما ميناء الوجه - الواقع في شمال الحجاز - فقد قامت الحكومة المصرية بعمل المقايسة الخاصة بإنشاء فنار ثابت له (٢).

وفي سنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م تم تركيب هذا الفنار وهو في شرقي ساحل مدخل ثغر الوجه وقد امتاز هذا الفنار بلونه الأبيض الناصع البياض وبلغ ارتفاعه من سطح البحر إلي ذروته ١٠٦ أقدام إنجليزية، ووصلت أضواؤه إلي بعد بحري قدره أربعة عشر ميلاً .

وتقرر أن تقوم إدارة الفنارات المصرية بتحصيل العوائد الرسمية وقدرها عشرون نصفاً من الفضة عن كل ترناطة من حمولة كل سفينة تدخل ميناء الوجه ابتداءاً من سنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م ، وتم تبليغ قناصل الدول التي لها سفن في البحر الأحمر لتقوم سفنها بدفع هذه العوائد المقررة كلما رست في هذا الميناء (٣) .

ومما يثير العجب هذا الفرق الشاسع بين تحديد عوائد سنة ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م وتحديد عوائد سنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م علي السفن في ميناء الوجه فبينما حددت الحكومة المصرية أربعة قروش وخمسة وثلاثين فضة عن كل ترناطة في حمولة كل سفينة سنة ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م (٤) نجد أنها قد حددت

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيقه رقم ٢٣٢ - صفحة ١٦٤ - ادفتر رقم ٧٨ - المجلس الخصوصى (من المجلس الخصوصي الى المعية بدون تاريخ) .

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيق رقم ٤ - ص ٦٥ الدفتر ٤١ المجلس الخصوصي (من المجلس الخصوصى بختم سعادة المستشار الى قلم الأشغال بالجهاديه بدون تاريخ) .

(٣) الوقائع المصرية - العدد رقم ٦٠٤ - (١٩ من ربيع الأول سنة ١٢٩٢ هـ / ٢٤ من ابريل سنة ١٨٧٥ م) .

(٤) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٨٠ - ص ٧٨ - دفتر ٧٤ - المجلس الخصوص (١٩من ربيع الأول سنة ١٢٨٥هـ) .

عشرين نصف فضة عن كل ترناطة في حمولة كل سفينة سنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م عن السفن التي تنتفع بفنار ميناء الوجه أي أن الخفض في العوائد وصل في هذه السنة إلي أربعة قروش وخمس عشرة فضة عن كل ترناطة ، وهو خفض كبير جداً ، وغير معقول ربما يدفعنا الي القول بأن التحديد الذي استمر فيما يبدو – سبع سنوات قد تم بشكل عشوائي دون دراسة وتدقيق مما دفع السفن المارة علي ثغر الوجه إلي التظلم والشكوي فعدل عن هذه العوائد لتصل الي هذا الحد .

وهناك احتمال آخر يرقى الى درجة الترجيح ، وهو أن العوائد التى فرضت فى سنه ١٢٨٥هـ وهى أربعة قروش وخمسة وثلاثون فضة إنما هى على السفن التى تستفيد بفنارات البحر الاحمر بشكل عام ، أما عوائد سنة ١٢٩٢ هـ/ ١٨٧٥ م وهى عشرون نصف فضة) فهى خاصة بالسفن التى تستفيد بفنار الوجه ومينائه فقط فاذا عرجت هذة السفن على الموانئ الأخرى فانها تصبح ملزمة بدفع العوائد كلها وقدرها اربعة قروش وخمسة وخمسون فضة ربما لأن فنار الوجه كانت لة تكاليف أكثر فزيد بذلك عائده علي العائد الاصلي (١).

وجدير بالذكر أن هذه الفنارات كانت تنقلب بتبعيتها بين الحين والاخر بين المصالح والادارات المصرية المختلفة ، خاصة بعد ازدياد عدد الفنارات المصرية علي ساحلي البحر الاحمر بدخول مناطق جديدة من سواحل البحر الاحمر الغربية تحت السيطرة المصرية . ولذلك فقد صدرت الاوامر الداخلية بضرورة الاطلاع علي النظم السائدة في إدارة سواحل الدول الاوربية حتي يتم انتقاء أفضل الطرق والسبل المناسبة التي تصلح لتطبيقها علي الفنارات المصرية الحجازية الكائنة علي ساحل البحر الاحمر والتي أصبحت تابعة للحكومة المصرية (٢).

وقد بدأت التنظيمات الادارية المصرية للفنارات بشراء الحكومة المصرية كل الفنارات التي كانت تحت إدارة القومبانية العزيزية لتتولي الحكومة بدورها إدارة أشغال تلك الفنارات (٣).

---

(١) دفعني الي هذا الترجيح أن الوثيقة التي اعتمدت عليها في تحديد عوائد سنة ١٢٨٥هـ كانت تتحدث عن عوائد فنارات البحر الاحمر ، بينما تحدثت الوثيقة الخاصة بسنة ١٢٩٢هـ عن عوائد فنار الوجه .

(٢) دار الوثائق القومية – الثيقة رقم ١ – صفحة ٢٧ – الدفتر ١٩٠٧ أوامر – أمر الي ديوان الخارجية – (٢٤ من ربيع الثاني سنة ١٢٨٠هـ) .

(٣) دار الوثائق القومية رقم ١٦ – ص ٥١ – الدفتر ١٩٠٤ أوامر – أمر الي محافظ السويس – ١٢ من محرم سنة ١٢٨٠ هـ .

وبازدياد عدد الفنارات التابعة لمصر أصدرت الحكومة المصرية أمرا بتكوين إدارة خاصة سميت باسم (مصلحة الفنارات والليمانات) (١) وعهد بادارتها الي ماكيلوب بك(٢) الذي كان احد ضباط البحرية الانجليزية ، كما كان ناظرا للمدرسة البحرية بالاسكندرية قبل أن يتم تعيينه في وظيفة مدير مصلحة الفنارات والليمانات (٣) وبعدها فصلت مصلحة الفنارات عن مصلحة الليمانات (الموانى) وأصبحت كل منهما مصلحة مستقلة وقائمة بذاتها - بناء علي اقتراح ماكيلوب بك الذي تولي إدارة المصلحتين معا علي الرغم من انفصال كل منهما عن الاخري - وأصبح ماكيلوب بك رئيس عموم مصلحتي الليمانات والفنارات المصرية (٤) .

وفي سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م قدم ماكيلوب بك اقتراحا للحكومة المصرية بجعل كل مصلحة من المصالح الثلاثة التي بدأت تتضارب اختصاصاتها وهي الليمانات ،.والفنارات ، والجمارك وحدة مستقلة عن الاخري فوافقت الحكومة علي اقتراحه (٥).

ومع ذلك ففي سنة ١٢٩١ه / ١٨٧٤م ظهرت مشاكل بين المصالح الثلاثة وتضاربت بينهم الاختصاصات فصدرت الاوامر بتحديد اختصاص كل مصلحة وفصلها علي حدة والتزام كل مصلحة بما

---

(١) المقصود بالليمانات هنا الموانى .

(٢) كان ماكليوب بك ضابطا برتبة كابتن في البحرية البريطانية .

انظر : بيركرابيتس - اسماعيل المفتري عليه - ترجمة فؤاد صروف - دار النشر الحديث - ١٩٣٧م - ص ١٠٥.

(٣) وفى الوقت الذى تم تعيين ماكيلوب بك الانجليزى فيه لرئاسة المصلحتين عينت الحكومة المصرية انجليزيا آخر هو المسترجسى ملاحظا لفنارات البحر الأحمر بمرتب سنوى قدره مائة جنيه .

أنظر / دار الوثائق القومية - الوثيقة التركية رقم ١٣ - ص ٥٣ - الدفتر ٥٤٩ معية تركي - من المعية الى الخارجية (١٢ من جمادى الأولى سنة ١٢٨١هـ) .

(٤) دار الوثائق القومية - الوثيقه رقم ٣٠٥ - ص ٥٨ - الدفتر رقم ١٨ مجلس خصوص من المجلس الخصوصى إلى ديوان الداخلية - (٦ من جمادى الأولى سنة ١٢٩٠ هـ) .

(٥) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ١٠٥ - صفحه ٥٩ - الدفتر ١٩٤٧ أوامر أمر إلى المالية (٤من المحرم سنة ١٢٩١ هـ).

يعنيها فقط ، وبهذا النظام الجديد تم تخصيص السواحل التي تشرف عليها مصلحتا الليمانات والفنارات، وتخصيص السواحل التي تشرف عليها مصلحة الجمارك (١) .

وفي سنة ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م أضيفت الي مصلحة الليمانات والفنارات مصلحة أخري تم انشائها حديثا بناء علي اقتراح ماكيلوب بك مدير مصلحة الليمانات والفنارات وهذه المصلحة هي مصلحة خفر السواحل ، وتم ترتيب مصاريف ومرتبات الموظفين بهذه المصلحة الجديدة (٢) .

أما بخصوص تشغيل الفنارات الساحلية علي موانى البحر الاحمر فقد كان تشغيلها يتم بزيت يسمي (زيت كلزه) ، وكان المتبع كل عام أن يتم طرح مناقصة عامة تنشر أخبارها في الصحف والوقائع المصرية عن توريد الكميات اللازمة لانارة هذه الفنارات ، ومن يفوز بالمناقصة يتم الكشف علي الزيت الذي عرضه ويتم تجربته قبل استلامه حتي يكون مطابقا للمواصفات المطلوبة (٣) .

وقد عينت الادارة المصرية بتعريف طلبة المدارس البحرية بثغور وسواحل البحر الاحمر ، وخاصة تلك الثغور المؤدية الي بلاد الحجاز علي هذا البحر .

تضمنت مناهج دراستهم النظرية والعملية جمع المعلومات المتعلقة بهذه الثغور .

ففي سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م شمل برنامج دراسات طلبة المدارس البحرية زيارتهم لموانى الطور وجزيرة شدوان ، والمويلح ، والوجه والقصير وينبع وجده وغيرها وقد استقل هؤلاء الطلبة باخرة الصاعقة ، واتجهوا بها الي الموانى لدراستها علي الطبيعة دراسة ميدانية تعد جزءا من منهجهم العلمي والعملي المقرر عليهم (٤) .

---

(١) دار الوثائق القومية - الوثيق رقم ٣٢٠ - صفحه ٦٣ - الدفتر ٥ معية عربي من سعادة مهر دار خديوى الى الحقانية والتجارة - (١٦ من جمادى الأولى سنة ١٢٩٢ هـ) .

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٨٠ - صفحة ٦٨ - الدفتر ١١ معية عربي من سردار خديوى (عابدين) الى المالية - (٢٨ من ذى الحجة سنة ١٢٩٢ هـ) .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٣٥ - صفحه ٧ - الدفتر رقم ٥ المجلس الخصوصى - (١٣ من المحرم سنة ١٢٨٩ هـ) .

(٤) دار الوثائق القومية - الوثيقه رقم ١٧ - المحفظه ٥٢ معية تركى ، جدول يتضمن أسماء البلاد والأماكن المقتضى التوجه اليها بوابور الصاعقة لأجل سياحة تلامذة المدرسة البحرية - (١٣ من المحرم سنة ١٢٩٢ هـ) .

رابعا : محاولة مصر انشاء سكك حديدية في الحجاز :

ظهرت في أواخر سنة ١٢٨٣ه، وأوائل سنة ١٢٨٤ه / ١٨٦٧م فكرة مد خط حديدي من جدة الي مكة .

وقد كانت الشركة العزيزية المصرية تتمتع بامكانات ضخمة تؤهلها للقيام بمثل هذه المشروعات ، لهذا تقدمت بالتماس الي الخديوي عن طريق القبوكتخدا لمنحها هذا الامتياز فرفع الخديوي التماسها الي الباب العالي ، وقد تمت مناقشة هذا الموضوع في الباب العالي وتبودلت بشأنه الاراء التي انتهت بابداء بعض المحذورات ورفض منح الامتياز للشركة العزيزية في الوقت الذي وافق فيه الباب العالي علي منح شركة انجليزية امتياز تمديد هذا الخط .

وعقب ذلك نشرت جريدة الحوادث العثمانية الصادرة في شهر المحرم سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م بأنه قد تكونت شركة انجليزية بغرض مد خط حديدي بين جدة ومكة .

وقد استشاط الخديوي اسماعيل غضبا عند سماعه هذا الخبر ، وكتب الي الاستانة علي الفور ، متعجبا من عدم الامتياز للشركة العزيزية التي تحمل العلم العثماني وتساءل أيضاً هل عدم منحها الامتياز كونها شركة اسلامية ، وقد طلب الخديوي من القبو كتخذ أن يتحري الحقيقة في هذا الموضوع ويحيط بجميع جوانبه في الأستانة ويبرق له علي وجه السرعة حتي تتمكن مصر من التصرف في الوقت المناسب .

ومع ذلك لم ير هذا المشروع النور في ذلك الوقت ، ولم تنفذه الشركة الانجليزية مما يدل علي أن هناك تياراً قوياً مناوئاً للخديوي اسماعيل في دار الخلافة العثمانية وتياراً قوياً مناوئاً للانجليز أيضاً ، فعلي الرغم من أن الخديوي نجح في حجب هذا المشروع عن الشركة عندما احتج بحجته القوية فإنه لم ينجح في إسناد هذا المشروع الي الشركة العزيزية المصرية (١) .

---

(١) دار الوثائق القومية - وثيق رقم ٤٥ - سجل ٢٤ عابدين - إلي القبوكتخدا (١٦ من المحرم سنة ١٢٨٤هـ) .

كما ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي فكرة انجليزية أقيمت عليها بعض الدراسات لمد سكك حديدية بين السويس والهند عبر أراضي الحجاز ، وذلك فيما يبدو لربط أهم مستعمرات لإنجلترا في الشرق وهي مصر وعدن والهند مع مايصاحب ذلك من إحكام قبضة انجلترا علي مستعمراتها في الشرق ، وتسهيل انتقال قواتها ومصالحها الإقتصادية بينها وبين رأس الإمبراطورية فى الجزر البريطانية نفسها .

إلا أن هذا المشروع قد اعترضته بعض العقبات التي كانت علي رأسها صعوبة اختراق الخط الحديدي لبلاد الحجاز التي يسكنها قبائل عنيفة صعبة المراس قد جبلت علي التمرد مما يخشي منه علي سلامة وأمن الخط الحديدي بالاضافة إلي مصاعب أخري خاصة بمرور الخط علي بلاد عديدة يصعب الاتفاق معها كاليمن ، وكذلك كانت هناك معارضة روسية شديدة للمشروع ، مما اضطر انجلترا الي صرف النظر عنه (١) .

خامسا : جهود مصر في تنمية الموارد المائية في الحجاز :

كان لمصر مشاركة إيجابية جادة في تذليل مشكلة المياه التي كان الحجاز يعاني منها طوال عهوده المختلفة حتي أوائل القرن العشرين (٢) .

وفي العصر الحديث ، وعلي وجه التحديد في سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦ م عني محمد علي باشا باصلاح وترميم القنوات التي كانت تجري فيها المياه الي مكة بعد أن خربتها السيول فأرسل لها عمالا ومهندسين عمروها ، وأجروا فيها الماء بعدما انقطع عن مكة فترة من الزمن .

---

(١) جريدة الأخبار - العدد ١٢٥ - السنةالأولي بتاريخ ٢ من شعبان سنة ١٣١٤ هـ ٥ من يناير ١٨٩٧ .

(٢) يبدو أن الاهتمام المصرى بأمر احتياجات الحجاز من المياه قديم جدا حيث تحدثنا المصادر عن كثير من المشاركات المصرية فى هذا المجال الحيوى ومثال ذلك : اهتمام السلطان المصرى قانصوه الغورى فى أوائل القرن العاشر الهجرى بمعالجة مشكلة نقص المياه فى جدة ، فلقد أمر الغورى بجلب المياه اليها من عين تقع فى وادى قوص شمال الرغامة ، شرقى جده الجنوبى ، عبر قنوات موصولة وذلك بعد دراسات واسعة عن أفضل السبل لجلب تلك المياه وقد أنفق فى ذلك أموالا طائلة .

أنظر : عبدالقدوس الأنصارى - تاريخ العين العزيزية - جدة - ص ٤٥ .

كما كان لمصر مشاركة قوية في اصلاح عيون المياه الحجازية ففي سنة ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م تم تشكيل لجنة لجمع المعونات من جميع البلدان الاسلامية ، وعلي وجه الخصوص مصر والهند لاتفاقها علي اصلاح عيون المياه التي تمد مكة باحتياجاتها .

وقد تمكنت اللجنة من عمل دراسات علي كيفية الاصلاح ، وقامت بجمع أموال كثيرة ساهمت فيها مصر بخمسة وعشرين ألف جنيه تم ارسالها الي اللجنة مع أحد معاوني الداخلية يرافقه أحد المهندسين لمباشرة أعمال العمارة الجارية في عيون المياه التي تستمد منها مكة المكرمة (١) حاجاتها .

وقد كانت المياه التي يستعملها الحجاج والأهالي في مدينة ينبع الحجازية ملوثة وغير صالحة للشرب ، وهذا مادعا الحكومة المصرية إلي تكليف أحد أطباء مجلس الصحة بالاسكندرية في ذي الحجة لفحص هذه المياه وكتابة تقرير عنها .

ولقد أشار الطبيب في هذا التقرير إلي ندرة المياه الصالحة للشرب في الحجاز بشكل عام ، وطلب في تقريره بشحذ الهمم لتنقية المياه ونظافتها حتي تصلح لاستخدام الاهالي والحجاج في ينبع (٢) .

وقد ابتكر ابراهيم رفعت - أمير الحج المصري - في سنة ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م تقليداً جديداً وعملاً خيراً حول المياه ، وهوانشاء مسقي خيري .

فقد لاحظ ابراهيم رفعت ابان حجه في سنة ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م أن هناك فقراء أو بؤساء من الحجاج على جوانب الطرق إنقطعت بهم السبل ، بعضهم كان يحج مشيا على الأقدام ، والبعض الأخر كان يتعرض لفقد ماله ومتاعه ، فتألم إبراهيم رفعت لهؤلاء ، وخاطب بشأنهم الخديوى عباس حلمى الثانى الذى أصدر أمرة فى ٦ من شوال سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣ م ٢٦ من ديسمبر سنة ١٩٠٣ م الى مدير الأوقاف بعمل مسقى خيرى يرافق المحمل ، ويشتمل على الماء للشرب ، بالاضافة الى البقسماط للزاد ،

---

(١) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٢) دار الوثائق القومية - الوثيق رقم ٣٩١ - السجل رقم ٢٤ عابدين - إلى قائمقام ينبع - في ٢٥ من ذى الحجة سنة ١٢٨٣ هـ .

كما تم صرف مبلغ مائتى جنية خصص منها مائة وخمسون جنيها للسقى الخيرى وخمسون جنيها لشراء سجادات تفرش للصلاة فى المسجد الحرام (١) .

ولم تقتصر مجهودات مصر فى تنمية الموارد المائية فى الحجاز على الحرمين الشريفين وانما شملت حل مشاكل المياه فى مدن الحجاز المختلفة ، مثال:أنه فى سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م استحكمت مشكلة المياة فى مدينة الوجه بشمال الحجاز فأصبحت المياه الصالحة للشرب فيها نادرة وقد دفع هذا الموقف الحكومة المصرية إلى إرسال ماكينة تقام فى ميناء الوجه لتقطير وتصفية مياة البحر ، وتحويلها الى ماء عزب يصلح للشرب ولما لم تكف تلك الماكينة (٢) حاجات أهل الوجة بادرت الحكومة المصرية بأرسال ماكينتين أخر يين الى الوجه وصار بثغر الوجه وحده ثلاث ماكينات لتقطير المياه هى : ديب البحر - الزقازيق - الطور (٣) .

الجهود المصرية في ميدان الرعاية الصحية :

ظلت منطقة الحجاز تعاني من أثار تفشي الاوبئة بها طوال القرون الماضية ولا يكاد يمر عام دون حدوث وفيات عديدة بين الحجاج من مختلف الجنسيات ومن الحجازين كذلك .

ويرجع هذا إلي أسباب عديدة أبرزها ما يلي :

أولا : اختلاط أجناس الامم المختلفة بأعداد كثيرة وتزاحمهم في الاماكن المقدسة كان يؤدي كل عام إلي نقل العدوي من المريض الي السليم فيتفشي المرض وتنتشر الاوبئة .

---

(١) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - ط ١ - ص ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٢) كان أقصي انتاج تستطيع الماكينة الواحدة تقطيره وتصفيته من المياه ثلاثمائة طن تقريبا فى اليوم الواحد. أنظر : عبدالقدوس الانصارى - تاريخ العين العزيزية - ص ٤٩ .

(٣) الوقائع المصرية - العدد ١٢٨٦ - السنه الحادية والخمسون - بتاريخ ٢٨ من المحرم سنة ١٢٩٩ هـ / ٢٠ من ديسمبر سنة ١٨٨١ م .

وانظر الوقائع المصرية - العدد ١٢٩١ - السنه الحادية والخمسون بتاريخ ٥ من صفر سنة ١٢٩٩ هـ / ٢٦ من ديسمبر سنة ١٨٨١ م .

ثانيا : ذبح الاضاحي بأعداد كبيرة وتركها في العراء أو ترك فضلاتها بمني حتي تتعفن وتتولى الرياح نقل الميكروب الي الحجاج وأهالي الحجاز

ثالثا : وخامة الجوفي مكة وجدة (١) ووجود مستنقعات مائية متخلفة عن الامطار تتكاثر فيها الحشرات والميكروبات.

رابعا : قلة مصادر المياه في منطقة الحجاز ، وندرة الحصول على المياه مما قلل من فرصة النظافة بشكل عام ، واضطرار الحجاج إزاء ذلك الى الشرب من المستنقعات التى لا تصلح للشرب الأدمي، أو من الصهاريج التى لا تظهر فيها الاعتناء بجوانب النظافة أو الناحية الصحية .

خامسا : استغلال بعض العربان لمصادر المياه على الطرق الموصلة الى الاماكن المقدسة بحثاً عن مقابل فاحش لإمداد الحجاج بالمياه .

وقد عملت الحكومة المصرية جاهدة على درء هذا الخطر الذى يهدد أمن البلاد من الناحية الصحية كل عام فى فترة الحج ، وفى غيرها طوال العام .

فقد عنيت الادارة المصرية عناية بالغة بأمر الحجر الصحى (الكورتنينة) على موانيء الوصول المصرية وبخاصة السويس والقصير .

ففى سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م إنتشرت الأخبار المرجفة بتفشى وباء الكوليرا فى كل من جدة ومصوع ، وعلى الفور قرر (كلوجى بك) رئيس مجلس الصحة فى مصر إيفاد طبيبين أحدهما الى جدة والآخر الى مصوع للبحث عن حقيقة ما يشاع عن تفشى هذا المرض .

وكاجراء وقائى أيضا تقرر وضع حجر صحى لمدة عشرة أيام علي البواخر والسفن من جهتي جدة ومصوع الي السويس والقصير لحين ورود تقرير من الطبيبين الموفدين، وفي الوقت نفسه اجريت الحكومة

---

(١) ذكر أحد المعاصرين أن هواء جدة تكثر به الرطوبة التى تصاحب ارتفاع درجة الحرارة ، مما يؤدى إلى توعك مزاج النازل فيها ، ويسبب اضطراب أعصابه ويقلل من همته ونشاطه حيث أن هواء جدة غير صالح للإقامة ولا سيما إذا أضيف الى ذلك قذارة الأكل ورداءة المشرب .

أنظر : عبدالعزيز صبرى بك - تذكار الحجاز ص ٦٢ .

المصرية تحريات واسعة واتصالات مكثفة للاطمئنان علي الحالة الصحية في تلك المناطق التي ذاع أن الوباء داهمها فجاءت التأكيدات بعدم وجود أي نوع من الأوبئة وأن الحالة الصحية في جميع تلك المناطق علي ما يرام (١)

ما إن وصلت تقارير الطبيبين المصريين مطابقة لتقارير أطباء البلدان ويعرضها علي الجمعية العمومية لمجلس الصحة في مصر تقرر عدم فرض الحجر الصحي علي السفن التي تأتي من مصوع فأرسلت الاوامر بذلك الي كل من محافظة السويس والي مديرية قنا التي يتبعها ميناء القصير (٢)

ومع ذلك فقد عرض علي مجلس الصحةالمصري في ٢١ من رجب سنة ١٢٨٢/ ١٨٦٥ م مسألة ما إذا وردت شائعات أخري عن تفشي الوباء مرة ثانية هل يعاد عمل الحجر الصحي أم لا ؟ مع العلم بأن الحجر الصحي يتسبب في تعطيل حركة التجارة والسياحة وسيؤدي الي بقاء البلاد في حالة من الخوف والرهبة بصفة مستمرة وقد يحدث كل هذا بدون مبرر.

كما عرض علي المجلس في نفس اليوم إجراءات أخري يمكن إحلالها محل الحجر الصحي وفحوي هذه الاجراءات هي تكليف طبيبين بالعمل في جدة بشرط أن يكون أحدهما من أولاد العرب (٣) ليتسنى له دخول مكة والمدينة وكتابة التقارير الصحية عنها .

---

(١) دار الوثائق القومية رقم ٣٦ - ص ٤٩ الدفتر رقم ٥٥٧ معية تركى الى : ناظر الداخليه - بتاريخ (٢١ من رجب سنة ١٢٨٢هـ .)

(٢) دار الوثائق القومية - التلغراف العربي ١٢٦٦ - الدفتر رقم ١ عابدين - وارد تلغرافات - من مجلس الصحة إلى سعادة رياض باشا - بتاريخ (١١ من شعبان سنة ١٢٨٢ هـ) .

(٣) كان الغرض من اشتراط أن يكون أحد الطبيبين عربيا أنه سيتعين على أحدهما الذهاب من جدة إلى كل من مكة والمدينة للاطمئنان علي الحالة الصحية بهما وكتابة التقارير عنهما ، لأنه لا يسمح لغير المسلم بالدخول الى المدينتين كما جاء فى الوثيقة الآتى ذكرها .

أنظر : دار الوثائق القومية - الوثيقه رقم ٣٦ - ص ٤٩ - الدفتر رقم ٥٥٧ معية تركي - إلى ناظر الداخلية بتاريخ (٢١ من رجب سنة ١٢٨٢ هـ) .

وبالاضافة الى ما تقدم فقد صدرت التعليمات المصرية أيضا بتكليف ثلاثة أطباء معتمدين للعمل في ينبع ، وسواكن ، ومصوع ، وقد أمر هؤلاء الأطباء بأن يبقوا في أماكن أعمالهم بصفة مستديمة ، كما أسند اليهم بالاضافة الى أعمالهم الصحية منح تصاريح المرور للبواخر والسفن التى ترد الى تلك الموانى السالف ذكرها .

وقد تقرر أنه في حالة حضور سفينة أو باخرة الى السويس أو القصير لا تحمل مثل هذا التصريح يطبق عليها اجراء الحجر الصحى .

وقد أمر هؤلاء الأطباء بدوام التقصى عن حقيقة الأحوال الصحية فى جهات إقامتهم لتكون لديهم معرفة تامة بها ، وليقدموا عنها كل أسبوع تقريرا وافيا الى مجلس الصحة بمصر (١) .

غير أنه فى العام التالى سنة ١٢٨٣ﻫ / ١٨٦٦ م صدرت الأوامر من الادارة المصرية بعمل الحجر الصحى ، وتقرر حجز القادمين الى مصر والعائدين اليها من الحجاز عن طريق منطقة عيون موسى للكشف عليهم من قبل القومسيون الطبى الموجود هناك .

أما القادمون من الحجاز إلى مصر عبر الطريق البرى فكان يتم الكشف عليهم فى منطقة الوجه الواقعة في شمال الحجاز ولا يعبر منطقتي الحجر الصحي السالف ذكرهما - أي مسافر قبل الاطمئنان علي حالته الصحية (٢)

ومما يجدر ذكره أن الحجر كان لا يطبق إلا على من يظهر بينهم حالات مرضية أما الاصحاء فقد كان يفرج عنهم بعد اتمام الكشف عليهم ، والتأكد من خلوهم من الامراض .

كما كانت اجراءات الحجر الصحي تصدرها أوامر عندما يتفشي الوباء فقط في الاراضي الحجازية وما حولها حتي إذا زال الخطر يتوقف أمر الحجر الصحي ويدل علي ذلك تكرار صدور الأوامر بالحجر الصحي مثل الأمر الذي صدر بتاريخ ٢ من محرم سنة١٢٨٣ﻫ/ ١٨٦٦م بشأن عمل الحجر الصحي في عيون موسي وكالامر الذي صدر في ذي الحجة سنة ١٢٨٩ﻫ / ١٨٧٢ م الي محافظي السويس وسواكن ومصوع بعدم دخول أية سفينة الي مواني محافظاتهم قبل أن تكون قد أتمت اجراءات الحجر الصحي علي

---

(١) أنظر : الوثيقة السابقة .

(٢) الوقائع المصرية - العدد ٢٤ بتاريخ ٢ من محرم سنة ١٢٨٣ ﻫ / ١٧ من مايو سنة ١٨٦٦ م .

ركابها في منطقة عيون موسي علي أن يبقي ركابها بالحجر خمسة أيام قبل السماح لهم بالدخول (١)

وقد ذكر إبراهيم رفعت في حجة سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١ م أنة قد أمضي يوما واحدا في الوجه وبعدها توجه بقافلة الحج بحرا الي مرسي الطور وكان في استقبالهم طبيب الحجر الصحي الذي كشف بدوره علي الحجاج ، وأمر بنزولهم الي الحجر الصحي وتبخير أمتعتهم وبعد حجزهم بالمحجر ثلاثة أيام أطلق سراحهم وصرح لهم بالسفر الي حيث استقلوا الباخرة الي ميناء السويس وهناك استقبلهم طبيب أخر اطمأن على حالتهم الصحية ثم سمح لهم بالدخول الى الرصيف (٢) .

وهذا يوضح لنا أنة قد تم نقل المحجر الصحى من مرسى عيون موسى الى الطور (٣) .

وبالاضافة الى الأطباء السالف ذكرهم قررت الحكومة المصرية فى رمضان سنة ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م إرسال طبيب ليقيم فى مكة المكرمة إقامة دائمة وهو الدكتور محمد واصل افندى ، ثم بعثت الى والى الحجاز وأمير مكة برسائلها لمساعدته فى كل ما يطلبه مما يرتقى بالشئون الصحية (٤).

كما أرسلت الحكومة المصرية فى شوال سنة ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م طبيبين أولهما حسن أفندى الألفى للإشراف على الشئون الصحية فى جدة وثانيهما محمد أفندى السكرى للاشراف على الشئون الصحية فى ميناء ينبع .

---

(١) دار الوثائق القومية - صورة البرقية العربية رقم ٦٧٠ - صادر برقيات الدفتر رقم ١٤ عابدين - من خيرى باشا الى محافظ سواكن ومصوع والسويس بتاريخ (٤ من ذى الحجة سنة ١٢٨٩ هـ) .

(٢) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ص ٤٩١ ، ٤٩٢ .

(٣) أنشأ المحجر الصحى بالطور الوالى المصرى محمد سعيد باشا سنة ١٨٥٨ م / ١٢٧٥هـ أنظر : سالم اليمانى - سيناء الأرض والحرب والبشر ص ١٧ .

(٤) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٢٩٣ سجل ٢٤ صادر عابدين - الى والى الحجاز وأمير مكة بتاريخ (٢٣ من رمضان سنة ١٢٨٣ هـ) .

ثم أبرق الخديوى اسماعيل على أثر سفرهما الى والى جدة ليعاون الطبيب حسن أفندى السالف ذكره ، وليتصل بمحافظ ينبع ليوصيه خيرا بالطبيب محمد أفندى السكرى الذى عينته الحكومة المصرية لميناء ينبع(١) .

ويبدو أن مستوى الشئون الصحية فى بلاد الحجاز لم يكن على الصورة المنشودة فقد أرسل الطبيب محمد السكرى المعين للاشراف على الشئون الصحية فى ينبع إلى مجلس الصحة المصرى برسالة فى ذى الحجة سنة ١٢٨٣ ه / ١٨٦٦ م شكا فيها من سوءحالة المياه وعدم صلاحيتها في الينبع للشرب ، كما شكا من قلة اللحوم فى الميناء نظرا لأن حيوانات ينبع هزيلة ، وكذلك شكا من عدم وجود أماكن في ينبع مخصصة لاقامة مرضى الحجاج ، وعدم وجود مراحيض صحية بها .

ثم طلب فى رسالته العناية بأمر تنقية المياه ، ونظافة البلدة واعداد مكان لاقامة مرضى الحجاج (٢) .

غير أن الحكومة المصرية لم تدخر جهدا فى سبيل ترقية الشئون الصحية بالحجاز وفرض الوقاية من الأمراض .

فلم تكتف باجراءات الحجر الصحى بل كانت تقوم بارسال بعثة طبية كل عام إلى جدة للاعتناء بصحة الحجيج خاصة بعد اتمامهم مناسك الحج وعودتهم .

وعلى سبيل المثال أرسلت الحكومة المصرية فى سنة ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م بعثة طبية مولفة من ثلاثة أطباء هم د / يتستين ، د / غاليياردو ، د/أباظة (٣)

وقد ضمنت البعثة كما نرى طبيبا عربيا مسلما طبقا للنظام الذى أسلفنا ذكره ليتمكن من دخول مكة والمدينة وليتابع شئونها الصحية فى موسم الحج .

---

(١) دار الوثائق القومية – الوثيقة رقم ٣١٤ – سجل ٢٤ صادر عابدين – من خديوى مصر إلى والى جدة – بتاريخ ٢٤ من شوال سنة ١٢٨٣ هـ .

(٢) دار الوثائق القومية – الوثيقة ٣٩١ – السجل ٢٤ صادر عابدين الى الى قائمقام ينبع – بتاريخ (٥ من ذى الحجة سنة ١٢٨٣ هـ) .

(٣) الوقائع المصرية – العدد ٤٠٠ – بتاريخ ٢ من محرم سنة ١٢٨٨ هـ / ٢٣ من مارس سنة ١٨٧١ م .

ولقد كانت الظروف الصحية تضطر في بعض الأحيان مأموري الموانئ في الحجاز الى منع مرور البواخر المصرية على سواحل الحجاز مثلما حدث في سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م عندما انتشر الوباء في مكة المكرمة ، وامتد أثره الى مينائي جده والحديده فمنعت البواخر المصرية لذلك من المرور على الميناثين (١) .

وفي هذا العام عندما تحقق المسئولون من وجود بعض الاصابات بالوباء بين الجنود الموجودين بالحجر الصحي الطور صدرت الأوامر للداخلية بحجز الحجاج الواردين من جدة بمدينة الطور لمدة عشرين يوما ، وألا يصرح لهم بدخول مصر الا بعد التأكد من خلوهم من الوباء (٢) .

وكما حدث في سنة ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م عندما تفشى الوباء في منطقة الحجاز فقد قرر مجلس الشئون الصحية بالاستانة إرسال الباخرة العثمانية (القرقول) لتبحر الى جدة في يوم محدد أسبوعيا ولتكون واجباتها هي توصيل التلغرافات التي ترسل من ادارة الحجر الصحي بجدة الى مركز التلغراف بسواكن والعكس ، ولذلك بادر الخديوى توفيق بالتأكيد على محافظ سواكن بأن يعتنى بأمر الباخرة السلطانية (القرقول) أبلغ عناية ، وأن يقدم لها كل المساعدات الممكنة لتأدية واجباتها (٣) .

وقد يتبادر الى الذهن تساؤل وهو : كيف ينقل التلغراف عن طريق الباخرة ؟ والمعروف أن التلغراف يرسل عبر الأسلاك لا على ظهور السفن .

والحقيقه هي أنه وحتى سنة ١٢٩٩هـ /١٨٨٢م لم يكن في الحجاز كله خطوط برقية فان أول خط برقي تم تمديده بين الحجاز والعالم الخارجي هو الخط البحري السلكي (الكابل) بين

---

(١) دار الوثائق القومية - صورة التلغراف العربي رقم ٥٦ - وارد تلغرافات الدفتر رقم ٤٩ عابدين - من مدير وابورات البوستة الخديوية باسكندرية الى سعادة خيرى باشا - بتاريخ (٤ من محرم سنة ١٢٩٥ هـ) .

(٢) أمين سامى - تقويم النيل - م ٣ - جـ ٣ - ص ١٥١٩ .

(٣) دار الوثائق القومية - ترجمة الكتاب رقم ٢١٧ /٣٨ مسلسل أُصلي - السجل رقم ٢٩ - صادر عابدين - بند الباب العالى من الخديو الى الباب العالى بتاريخ (ذى الحجة سنة ١٢٩٨هـ) .

سواكن وجدة (١) وقد تم الاتفاق علي انشائه بين الحكومة المصرية والحجازية في هذا العام المذكور ١٢٩٩هـ/٢ ١٢٨م (٢) ، ولذلك فان الباخرة القراقول كانت قبل هذا العام تحمل علي عاتقها نقل البرقيات من جدة إلى سواكن ليتم ارسالها عن طريق مكتب تلغراف سواكن الذي أنشأته الحكومة المصرية إلى القاهرة ، ومما تجدر الاشارة اليه في مجال الاتصالات أن البريد الخاص بالحجاز بل والمملكة النجدية ظل حتى سنة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ لا يصل الى الخارج إلا عن طريق السويس سواء في ذلك الخطابات العادية أم المسجلة (٣) .

وفي أواخر سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١ م اشتد وباء الكوليرا في الحجاز بشكل مخيف ، وأصاب عددا كبيرا من الحجاج مما دفع الحكومة المصرية الى اتخاذ تدابير وقائية وصحية واسعة كان علي رأسها تشكيل لجنة على أعلى مستوى برئاسة رئيس النظار - شريف باشا - وناظر الداخلية ، وقد قررت هذه اللجنة إرسال الأطباء والصيادلة والممرضين والأدوية ، كما بادرت حكومة مصر بارسال ماكينة لتقطير مياه البحر إلى الوجه لتكفي حاجة الحجاج من الماء الصحي وقت الحجر الصحي ، كما قامت حكومة مصر بارسال كميات كبيرة من الأغذية المختلفة والملابس إلى مدينة الوجه ، وهناك قامت الادارة المصرية بتوزيعها على الحجاج وغيرهم .

---

(١) توبيشل - المملكة العربية السعودية - ص ١٥٨ .

وانظر : عبدالقدوس الانصاري - موسوعة تاريخ جدة - م ١ - ص ٣٧٦ .

(٢) تم تجديد اتفاقية ملكية الخط البحري السلكي في ١٨ من ديسمبر سنة ١٩٢٦م بين الحكومة السعودية والسودانية على أن تقوم شركتان بصيانته وضمان تشغيله وهما : الشركة الشرقية لأعمال التلغراف، وشركة أعمال اللاسلكي والكوابل وهما انجليزيتان .

أنظر :

The Agrement betweent the Sauda Arab and sudo governments owners of jeddeh - Port sudon sea cable and the Eastern telegraph campony LTd. The coble and wireless LTD and their successore or Assigns on April 17 the 1935 .

(٢) عبدالقدوس الأنصاري - موسوعة تاريخ جدة - م ١ - ص ٣٧٦ .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أنشأت اللجنة على عجل تكية بلغت امكاناتها إطعام خمسمائة شخص من الفقراء (١) .

وقد شملت الاستعدادات الصحية في ميناء الوجه لاستقبال الحجاج ستة أطباء ووكيلين ، وكاتبا أول ، وتسعة كتاب ، وثلاثة صيادلة ، ورئيس ممرضين ،واثنين وعشرين ممرضا ، وعشرة سائقين ، وتسعمائة جندى وجنديا ، كما حشدت الحكومة المصرية من بواخر التقطير ثلاثة لخدمة الحجاج وهى : ديب البحر ، والزقازيق والطور لكفاية الحجاج وأهل الوجه من الماء النظيف الصحى.

هذا بالإضافة إلى معدات أخرى كثيرة للاعاشة والاقامة التى تلزم فترة الحجر الصحي وغيره ، وقد شملت هذه المعدات ألفا وأربعمائة وخمسين خيمة ، ومائة صهريج لخزن المياه ، ومائة وخمسين قربة لتوزيع المياه ونقلها ، كما شملت أدوات أخرى لخدمة خمسة عشر ألفا من الحجاج والأهالى (٢).

وعلى الرغم من كل هذه الجهود التى بذلتها الادارة المصرية لراحة الحجاج ولا سيما فى فترة انتشار الوباء فان السلطان العثمانى عبدالحميد قد أبدى استياءه من الضيق الذي كان يعاني منه الحجيج بسبب استغلال بعض البائعين المحتكرين لتجارات معينة ورفع أثمان بضائعهم التى يبيعونها للحجاج مما دفع الخديوى توفيق إلى بذل الهمة ومداركة هذا الأمر لتخفيف أعباء الحجاج من جشع المستغلين .

وكان الخديو قد بعث برقية الى الباب العالي يطلب فيها تقليل المدة الزمنية التى تستغرقها عملية الحجر الصحى فجاءه الرد بأنه ليس من حق الخديوي التدخل فى تحديد مدة الحجر الصحى المتبعة ، وأن السلطان عبدالحميد مستاء لمعاناة الحجيج من جشع البائعين الذين يستغلون حاجة الحجاج وكثرتهم فيبتزون أموالهم (٢) .

ومما يجدر ذكره – فى هذا المجال – أن الحجاج كانوا يعانون كثيراً من اجراءات دفع الرسوم

---

(١) الوقائع المصرية - العدد ١٢٨٦ بتاريخ ٢٨ من محرم سنة ١٢٩٩ هـ / ٢٠ من ديسمبر سنة ١٨٨١م.

(٢) الوقائع المصرية - العدد ١٢٩١ - بتاريخ ٥ من صفر سنة ١٢٩٩ هـ/ ٢٦ من ديسمبر سنة ١٨٨١ م .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة ٢/٢١ - محفظة ١٦٤ عابدين - ملف ثابت باشا بتاريخ (٢٠ من صفر سنة ١٢٩٩هـ) .

الخاصة بالحجر الصحي خلال مرتين المرة الأولى : في السويس عند ذهابهم إلى البواخر فكان يؤخذ من كل حاج اثنين وثلاثين مليما ضريبة الحجر الصحى (١) .

والمرة الثانية : عند وصولهم الى جدة فكان يؤخذ من كل حاج منهم ثمانية قروش برسم الحجر الصحى أيضا ، وكان تحصيل رسوم الحجر الصحى فى جدة يستمر ليلة بأكملها يضطر معه الحجاج الى افتراش الأرض الرطبة والانتظار حتي تتم اجراءات الدفع والتحصيل ..

إلا أن ابراهيم رفعت عندما عين أميرا للحج فى سنة ١٣٢٠هـ /١٩٠٣م اتفق مع محافظ جدة (على يمنى بك) علي أن يأذن للحجاج ومرافقى المحمل بالمرور وسيتولى الأمير دفع الرسوم المستحقة عليهم دفعه واحدةتخفيفا على الجميع (٢) .

ولا شك فى أن هذا العمل الجليل الطيب قد أضفي على ابراهيم رفعت أمير الحج أعظم صفة يجب أن يتحلي بها زعيم الركب ألا وهى تخفيف بعض الأعباء عن ضيوف الرحمن وهى جزء من الرعاية الواجبة لهم في حلهم وترحالهم .

وقد كان المتبع عند وصول أية باخرة لنقل الحجاج إلى [illegible] أن يصعد إليها طبيب الحجر الصحى للكشف على الحجاج ومرافقى المحمل (٣) ، ثم يسمح لهم بعد ذلك بالمرور اذا خلت جموعهم من الأمراض أو يبقون فى الحجر مدة للوقاية والعلاج اذا اكتشفت بهم حالات مرضية .

خامسا : التنقيب المصرى عن المعادن بالحجاز :

تتحدث المصادر التى [illegible] عن محاولات عديدة مصرية للتنقيب عن المعادن فى الحجاز ، ومنها الفحم [illegible] الحجاز وتوابعها مما يدل على عناية مصر برقى هذه المنطقة ، والبحث فيها عن [illegible] الطبيعية تساعد الأمة الاسلامية سواء فى الحجاز أم فى مصر أو غيرهما على مسايرة [illegible] التطور والتقدم الذي أخذ ايقاعا سريعا فى القرن التاسع عشر كان بحق مقدمه للتطور المذهل فى القرن العشرين .

---

(١) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - جـ ١ - ص ١٤ .

(٢) ابراهيم رفعت - مرآة الحرمين - ص ص ١٦ ، ١٧ .

(٣) المصدر السابق - ص ١٦ .

وأبرزها تلك الرسالة التى بعث بها وكيل محافظ مكة المير لواء محمد أمين إلى محمد على باشا فى ربيع الأول سنة ١٢٥٥ هـ والتى قال فيها :

" معلوم بالتحقيق عند جميع الناس أن بلاد الحجاز كثيرة الجبال المتصلة والروابى والوديان ، واننا لم نمل من البحث والتنقيب ، وسؤال أرباب المعرفة وقتا بعد وقت عما اذا كان يمكن ظهور معدن فى بعض الجهات من بين تلك الجبال " ؟ .

وسياق الرسالة يظهر مدي الاهتمام المصرى بأمر البحث والتنقيب عن المعادن حتى أنه سمع من بعض الناس أنه على بعد ست ساعات بسير الابل من منطقة الجعرانة موضع العمرة القديم كما تذكر الرسالة - يوجد المعدن (١) .

ولذلك انتقل وكيل محافظ مكة مع كبير الأطباء القائمقام شارفو ، ورئيس الصيادلة نوبار لاكتشاف المكان فوجدوه جبلا عاليا كثير المنحدرات وأخذوا منه عينات من الأحجار من عدة جهات ، وتم وضعها في صندوق ، وأرسل الى محافظ جدة ليرسله بدوره الى السويس حتى يتم فحصه فى مصر بواسطة المختصين ، ومعرفة ما تحتوى عليه هذه الأحجار من معادن .

كما أشار وكيل المحافظ إلى أنه عثر على بئر غزير طعمه طيب فى هذه المنطقة ذاتها (٢) .

كما أرسل محمد شيرين ميرالاى الآلاي الواحد والعشرين بالحجاز - إلى محمد على باشا رسالة فى ١٩ من رمضان سنة ١٢٥ هـ / ١٩٣٩ م ، وأرفق معها ثلاث قطع من الرخام مختلفة الألوان والاشكال ، وأشار فى رسالته الى أن هناك معادن أخرى مختلفة إلا أن تحديدها يتوقف على وجود مختصين بهذه الأمور كالجيولوجين وبما يستلزم من وجود معدات البحث ولوازمه.

وهذا الرخام اكتشفه محمد شيرين فى قرية تعرف بذى عين أو (موزكولى) حسب تسمية المصريين لها ، وتقع هذه القرية فى جهة عقبة الباحة .

---

(١) دار الوثائق القومية - وثيقة رقم ٦ أصلى / ١٧١ حمراء - محفظة ٢٦٦ عابدين من المير لواء محمد أمين وكيل محافظة مكة الى صاحب الدولة - بتاريخ (٣ من ربيع الأول سنة ١٢٥٥ هـ) .

(٢) أنظر : الوثيقة السابقة .

وقد شاهد محمد شيرين هناك كثيرا من الرخام السطحى الذى يمكن نقله بسهولة إلى ثغر القنفذة أو إلى ثغر جدة ومنه الى السويس أو إلى الحرمين الشريفين مباشرة فان هذا الرخام يصلح لكثير من الأغراض ، وهو يمتاز عن الرخام المصري بتعدد ألوانه - حسبما ذكر محمد شيرين - ولا يستلزم نقله مشقة كبيرة (١) .

أما عن الفحم الحجرى فقد شاع وجوده بمنطقتين احداهما منطقة حدة (٢) الواقعة بين جدة ومكة المكرمة ، والأخري فى منطقة الحديدة .

فعندما علم الخديوى إسماعيل باشا بما تردد عن وجود الفحم الحجرى فى منطقتى حدة والحديدية أرسل إلى والى اليمن بأن ذلك لو كان صحيحا لكان له أبعد الأثر فى انعاش البلاد ود الخير على الخزينة الجليلة (خزانة الباب العالى) .

وقد اختتم الخديوى اسماعيل رسالته هذه بضرورة تسهيل مهمة البعثة العلمية التى سيرسلها وإسداء المعونة إليها .

ثم لم يلبث الخديوى أن أرسل باخرة خاصة على متنها بعثة علمية برياسة أمين بك هدفهـا التنقيب ، والبحث عن هذا الفحم فاذا تأكد من وجوده رفع تقريرا بذلك إلى حكومة مصر لتقوم هذه الحكومة بالاتصال بالباب العالى ليأذن لها باستخراج الفحم واستغلاله لصالح الدولة(٣) .

ويغلب على الأعتقاد أن الخديوى لم يكن كل همه متجها نحو مصلحة الباب العالى انما كان همـه متجها الى ما سيدره عليه هذا الاكتشاف من خير عميم يفى باحتياجات مصر من الفحم الذى كانت تستورده من انجلترا بأسعار عالية .

---

(١) دار الوثائق القومية ترجمة الوثيقة رقم ١٣٩ حمراء - المحفظة ٢٦٧ - من محمد شرين بتاريخ ١٩ من رمضان ١٢٥٥ .

(٢) حدة منزل فى وادىبين جدة ومكة فى أرض تهامه فيها حصن ونخل وماء عين جارية . أنظر ياقوت بن عبدالله الحموى - معجم البلدان - جـ ٢ - ط بيروت - ١٣٩٩ هط - ١٩٧٩ م ص ٢٢٩ .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٢٠٤ - الدفتر رقم ٢٢ - صادر عابدين إلى والى اليمن - بتاريخ ١٠ من جمادى الثانية سنة ١٢٨٢ هـ .

كما أرسل الخديوى اسماعيل رسالة أخري إلى اسماعيل صادق بك قائد الجيش المصري المتأهب بالحجاز لاخماد ثورة عسير - التى تزعمها محمد بن عائض - وكانت أوامر الخديوي إلى قائد جيشه واضحة بضرورة العناية بتجهيز وتخصيص بلوكين من الجنود النظامية المصرية التى تحت قيادته ليكونا بصحبة أمين بك واللجنة التي بصحبته ليظلا معه وتحت أمره طوال فترة انجاز أعماله التي كلف بها ، وهي التنقيب الأولى عن الفحم فى منطقتى حدة والحديدة (١) .

كما بعث الخديوى إلي والى الحجاز برسالة قال فيها : أنه إن صح وجود هذا الفحم بالحجاز فانه سيدر الكثير من المنافع على الحجاز وغير الحجاز من أجزاء الدولة (٢) .

وقد أراد الخديوي أن يتأكد من وجود هذا الفحم فى منطقة حدة فأرسل إلى أمين بك الموجود بالحديدة للقيام بواجبات هذا الكشف ثم حث والى الحجاز على أن يسهل له أعماله وأن يعاونه بكل ما يحتاج إليه من شتي المعونات (٣) .

إلا أن هذه الجهود كلها لم تكلل بالنجاح ولم يتم اكتشاف الفحم الذى ظلت مصر تعلق عليه آمالا عظيمة ، لأن ذلك سيقلل من اعتمادها على الفحم الانجليزى الذى كانت تستورده من انجلترا بأسعار وتكليف نقل باهظة فظلت احتياجات مصر من الفحم الانجليزى فى ارتفاع مستمر حتي أنها أرسلت مندوبا من قبلها ليقيم فى لندن إقامة مستديمة ليرعى حاجتها من الفحم وليشرف على سرعة ارساله (٤) .

---

(١) دار الوثائق القومية الوثيقة رقم ٢٠٦ - دفتر ٢٢ صادر عابدين الى : صاحب العزة اسماعيل صادق بك قائد العساكر المصرية بالحجاز - بتاريخ (١٠ من جمادي الثانى سنة ١٢٨٢هـ) .

(٢) لعله يشير بقولته " وغير الحجاز من أجزاء الدولة " الى مصر التى كانت فى أشد الحاجة الى الفحم .

(٣) دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٢٤٧ - دفتر رقم ٢٢ صادر عابدين - الى والى الحجاز - بتاريخ (٩٥ من رجب سنة ١٢٨٢هـ) .

(٤) د/ شوقى الجمل - الوثائق التاريخي - ص ٤١٠ .

تنظيم البريد بين الحجاز والعالم الخارجى عن طريق مصر :

تعد مسألة البريد بين الحجاز وخارجه ، ولاسيما العاصمة استانبول مشكلة كبرى فى حد ذاتها اذ كان البريد يستغرق وقتا طويلا فضلا عن اعتراض قطاع الطرق من العربان والبدو على طول الطريق الموصل بين مكة والقاهرة .

فلم يكن أمام الحجاز من سبيل لتوصيل البريد الى جهاته سوى نقله عبر البحر الأحمر إلى السويس ومنها كانت ترسل الرسائل الى الجهات المراد إرسالها إليها حسب العناوين المكتوبة عليها .

وقد اقتضى النظام في الدولة العثمانية وولاياتها أن لا يتم البت فى أمر من أمورها إلا بعدالعرض على الباب العالى فى استانبول وصدور الأوامر والتعليمات الخاصة بالولايات والتى كان يحملها البريد فكان من الطبيعى أن يتأخر البت فى القضايا بسبب انتظار وصول البريد من الباب العالى عبر الولايات المترامية الأطراف وبسبب هذا النظام العقيم عاني الحجاز من تأخر البت فى قضاياه نظرا لبعد المسافة بينه وبين العاصمة استانبول .

فعلي سبيل المثال كان فى عهد محمد على باشا ملاحة بحرية مستمرة بين مصر والحجاز لنقل الجنود والعتاد بين السواحل المصرية والحجازية ، وبالطبع كانت تنقل معها البريد الحجازي ، إلا أنه بعد خروج جيش محمد علي من الحجاز (١) هبطت الملاحة إلى مستواها الأدنى فلم تبق هناك ملاحة منتظمة بين السويس وجدة إلا من خلال سفينة واحدة تعمل بقوة ستين حصانا وتستغرق رحلتها من جدة إلى السويس حوالى عشرين يوما (٢) .

---

(١) كان ذلك قبل انشاء الشركات الملاحية المصرية مثل الشركة المجيدية والشركة العزيزية .
وقد أنشأت الأولى سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م ، وقامت بمهمة الملاحة فى البحر الأحمر خاصة موانئ مصر والحجاز أما الثانية فقد أسست سنة ١٢٧٩هـ / ١٨٦٣ م وزادت من نشاطها وعدد سفنها عن الشركة الأولى، وتولت مهمة نقل البريد الحجازى الى مصر ومنه كان يرسل الى استانبول .
أنظر : دار الوثائق القومية - الوثيقة رقم ٦٤٠ - ص ١٠٠ - دفتر ١٩٠٧ أوامر - بتاريخ (٣من شعبان سنة ١٢٨٠ هـ) .
وانظر : الوثيقة رقم ٣٨٠ - دفتر ٢١ عابدين - بتاريخ (١١ من ذى القعده سنة ١٢٨٠ هـ) .
(٢) محمد عبدالله آل زلفة - اصلاحات حسيب باشا - ص ٨٠ .

ولذلك فقد تم الاتفاق بين الحكومة المصرية فى عهد عباس باشا الأول وولاية جدة فى عهد الوالى حسيب (١) على تنظيم رحلات برية للبريد وتنظيم محطات تقام عبر أراضى البلدين ، وقد تم تقسيم هذا الطريق على مرحلتين : الأولى تبدأ من مكة المكرمة وتنتهي عند قلعة الوجه ، والثانية تبدأ من قلعة الوجه وتنتهي عند باب النصر بالقاهرة .

أما المحطات التى يمر عليها ركب البريد فى المرحلة الأولى بعد خروجها من مكتفهى : عسفان ، فخليص ، فرابغ ، فمستورة ، فينبع البحر ، فحوراء فقلعة الوجه ، ويقطع ركب البريد هذه المرحلة فى ثلاث وثمانين ساعة .

وأما المحطات التى يمر عليها ركب البريد فى المرحلة الثانية بعد خروجه من الوجه فهى : المويلح ، فالعقبة ، فالطور ، فعمير ، فمصر ، ويقطع ركب البريد هذه المرحلة فى تسع وتسعين ساعة .

وقد تم تخصيص ثلاثة من الهجين مع ثلاث من الهجانة لنقل البريد وعين لكل هجان معاش شهرى مائة وخمسة وعشرين قرشا ونفقات للطعام قدرها اثنان وعشرون قرشا ونصف قرش ونفقات لعلف الهجين من الفول قدرها مائة واثنان وثلاثون قرشا (٢)، وقد استمر الحال على ذلك حتي أنشئت الشركات الملاحية المصرية ، وتم تسيير خطوط منتظمة تحمل البريد والتجارة والركاب فى مواعيد أسبوعية محددة بين موانى الحجاز والموانى المصرية على طول البحر الأحمر (٣) .

لقد كانت عناية مصر بالمخصصات واحتياجات الحرمين الشريفين ، وأهل الحجاز من الانشاءات والاصلاحات الضرورية نابع من التدين والالتزام الاسلامى تجاه البقعتين المقدستين فى مكة والمدينة وأهلها .

---

(١) تولى حسيب باشا ولاية فى سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩ م ، واستمر بها لمدة عامين حيث عزل منها فى سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١ م .

أنظر : عبدالقدوس الأنصارى - موسوعة تاريخ جدة م ١ - ص ٣٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٨١ ص ٨٢ .

(٣) انظر تفاصيل ذلك فى الفصل الثالث من هذا البحث .

وكانت عناية مصر بالحرمين الشريفين تصل الي زروتها عندما تتصدى لحماية الحرم المكي من السيول أو العوامل الطبيعية الأخرى كالعواصف والأمطار التى كانت تؤثر فيه فتشمر عن سواعد الجد لاصلاح ما أفسدته تلك العوامل ، وكذلك كانت عناية مصر بأمر الحرم المدني تبلغ زروتها عندما تبرز حاجاته إلى العمران والاصلاح واقامة الأعمدة ، وما يستلزم ذلك من صناع مصرين فى مجالات البناء والنجارة ، والطلاء والنقاش وغير ذلك ، كما حملت مصر على عاتقها الاصلاحات والانشاءات المتعلقة بالموانى والفنارات والقلاع الحجازية سواء منها ما كان فى الحجاز نفسه أم فى الطريق الموصل اليه .

ولقد امتدت يد الاصلاح والخدمات المصرية إلى مجال توفير المياه فى المدن والثغور الحجازية تخفيفامن حدة مشكلة المياه التى عانى منها الحجازيون طوال عصورهم السابقة ، فساعدت مصر ، الاصلاحات على توفير المياه النظيفة للحجاج وأهل الحجاز سواء بحفر الآبار أم بجلب (الكنداسات) ماكينات تقطير مياه البحر وتحويلها إلى مياه عذبة .

أما الرعايةالصحية فقد عمدت الادارات المصرية المتعاقبة على دره أخطار الأوبئة عن الحجاز والحجاج ، ومعالجة ما قد يصيب الحجاج وأهل الحجاز من أخطار المرض وخطوبه ، والتى كانت تؤدى بحياة الكثيرين من الحجاج وأهل الحجاز ، لهذا حرصت على إقامة المحاجر الصحية، وتعيين الأطباء والممرضين فيها للكشف على الحجاج ومعالجة المرضى منهم ، ومداركة ما يحتاجه هولاء المرضى من الأدوية والطعام ، والاقامة .

كما ظهرت فى الحجاز جهود مصرية للتنقيب عن المعادن فى مناطق عديدة ومحاولات لانشاء سكة حديدية بين جدة ومكة ، إلا أن هذه الجهود لم تسفر عن نتيجة ملموسة اللهم إلا الدلالة على العناية المصرية بأمر الحجاز وأهله ، والعمل على النهوض بمدنه وقراه من منطلق وحدة إسلامية تقودها خلافة إسلامية رشيدة .

والله ولى التوفيق ،،،

الخاتمة

وبعد وبعد أن انتهيت بحمد الله من هذه الدراسة أن أميط اللثام عن الحقائق التاريخية المهمة التي أبرزها هذا البحث والتي تعد بحق تاريخياً جديداً ، وأن أجلو النتائج التي برزت من خلال هذا العمل التاريخي العلمي في اختصار شديد .

أولا : أبرز هذا البحث حقيقة فحواها أن مدن وقرى مصر قد بات ميدانا مفتوحا منذ العصر الاسلامى الأول إلي نهاية القرن الثالث عشر الهجرى لأبناء شبه الجزيرة العربية خاصة يؤمونها كما أن المصريين لم ينقطعوا يؤمون الحجاز بحرميه حجاً ومجاورة وإقامة .

ثانيا : أنتهت الدراسة إلي أن الأشراف الذين باتوا يسيطرون علي مكة من منتصف القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى إلى بداية القرن الرابع عشر الهجرى الربع الأول من القرن العشرين قد عدوا أنفسهم حكاما محليين يدينون بالولاء للدولة العظمي التى تسيطر على القاهرة - فى أغلب الأحوال .

ثالثا : أوضح البحث بجلاء دور الحجازيين العظيم فى مساندة المقاومة المصرية إبان الغزو الفرنسى لمصر ، وما قاموا به من أعمال بطوليه ملبين داعى الجهاد بعد أن تجمع الآلاف منهم في الموانئ الحجازية وركبوا البحر إلي القصير حيث وقفوا مع إخوانهم فى مصر صفا واحدا لقتال الفرنسيين جهادا فى سبيل الله واعلاءا لكلمته .

رابعا : ظهر من خلال الدراسة أن المصريين قد نالت منهم حروب محمد على فى شبه الجزيرة مثلما نالت من آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب والسعوديين ، كما تبين أنه من الخطأ التاريخى نسبة القتل والتنكيل فى شبه الجزيرة إلى المصريين والمصريون منه براء ، حيث أكد البحث على عدم وجود جنود مصريين قد حملوا السلاح فى وجه إخوانهم فى شبه الجزيرة ، إنما تكون جيشه من مرتزقة وجنسيات أخري غير مصرية ولم تشتمل حملات (محمد على) على مصريين سوى بعض الخدمة الذين أخذوا قسرا من الصعيد المصرى بعد أن سلبت أقواتهم وأملاكهم في تجهيز تلك الحملات .

خامسا : أثبت البحث بما لايدع مجالا للشك أن الهيمنة المصرية على الحجاز فى أشكال مختلفة استمرت حتى بعد خروج جيش محمد على من شبه الجزيرة وظهر ذلك فى تدخل مصر لدى

الدولة العثمانية فى عزل والى جدة عثمان باشا تاتار سنة ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م والابقاء على الشريف محمد بن عون الموالى لمحمد على ، على الرغم من ميل الدولة العثمانية الى عزلة .

سادسا : ظل الحجازيون يستنجدون بمصر كلما كانت تحيق بهم بعض المخاطر مثل الاعتداءات العسيرية على البلدان الحجازية فكانت مصر ترسل الحملات لردع العسيريين وتستخدم معهم أساليب الترغيب والترهيب .

سابعا : اوضح البحث الجهود المصرية التى بذلها ولاة مصر خاصة محمد على واسماعيل باشا لضم محافظة سواكن ومصوع إلى مصر بعد انتزاعها من إيالة جدة وقد كان لنجاحهما فى ذلك أثر كبير فى إحكام مصر قبضتها على السودان وتيسير التجارة السودانية من خلال ميناء سواكن التى باتت تشارك موانىء السويس وجدة وغيرها فى مصر والحجاز فى إثراء الحركة التجارية بين البلدان الثلاثة مصر والحجاز والسودان .

ثامنا : أرخ البحث للجذور الحقيقية لمشكلة طابا ورد على المزاعم التى تمسك بها والى الحجاز فى تأليبه للدولة العثمانية على مصر مدعيا ان مصر تحاول التمكين لنفسها من قلاع شمال الحجاز فى حين أن الحقيقة لم تتجاوز مجموعة الاصلاحات والاهتمامات المصرية بأمر الحجيج والاهالى الحجازيين فى تلك القلاع والتى كانت تقوم بها الادارة المصرية منذ زمن بعيد بين الحين والأخر للعمل على راحة الحجاج ورعاية حالتهم الصحية ودرء الأخطار عنهم ، إلا أن وجود الاحتلال الانجليزى لمصر قد زاد المخاوف عند الحجازيين والدولة العثمانية فعملوا على إزاحة مصر عن تلك القلاع خوفاً من التسلل الانجليزى اليها كما بين هذا بجلاء أن مطالبات الدولة العثمانية بسيناء كلها ، ونزول قواتها الى منطقة طابا لم يكن إلا مناورة سياسية أرادت أن تكسب بها ارضا للمفاوضة عليها بحيث تنتهى المفاوضات عند رغبتها الأساسية وهى الاحتفاظ بقلاع شمال الحجاز التى تعد ضرورية لخدمة خط سكة حديد الحجاز المزمع إنشاؤه من معان الى العقبة هذا فى الوقت الذى كان فيه التيار الشعبى فى مصر مؤيداً لمطالبات الدولة العثمانية ، وضد مطالب الحكومة المصرية التى اعتقد بأنها موحاة من الاستعمار الانجليزى .

تاسعا : أرخ البحث لقضية النفى بين القطرين فى القرن التاسع عشر للمنفيين والمعارضين ، وهذا يؤيد حقيقة اجتماعية وهى امتداد كل قطر منهما ليكمل الاخر .

عاشرا : فصل هذا البحث أوجه التبادل التجارى بين مصر والحجاز وما قامت به الادارات المصرية من تشجيع لهذه التجارات وذلك بإنشاء الشركات الملاحية العديدة وتيسير الخطوط الملاحية لنقل

الركاب والتجارة مع تجاراتهم والتى تمثلت فى البن والملح والغلال والمـ ...ات والجلود والقطن ، والسكر والشمع والسنامكى ، والنيلة وغيرها مما أثرى التبادل التجارى بين القطرين وأدى إلى رواجه .

حادى عشر : أبرز هذا البحث المزاعم التى سيقت بشأن أثر افتتاح قناة السويس السلبى على تجارة جدة ، وفككت البحث حول هذه المسألة أن افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية لم يكن له أثر سلبى إلا على أسطول جدة الشراعى والذى لم يستطع مسايرة السفن البخارية الحديثة ، وتسبب ذلك فى اندثاره فى حين نشطت التجارة فى جدة بسفن مصرية وعثمانية وأوربية وغيرها .

ثانى عشر : أبرز هذا البحث الجوانب الفكرية والاجتماعية التى جمعت بين الشعبين فى بوتقة واحدة ظهر فيها التأثير والتأثر ، وكان أوضحها انتقال دعوة ابن عبد الوهاب الاصلاحية إلى مصر ، واعتناق كثير من المثقفين المصريين لهذه الدعوة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ظهر تأثر الحجازيين بالنهضة العلمية المصرية التى لمت بمصر فى عهد محمد على ، وتأثرهم بالنهضة الثقافية التى ظهرت فى عهد اسماعيل باشا وقد انتقلت هذه المؤثرات العلمية والثقافية عن طريق الحج والعلماء وطلبة العلم الذين كانوا فى رحلة مستمرة بين القطرين كما لعب الأزهر فى هذا الميدان دوراً عظيماً وشارك بسهم وافر فى تخريج مجموعة من العلماء الذين قاموا بعد ... التدريس فى الحرمين الشريفين ، وفى استقبال طلب العلم الحجازيين وغيرهم فى مصر .

ثالث عشر : تضمن البحث دور الصحافة المصرية فى تنمية العلاقات المصرية الحجازية وبث كثير من الجوانب الثقافية فى ربوع الحجاز بما كان يطلع عليه الحجازيون ويقرأونه فى تلك الصحافة بالاضافة إلى كتابات الكثيرين من الأدباء والمفكرين المصريين فى الصحافة الحجازية أمثال أحمد شوقى ، وحافظ إبراهيم وعائشة التيمورية وغيرهم .

رابع عشر : أوضح البحث دور الهجرات المتبادلة للأسر والأفراد فى انصهار الشعبين المصرى والحجازى بسبب التزاوج والمعاملات المختلفة كما كان لتولى الموظفين المصريين الكثير من الوظائف والأعمال فى الحجاز أثر فى اذكاء وتنمية هذه العلاقات ، كذلك كان هناك تيار مقابل من بعض الحجازيين الذين عملوا فى مجال التجارة وغير ... بمصر ، ذكى روح التآلف بين الشعبين .

خامس عشر : ظهر من خلال الدراسة أثر العوامل الاجتماعية السابقة وما نتج عنها من تأثير وتأثر فى إنتاج عادات وتقاليد مشتركة وضحت فى الجوانب المختلفة للحياة اليومية من مأكل ومشرب وملبس واحتفالات ومناسبات شتى .

سادس عشر : تعرض البحث للتأريخ لموكب الحج المصري ، وما كان يتعرض له من مشاكل وخطوب كانت تنشأ من خصومة عنيدة يفرضها عربان الطرق المؤدية إلى الحرمين في مكة والمدينة طمعا في أموال الصرة ومتلكات الحجاج وأموالهم مما كان يضطر الحكومات إلي تسليم قافلة الحج بتجريدة عسكرية ترافقها ، وإقامة القلاع وتجهيزها بالعتاد علي طول الطريق ، ومع ذلك فقد تحولت قوافل الحج من [illegible] تصير إلي أسلوب آخر وهو تعيين مرتبات حددت مصر لمشايخ وزعماء [illegible] العربان وما هي في حقيقة الأمر إلا إتاوات .

سابع عشر : تناول هذا البحث التكاليف المالية لإعداد الكسوة ومفردات هذه التكاليف ومسيرة المحمل ضمن موكب الحج المصري ، بالاضافة إلي المخصصات والمرتبات الاخرى التي كانت تهتم بها سنويا مع صرة الحرمين الشريفين وكانت هذه المخصصات تشمل مرتبات تكيتي مكة والمدينة ومرتبات الموظفين المصريين في الحجاز ومرتبات العربان (الاتاوات) ومرتبات ومؤن الحامية العثمانية الموجودة بالحجاز ، بالاضافة إلي مخصصات الفقراء والمجاورين كما وصف هذا البحث كيفية وصول هذه المخصصات وصرة الحرمين الشريفين إلى مكة والمدينة وكيفية استقبالها فيهما .

ثامن عشر : أبرزت الدراسة في هذا البحث ما قامت به مصر من إصلاحات كبيرة في الحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، والأعمال الفنية والمعمارية التي عنيت بإقامتها في ميناء جدة ليسع السفن والبواخر الكبيرة التي تنقل الحجاج والتجارة الدولية بين الحجاز والعالم الخارجي ، كما عني هذا البحث بإبراز الجهود المصرية العديدة في مجال دعم القلاع والفنارات في الموانيء والسواحل الموجودة علي طول الطريق بين السويس والحجاز ، كما عني بإبراز جهود مصر الفذة حول موارد المياه لحل مشكلة ندرتها وسوء تخزينها ، ويمتد موضوع المياه ليشمل الاهتمام والعناية بالرعاية الصحية وابتعاث الأطباء إلي الحجاز ، ومرافقة البعض منهم مع مساعديهم لركب الحج المصري .

تاسع عشر : لم يغفل البحث تلك المحاولات المصرية لإنشاء سكة حديدية في الحجاز بين جدة ومكة ، ولم يغفل أيضا المحاولات المصرية الأخرى للتنقيب عن المعادن والتي توقفت عند خطواتها الأولي.

عشرون : بين هذا البحث عناية مصر الفائقة بتنظيم البريد بين الحجاز والعالم الخارجي لنقل الخطابات والبرقيات التي كان يرسلها الحجازيون والحجاج والتجار إلي أوربا والدولة العثمانية ودول افريقيا وغيرها وكانت جميع هذه الرسائل والبرقيات ترسل إلي سائر الدول عن طريق مصر .

والله ولي التوفيق ...

ثبت المصادر والمراجع

اولا : الوثائق العربية غير المنشورة

أ - دار الوثائق القومية بالقاهرة :

١ - أبحاث السودان : المحفظة ١٧ .

٢ - الأزهر الشريف : سجل ١٦ من سجلات الجراية

سجل ٣٣ من سجلا تعداد المحقق نسبتهم للأزهر

٣ - أوامر عربى : دفتر رقم ١٨٩٤ ، ١٩٠٣ ، ١٩٠٤ ، ١٩٠٧ ، ١٩٠٨

١٩١٢١ ، ١٩٢١ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣٥ ، ١٩٤٧ .

٤ - بحرير : المحفظه ٣ ، ٤ ، ٨ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ .

٥ - ديوان جلالة الملك : مجموعة الفرمانات الشهبانية .

سجل ٦ من (١٨٦٣ - ١٨٧٩) .

٦ - ديوان خديوى : الدفتر ٦٠٩ .

٧ - ذوات تركى : المحفظه ٢ .

٨ - عابدين : الدفتر ١ ، ٢ ، ٣ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٣ ،

٣١ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٦ .

و : المحفظه ٢٢٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ .

و : محفظة سايرة .

و : سجل ٢٤ ، ٢٩ .

٩ - القومبانية العزيزية : محفظة قرارات مجلس الادارة (ملف قرارات سنة ١٢٨٣هـ).

و : ملف وابورات سنة ١٢٨٦ هـ .

١٠ – مجلس ملكى : الدفتر ١٥٦ .

١١ – المجلس الخصوصى : الدفتر ٥ ، ٤١ ، ٧٤ ، ٧٨ .

١٢ – مجلس الوزراء : ١/هـ/ ١١ حربية .

١٣ – محافظة سواكن : الدفتر ١/٥/٢/٤ صادر .

و : ٢/٥/٢/٤ صادر

و : ١١/٦/٢/٤ جـ ٢ وارد

و : ٣٥٤٣ صادر .

١٤ – معية تركى : الدفتر ١ ، ٥ ، ٦ ، ١١ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٢٥ ، ٥٤٩ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ١٨٤٧ ، ١٨٥٩ .

ب – دارة الملك عبدالعزيز بالرياض (الوثائق السعودية) وقد اعتمدت فيها على الوثائق الآتية :

١٥ – ٢/٢ ك – ١٢٢ .

١٦ – ٦/٢ – ٣

١٧ – ٣/٢م – ٣٨

١٨ – ٣/٢ م – ٦٢

١٩ – ٣/٢ – ٣٩

٢٠ – ٣/٢م – ٤١

٢١ – ٣/٢ م – ٤٠

٢٢ – ٣/٢ م – ٦٧

٢٣ – ٣/٢ م – ٧٠

جـ – مكتبة رفاعه طهطاوى بسوهاج :

٢٤ – مجموعة وثائق رفاعة الطهطاوى ورسالة علماء مصر وأعيانها الى سلطان الدولة العثمانية.

د - الوثائق الأمريكية :

وثائق وزارة الخارجية الأمريكية للسنوات من ١٩١٠م حتى ١٩٤٤م

Documents of Us Department of State from 1910 - 1944 -

1 - Documen. No (Number mentioned File N 800 . in November 6, 1923.

2 - Document No 163 file No 800 November 6 . 1923.

3 - Document No 57 - 1 - 1 Mecca Hejaz on 29 the September 1928 .

4 - The Agrement between the Sauda Arab and 'Suden governments owners of Jeddeh - port suddon sea Cable and the Eastern tefegraph Campany LTD . The Cable and wirelles LTD . and their Successore or Assigns on April 17 th 1935 .

ثانيا : الوثائق المنشورة :

٢٩ - رئاسة مجلس الوزراء - السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١ الى ١٢ فبراير ١٩٥٣م - المطبعه الأميرية - ١٩٥٣ م .

٣٠ - مجموعة المناشير الصادرة من الأمام المهدى (محمد أحمد) .

ثالثا : الزيارات العلمية :

٣١ - زيارة علمية قمت بها الى المملكة العربية السعودية بدعوة وزارة التعليم العالى السعودية فى سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م وزرت خلالها مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة فى الحجاز - كما زرت الدرعية ، والرياض وغيرها فى نجد وتفقدت فى هذه المدن المعالم الحضارية ومواقع الأحداث وأطلعت على ما احتوته مكتبات : الملك عبدالعزيز ، ودارة الوثائق ، وبعض الجامعات ولاسيما جامعة الملك سعود بالرياض ، وقد استغرقت الزيارة ١٠٠ يوم .

رابعا المخطوطات :

٣٢ - أحمد الرشيدى - حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج ورقة ٨٥ - مخطوطة بمكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج - رقم ٨٢ بتاريخ .

٣٣ - أحمد بن زينى دحلان (من علماء مكة) اجازة علمية إلى الشيخ عبدالفتاح بن عبدالرحمن البنا الدمياطى مخطوطه بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٢٤٦ مصطلح الحديث .

٣٤ - حسين أفندى الروزنامة - ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية مخطوط بدار الكتب بالقاهرة رقم ٨٨٧٣ .

٣٥ - الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى المصرى (مفتى الحرم المكى) المناهل العزبة فى إصلاح ما وهى من الكعبة - الورقات ١٤٥ - ١٤٧ - مخطوط بدار الكتب رقم ٤٣٤٠ ب مجاميع .

خامسا : المصادر والمراجع العربية :

٣٦ - إبراهيم جمعة (دكتور)

الأطلس التاريخى للدولة السعودية - مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ط ١ - ١٩٧٩ م.

٣٧ - ابراهيم رفعت (باشا)

مرآة الحرمين - دار المعرفة - بيروت .

٣٨ - ابراهيم بن صالح بن عيسى النجدى الحنبلى (الشيخ)

عقد الدرر فيما وقع فى نجد من الحوادث فى آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ - ط وزارة المعارف السعودية .

٣٩ - ابراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن (الشيخ)

تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان جـ ١ - ط ١ .

٤٠ - ابراهيم فوزان الفوزان (دكتور)

إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة - الرياض - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

٤١ - إبراهيم فوزى (باشا)

السودان بين يدى غوردون وكتشنر - ط ١ - القاهرة ١٣١٩ هـ .

٤٢ - أحمد أبو بكر ابراهيم .

الأدب الحجازى فى النهضة الحديثة - مكتبة نهضة مصر - مصر - ١٩٧٢م .

٤٣ - أحمد أمين

زعماء الإصلاح فى العصر الحديث - ط ٤ - القاهرة ١٩٧٨م .

٤٤ - أحمد بن حجر بن محمد آل أبو طامى

الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الاصلاحية وثناء العلماء عليه -

مطبوعات الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة .

٤٥ - أحمد بن زينى دحلان (الشيخ)

خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة -

١٣٩٧هـ .

٤٦ - أحمد السباعى (المؤرخ)

تاريخ مكة - مطبوعات نادى مكة الثقافى - ط ٦ - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م .

٤٧ - أحمد السعيد سليمان (دكتور)

تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل - القاهرة - ١٩٧٢ م .

٤٨ - أحمد عبدالاله عبدالجبار

عادات وتقاليد الزواج فى المنطقة الغربي - ط ١ جدة - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٤٩ - أحمد عبدالرحيم مصطفى (دكتور)

علاقات مصر بتركيا في عهد الخديو اسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٧٩) - دار المعارف -

القاهرة - ١٩٦٧ .

٥٠ - أحمد عسه

معجزة فوق الرمال - ط ٣ - ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

٥١ - أحمد بن على (تقى الدين المقريزى) المؤرخ

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - جـ ١ - القاهرة - ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ .

٥٢ - أحمد لطفي السيد (باشا)

صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية في مصر من مارس ١٩٠٧ الى مارس ١٩٠٩م

- مكتبة النهضة المصرية - مصر - ١٩٤٦م .

٥٣ - اسماعيل حقي أوزون جارشلي

أمراء مكة في العهد العثماني - ترجمة د/ خليل علي مراد - مركز الدراسات بجامعة

البصرة - ١٩٨٥م .

٥٤ - الكسندر شولش

مصر للمصريين أزمة مصر الاجتماعية والسياسية (١٨٧٨ - ١٨٨٣) م - تعريب د/

رؤوف عباس - دار الثقافة العربية - القاهرة - ١٩٨٣ م .

٥٥ - أمين الريحاني (المؤرخ)

الأعمال العربية الكاملة ملوك العرب - المجلد الأول - ط ٢ - ١٩٨٦ م .

٥٦ - نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد

وملحقاتها - منشورات الفخري - ط ٥ - الرياض - ١٩٨١ م .

٥٧ - أمين سامي (باشا)

تقويم النيل وعصر عباس حلمي الأول ومحمد سعيد باشا - مطبعة دار الكتب المصرية - ١٣٥٥ه

١٩٣٦ م .

٥٨ - أنور الجندي

أعلام القرن الرابع عشر - المجلد الاول - أعلام الدعوة والفكر - الأنجلو المصرية - ١٩٨١م .

٥٩ - بسام الجابي

معجم الأعلام معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين - الجفان

والجابي للطباعة والنشر - ط ١ - دمشق - ١٤٠٧ه /١٩٨٧م .

٦٠ - بيير كرابيتس

اسماعيل المفترى عليه - ترجمة فؤاد صروف - دار النشر الحديث - القاهرة ١٩٣٧م .

٦١ - جلال يحيى (دكتور)

المدخل في تاريخ العالم العربي الحديث - دار المعارف -١٨٦٦م .

٦٢ - جمال قاسم (دكتور)

الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية - معهد البحوث والدراسات العربية -١٩٧٥م .

٦٣ - جميل خانكي

تاريخ البحرية المصرية - مطبعة دار الكتب - القاهرة -١٩٤٨م .

٦٤ - حافظ وهبه (الوزير)

جزيرة العرب في القرن العشرين - ط ٢ القاهرة -١٣٦٥هـ/١٩٤٦م .

٦٥ - حسن صبري الخولي (دكتور)

سياسة الإستعمار والصهيونيه تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين المجلد الأول

دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٣م .

٦٦ - حسين عبدالله باسلامة (الشيخ)

تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها- تهامة -ط٢ - ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م .

٦٧ - حسين بن محمد نصيف (الشيخ)

ماضي الحجاز وحاضره - ج ١- ط١ - مكتبة خضير - مصر - ١٣٤٩ هـ / ٨٢ م

٦٨ - حمد إبراهيم الحقيل (القاضي)

عبد العزيز في التاريخ (تاريخ وأدب)-ط٣ - بيروت - ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

٦٩ - خير الدين بن محمود بن علي الزركلي (العلامة)

الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز - دار العلم للملايين - بيروت ط٤ - ١٩٨٤م .

٧٠ - الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين - دار العلم

للملايين - بيروت -١٩٨٠م .

٧١ - راشد البراوي (دكتور)

المركز الدولي لمصر والسودان - قناة السويس - ج١ - ط١ - القاهرة ١٩٥٢م .

٧٢ - ربيع حامد خليفه (دكتور)

فنون القاهرة في العهد العثماني (١٥١٧ - ١٨٠٥) -مكتبة نهضة الشرق القاهرة - ١٩٨٤م .

٧٣ - زينب عصمت راشد (دكتورة)

الصهيونية دراسة تاريخية وفكرية - القاهرة - ١٩٧٥م .

٧٤ - سعود بن هذلول (الأمير)

تاريخ ملوك آل سعود - ط١ - الرياض - ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .

٧٥ - سعيد بن علي المغيري (الشيخ)

جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار - تحقيق عبد المنعم عامر - منشورات سلطنة عمان - ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٧٦ - السيد رجب حراز (دكتور)

التوسع الإيطالي في شرق إفريقيا ، وتأسيس مستعمرتي أرتريا والصومال - مطبعة جامعة القاهرة - ١٣٦٠هـ .

٧٧ - سيد عبد المجيد بكر

الملامح الجغرافية لدروب الحجيج - تهامه - ط١ - ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٧٨ - السيد محمد حسن الدقن (دكتور)

دراسات في تاريخ الدولة العثمانية - ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

٧٩ - سكة حديد الحجاز الحميدية - دراسة وثائقيه - ط١ - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٨٠ - السلطان الأشرف طومان باي والمقاومة المصرية للغزو العثماني - القاهرة ١٩٧٩م .

٨١ - كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ - ط١ - ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٨٢ - السيد يوسف نصر

الدور الحضاري للجيش المصري في القرن التاسع عشر في آسيا وأفريقيا - مكتبة مدبولي - ط١ - القاهرة - ١٩٨٣م .

٨٣ - شرف عبدالمحسن البركاتي (الشريف)

الرحلة اليمانية لصاحب الدولة والسيادة الأمير الشريف باشا أمير مكة المكرمة - مطبعة السعادة - مصر - ١٣٣٠هـ/١٢ ١٩م .

٨٤ - شوقي عطاالله الجمل (دكتور)

تاريخ سودان وادي النيل - ح٢١ - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٦٩م .

٨٥ - دورمصر في إفريقيا في العصر الحديث - الهيئه المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م .

٨٦ - سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهره - ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

٨٧ - الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر (١٨٦٣ - ١٨٧٩) - مطبوعات الجمعية التاريخية -١٩٥٩م .

٨٨ - الصفصائي أحمد المرسي (دكتور)

قاموس تركي عربي - القاهره - ١٩٧٩م .

٨٩ - صلاح الدين الشامي (دكتور)

الموانى السودانية - سلسلة المجلس الأعلي لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية - مصر - ١٩٦١م .

٩٠ - صلاح الدين المختار

تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها - م ١ - منشورات دار مكتبة الحياة .

٩١ - طالب محمد وهيم (دكتور)

مملكة الحجاز (١٩١٦- ١٩٢٥) دراسة في الأوضاع السياسية - منشورات مركز دراسة الخليج العربي بجامعة البصرة - ط١ - البصرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

٩٢ - عائشة بنت عبدالله باقاسي

بلاد الحجاز في العصر الأيوبي - دار مكة للطباعة - ط١ - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٩٣ - عبد الجواد صابر اسماعيل المصري (دكتور)

دور مصر في الحرب العثمانية اليونانية (١٨٢١ - ١٨٢٣) ط١ - القاهره ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

٩٤ - عبدالرحمن بن حسن الجبرتي (المؤرخ)

عجائب الأثار في التراجم والأخبار - مطبعة الأنوار المحمدية - القاهرة .

٩٥ - عبدالرحمن الرافعي (بك)

تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر - مكتبة النهضة المصرية - ط٣ - ١٣٧٨ه ٠

٩٦. - عصر اسماعيل - دار المعارف - ط٣ - القاهرة - ١٤٠٢ه / ١٩٨٢م ٠

٩٧ - عصر محمد على - مكتبة النهضة المصرية - ط٣ - القاهرة - ١٣٧٠ ه / ١٩٥١ م ٠

٩٨ - مصر فى مواجهة الحملة الفرنسية - مركز النيل للإعلام - القاهرة ٠

٩٩ - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (المؤرخ)

العبر وديوان المبتدأ والخبر - ج ٤ - ١٣٩١ ه / ١٩٧١م ٠

١٠٠ - عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور)

الدولة السعودية الأولى - مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية ط٢ -- ١٩٧٥ م ٠

١٠١ -عبد السلام هاشم حافظ

المدينة المنورة فى التاريخ - دار التراث - ط٢ - القاهرة- ١٩٧٢ م ٠

١٠٢ - عبد العزيز حافظ ددنيا

سليم الحجازي من أعلام الجيش المصري فى القرن التاسع عشر - دار النهضة العربية - مصر - ١٣٨٣هـ

١٠٣- عبد العزيز صبري (بك)

تذكار الحجاز (خطوات ومشاهدات) المطبعة السلفية - مصر - ١٣٧٢ ه/ ١٩٥٣م٠

١٠٤ - عبد العزيز محمد الشناوي (دكتور)

الأزهر جامعا وجامعة - حـ١ - مكتبة الأنجلو المصرية - ط١ - القاهرة ١٩٨٣م ٠

١٠٥ - الدولة العثمانية دولة مفترى عليها - الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٨٠ م

١٠٦ - عبد العزيز نوار (دكتور)

تاريخ العراق الحديث فى نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا - دار الكاتب العربى - القاهرة - ١٣٨٨ ه / ١٩٦٨م ٠

١٠٧ -عبد الغنى اسماعيل النابلسى (الشيخ)

الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٦م.

١٠٨ - عبد الفتاح حسن أبوعلية (دكتور)

الدولة السعودية الثانية (١٢٥٦ ه - ١٣٠٩ه) - الرياض - ١٣٩٤ه - ١٩٧٤م.

١٠٩ - عبد القدوس الأنصارى (المؤرخ)

تاريخ العين العزيزية .

١١٠ - موسوعة تاريخ جدة - المجلد الأول - دار مصر للطباعة - ط٣ - القاهرة ١٤٠٢ه / ١٩٨٢

١١١ - عبد الكريم الغرايبة (دكتور)

قيام الدولة السعودية - مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٨٤ .

١١٢ - عبد الله حسين

السودان من التاريخ القديم الي رحلة البعثة المصرية - ح١ - المطبعة الرحمانيه بمصر - ط ١ - ١٣٥٤ه/١٩٣٥م .

١١٣- عبدالله العثيمين (دكتور)

تاريخ المملكة العربية السعودية - ح١ - ط١ -١٤٠٩ه .

١١٤- عبدالله بن علي بن مسفر (الشيخ)

السراج المنير في سيرة أمراء عسير - مؤسسة الرسالة - ط١ -١٣٩٨ه/١٩٧٨م .

١١٥- عبدالمتعال الصعيدي (دكتور)

المجددون في الإسلام من القرن الأول إلي الرابع عشر - مكتبة الآداب .

١١٦- عبدالواسع بن يحي الواسعي (المؤرخ)

الدر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد - القاهرة - ١٣٥٧ ه .

١١٧- عثمان صالح سبي

تاريخ ارتريا- دار الكنوز الأدبية - ط١ - بيروت - ١٩٨٤م .

١١٨- عزيز محمد حبيب

المملكة العربية السعودية - الأنجلوالمصرية - القاهرة - ١٩٧٥م .

١١٩- علي مبارك (باشا)

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط٢ - ١٩٨٠م .

١٢٠- عمر رضا كحالة (العلامة)

جغرافية شبه جزيرة العرب - الناشر/فؤاد هاشم الكتبي - دمشق - ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م .

١٢١- عمر عبد الجبار

دروس من ماضي الحجاز وحاضره بالمسجد الحرام - ط١ - ١٣١٩هـ .

١٢٢- سير وتراجم بعض علمائنا فى القرن الرابع عشر للهجرة تهامة - ط٣ جدة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م .

١٢٣- فائق بكر الصواف (دكتور)

العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز - (١٨٧٦ - ١٩١٦)م

١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

١٢٤- فؤاد حمزة (الوزير)

البلاد العربية السعودية- مكتبة النصر الحديثة - ط٢ - الرياض - ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

١٢٥- قطب الدين الحنفى (القطبى)

الاعلام بأعلام بيت الله الحرام - مكتبة الكليات اغلازهرية - مصر ١٣٠٥هـ/

١٢٦- كريستوفرهير ولد

بونابرت فى مصر - ترجمة فؤاد أندرواس - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.

١٢٧- المملكة العربية السعودية وتطورا ت مصادرها الطبيعية - ترجمة شكيب الأموى دار احياء الكتب العربية -القاهرة - ١٩٥٥م .

١٢٨ - ليلي عبد اللطيف أحمد (دكتورة)

الصعيد في عهد شيخ العرب همام - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة ١٩٨٧م .

١٢٩ - المجتمع المصرى في العصر العثماني - دار الكتاب الجامعي - ط١ - القاهرة - ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

١٣٠ - مجموعة رسائل لأحد أدباء مصر

السودان المصرى والانجليزى - الأهرام - الأسكندرية - ١٨٩٦ م .

١٣١ - محمد بن أحمد (ابن إياس) المؤرخ

بدائع الزهور في وقائع الدهور - تحقيق محمد مصطفي - حـ ٥ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٣ - القاهرة - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ ..

١٣٢ - محمد بن أحمد الحسيني (الفاسي) الشيخ

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين - مؤسسة الرسالة - ط ٢ - حـ ١ - بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م .

١٣٣ - محمد أحمد الرويثي (دكتور)

المرافيء الطبيعية علي الساحل السعودى الغربي - مطبوعات دارة الملك عبد العزيز - الرياض - ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

١٣٤ - محمد أديب غالب

من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي - دار اليمامة - حـ ١ - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٣٥ - محمد أنيس (دكتور)

الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤ - ١٩١٤ ٩ - الأنجلو المصرية - ١٩٨٥ م.

١٣٦ - محمد بديع شريف (دكتور)

في مهبط الوحي - دار الفكر - ط ٢- القاهرة - ١٩٧٨ م .

١٣٧ - محمد حسين هيكل - تراجم عربية وغربية - مطبعة مصر مذكرات في السياسة المصرية حـ ١ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٥١ م .

١٣٨ - محمد رشيد رضا (الشيخ)

تاريخ الأستاذ الأمام محمد عبدة - حـ ٢ - مطبعة المنار - ط ٢ - مصر - ١٣٤٤ م .

١٣٩ - محمد رفعت رمضان

علي بك الكبير - دار الفكر العربي - ١٩٥٠ م .

١٤٠ - محمد السراج

شقائق النعمان في حياة المهدى ووقائع السودان - مطبعة دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ١٩٤٧ م .

١٤١ - محمد صالح ضرار

أمير الشرق (عثمان دقنه) - الدار السودانية للكتب - الطبعة الأولي .

١٤٢ - تاريخ سواكن والبحر الأحمر - الدار السودانية للكتب - ط ١ - الخرطوم ١٩٨١ م .

١٤٣ - محمد عبد الله آل زلفة (دكتور)

إصلاحات حسيب باشا في ولاية الحجاز كما جاء في الوثائق العثمانية كمشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية - زغوان - ١٩٨٨ م .

١٤٤ - محمد عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد (الاسحاقي) المؤرخ-أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول - المطبعة الشرفية القاهرة - ١٣٠٣ هـ .

١٤٥ - محمد عبدة (الشيخ)

رسالة التوحيد - طبعة دار المنار - ط١٧ - مصر - ١٣٨٦ هـ .

١٤٦ - محمد علي الآنسي

الدرارى اللامعات في منتجات اللغات - ط بيروت - ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م .

١٤٧ - محمد علي مغربي

أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة - ط ٢ - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

١٤٨ - ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجرى - دار العلم للطباعة والنشر - ط ٢ - جدة - ١٤٠٥ هـ

١٤٩ - محمد فؤاد شكرى

مصر والسيادة علي السودان - الوضع التاريخي للمسألة - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٤٦ م .

١٥٠ - محمد فهمي لهيطة (دكتور)

تاريخ مصر الاقتصادى في العصور الحديثة - مكتبة النهضة المصرية القاهرة - ١٩٤٤ م .

١٥١ - محمد كمال السيد (المحامي)

الأزهر جامعا وجامعة - سلسلة البحوث الاسلامية - القاهرة - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٥٢ - محمد لبيب البتنوني (الرحالة)

الرحلة الحجازية - ط ٢ - القاهرة - ١٣٢٩ هـ .

١٥٣ - محمد محمود السروجي (دكتور)

الجيش المصرى في القرن التاسع عشر - دار المعارف - مصر - ١٩١٧ م .

١٥٤ - محمود شاكر

شبه الجزيرة لجد - المكتب الأسلامي - بيروت - ١٣٩١ هـ .

١٥٥ - محمود صالح منسي (دكتور)

حركة اليقظة العربية - ط ٢ - القاهرة - ١٣٩٣ هـ .

١٥٦ - محمود تعنانة

إسرائيل والبحر الأحمر - دار مكتبة الفكر - طرابلس - ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

١٥٧ - محي الدين رضا

صور ومشاهدات من الحجاز - ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .

١٥٨ - مصطفي بن عبد الله ، وحاجي خليفة

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - الأستانة ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م .

١٥٩ - مصطفي فاضل باشا (الأمير)

من أمير إلي سلطان - ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا - نشر توفيق الرافعي القاهر[- ١٩٢٢ م ، وهو عبارة عن خطاب الأمير مصطفي ابن إبراهيم باشا إلي السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ م .

١٦٠ - مصطفي كامل (باشا)

أوراق مصطفي كامل (المراسلات)-الهيئتا المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٢ م .

١٦١ - مصطفي كامل شملول الشريف

عروبة مصر من قبائلها - ط ٢ - ١٩٧٠ م .

١٦٢ - مصطفي محمد رمضان (دكتور)

وثائق مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني وأهميتها في تاريخ الجزيرة العربية - ندوة تاريخ الجزيرة - الرياض - ١٢٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

١٦٣- مكي شبيكه

السودان عبر القرون - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهره - ١٩٦٦م .

١٦٤- نهاد الغادري

التحدي الكبير - بيروت - ١٩٦٥م .

١٦٥- نوال سراج ششه

جدة في مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي -مكة المكرمة - ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

١٦٦- هاشم بن سعيد النعيمي (القاضي)

تاريخ عسير في الماضي والحاضر - ج ٢ .

١٦٧- هنري دوديل

محمد علي مؤسس مصر الحديثة - ترجمة أحمد عبد الخالق وآخر - مكتبة الآداب - القاهرة .

١٦٨- هيلين آن ريفلين

الإقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر - ترجمة د/أحمد عبدالرحيم وآخر - دار المعارف - القاهرة .

١٦٩ - يونان لبيب رزق دكتور)

الأصول التاريخية لمسألة طابا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٣م .

سادسا : دائرة المعارف الإسلامية :

وقد انتفع البحث منها بالمواد الآتية :

١٧٠- المجلد الثاني مادة « أحمد أمين »

١٧١- المجلد الرابع مادة «أمير الحج»

١٧٢- المجلد الحادي عشر مادة «الجبرتي»

١٧٣- المجلد الحادي عشر مادة «جدة»

١٧٤- المجلد الثاني عشر مادة «أحمد بن إدريس»

١٧٥- المجلد الثالث عشر مادة «حافظ إبراهيم»

١٧٦- المجلد الثالث عشر مادة «الحج»

سابعا : التقاويم :

١٧٧- ف . ويستنفلد - جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها : ترجمة د/عبدالمنعم ماجد وآخر - الطبعة الأولي - ١٩٨٠ - الناشر مكتبة الأنجلوالمصرية .

ثامنا : الأطالس :

١٧٨- الأطلس التاريخي للدولة السعودية - مطبوعات دارة الملك عبد العزيز- ط١ - ١٩٧٩م .

١٧٩- الأطلس العربي - إدارة المساحة - القاهرة - ١٩٧٨م .

١٨٠- أطلس المدينة المنورة - جامعة الملك سعود - ط١١ - الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

تاسعا : رسائل جامعية غير منشورة :

١٨١ - سعد بدير الحلوانى

الحكم المصرى في سواكن وملحقاتها (١٨٦٥ - ١٨٨٥) رسالة ماجستير أجيزت فى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م .

١٨٢ - عبدالفتاح حسن أبو علية

تطور المجتمع السعودى فى عهد الملك عبدالعزيز آل سعود (١٩٠١ - ١٩٥٣) م رسالة دكتوراة أجيزت من جامعة القاهرة .

١٨٣ - فاروق جميل جاويش

العلاقات المصرية العثمانية فى عهد الخديوى عباس الثانى (١٨٩٢ - ١٩١٤)م رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

١٨٤ - محمد جمعان محمد دادا .

مدينة جدة فى عهد الملك عبدالعزيز آل سعود (١٩٢٥ م - ١٩٥٣ م) رسالةماجستير أجيزت من جامعة الأهر سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م) .

عاشرا : المصادر والمراجع الأجنبية :

185- Earl of cromor - Modern Egypt - voli - London.1908.

189- The Sate E.J.W. Gibb - History of Ottoman Poetry volume IV- London, 1905.

187- Saleh Al Amer the Higaz undir ottoman Rulle 1869-1914, Riyad 1978.

188- Muhamad S. Al Shaafi - the foreign trade of juddah during the ottoman period (1840 - 1916) All Rights 1985.

حادي عشر : الدوريات :

الأخبار « جريدة يومية » مصرية

١٨٩- العدد ١٢٣ - السنة الأولي - ٢٨ من رجب ١٣١٤هـ/٢يناير ١٨٩٧م.

١٩٠- العدد١٢٥ - السنة الأولي - ٢من شعبان ١٣١٤هـ/ ٥يناير ١٨٩٧م .

إقرأ «مجلة أسبوعية» سعودية

١٩١- عددخاص عن : جدة في مطاع القرن الخامس عشر الهجري ١٠من جمادي الثانية ١٤٠١هـ/١٤من ابريل ١٩٨١م .

المجلة التاريخية المغربية «مغربية»

١٩٢- العدد٣٩-٤٠ السنة الثانية عشر - ديسمبر ١٩٨٥م .

الدارة مجلة فصلية سعودية

١٩٣- العددالأول - السنة الخامسة - ربيع الثاني ١٢٩٩هـ/ مارس ١٩٧٩م .

١٩٤- العددالثالث - السنة الخامسة - ربيع الثاني ١٤٠٠هـ/ مارس ١٩٨٠م .

١٩٥- العددالأول - السنة الحادية عشرة - شوال ١٤٠٥هـ .

١٩٦- مجلة كلية اللغة العربية - سنوية من جامعة الأزهر بالقاهرة - العدد الرابع ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

١٩٧- مجلة كلية الدراسات الإنسانية - سنوية من جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة العددالخامس - ١٩٨٧م .

الوقائع المصرية " يومية " مصرية

١٩٨- العدد٢١ - ٤ من ذي الحجة ١٢٨٢هـ/ ١٩من ابريل ١٨٦٦م .

١٩٩- العدد ٢٤ - ٢ من محرم ١٢٨٣هـ/ ١٧ من مايو ١٨٦٦م .

٢٠٠- العدد ١٠٥ - ١٦ من ربيع الأول ١٢٨٤هـ .

٢٠١- العدد ١٢٠- ٦ من ربيع الأول ١٢٨٤هـ/ ٨ من يوليو ١٨٦٧م .

٢٠٢- العدد ١٢٨- ٢١ من رمضان ١٢٨٤هـ .

٢٠٣- العدد ١٢٩ - ٢٨ من رمضان ١٢٨٤هـ .

٢٠٤- العدد ١٤٢ - ١٧ من جمادي الاول ١٢٨٤هـ/ ١٦من سبتمبر ١٨٦٧م .

٢٠٥- العدد ١٥٥- ٣٠ من محرم ١٢٨٧هـ/ ١ من مايو ١٨٧٠م .

٢٠٦- العدد ٢١٠ - ٢٧ من صفر ١٢٨٥هـ/ ١٨ من يونيو ١٨٦٨م .

٢٠٧- العدد ٢١٣ - ١٤ من ربيع الأول ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م .

٢٠٨- العدد ٢٢٤ - ٢٧ من ربيع الأول ١٢٨٥هـ/ ١٦ من أغسطس ١٨٦٨م .

٢٠٩- العدد ٢٢٨ - ١٣ من جمادي الأول ١٢٨٥هـ/٣١ أغسطس ١٨٦٨م .

٢١٠- العدد ٣٩٠ - ١٣ من شوال ١٢٨٧هـ/ ٥ من يناير ١٨٧١م .

٢١١- العدد ٣٩٢ - ٢٧ من شوال ١٢٨٧هـ/ ١٩ من يناير ١٨٧١م .

٢١٢- العدد ٤٠٠ - ٢ من محرم ١٢٨٨هـ/ ٢٣ من مارس ١٨٧١م .

٢١٣- العدد ٤٠٣ - ٢٣ من محرم ١٢٨٨هـ/ ١٣ من ابريل ١٨٧١م .

٢١٤- العدد ٤٣٨ - ٢٣ من شوال ١٢٨٨هـ/ ٤ من يناير ١٨٨٢م .

٢١٥- العدد ٤٨٥ - ٨ من شوال ١٢٨٩هـ/ ٩ من ديسمبر ١٨٧٢م .

٢١٦- العدد ٤٩٧ - ٥ من محرم ١٢٩٠هـ/ ٤ من مارس ١٨٧٣م .

٢١٧- العدد ٥٠٣ - ١٨ من صفر ١٢٩٠هـ/ ١٥ من ابريل ١٨٧٣م .

٢١٨- العدد ٦٠٤ - ١٩ من ربيع الأول ١٢٩٢هـ/ ٢٤ من ابريل ١٨٧٥م .

٢١٩- العدد ٦٠٦ - ١١ من ربيع الثاني ١٢٨٢هـ/ ٢٦ من مارس ١٨٨٥م .

٢٢٠- العدد ٦٥٥ - ٢٨ من ربيع الأول ١٢٩٣هـ/ ٢٣ من ابريل ١٨٧٦م .

٢٢١- العدد ٨١٠ - ٢٠ من جمادي الأولي ١٢٩٦هـ .

٢٢٢- العدد ٨٢١ - ٩ من شعبان ١٢٩٦هـ/ ٢٧ من يوليو ١٨٧٩م .

٢٢٣- العدد ٨٢٦ - ١٣ من رمضان ١٢٩٦هـ/ ٣١ من أغسطس ١٨٧٩م .

٢٢٤- العدد ١٢٨٦- ٢٨ من محرم ١٢٩٦هـ/ ٢٠ من ديسمبر ١٨٨١م .

٢٢٥- العدد ١٢٩١ - ٥ من صفر ١٢٩٩هـ/ ٢٦ من ديسمبر ١٨٨١م .

فهرست

مقدمة — رقم الصفحه

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع